تم تصدير هذا الكتاب آليا بواسطة المكتبة الشاملة
(اضغط هنا للانتقال إلى صفحة المكتبة الشاملة على الإنترنت)

الكتاب : تفسير معنى الكلمات

«سورة الفاتحة»

١ . (بسم الله الرّحمن الرّحيم) البسملة آية من كل سورة . ما عدا سورة براءة.

وقد ابتدأ الكلام باسمه عزّ اسمه ليكون أدباً يؤدب به العباد، فيبتدئوا باسمه في اقوالهم وأفعالهم، لتكون مقصودة لأجله سبحانه، فكل أمر من الأمور انما نصيبه من البقاء بقدر ما لله فيه نصيب.

أما الوصفان: (الرّحمن الرّحيم) فهما من الرحمة. والرّحمن: صيغة مبالغة تدل على الكثرة. والرحيم: صفة مشبّهة تدل على الثبات والبقاء. ولذلك فان الرّحمن يدل على الرحمة المفاضة على المؤمن والكافر. والرحيم يدل على النعمة الدائمة والرحمة الباقية المفاضة على المؤمن.

٢ . (الحمد لله ربِّ العالمين) الحمد هو الثناء على الجميل. والله تعالى جميل في اسمائه وجميل في افعاله وكل جميل منه، فله سبحانه كل حمد. والرب هو المالك الذي يدبر أمر مملوكه. أما العالمين فهي جمع عالَم، والمراد بالعالمين: عوالم الانس والجن وجماعاتهم.

٣، ٤ . (الرّحمن الرّحيم. مالكِ يومِ الدين) وقرئ أيضاً: (مَلك يوم الدين). والمالك من المِلْك بمعنى انه يدبر أمر ما يملك ويتصرف به كيف يشاء.

٥ . (إيّاك نعبد وإيّاك نستعين) العبادة بمثابة ان يضع العبد نفسه في مقام المملوكية لربه. وقد قدم المفعول وهو (إيّاك) على الفاعل (نعبد) للاشارة إلى أن الرب مختص بالمالكية، وأن العبد مقصور على العبودية. (وإيّاك نستعين)، أي اننا انما ننسب العبادة إلى انفسنا وندعيها لنا، مع الاستعانة بك، لا مستقلين ومدعين ذلك دُونك.

٦ . (إهدنا الصراط المستقيم) الهداية هي الدلالة وايضاح الطريق المؤدي إلى الغاية. أما الصراط فهو الواضح من الطريق الذي يوصل سالكيه إلى غايتهم، والصراط والطريق والسبيل متقاربة المعنى. ويفيد معنى (الصراط المستقيم) انه يوصل سالكيه إلى غايتهم دون أن يدعهم يخرجون عنه.

---

٧ . (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بعد ان وصف الله تعالى الصراط بالاستقامة، بيّن ان هذا الصراط هو صراط الذين أنعم الله تعالى عليهم، وهم الذين عرّفهم الله سبحانه بقوله: (ومن يطع الله والرسول فأُولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين وحسن أُولئك رفيقا) النساء . ٦٨. ومن المناسب الاشارة إلى ان القرآن الكريم قد تكرّر فيه ذكر السبيل والصراط. فعدّ السُبل إليه كثيرة، قال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) العنكبوت . ٦٩. كما أنه تعالى نسب السبيل إلى غيره، قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة) يوسف . ١٠٨، وقال: (سبيل المؤمنين) النساء . ١١٤، وقال: (سبيل من أناب اليّ) لقمان . ١٥.

«سورة البقرة»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (الم) وردت الحروف المقطّعة في تسع وعشرين سورة. والتدبّر في السور التي تشترك في الحروف المفتتح بها مثل الميمات والراءآت والطواسين والحواميم، يُبين ان في هذه السور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين وتناسب السياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور.

[٢]

ويمكن أن يحدس من ذلك أن بين هذه الحروف وبين مضامين السور المفتتحة بها ارتباطاً خاصاً. ويستفاد من ذلك أن هذه الحروف رموز بين الله سبحانه وبين رسوله صلى الله عليه وآله، خفية عنا، لا سبيل لأفهامنا العادية إليها إلاّ بمقدار أن نستشعر أن بينها وبين المضامين المودعة في السور ارتباطاً خاصاً.

٢ . (ذلك الكتاب...) المتقون هم المؤمنون. والذي أخذه تعالى من الأوصاف المعرّفة للتقوى في هذه الآيات التسع عشرة التي يبيِّن فيها حال المؤمنين والكفّار والمنافقين، خمس صفات، وهي: الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق ممّا رزق الله سبحانه، والإيمان بما أنزله على أنبيائه، والإيقان بالآخرة. وقد وصف الله تعالى الكتاب بانه هدى لهؤلاء المتقين.

---

٣ . (الذين يؤمنون بالغيب...) الايمان: تمكن الاعتقاد في القلب. والغيب: خلاف الشهادة وينطبق على ما لا يقع عليه الحس، وهو الله سبحانه وآياته الكبرى الغائبة عن حواسنا، ومنها الوحي، وهو الذي أشار إليه سبحانه بقوله: (والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك).

٤ . (... وبالآخرة هم يوقنون) اشارة إلى ان التقوى لا تتم إلاّ مع اليقين بالآخرة، فانّ الانسان ربّما يؤمن بشيء ويذهل عن بعض لوازمه فيأتي بما ينافيه، لكنّه إذا كان على علم وذكر بيوم يحاسب فيه على الخطير واليسير من أعماله، فإنّه لا يقتحم الموبقات ولا يحوم حول محارم الله سبحانه.

٥ . (أُولئك على هدىً من ربّهم) الهداية كلّها من الله سبحانه، لا تنسب الى غيره إلاّ على نحو من المجاز. ولما وصفهم الله تعالى بالهداية، عقب ذلك بقوله: (وأُولئك هم المفلحون).

٦ . (إنّ الذين كفروا...) هؤلاء قوم ثبتوا على الكفر، وتمكن الجحود في قلوبهم، والذي يدل على ذلك وصف حالهم بمساواة الانذار وعدمه. ولا يستبعد ان يكون المراد من هؤلاء هم الكفار من زعماء قريش وكبراء مكة الذين عاندوا ولجّوا في أمر الدين ولم يألوا جهداً في ذلك ولم يؤمنوا حتى أفناهم الله عن آخرهم في بدر وغيرها. ويؤيده أنّ هذا التعبير وهو قوله: (سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) لايمكن استطراده في حق جميع الكفّار، وإلاّ انسدّ باب الهداية، والقرآن ينادي على خلافه. وأيضاً هذا التعبير وقع في سورة يس (وهي مكية) وفي هذه السورة (وهي أوّل سورة نزلت في المدينة) ولم تقع غزوة بدر بعد. فالأشبه أن يكون المراد من الذين كفروا هنا وفي سائر الموارد من كلامه تعالى: كفّار مكة في أوّل البعثة، إلاّ أن تقوم قرينة على خلافه.

٧ . (ختم الله على...) هؤلاء الكفار فيهم حجاب دون الحق في أنفسهم، وحجاب من الله تعالى بعد كفرهم، فاعمالهم متوسطة بين حجابين: من ذاتهم ومن الله تعالى.

---

٨ . ١٦ . (ومن الناس من يقول آمنّا...) الخدعة: نوع من المكر، والشيطان هو الشرير، ولذلك سمّي إبليس شيطاناً. وهذه الآيات تبيّن حال المنافقين.

[٣]

١٧ . (مثلهم كمثل الذي استوقد...) مثل يصور به حال المنافقين، انهم كالذي وقع في ظلمة عمياء، فلجأ إلى سبب من أسباب الاضاءة كنار يوقدها ليبصر بها. فلما أضاءت ما حوله أخمدها الله بسبب من الأسباب كريح أو مطر، فبقي فيما كان عليه من الظلمة، وتورط بين ظلمتين: ظلمة كان فيها، وظلمة الحيرة وبطلان السبب. وهذا حال المنافق، يظهر الايمان فيستفيد من اشتراكه مع المؤمنين في حياتهم، حتى إذا حان الموت وفيه تنتهي الاستفادة من هذا الايمان، ذهب الله بنوره وأبطل ما عمله وتركه في ظلمة لا يدرك فيها شيئاً. ويقع بين الظلمة الأصلية وما أوجده من ظلمة بافعاله.

١٩ . (أو كصيِّب من السماء فيه...) الصيب هو المطر الغزير. والرعد هو الصوت الحادث عند الابراق. والصاعقة هي النازلة من البروق.

وهذا مثل آخر يمثل به حال المنافقين في اظهارهم الايمان، انهم كالذي أخذه صيب السماء وفيه ظلمة تسلب عنه الرؤية، فالصيب يضطره إلى الفرار والخلاص، والظلمة تمنعه من ذلك، والمهولات من الرعد والصاعقة محيطة به، فلا يجد مناصاً من الاستفادة من ضوء البرق المتقطع، إذا اضاء مشى وإذا أظلم عليه قام.

٢١ . (يا أيّها الناس اعبدوا...) لما بين الله تعالى حال الفرق الثلاث: المتقين والكافرين والمنافقين،

دعا الناس إلى عبادته، وان يلتحقوا بالمتقين دون الكافرين والمنافقين.

٢٢ . (... فلا تجعلوا لله انداداً) الأنداد: جمع ند أي مثل. وعدم تقييد قوله تعالى: (وأنتم تعلمون) بقيد خاص، يفيد التأكيد البالغ في النهي بأن الانسان . وله علم ما . لا يجوز له ان يتخذ لله سبحانه أنداداً، فالله هو الذي خلقهم والذين من قبلهم ثم نظّم النظام الكوني لرزقهم وبقائهم.

(٤/١)

---

٢٣ . (وإن كنتم في ريب مما نزّلنا...) أمر تعجيزي لبيان اعجاز القرآن، وانه كتاب منزل من عند الله لا ريب فيه، إعجازاً باقياً بمر الدهور وتوالي القرون.

٢٤ . (... فاتّقوا النار التي...) الوقود ما توقد به النار. وقد نصت الآية على انه الانسان نفسه، فهو وقود وموقود. والمراد بالحجارة: الأصنام التي كانوا يعبدونها، ويدل على ذلك قوله تعالى: (إنّكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) الأنبياء . ٩٨، والحصب هو الوقود.

٢٥ . (وبشِّر الذين آمنوا...) المراد بالطهارة: هي الطهارة من أنواع الأقذار والمكاره الخَلقية والخُلقية، كما جاء في بعض الروايات التي تعمِّم الطهارة للبراءة عن جميع العيوب والمكاره.

٢٦ . (إنّ الله لا يستحي...) البعوضة: الحيوان المعروف. والآية تشهد على أنّ من الضلال والعمى مايلحق الانسان عقيب أعماله السيِّئة، حيث يقول تعالى: (وما يُضلّ به إلاّ الفاسقين) فقد جعل إضلاله عقب الفسق لا متقدِّماً عليه.

٢٧ . (الذين ينقضون عهد...) تفسير للفاسقين. والنقض إنّما يكون عن ابرام، ولذلك وصف الفاسقين في آخر

[٤]

الآية بالخاسرين.

٢٨، ٢٩ . (كيف تكفرون بالله...) الآية قريبة السياق من قوله تعالى: (قالوا ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين...) المؤمن . ١١. وهذه الآيات التي يستدل بها على وجود البرزخ بين الدنيا والآخرة. فإنّها تشتمل على إماتتين، فلو كان إحداهما الموت الناقل من الدنيا، لم يكن بدّ في تصوير الإماتة الثانية من فرض حياة بين الموتين وهو البرزخ.

(٥/١)

(وكنتم أمواتاً...) بيان حقيقة الانسان من حيث وجوده، فهو وجود متحوِّل متكامل يسير في مسير وجوده المتبدِّل المتغيِّر تدريجاً ويقطعه مرحلة مرحلة. فقد كان الانسان قبل نشأته في الحياة ميِّتاً، ثم حُيي بإحياء الله، ثم يتحوّل بإماتة وإحياء وهكذا. وقد قال سبحانه: (وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين...) السجدة . ٩، وقال تعالى: (ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) المؤمنون . ١٤، وقال تعالى: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) طه . ٥٥. والآيات تدلّ على أن الانسان جزء من الأرض، إنفصل منها ثم شرع في التطوّر حتى بلغ مرحلة أُنشئ فيها خلقاً آخر، فهو المتحوِّل خلقاً آخر والمتكامل بهذا الكمال الجديد الحديث، ثم يأخذ ملك الموت هذا الانسان من البدن نوع أخذ يستوفيه، ثم يرجع الى الله سبحانه. فهذا صراط وجود الانسان.

٣٠ . (وإذ قال ربّك للملائكة...) الخلافة: هي قيام شيء مقام آخر. وهذا الكلام من الملائكة في مقام معرفة ما جهلوه.

٣١ . (وعلّم آدم الأسماء...) هؤلاء الذين عرضهم الله تعالى على الملائكة، موجودات عالية محفوظة عند الله تعالى، محجوبة بحجب الغيب.

٣٣ . (قال يا آدم أنبئهم...) إنّ الله سبحانه لم ينف عن خليفة الأرض الفساد وسفك الدماء، ولا كذّب الملائكة في دعواهم التسبيح والتقديس، إنّما أبدى شيئاً آخر، وهو أنّ هناك أمراً لايقدر الملائكة على حمله، ويتحمّله هذا الخليفة الأرضيّ. فانّه يحكي عن الله سبحانه أمراً ويتحمّل منه سرّاً ليس في وسع الملائكة، ولا محالة يتدارك بذلك أمر الفساد وسفك الدماء. وقد بدّل سبحانه قوله: (قال إنِّي أعلم ما لاتعلمون) بقوله: (ألَم أقل لكم إنِّي أعلم غيب...) والمراد بهذا الغيب هو الأسماء.

---

٣٤ . (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا...) يُستفاد منه جواز السجود لغير الله إذا كان تحيّة وإكراماً للغير وفيه خضوع لله تعالى بموافقة أمره. ونظيره قوله تعالى في قصّة يوسف عليه السلام: (ورفع أبويه على العرش وخرّوا له سجّداً قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربِّي حقّاً) يوسف . ١٠٠.

٣٥ . (وقلنا يا آدم اسكن...) إنّ آدم عليه السلام إنّما خُلق ليحيى في الأرض ويموت فيها. وإنّما أسكنهما الله الجنّة لاختبارهما ولتبدو لهما سوآتهما حتى يهبطا إلى الأرض. والنهي إنّما كان نهياً ارشادياً في مقام النصح لا نهياً مولوياً.

٣٦ . (فأزلّهما الشيطان عنها...) غرّهما بوسوسته. (وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوّ...) حكاية عن قضاء قضى الله به العداوة بين ابليس وبين آدم وزوجته وذرِّيّتهما. وكذلك قضى به حياتهم في

الأرض وموتهم فيها وبعثهم منها.

٣٧ . (فتلقّى آدم من ربِّه...) التلقِّي: هو التلقّن وهو أخذ الكلام مع فهم وفقه. وهذا التلقِّي هو الذي سهّل لآدم عليه السلام توبته. ومن ذلك يظهر أن التوبة توبتان: توبة من الله تعالى وهي الرجوع الى العبد بالرحمة، وتوبة من العبد وهي الرجوع الى الله بالاستغفار وترك المعصية.

والتدبّر في آيات القصّة والدقّة في النهي الوارد عن أكل الشجرة يوجب القطع بأن النهي المذكور لم يكن نهياً مولوياً، وانما هو إرشادي يُراد به الارشاد والهداية الى ما في مورد التكليف من الصلاح والخير. ولو كان النهي عن أكل الشجرة مولوياً وكانت التوبة توبة عن ذنب عبودي ورجوعاً عن مخالفة نهي مولوي، كان اللاّزم رجوعهما الى الجنّة، لكنهما لم يرجعا.

(٧/١)

٣٨، ٣٩ . (قلنا اهبطوا منها جميعاً...) هذا أوّل ما شرّع من الدين لآدم عليه السلام وذريته، فأكل الشجرة أوجب أولًا حكمه تعالى وقضاءه بالهبوط والاستقرار في الأرض. وان التوبة ثانياً: تعقب قضاء وحكماً ثانياً منه تعالى باكرام آدم وذرِّيّته بالهداية إلى العبودية (...فمن تبع هداي...).

٤٠ . (يا بني اسرائيل اذكروا...) أخذ سبحانه في معاتبة اليهود وذلك في طي نيف ومائة آية، يذكر فيها نعمه التي أفاضها عليهم، وكراماته التي حباهم بها، وما قابلوها من الكفر والعصيان ونقض الميثاق والتمرد والجحود.

(وأوفوا بعهدي) أصل العهد: الحفاظ، ومنه اشتقت معانيه بمعنى الميثاق واليمين والوصية واللقاء والمنزل ونحو ذلك. والرهبة: الخوف، وتقابل الرغبة.

٤١ . (... ولا تكونوا أوّل كافر به...) من بين أهل الكتاب، أو من بين قومكم ممن مضى وسيأتي، فان كفار مكة كانوا قد سبقوهم إلى الكفر به.

٤٥ . (واستعينوا بالصبر والصلاة...) الاستعانة: هي طلب العون فيما لا يقوى الانسان عليه وحده في المهمات والنوازل. والعون على المهمات: مقاومة الانسان لها بالثبات والاستقامة والاتصال به سبحانه وهذا هو الصبر والصلاة.

والضمير في قوله: (وانّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين) راجع إلى الصلاة، والفرق بين الخشوع والخضوع، أن الخضوع مختص بالجوارح، والخشوع بالقلب.

٤٦ . (الذين يظنون انهم...) عن الامام عليّ عليه السلام في تفسير الآية: «يوقنون أنهم مبعوثون، والظن منهم يقين».

٤٨ . (... ولا يقبل منها شفاعة...) الشفاعة: من الشفع مقابل الوتر، كأن الشفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع فيصير به زوجاً بعد ما كان فرداً، فيقوى على نيل ما يريده.

في أمالي الصدوق: عن الحسين بن خالد، عن الرضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي. ثم قال صلى الله عليه وآله: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أُمّتي، فأمّا المحسنون منهم فما عليهم من سبيل.

٤٩ . (... ويستحيون نساءكم...) يتركونهن أحياء للخدمة. ويمكن أن يكون المعنى: يفعلون ما يوجب زوال حيائهنّ من المنكرات. ومعنى يسومونكم: يولّونكم.

٥٠ . (وإذ فرقنا بكم...) الفرق مقابل الجمع. والفرق في البحر: الشق أي فرقنا البحر من أجل نجاتكم.

٥١ . (وإذ واعدنا موسى أربعين...) قصّ الله سبحانه القصّة في سورة الأعراف بقوله: (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتمّ ميقات ربِّه أربعين ليلة) الأعراف . ١٤٢. فعدّ المواعدة فيها أربعين ليلة، إما للتغليب أو لأن العشرة الأخيرة كانت بمواعدة أخرى، فالأربعون مجموع المواعدتين كما وردت به الرواية.

٥٤ . (... فتوبوا إلى بارئكم...) البارئ: من الأسماء الحسنى وهو قريب المعنى من الخالق والموجد. وكأنه تعالى يقول: هذه التوبة وقتلكم أنفسكم وإن كان أشقّ ما يكون من الأوامر، لكن الله الذي أمركم بهذا هو الذي برأكم، فإنّ الذي أحبّ وجودكم وهو خير لكم، هو الآن يحبّ حلول القتل فيكم فهو خير لكم، وكيف لا يحبّ خيركم وقد برأكم.

وما ورد في هذه الآيات من تعداد معاصي بني إسرائيل لم يكن صادراً من الجميع، وإنما نسب إليهم جميعاً لكونهم جماعة بشرية واحدة يرضى بعضهم بفعل بعض، وينسب فعل بعضهم إلى آخرين.

وعلى هذا فقوله تعالى: (واقتلوا أنفسكم) إنما يعني به قتل البعض وهم الذين عبدوا العجل.

وقوله تعالى: (فتاب عليكم) يدلّ على نزول التوبة وقبولها. وقد وردت الرواية أنّ التوبة نزلت ولما يُقتل جميع المجرمين منهم.

ومن هنا يظهر أنّ الأمر كان أمراً إمتحانياً، نظير ما وقع في قصة رؤيا إبراهيم عليه السلام وذبح إسماعيل. وقد جعل الله تعالى قتل البعض قتلاً للكل وأنزل التوبة بقوله: (فتاب عليكم).

٥٧ . (وظلّلنا عليكم الغمام...) في تفسير القمّي: أنّ بني إسرائيل لما عبر موسى بهم البحر نزلوا في

مفازة فقالوا: يا موسى أهلكتنا وقتلتنا وأخرجتنا من العمران إلى مفازة لا ظلّ فيها ولا شجر ولا ماء. وكانت تجيء بالنهار غمامة تظلهم من الشمس وينزل عليهم بالليل المنّ فيقع على النبات والشجر والحجر فيأكلونه، وبالعشي يأتيهم طائر مشوي يقع على موائدهم فإذا أكلوا وشربوا طار، وكان مع موسى حجر يضعه وسط العسكر ثم يضربه بعصاه فتنفجر منه إثنتا عشرة عيناً كما حكى الله فيذهب إلى كل سبط في رحله، وكانوا اثني عشر سبطاً.

٥٨ . (وإذ قلنا ادخلوا...) [في مجمع البيان: المراد بالقرية بيت المقدس. رغداً: أي موسعاً عليكم مستمتعين بما شئتم من طعام القرية. وقد قيل أن هذه إباحة لهم منه لغنائمها وتملك أموالها إتماماً للنعمة عليهم. (وادخلوا الباب...) قيل هو باب حطّة من بيت المقدّس، وقيل باب القبة. والمعنى: ادخلوا الباب، فإذا دخلتموه فاسجدوا لله سبحانه شكراً. (حطّة) قال أكثر أهل العلم معناه: حط عنّا ذنوبنا].

٥٩ . (... رجزاً من السماء) الرجز: العذاب.

٦٠ . (... ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العَيث والعُثى: أشد الفساد.

٦١ . (... ممّا تنبت الأرض من بقلها...) القِثّاء: الخيار. والفوم: الثوم أو الحنطة. باؤوا: رجعوا. وقوله تعالى: (ذلك بأنّهم كانوا يكفرون) تعليل لما تقدمه. وقوله: (ذلك بما عصوا) تعليل للتعليل، فعصيانهم واستمرارهم في الاعتداء هو الموجب لكفرهم بالآيات وقتلهم الأنبياء.

---

٦٢ . (إنّ الذين آمنوا...) تكرار الايمان في الآية يفيد أنّ المراد بالذين آمنوا في صدر الآية هم المتصفون بالايمان ظاهراً المتسمّون بهذا الاسم. فيكون المعنى: إنّ الاسماء والتسمّي بها مثل المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين، لا يوجب عند الله أجراً ولا أمناً من العذاب. وإنما ملاك الأمر وسبب الكرامة والسعادة الحقيقية هو الايمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح.

٦٣ . (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا...) الطور: الجبل. والنتق: الجذب والقلع. وسياق الآية يدل على أنّ رفع الجبل كان لارهابهم بعظمة القدرة، وليس لاجبارهم وإكراههم على الايمان والعمل بما أوتوه.

٦٤ . (ثمّ تولّيتم من بعد ذلك...) [في مجمع البيان: توليتم: أعرضتم. والمعنى: ثم نبذتم العهد الذي أخذناه عليكم بعد إعطائكم المواثيق وراء ظهوركم، فلولا أنّ الله تفضل عليكم بالتوبة لكنتم من الخاسرين].

٦٥ . (ولقد علمتم الذين اعتدوا...) [في مجمع البيان: أي عرفتم الذين جاوزوا ما أمروا به من ترك الصيد يوم السبت. وكانت الحيتان تجتمع في يوم السبت لأمنها، فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد، فاعتدوا في السبت، لأنّ حبسها هو صيدها. وقيل أنهم اصطادوا يوم السبت مستحلّين بعدما

نهوا عنه. وخاسئين: أي مبعدين].

٦٦ . (فجعلناها نكالاً لما بين يديها...) أي عبرة تعتبر بها. والنكال: هو ما يفعل من الاذلال والاهانة بواحد ليعتبر به آخرون.

---

٦٧ . ٦٩ . (وإذ قال موسى لقومه...) في المعاني وتفسير العيّاشي: عن الامام الرضا عليه السلام: إنّ رجلاً من بني إسرائيل قتل قرابة له ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من أسباط بني إسرائيل، ثم جاء يطلب بدمه. فقالوا لموسى: إنّ سبط آل فلان قتلوا فلاناً، فأخبر من قتله. قال: إيتوني ببقرة. قالوا: أتتخذنا هزواً قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم. قالوا: أدع لنا ربك يبين لنا ما هي قال: إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر، يعني لا صغيرة ولا كبيرة، عوان بين ذلك، ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم. قالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال: انه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسرّ الناظرين. ولو أنهم عمدوا إلى بقرة أجزأتهم، ولكن شددوا فشدد الله عليهم. قالوا: أدع لنا ربك يبين لنا ما هي إنّ البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون. قال: إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها. قالوا: الآن جئت بالحق فطلبوها فوجدوها عند فتى من بني إسرائيل. فقال: لا أبيعها إلاّ بملء مسك ذهباً. فجاؤوا موسى وقالوا له ذلك. قال: اشتروها. فاشتروها وجاؤوا بها، فأمر بذبحها، ثم أمر أن يضربوا الميت بذنبها. فلما فعلوا ذلك حيى المقتول وقال: يا رسول الله إنّ ابن عمي قتلني دون من ادعى عليه قتلي. فعلموا بذلك قاتله.

٧١ . (... قالوا الآن جئت بالحق...) لما تم عليهم البيان ولم يجدوا ما يسألونه، قالوا: (الآن جئت بالحق) وهو قول من يعترف بالحقيقة من غير أن يجد إلى الرد سبيلاً، فيعترف بالحق اضطراراً، والدليل على ذلك قوله تعالى: (فذبحوها وما كادوا يفعلون).

٧٢ . (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم...) الدرء: الدفع. وقد كانوا قتلوا نفساً، وكل طائفة منهم تدفع الدم عن نفسها إلى غيرها، وأراد الله سبحانه إظهار ما كتموه.

---

٧٣ . (فقلنا اضربوه ببعضها...) أوّل الضميرين راجع إلى النفس باعتبار انه قتيل، وثانيهما إلى البقرة. [وقد مرّ بيان القصة في الآيات ٦٧ . ٦٩].

٧٤ . (ثم قَسَتْ قُلوبُكُم...) القسوة في القلب بمنزلة الصلابة في الحجر. وكلمة (أو) بمعنى: بل. وقد بيّن شدة قسوة قلوبهم بقوله: (وإن من الحجارة لما يتفجر منه...). وقوله: (وإن منها لما يهبط) بيان ثان لكون قلوبهم أقسى من الحجارة، فان الحجارة تخشى الله تعالى، فتهبط من خشيته، وقلوبهم لا تخشى الله تعالى ولا تهابه.

٧٥ . (أفتطمعون أن يؤمنوا...) إلتفات من خطاب بني إسرائيل إلى خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله والذين آمنوا، ووضعهم [أي بني اسرائيل] موضع الغيبة، والوجه فيه انه لما قصّ قصّة البقرة، وعدل فيها من خطاب بني إسرائيل إلى غيبتهم، لمكان التحريف الواقع فيها بحذفها من التوراة، أُريد إتمام البيان بالاشارة إلى تحريفهم كتاب الله تعالى، فصرف لذلك وجه الكلام إلى الغيبة.

٧٦، ٧٧ . (وإذا لقوا الذين آمنوا...) المراد بيان موضعين آخرين من مواضع جرائمهم وجهالتهم. احدهما: أنهم ينافقون فيتظاهرون بالايمان صوناً لأنفسهم من الإيذاء والطعن والقتل. وثانيهما: أنهم يريدون تعمية الأمر وإبهامه على الله سبحانه العالم بسرّهم وعلانيتهم، وذلك أن العامة منهم ربما كانوا ينبسطون للمؤمنين فيحدثونهم ببعض ما في كتبهم من بشارات النبيّ صلى الله عليه وآله أو ما ينفع المؤمنين في تصديق النبوة، فكان أولياؤهم ينهونهم مُعللين أن ذلك مما فتح الله لهم، فلا ينبغي أن يُفشى للمؤمنين فيحاجونهم به عند ربهم، كأنهم لو لم يحاجوهم به عند ربهم، لم يطلع الله عليه. وهذا من الجهل بمكان، فرد الله سبحانه عليهم بقوله: (ألم يعلموا أن الله يعلم...).

---

٧٨ . (ومنهم أميون لا يعلمون...) الأمي: من لا يقرأ ولا يكتب. والأماني: جمع أُمنية وهي الأكاذيب. والمعنى: انهم بين من يقرأ الكتاب ويكتبه فيحرفه، وبين من لا يقرأ ولا يكتب ولا يعلم من الكتاب إلاّ أكاذيب المحرفين.

٧٩ . (فويل للذين يكتبون...) الويل: الهلكة والعذاب الشديد والخزي وكل ما يحذره الانسان أشد الحذر. والاشتراء: الابتياع. والضمائر في قوله: (فويل لهم ممّا...) إما راجعة إلى بني إسرائيل أو لخصوص المحرفين منهم، وعلى الأول يثبت الويل للأميين منهم أيضاً.

٨٠ . (وقالوا لن تمسّنا النار...) [جاء في مجمع البيان: قالت اليهود (لن تمسنا النار) أي لن تصيبنا إلاّ أياماً قلائل. فقال الله سبحانه: قل يا محمّد لهم (اتخذتم عند الله عهداً) أي موثقاً انه لا يعذبكم إلاّ هذه المدة وعرفتم ذلك بوحيه وتنزيله. فإن كان كذلك فالله سبحانه لا ينقض عهده وميثاقه، (أم تقولون على الله) الباطل جهلاً منكم به وجرأة عليه].

٨١ . (بلى من كسب سيئة...) الخطيئة هي الحالة الحاصلة للنفس من كسب السيئة، ولذلك أتى باحاطة الخطيئة بعد ذكر كسب السيئة. وإحاطة الخطيئة توجب أن يكون الانسان المحاط مقطوع

الطريق إلى النجاة. كأن الهداية . لاحاطة الخطيئة به . لا تجد إليه سبيلاً، فهو من أصحاب النار مخلداً فيها. ولو انه كان في قلبه شيء من الايمان لكانت الهداية والسعادة ممكنتي النفوذ إليه. فإحاطة الخطيئة لا تتحقق إلاّ بالشرك، ومن جهة أخرى إلاّ بالكفر وتكذيب الآيات. فكسب السيئة وإحاطة الخطيئة كالكلمة الجامعة لما يوجب الخلود في النار.

٨٢ . (والذين آمنوا وعملوا...) [هذه الآية والتي قبلها] في مقام بيان أن الملاك في السعادة إنما هو حقيقة الايمان والعمل الصالح دون الدعاوى.

(١٤/١)

---

٨٣ . (وإذ أخذنا ميثاق...) الميثاق: أخذ للعهد، ولا يكون إلاّ بالقول. (لا تعبدون إلاّ الله...) نهي في صورة الخبر، وإنما فعل ذلك دلالة على شدة الاهتمام به، كأن الناهي لا يشك في عدم تحقق ما نهى عنه، ولا يرتاب في أن المكلف المأخوذ عليه الميثاق سوف لا ينتهي عن نهيه فلا يُوقِع الفعل قطعاً، وكذا قوله: (وبالوالدين إحسانا وذي...)، كل ذلك أمر في صورة الخبر، والتقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً، وذي القربى واليتامى والمساكين. وقد رُتبت موارد الاحسان أخذاً من الأهم والأقرب إلى المهم والأبعد.

٨٤ . (وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون...) السفك: الصب. وقوله: (لا تسفكون دماءكم) خبر في معنى الانشاء نظير ما مرّ في قوله: (لا تعبدون إلاّ الله).

٨٥ . (... تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان...) التظاهر: التعاون. والظهير: العون، مأخوذ من الظهر، لأن العون يلي ظهر الانسان.

[ورد في مجمع البيان: (ثم أنتم) يا معشر اليهود بعد اقراركم بالميثاق الذي اخذته عليكم (تقتلون انفسكم) أي يقتل بعضكم بعضاً، وقيل معناه تتعرضون للقتل، (وتخرجون فريقاً...) متعاونين عليهم في إخراجكم إياهم. (وإن يأتوكم اسارى تُفادوهم...) أي وانتم مع قتلكم من تقتلون منكم إذا وجدتم أسيراً في أيدي غيركم من اعدائكم تفدونهم. فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم].

وقوله تعالى: (أفتؤمنون ببعض الكتاب) معناه: ما هو الفرق بين الاخراج والفدية، حيث اخذتم بحكم الفدية وتركتم حكم الاخراج وهما جميعاً في الكتاب، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض.

٨٦ . (أولئك الذين اشتروا...) [جاء في مجمع البيان: ابتاعوا رياسة الدنيا (بالآخرة) أي رضوا بها عوضاً من نعيم الآخرة. (فلا يخفف عنهم العذاب) لا يُنقص من عذابهم ولا يُهوّن عنهم (ولا هم ينصرون) أي لا ينصرهم أحد في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى].

(١٥/١)

٨٧ . (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفّينا...) التقفية: الإتباع وإتيان الواحد قفأ الواحد. [ذكر في مجمع البيان: (وقفّينا من بعده) أتبعنا من بعد موسى (بالرسل) رسولاً بعد رسول، (وآتينا عيسى بن مريم البينات) أعطيناه المعجزات والدلالات على نبوته من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك من الآيات الدالة على صدقه وصحة نبوّته، وقال بعضهم: أراد بالبينات الإنجيل. (وأيّدناه بروح القدس) قويناه وأعنّاه بجبريل عليه السلام. (أفكلّما جاءكم رسول...) أكلّما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه أنفسكم تجبرتم وأنفتم من قبول قوله (ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون)].

٨٨ . (وقالوا قلوبنا غُلف...) غُلف: جمع أغلف، من الغلاف. أي قلوبنا محفوظة تحت لفائف وأستار وحجب.

٨٩ . (ولمّا جاءهم كتاب...) السياق يدل على ان هذا الكتاب هو القرآن، وعلى وقوع تعرض بهم [أي باليهود] من كفار العرب. (وكانوا من قبل يستفتحون...) يطلبون الفتح عليهم على كفار العرب ببعثة النبيّ صلى الله عليه وآله وهجرته، وأن ذلك الاستفتاح قد استمر منهم قبل الهجرة بحيث ان الكفار من العرب أيضاً يعرفون ذلك منهم. (فلما جاءهم ما عرفوا) عرفوا انه هو [النبيّ] بانطباق ما كان عندهم من الأوصاف عليه (كفروا به...).

٩٠ . (بئسما اشتروا به أنفسهم...) بيان لسبب كفرهم بعد العلم، وان السبب الوحيد في ذلك هو البغي والحسد. والمعنى: انهم كانوا قبل البعثة والهجرة ظهيراً للنبيّ صلى الله عليه وآله ومستفتحاً به وبالكتاب النازل عليه، ثم لما نزل بهم النبيّ صلى الله عليه وآله ونزل عليه القرآن، وعرفوا أنه هو الذي كانوا يستفتحون به وينتظرون قدومه هاج بهم الحسد وأخذهم الاستبكار، فكفروا وأنكروا ما كانوا يذكرونه، كما كانوا يكفرون بالتوراة من قبل، فكان ذلك منهم كفراً على كفر.

٩١، ٩٢ . (... ويكفرون بما وراءه...) يظهرون الكفر بما وراءه، وإلاّ فهم بالذي أُنزل إليهم وهو التوراة أيضاً كافرون. (قل فلم تقتلون...) السؤال متفرع على قولهم: (نؤمن بما انزل علينا)، والمعنى: لو كان قولكم: نؤمن بما أُنزل علينا حقاً وصدقاً فلم تقتلون أنبياء الله ولِمَ كفرتم بموسى باتخاذكم العجل ولِمَ قلتم عند أخذ الميثاق ورفع الطور: سمعنا وعصينا.

٩٣ . (... واشربوا في قلوبهم العجل...) الإشراب: السقي. والمراد بالعجل: حب العجل. وقد وُضع موضعه للمبالغة، كأنهم قد أُشربوا نفس العجل، وبه يتعلق قوله: (في قلوبهم). ففي الكلام استعارتان، أو استعارة ومجاز.

وقوله تعالى: (قل بئسما يأمركم به إيمانكم) بمنزلة أخذ النتيجة مما أورد عليهم من قتل الأنبياء، والكفر بموسى، والاستكبار بإعلان المعصية. وفيه معنى الاستهزاء بهم.

٩٤ . (قل إن كانت لكم الدار...) لو كانوا صادقين في دعواهم أن السعادة الخالصة الأخروية لهم دون غيرهم من الناس، وجب أن يتمنوا الموت جناناً ولساناً وأركاناً.

٩٥ . (ولن يتمنّوه أبداً...) بما قدمت أيديهم من قتل الأنبياء والكفر بموسى ونقض المواثيق والله عليم بالظالمين.

٩٦ . (ولتجدنّهم أحرص الناس...) كالدليل المبين لقوله تعالى: (ولن يتمنوه أبداً) أي ويشهد على أنهم لن يتمنوا الموت، أنهم أحرص الناس على هذه الحياة الدنيا التي لا حاجب ولا مانع عن تمني الدار الآخرة إلاّ الحرص عليها والإخلاد إليها. والتنكير في قوله تعالى: (على حياة) للتحقير. وقوله: (ومن الذين أشركوا) الظاهر أنه عطف على الناس، والمعنى: ولتجدنّهم أحرص من الذين أشركوا. (يَوَدُّ أحدهم لو يعمر ألف سنة) أطول العمر وأكثره، فالألف كناية عن الكثرة. (وما هو بمزحزحه من العذاب) وليس أطول العمر بمبعده من العذاب لأن العمر محدود منته إلى أمد وأجل. (والله بصير بما يعملون) البصير: من أسمائه الحسنى، ومعناه: العلم بالمبصرات فهو من شعب إسم العليم.

(١٧/١)

---

٩٧ . (قل من كان عدواً لجبريل...) السياق يدل على أن الآية نزلت جواباً عما قالته اليهود، وأنهم تأبّوا واستنكفوا عن الايمان بما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله، وعللوه بأنهم عدو لجبريل النازل بالوحي إليه. فأجاب عن قولهم: أولاً: أن جبريل إنما نزل به على قلبك بإذن الله، لا شأن لجبريل في انزاله، إنّما هو مأمور مطيع. وثانياً: أنّ القرآن مصدِّق لما في أيديهم من الكتاب الحق، ولا معنى للايمان بأمر والكفر بما يصدِّقه. وثالثاً: أن القرآن هدى للمؤمنين به. ورابعاً: أنه بشرى، وكيف يصح لعاقل أن ينحرف عن الهداية ويغمض عن البشرى ولو كان الآتي بذلك عدواً له.

٩٨ . (... فإنّ الله عدو للكافرين) كأنه قيل: فإن الله عدو لهم لأنهم كافرون، والله عدو للكافرين.

٩٩ . (... وما يكفر بها إلاّ الفاسقون) فيه دلالة على علة الكفر، وأنه الفسق، فهم لكفرهم فاسقون.

١٠٠ . (أوَ كلّما عهدوا عهداً نبذه...) النبذ: الطرح.

١٠١ . (ولمّا جاءهم رسول...) المراد به رسول الله صلى الله عليه وآله. والآية تشير إلى مخالفتهم للحق من حيث كتمانهم بشارة التوراة وعدم ايمانهم بمن يُصدِّق ما معهم.

(١٨/١)

---

١٠٢ . (واتبعوا ما تتلو الشياطين...) يلوح من الآية أن اليهود كانوا يتداولون بينهم السحر وينسبونه إلى سليمان، زعماً منهم أن سليمان عليه السلام إنما ملك الملك وسخر الجن والانس والوحش والطير وأتى بغرائب الأمور وخوارقها بالسحر الذي هو بعض ما في أيديهم، وينسبون بعضه الآخر إلى الملكين ببابل هاروت وماروت. فرد عليهم القرآن بأن سليمان عليه السلام لم يكن يعمل بالسحر، كيف والسحر كفر بالله، وهو نبي معصوم. فقوله تعالى: (واتبعوا) اليهود الذين بعد عهد سليمان بتوارث الخلف عن السلف (ما تتلو الشياطين) تكذّب الشياطين من الجن على ملك سليمان. (وما كفر سليمان...) والحال ان سليمان لم يسحر حتى يكفر ولكن الشياطين كفروا فهم يضلون الناس ويعلمونهم السحر. (وما أُنزل على الملكين...) واتبعت اليهود ما أنزل بالإلهام على الملكين ببابل هاروت وماروت، والحال انهما ما يُعلّمان السحر من أحد حتى يحذراه العمل به ويقولا (انّما نحن فتنة) لك وامتحان تُمتحن بنا بما نعلمك (فلا تكفر) باستعماله. (فيتعلمون منهما...) من الملكين هاروت وماروت سحراً يفرقون بعمله وتأثيره بين المرء وزوجه. (وما هم بضارين به...) دفعٌ لما سبق إلى الوهم انهم بذلك يفسدون أمر الصنع والتكوين ويسبقون تقدير الله ويبطلون أمره، فدفعه بان السحر نفسه من القدر لا يؤثر إلاّ باذن الله. (ولقد علموا لمن اشتراه) علموا ذلك بعقولهم، لأن العقل لا يرتاب في أن السحر أشأم منابع الفساد في المجتمع الانساني. (ولبئس ما شروا به...) إنهم مع كونهم عالمين بكونه شراً لهم مفسداً لآخرتهم، لكنهم غير عالمين بذلك، حيث لم يعملوا بما علموا، فإن العلم إذا لم يهد حامله إلى مستقيم الصراط، كان ضلالاً وجهلاً لا علماً.

(١٩/١)

---

١٠٣ . (ولو أنهم آمنوا واتقوا...) فيه دليل على انّ الكفر باستخدام السحر كفر في مرتبة العمل كترك الزكاة، لا كفر في مرتبة الاعتقاد. ولو كان السحر كفراً في الاعتقاد لقال تعالى: ولو أنهم آمنوا لمثوبة...، واقتصر على الايمان ولم يذكر التقوى، فاليهود آمنوا ولكن لما لم يتّقوا ولم يرعوا محارم الله، لم يعبأ بايمانهم فكانوا كافرين.

١٠٤ . (يا أيّها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا...) بدّلوا قول (راعنا) بقول (انظرنا) ولئن لم تفعلوا ذلك، كان ذلك منكم كفراً وللكافرين عذاب أليم. ففي الآية نهي شديد عن قول راعنا. وكانت اللفظة تفيد بلغة اليهود معنى الشتم.

١٠٥ . (ما يَودّ الذين كفروا من أهل...) لو كان المراد بأهل الكتاب اليهود خاصة، فتوصيفهم بأهل الكتاب يفيد الاشارة إلى العلّة، وهو أنهم لكونهم أهل كتاب ما يودون نزول الكتاب على المؤمنين لاستلزامه بطلان اختصاصهم بأهلية الكتاب. ولو كان المراد بأهل الكتاب عموم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فهو تعميم بعد التخصيص لاشتراك الفريقين في بعض الخصائل، وهم على غيظ

من الاسلام، وربّما يؤيد هذا الوجه بعض الآيات اللاّحقة [البقرة: ١١١، ١١٣].

١٠٦ . (ما ننسخ من آية...) النسخ: الإزالة والإذهاب عن العين. والإنساء: بمعنى الإذهاب عن العلم. والمعنى: ما نذهب بآية عن العين أو عن العلم نأتِ بخير منها أو مثلها. (ألم تعلم أن الله على كل...) فلا يعجز سبحانه عن إقامة ما هو خير من الفائت أو إقامة ما هو مثل الفائت مقامه.

١٠٧ . (ألم تعلم أنّ الله له ملك...) إن ملك السماوات والأرض لله سبحانه، فله أن يتصرف في ملكه كيف يشاء وليس لغيره شيء من الملك حتى يوجب ذلك انسداد باب من أبواب تصرفه سبحانه، أو يكون مانعاً دون تصرف من تصرفاته.

---

١٠٨ . (أم تريدون أن تسألوا...) سياق الآية يدل على أن بعض المسلمين . ممّن آمن بالنبيّ . سأل النبيّ أموراً على حد سؤال اليهود نبيهم موسى عليه السلام، والله سبحانه وبّخهم على ذلك في ضمن ما يوبّخ اليهود بما فعلوا مع موسى والنبيين من بعده. (سواء السبيل) مستوى الطريق.

١٠٩ . (ودَّ كثير من أهل الكتاب...) نقل أنه حيي بن الأخطب وبعض من معه من متعصبي اليهود. (فاعفوا واصفحوا) قالوا: إنها آية منسوخة بآية القتال. (حتى يأتي الله بأمره) فيه إيماء إلى حكم سيشرعه الله تعالى في حقهم.

١١٠ . (واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة...) [ذكر في مجمع البيان: لما أمر الله سبحانه المؤمنين بالصفح عن الكفار والتجاوز، علم أنه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود وغيرهم لهم، فأمرهم بالاستعانة على ذلك بالصلاة والزكاة فإن في ذلك معونة لهم على الصبر مع ما يحوزون بهما من الثواب والأجر. (وما تقدموا لانفسكم من خير) من طاعة وإحسان وعمل صالح (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه مُعداً لكم عند الله، وقيل معناه: تجدوه مكتوباً محفوظاً عند الله ليجازيكم به].

١١١ . (وقالوا لن يدخل الجنة...) شروع في إلحاق النصارى باليهود تصريحاً، وسوق الكلام في بيان جرائمهم معاً.

١١٢ . (بلى من أسلم وجهه...) هذه كرة ثالثة عليهم في بيان أن السعادة لا تدور مدار الإسم ولا كرامة لأحد على الله إلاّ بحقيقة الايمان والعبودية. أولاها: قوله: (إن الذين آمنوا والذين هادوا...) البقرة . ٦٢. وثانيتها: قوله: (بلى من كسب سيئة...) البقرة . ٨١. وثالثتها: هذه الآية. ويستفاد من تطبيق هذه الآيات تفسير الايمان باسلام الوجه إلى الله، وتفسير الاحسان بالعمل الصالح.

---

١١٣ . (... وهم يتلون الكتاب...) وهم يعملون بما أُوتوا من كتاب الله لا ينبغي لهم أن يقولوا ذلك، والكتاب يبين لهم الحق، والدليل على ذلك قوله: (كذلك قال الذين لا يعلمون...) فالمراد بالذين لا يعلمون غير أهل الكتاب، من الكفار ومشركي العرب قالوا: إن المسلمين ليسوا على شيء أو إن أهل الكتاب ليسوا على شيء.

١١٤ . (ومن أظلم ممن منع...) ظاهر السياق أن هؤلاء كفار مكة قبل الهجرة فان هذه الآيات نزلت في أوائل ورود رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة. (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلاّ خائفين) ينطبق على كفار قريش وفعالهم بمكة كما ورد به النقل، أن المانعين كفار مكة، كانوا يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والمساجد التي اتخذوها بفناء الكعبة.

١١٥ . (ولله المشرق والمغرب...) المشرق والمغرب وكل جهة من الجهات حيث كانت فهي لله بحقيقة الملك التي لا تقبل التبدل والانتقال. ولما كان المشرق والمغرب جهتين إضافيتين شملتا ساير الجهات تقريباً، لذلك لم يقيد إطلاق قوله: (فأينما) بهما، فكأن الانسان أينما ولى وجهه فهناك إما مشرق أو مغرب. (فثم وجه الله) التقدير: فأينما تولوا جاز لكم ذلك فإن وجه الله هناك، ويدل على هذا التقدير، تعليل الحكم بقوله تعالى: (إن الله واسع عليم) أي ان الله واسع الملك والاحاطة، عليم بقصودكم أينما توجهت. واعلم أن هذا توسعة في القبلة من حيث الجهة لا من حيث المكان.

١١٦، ١١٧ . (وقالوا اتخذ الله ولداً...) المراد بالقائلين بهذه المقالة هم اليهود والنصارى، إذ قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله. فرد الله عليهم في هاتين الآيتين فأضرب عن قولهم بقوله: (بل له ملك السماوات...)، ويشتمل على برهانين ينفي كل منهما الولادة وتحقق الولد منه سبحانه، فإن اتخاذ الولد هو أن يجزي موجود طبيعي بعض أجزاء وجوده ويفصله عن نفسه فيصيّره بتربية تدريجية فرداً من نوعه مماثلاً لنفسه، وهو سبحانه منزه عن المثل، بل كل شيء مما في السماوات والأرض مملوك له، قائم الذات به، قانت ذليل، فكيف يكون شيء من الأشياء ولداً له مماثلاً نوعياً بالنسبة إليه وهو سبحانه بديع السماوات والأرض، إنما يخلق على غير مثال سابق، إذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون من غير مثال سابق ولا تدريج.

١١٨ . (وقال الذين لا يعلمون...) هم المشركون، غير أهل الكتاب. (كذلك قال الذين من قبلهم) وهم أهل الكتاب. وفي هذه الآية أَلحق المشركين والكفار بهم، فهم والكفار متشابهون في أفكارهم وآرائهم، يقول هؤلاء ما قاله أولئك وبالعكس. (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) المراد أن الآيات التي يطالبون بها مأتيّة مبيّنة، ولكن لا ينتفع بها إلاّ قوم يوقنون بآيات الله، وأما هؤلاء الذين لا يعلمون فقلوبهم محجوبة بحجاب الجهل.

١١٩ . (إنّا أرسلناك بالحق...) توجيه الخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والاشعار بأنه مرسل من عند الله بالحق بشيراً ونذيراً، فلتطب به نفسه، وليعلم أن هؤلاء اصحاب الجحيم، مكتوب عليهم ذلك، لا مطمع في هدايتهم ونجاتهم.

(٢٣/١)

---

١٢٠ . (ولن ترضى عنك اليهود...) كأنه تعالى بعد هذه الخطابات والتوبيخات لهم يرجع إلى رسوله ويقول له: هؤلاء ليسوا براضين عنك حتى تتبع ملتهم التي ابتدعوها بأهوائهم ونظموها بآرائهم. ثم أمره بالرد عليهم بقوله: (قل إنّ هدى الله هو الهدى) أي أن الاتباع إنما هو لغرض الهدى ولا هدى إلاّ هدى الله.

١٢١ . (الذين آتيناهم الكتاب...) المراد بالذين أوتوا الكتاب قوم من اليهود والنصارى من أهل الحق منهم، وبالكتاب: التوراة والإنجيل. أو يكون المراد بهم المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله وبالكتاب القرآن، والمعنى هنا يكون: ان الذين آتيناهم القرآن وهم يتلونه حقّ تلاوته أولئك يؤمنون بالقرآن، لا هؤلاء المتبعون لأهوائهم.

١٢٢، ١٢٣ . (يا بني اسرائيل اذكروا...) إرجاع ختم الكلام إلى بدئه، وآخره إلى أوّله، وعنده يختتم سطر من خطابات بني إسرائيل.

(٢٤/١)

---

١٢٤ . (وإذ ابتلى إبراهيم...) الابتلاء والبلاء بمعنى واحد، تقول: ابتليته وبلوته: امتحنته واختبرته. قوله تعالى: (بكلمات) المراد بها: قضايا ابتلي بها إبراهيم، وعهود الهية أُريدت منه، كابتلائه بالكواكب والاصنام والنار والهجرة وتضحيته بابنه وغير ذلك. فهذه هي الكلمات، وأما إتمامهنّ: فإن كان الضمير في قوله تعالى: (أتمّهنّ) راجعاً إلى إبراهيم كان معنى اتمامهنّ: إتيانه عليه السلام ما أُريد منه وإمتثاله لما أُمر به. وإن كان الضمير راجعاً إليه تعالى كما هو الظاهر كان المراد: توفيقه لما أُريد منه ومساعدته على ذلك. (انّي جاعلك للناس إماماً) مقتدى يقتدي بك الناس، ويتبعونك في أقوالك وأفعالك. وهو وعد له عليه السلام بالامامة في ما سيأتي، وليست الامامة في الآية بمعنى النبوة، فقد كان عليه السلام نبيّاً قبل تقلّده الامامة. والقصّة كانت في أواخر عهد إبراهيم عليه السلام بعد مجيء البشارة له باسحاق واسماعيل. (قال ومن ذرّيّتي قال لا ينال...) إشارة إلى أن الامامة في ولد إبراهيم بعده، فإن إبراهيم عليه السلام إنّما كان سأل الامامة لبعض ذريته لا لجميعهم، فأجيب:

بنفيها عن الظالمين من ولده، ففيه إجابة لما سأله مع بيان أنها عهد، وعهده تعالى لا ينال الظالمين، والمراد بالظالمين: مطلق من صدر عنه ظلم ما، من شرك أو معصية، وإن كان في برهة من عمره ثم تاب وصلح.

١٢٥ . (وإذ جعلنا البيت مثابة...) اشارة إلى تشريع الحج والأمن في البيت، والمثابة: المرجع، من ثاب يثوب إذا رجع. والمعنى: وإذ قلنا للناس ثوبوا إلى البيت وحجوا إليه، واتّخذوا من مقام إبراهيم مصلّى. (وعهدنا إلى إبراهيم واسماعيل أن طهّرا) العهد: الأمر. والتطهير: إما تخليص البيت للعبادة وإما تنظيفه من الأقذار والأوساخ.

---

١٢٦ . (وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل...) دعاء دعا به إبراهيم يسأل به الأمن على أهل مكة والرزق وقد أجيبت دعوته. (ثم اضطرّه إلى عذاب النار) كأنه قيل: ما سألته من إكرام البيت برزق المؤمنين من أهل هذا البلد استجبته وزيادة، ولا يغتر الكافر بذلك أن له كرامة على الله، فسوف يُضطر إلى عذاب النار وبئس المصير.

١٢٧ . (وإذ يرفع إبراهيم...) القواعد: جمع قاعدة وهي ما قعد من البناء على الأرض واستقر عليه الباقي. (ربّنا تقبّل منّا...) دعاء لابراهيم واسماعيل، وفي عدم ذكر متعلق التقبل . وهو بناء البيت . تواضع في مقام العبودية واستحقار لما عملا به. والمعنى: ربّنا تقبّل منّا هذا العمل اليسير انك انت السميع لدعوتنا، العليم بما نويناه في قلوبنا.

١٢٨ . (ربّنا واجعلنا مسلمين لك...) هذا الاسلام غير ما هو المتداول المتبادر عندنا، وهو تمام العبودية وتسليم العبد كل ما له إلى ربه. ولهذا يمكن أن يُعد أمراً إلهياً خارجاً عن اختيار الانسان، ويسأل من الله سبحانه أن يفيض به، وأن يجعل الانسان متصفاً به. (وأرنا مناسكنا) المناسك: جمع منسك بمعنى العبادة. وليس المراد هنا بمعنى علمنا أو وفقنا، بل التسديد باراءة حقيقة الفعل الصادر منهما. فالمراد بالاسلام والبصيرة في العبادة، غير المعنى الشائع المتعارف، وكذلك المراد بقوله تعالى: (وتُب علينا) لأن إبراهيم واسماعيل كانا نبيين معصومين بعصمة الله تعالى لا يصدر عنهما ذنب حتى تصح توبتهما منه، كتوبتنا من المعاصي الصادرة منا.

١٢٩ . (ربّنا وابعث فيهم رسولاً منهم) دعوة للنبيّ صلى الله عليه وآله وقد كان صلى الله عليه وآله يقول: «أنا دعوة إبراهيم».

١٣٠ . (ومن يرغب عن ملّة إبراهيم) ان الاعراض عن ملة إبراهيم من حماقة النفس، وعدم تمييزها ما ينفعها مما يضرّها. (ولقد اصطفيناه في الدنيا) الاصطفاء: أخذ صفوة الشيء وتمييزه عن غيره إذا اختلطا.

١٣١ . (إذ قال له ربه أسلم...) الظاهر أن الظرف متعلق بقوله: (اصطفيناه)، فيكون المعنى: أن اصطفاءه إنما كان حين قال له ربّه: (أسلم) فأسلم لله رب العالمين. فقوله تعالى: (إذ قال له ربه أسلم...) بمنزلة التفسير لقوله: (اصطفيناه).

١٣٢ . (ووصّى بها إبراهيم بنيه...) وصّى بالملة. (فلا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون) التقدير: أحذروا أن يغتالكم الموت في غير حال الاسلام.

١٣٣ . (... وإله آبائك إبراهيم...) في الكلام اطلاق لفظ الأب على الجد والعم والوالد. (إلهاً واحداً) دفعٌ لإمكان إبهام اللفظ أن يكون إلهه غير إله آبائه على نحو ما يتخذه الوثنيون من الآلهة الكثيرة. (ونحن له مسلمون) بيان للعبادة وأنها ليست عبادة كيفما اتفقت، بل عبادة على نهج الاسلام.

١٣٤ . (تلك أمّة قد خلت...) [جاء في مجمع البيان: جماعة قد مضت يعني إبراهيم وأولاده (لها ما كسبت) أي ما عملت من طاعة أو معصية (ولكم) يا معشر اليهود والنصارى (ما كسبتم) ما عملتم من طاعة أو معصية (ولا تسألون عمّا كانوا يعملون) لا يقال لكم لِمَ عملوا كذا وكذا، كما لا يقال لهم لِمَ عملتم كذا وكذا، وإنما يُطالب كل إنسان بعمله].

١٣٥ . (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى...) وقالت اليهود: كونوا هوداً تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، كل ذلك لتشعبهم وشقاقهم. (قل بل ملّة إبراهيم...) جواب عن قولهم، أي قل: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفاً فانها الملة الواحدة التي كان عليها جميع انبيائكم، إبراهيم فمن دونه، وما كان صاحب هذه الملة وهو إبراهيم من المشركين.

١٣٦ . (قولوا آمنا بالله...) لما حكى ما يأمر به اليهود والنصارى من اتباع مذهبهم، ذكر ما هو عنده من الحق، وهو الشهادة على الايمان بالله، والايمان بما عند الأنبياء، من غير فرق بينهم، وهو الاسلام. ثم ذكر سبحانه ما أُنزل إلينا وهو القرآن أو المعارف القرآنية، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ثم ذكر ما أُوتي موسى وعيسى، وخصّهما بالذكر لأن المخاطبة مع اليهود والنصارى وهم يدعون إليهما فقط، ثم ذكر ما أُوتي النبيون من ربهم، لتشمل الشهادة جميع الانبياء، فيستقيم قوله بعد ذلك: (لا نفرّق بين أحد منهم).

١٣٧ . (فإن آمنوا بمثل...) الاتيان بلفظ المثل مع كون أصل المعنى: فإن آمنوا بما آمنتم، لقطع عرق الخصام والجدال، فإنه لو قيل لهم: أن آمنوا بما آمنا به، أمكن أن يقولوا كما قالوا: بل نؤمن

بما أُنزل علينا ونكفر بما وراءه. لكن لو قيل لهم: إنّا آمنا بما لايشتمل إلاّ على الحق فآمِنوا أنتم بما يشتمل على الحق مثله، لم يجدوا طريقاً للمراء والمكابرة. (في شقاق) الشقاق: النفاق والمنازعة والمشاجرة والافتراق. (فسيكفيكهم الله) وعدٌ لرسول الله بالنصرة عليهم، وقد أنجز وعده، وسيتم هذه النعمة للأمة الاسلامية إذا شاء.

١٣٨ . (صبغة الله ومن أحسن...) هذا الايمان المذكور صبغة إلهية لنا، وهي من أحسن الصبغ، لا صبغة اليهودية والنصرانية بالتفرق في الدين وعدم إقامته. (ونحن له عابدون) في موضع الحال، وهو كبيان العلة لقوله: (صبغة الله...).

١٣٩ . (قل اتحاجوننا في الله...) إنكار لمحاجة أهل الكتاب للمسلمين في الله سبحانه. وقد بيّن وجه الانكار وكون محاجتهم لغواً وباطلاً بقوله: (وهو ربّنا وربّكم...).

(٢٨/١)

---

١٤٠ . (أم تقولون أن إبراهيم...) وهو قول كل من الفريقين اليهود والنصارى ان إبراهيم ومن ذُكر بعده، كونهم هوداً أو نصارى، (قل أأنتم أعلم أم الله) فإن الله أخبرنا واخبركم في الكتاب أن موسى وعيسى وكتابيهما، بعد إبراهيم ومن ذكر معه. (ومن أظلم ممن كتم...) كتم ما تحمّل شهادة أن الله أخبر بكون تشريع اليهودية أو النصرانية بعد إبراهيم ومن ذكر معه.

١٤١ . (تلك أمّة قد خلت...) إن الغور في الاشخاص وأنهم ممن كانوا، لا ينفع حالكم، ولا يضركم السكوت عن المحاجّة والمجادلة فيهم، والواجب عليكم الاشتغال بما تُسألون غداً عنه. وتكرار الآية مرتين لكونهم يفرطون في هذه المحاجّة التي لا تنفع لحالهم شيئاً، وخصوصاً مع علمهم أن إبراهيم كان قبل اليهودية والنصرانية.

١٤٢ . (سيقول السفهاء من الناس...) هذا تمهيد ثان لما سيأمر به تعالى من اتخاذ الكعبة قبلة، وتعليم للجواب عما سيعترض به السفهاء من الناس، وهم اليهود تعصباً لقبلتهم التي هي بيت المقدس، ومشركو العرب الراصدون لكل أمر جديد يحتمل الجدال والخصام. ومعنى الآية: ما الذي صرفهم عن القبلة التي كانوا عليها وهو بيت المقدس الذي كان يصلي إليه النبيّ والمسلمون أيام اقامته بمكة وعدة شهور بعد هجرته إلى المدينة (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) تنكير الصراط لأن الصراط يختلف باختلاف الأمم في استعداداتها للهداية إلى الكمال والسعادة.

(٢٩/١)

---

١٤٣ . (وكذلك جعلناكم أمّة...) الظاهر أن المراد: كما سنحول القبلة لكم لنهديكم إلى صراط مستقيم، كذلك جعلناكم أُمّة وسطاً. وقد جعلناكم كذلك ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس، أي تتوسطوا بين الرسول وبين الناس. فكون الأمة وسطاً، إنما هو بتخللها بين الرسول وبين الناس. (وما جعلنا القبلة التي...) ظاهر الآية انه دفع لما يختلج في صدور المؤمنين من تغيير القبلة ونسخها، ومن جهة الصلوات التي صلوها إلى القبلة ما شأنها. فبيّن سبحانه ان هذه الاحكام والتشريعات ليست إلاّ لأجل مصالح تعود إلى تربية الناس وتكميلهم، وتمحيص المؤمنين من غيرهم. وان القبلة قبلة ما لم تنسخ، وان الله سبحانه إذا نسخ حكماً رفعه من حين النسخ لا من أصله، لرأفته ورحمته بالمؤمنين.

١٤٤ . (قد نرى تقلّب وجهك...) إن اليهود على ما في الروايات الواردة في شأن نزول الآية، كانوا يعيّرون المسلمين في تبعية قبلتهم، فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك، فخرج في سواد الليل يقلب وجهه إلى السماء ينتظر الوحي من الله سبحانه وكشف همّه، فنزلت الآية بقبلة جديدة، فقطع تعييرهم وتفاخرهم، مضافاً إلى تعيين التكليف، فكانت حجّة ورضى. (وإنّ الذين أوتوا الكتاب...) وذلك لاشتمال كتابهم على صدق نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله، أو كون قبلة هذا النبيّ الصادق هي شطر المسجد الحرام. وأيّاً ما كان فقوله: (أوتوا الكتاب) يدل على اشتمال كتابهم على حقيقة هذا التشريع، وما الله بغافل عما يعملون من كتمان الحق، واحتكار ما عندهم من العلم.

(٣٠/١)

---

١٤٥ . (ولئن أتيت الذين أُوتوا...) تقريع لهم بالعناد واللجاج، وان إباءهم عن القبول ليس لخفاء الحق عليهم وعدم تبينه لهم، بل الباعث على بث الاعتراض وإثارة الفتنة عنادهم في الدين وجحودهم للحق. فلو أتيتهم بكل آية ما تبعوا قبلتك لعنادهم وجحودهم. (وما أنت بتابع قبلتهم) لأنك على بينة من ربك، ويمكن أن يكون قوله: (وما أنت...) نهياً في صورة خبر. (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) وهم اليهود يستقبلون صخرة بيت المقدّس أينما كانوا، والنصارى يستقبلون المشرق أينما كانوا، فلا هذا البعض يقبل قبلة ذاك البعض، ولا ذاك يقبل قبلة هذا اتباعاً للهوى. (ولئن اتبعت أهواءهم) تهديد للنبيّ، والمعنى متوجه إلى أُمته، وإشارة إلى انهم في هذا التمرد إنما يتبعون أهواءهم وأنهم بذلك ظالمون.

١٤٦ . (الذين آتيناهم الكتاب...) إن أهل الكتاب يعرفون رسول الله بما عندهم من بشارات الكتب، كما يعرفون أبناءهم، (وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون).

١٤٧ . (الحق من ربك فلا تكن...) تأكيد للبيان السابق، وتشديد في النهي عن الامتراء، وهو الشك والارتياب. وظاهر الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله ومعناه للأُمّة.

١٤٨ . (ولكلٍّ وجهة هو موليها...) الوجهة: ما يتوجّه إليه كالقبلة. وهذا رجوع إلى تلخيص البيان السابق، وتبديل له من بيان آخر يهدي الناس إلى ترك تعقيب أمر القبلة، وعدم الاكثار من الكلام فيه. والمعنى: ان كل قوم لهم قبلة مشرّعة على حسب ما تقتضيه مصالحهم، فاتركوا ذلك واستبقوا الخيرات وسارعوا إليها بالاستباق، فان الله سيجمعكم إلى يوم لا ريب فيه، وأينما تكونوا (يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير).

١٤٩ . (ومن حيث خرجت فولِّ وجهك...) يمكن ان يكون المراد: مكة التي خرج منها رسول الله صلى الله عليه وآله، ويكون المعنى: أن استقبال البيت حكم ثابت لك في مكة وغيرها من البلاد والبقاع. وفي قوله: (وإنه للحق من ربك...) تأكيد وتشديد.

(٣١/١)

---

١٥٠ . (ومن حيث خرجت فولِّ وجهك...) تكرار الجملة الأُولى بلفظها لعلّه للدلالة على ثبوت حكمها على أي حال. (لئلاّ يكون للناس عليكم حجّة...) بيان لفوائد ثلاث في هذا الحكم الذي فيه أشدّ التأكيد على ملازمة الامتثال والتحذير من الخلاف: احداها: أن اليهود كانوا يعلمون من كتبهم أن النبيّ الموعود تكون قبلته الكعبة دون بيت المقدس. والالتزام بهذا الحكم والعمل به يقطع حجتهم. وثانيتها: أن ملازمة هذا الحكم يسوق المسلمين إلى تمام النعمة عليهم بكمال دينهم. وثالثتها: رجاء الاهتداء إلى الصراط المستقيم.

١٥١ . (كما أرسلنا فيكم رسولاً...) أنعمنا عليكم بأن جعلنا لكم البيت الذي بناه إبراهيم ودعا له بما دعا من الخيرات والبركات قبلة، (كما أرسلنا فيكم رسولًا منكم يتلو عليكم...) مستجيبين لدعوة إبراهيم. (يتلو عليكم) ظاهره آيات القرآن. والتزكية: هي التطهير. أما تعليم الكتاب والحكمة وتعليم ما لم يكونوا يعلمونه فيشمل جميع المعارف الأصلية والفرعية.

١٥٢ . (فاذكروني أذكركم واشكروا...) لما إمتن الله تعالى على النبيّ والمسلمين، بإرسال النبيّ الكريم منهم إليهم نعمة لا تقدر بقدر ومنحة على منحة، فرّع على ذلك دعوتهم إلى ذكره وشكره، ليذكرهم بنعمته على ذكرهم إياه بعبوديته وطاعته، ويزيدهم على شكرهم لنعمته وعدم كفرانهم.

١٥٣ . (يا أيّها الذين آمنوا استعينوا...) وصف سبحانه الصبر بأن الله مع الصابرين المتصفين بالصبر.

١٥٤ . (ولا تقولوا لمن يُقتل...) ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات، ولا تعتقدوا فيهم الفناء والبطلان كما يفيده لفظ الموت عندكم، بل أحياء ولكن حواسكم لا تنال ذلك ولا تشعر به.

١٥٥ . (ولنبلونّكم بشيء من الخوف...) لما أمرهم الله بالاستعانة بالصبر والصلاة، ونهاهم عن

القول بموت من يقتل منهم في سبيل الله، بيّن لهم السبب الذي من أجله خاطبهم بما خاطب، وهو الحرب والقتال. وأما (الثمرات) فالظاهر انها الأولاد.

(٣٢/١)

---

١٥٦ . (الذين إذا أصابتهم...) أعاد ذكر الصابرين ليبشرهم أوّلاً، ويبيّن كيفية الصبر بتعليم ما هو الصبر الجميل ثانياً، ويُظهر به حق الأمر الذي يقضي بوجوب الصبر وهو ملكه تعالى للانسان ثالثاً، ويبيّن جزاءه العام وهو الصلاة والرحمة والاهتداء رابعاً.

١٥٧ . (أُولئك عليهم صلوات...) الصلاة من الله سبحانه إنعطاف إلى العبد بالرحمة، ومن الملائكة إنعطاف إلى الانسان بالتوسط في إيصال الرحمة، ومن المؤمنين رجوع ودعاء بالعبودية، وهذا لا ينافي كون الصلاة بنفسها رحمة ومن مصاديقها. (وأُولئك هم المهتدون) كأنه بمنزلة النتيجة لقوله: (اولئك عليهم...) ولذلك جدّد اهتداءهم بجملة ثانية مفصولة عن الأولى، ولم يقل: صلوات من ربهم ورحمة وهداية.

١٥٨ . (إنّ الصّفا والمروة من...) الصفا والمروة موضعان بمكة يأتي الحجاج بينهما بعمل السعي. والشعائر: جمع شعيرة وهي العلامة. والمعنى: انّه لما كان الصفا والمروة معبدين ومنسكين من معابد الله فلا يضركم أن تعبدوه فيهما.

١٥٩ . (إنّ الذين يكتمون...) الظاهر أن المراد بالهدى: ما تضمنه الدين الالهي من المعارف والاحكام التي تهدي تابعيها إلى السعادة. وبالبينات: الآيات والحجج. والكتمان: الإخفاء، والمراد به عدم إظهار الآية للناس أو كتمان دلالتها بالتأويل أو صرف الدلالة بالتوجيه. (من بعد ما بيناه) إنّ كتمانهم إنّما هو بعد البيان والتبيين للناس. (أولئك يلعنهم الله...) بيان لجزاء بغي الكاتمين وهو اللّعن من الله واللّعن من كل لاعن.

١٦٠ . (إلاّ الذين تابوا...) استثناء من الآية السابقة. والمراد بتقييد توبتهم بالتبين، أن يتبين أمرهم ويتظاهروا بالتوبة، ولازم ذلك أن يبينوا ما كتموه للناس وانهم كانوا كاتمين.

(٣٣/١)

---

١٦١ . (إنّ الذين كفروا وماتوا...) كناية عن إصرارهم على كفرهم وعنادهم وتعنتهم في قبول الحق، وهؤلاء هم المكذبون المعاندون وهم الكاتمون لما أنزل الله، وجازاهم الله بقوله: (اولئك عليهم لعنة الله...).

١٦٢ . (خالدين فيها لا يخفف عنهم...) خالدين في اللّعنة. وفي تبديل السياق بوضع العذاب موضع اللّعنة، دلالة على أن اللّعنة تتبدّل عليهم عذاباً.

١٦٤ . (إن في خلق السماوات...) الآية مسوقة للدلالة والبرهنة على ما تضمنته الآية السابقة: (وإلهكم إله واحد...) فإن الآية تنحل بحسب المعنى إلى أن لكل شيء من هذه الأشياء إلهاً، وأن إله الجميع واحد وأن هذا الإلة الواحد هو إلهكم، وأنه رحمن مفيض للرحمة العامة، وأنه رحيم يسوق إلى سعادة الغاية . وهي سعادة الآخرة . فهذه حقائق حقة، وفي خلق السماوات والأرض واختلاف اللّيل والنهار . إلى آخر ما ذكر في الآية . آيات دالة عليها عند قوم يعقلون.

١٦٥ . (ومن الناس من يتخذ...) الند: كالمثل وزناً ومعنىً. والتعبير بلفظ: (يحبونهم) دلالة على أن المراد بالأنداد ليس هو الأصنام فقط، بل يشمل الملائكة، وأفراداً من الانسان الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله تعالى، بل يعم كل مطاع من دون الله من غير أن يأذن الله بإطاعته. (ولو يرى الذين ظلموا...) ليتهم يرون في الدنيا يوماً يشاهدون فيه العذاب، فيشاهدون أن القوّة لله جميعاً، وقد أخطأوا في إعطاء شيء منها لأندادهم، وأن الله شديد في عذابه وإذاقته عاقبة هذا الخطأ. فالمراد بالعذاب في الآية: مشاهدتهم الخطأ في اتخاذهم أنداداً يتوهّمون قوّة فيهم ومشاهدة عاقبة هذا الخطأ، ويؤيده الآيتان التاليتان: ١٦٦ . (إذ تبرّأ الذين اتُّبِعوا...) فلم يصل من المتبوعين إلى تابعيهم نفع كانوا يتوقعونه، ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، فلم يبق تأثير لشيء دون الله.

---

١٦٧ . (وقال الذين اتَّبعوا...) وهو تمني الرجوع إلى الدنيا. (فنتبرأ منهم) أي من الأنداد المتبوعين في الدنيا كما تبرأوا منا في الآخرة، (كذلك يريهُم الله) أي الذين ظلموا باتخاذ الانداد، (أعمالهم) وهي حبهم واتباعهم لهم في الدنيا حال كونها حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار.

١٦٨ . (يا أيّها الذين آمنوا كُلوا...) كلوا وتصرّفوا وتمتعوا مما في الأرض من النعم الالهية التي هيأتها لكم طبيعة الأرض باذن الله وتسخيره حلالاً طيباً، أي الذي لا يمنعكم عن أكله أو التصرف فيه مانع من قبل طبائعكم وطبيعة الأرض. فقوله تعالى: (كلوا ممّا في الأرض...) يفيد الاباحة العامة من غير تقييد واشتراط فيه. إلاّ ان قوله: (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يفيد: أن هاهنا أموراً تسمّى خطوات الشيطان . متعلقة بهذا الاكل الحلال الطيب . إما كف عن الأكل إتباعاً للشيطان، وإما إقدام عليه اتباعاً للشيطان. ثم ذكر ضابط ما يُتبع فيه الشيطان في الآية التالية بأنه سوء وفحشاء وقول ما لا يُعلم على الله سبحانه، وإذا كان الكف غير جائز إلاّ برضى من الله تعالى، فالفعل أيضاً كذلك، فليس الأكل مما في الأرض حلالًا طيباً إلاّ أن يأذن الله تعالى ويشرعه، وقد شرعه بهذه الآية ونظائرها.

١٦٩ . (إنّما يأمُركُم بالسوء والفحشاء...) السوء والفحشاء يكونان في الفعل، وفي مقابلة القول، وبذلك يظهر: أن ما يأمر به الشيطان ينحصر في الفعل الذي هو السوء والفحشاء، وفي القول الذي هو قول بغير علم.

١٧٠ . (وإذا قيل لهم اتَّبعوا...) الإلفاء: الوجدان، أي وجدنا عليه آباءنا. (أوَ لو كان آباؤهم...) جواب عن قولهم، وبيانه: أنّه قول بغير علم ولا تبيّن، وينافيه صريح العقل، فان قولهم: (بل نتّبع ما ألفينا...) قول مطلق، أي نتبع آباءنا على أي حال وعلى أي وصف كانوا، حتى لو لم يعلموا شيئاً ولم يهتدوا ونقول: ما فعلوه حق. وهذا هو القول بغير علم.

(٣٥/١)

---

١٧١ . (ومثل الذين كفروا كمثل...) المثل: الكلام السائر. والنعيق: صوت الراعي لغنمه زجراً. والنداء: أخص من الدعاء ففيه معنى الجهر بالصوت ونحوه بخلاف الدعاء.

وعن الامام الباقر عليه السلام في الآية، قال: أي مثلهم في دعائك إياهم إلى الايمان كمثل الناعق في دعائه المنعوق به من البهائم التي لا تفهم وإنما تسمع الصوت.

١٧٢ . (يا أيّها الذين آمنوا كلوا...) خطاب خاص بالمؤمنين بعد الخطاب السابق للناس، كأنه انصراف عن خطاب جماعة ممن لا يقبل النصح، وإلتفات إلى من يستجيب الداعي لايمانه به. والمعنى: كلوا من طيبات الرزق لا من خبيثه.

١٧٣ . (إنّما حُرّم عليكم...) الإهلال لغير الله: الذبح لغيره كالاصنام. (غير باغ ولا عاد) غير ظالم ولا متجاوز حده. والمعنى: فمن اضطر إلى أكل شيء مما ذكر من المنهيات اضطراراً في حال عدم بغيه وعدم عدوه فلا ذنب له في الأكل، وأما لو اضطر في حال البغي والعدو، كأن يكونا هما الموجبين للاضطرار فلا يجوز له ذلك.

١٧٤ . ١٧٦ . (إنّ الذين يكتمون...) تعريض لأهل الكتاب، إذ عندهم شيء كثير من المحللات الطيبة التي حرّمها كبراؤهم ورؤساؤهم في العبادات وغيرها . وعندهم الكتاب الذي لا يقضى فيه بالتحريم . ولم يكتموا ما كتموه إلاّ حفظاً لما يدر عليهم من رزق الرئاسة وأبهة المقام والجاه والمال.

(٣٦/١)

وفي الآية من الدلالة على تجسم الأعمال وتحقق نتائجها ما لا يخفى، فإنه تعالى ذكر أولاً أن اختيارهم الثمن القليل على ما أنزل الله هو أكل النار في بطونهم، ثم بدّل إختيار الكتمان وأخذ الثمن

على بيان ما أنزل الله في الآية التالية باختيار الضلالة على الهدى، ثم باختيار العذاب على المغفرة (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى...) ثم ختمها بقوله: (فما أصبرهم على النار) والذي كان منهم ظاهراً هو الإدامة للكتمان والبقاء عليها. وعن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: (فما أصبرهم على النار) قال: ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه يصيرهم إلى النار. وعنه عليه السلام في رواية اخرى: ما أجرأهم على النار.

١٧٧ . (ليس البرّ أن تولّوا...) البرّ: التوسع من الخير والاحسان. والقِبَل: الجهة ومنه القبلة وهي النوع من الجهة. وذوو القربى: الأقرباء. والمساكين: جمع مسكين وهو أسوأ حالًا من الفقير. وابن السبيل: المنقطع عن أهله. والرقاب: جمع رقبة وهي رقبة العبد. والبأساء: الشدة والفقر. والضراء: أن يتضرر الانسان بمرض أو جرح أو ذهاب مال أو موت ولد. والبأس: شدة الحرب. وقيل: كثر الجدال والخصام بين الناس بعد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة وطالت المشاجرة فنزلت هذه الآية. (ولكن البر من آمن...) تعريف للأبرار وبيان لحقيقة حالهم، وقد عرّفهم أوّلًا في جميع المراتب الثلاث من الاعتقاد والأعمال والأخلاق بقوله: (من آمن بالله). وثانياً بقوله: (أولئك الذين صدقوا). وثالثاً: (وأولئك هم المتقون). وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله: من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان.

(٣٧/١)

---

١٧٨ . (يا أيّها الذين آمنوا كُتب...) في توجيه الخطاب إلى المؤمنين خاصة إشارة إلى كون الحكم خاصاً بالمسلمين، وأما غيرهم من أهل الذمة وغيرهم فالآية ساكتة عن ذلك. والقصاص: مصدر قاص يقاص: من قص أثره إذا تبعه، فتسمية القصاص بالقصاص لما فيه من متابعة الجاني في جنايته فيوقع عليه مثل ما أوقعه على غيره. (فمن عُفي له من أخيه شيء) المراد بالموصول القاتل، والعفو للقاتل إنما يكون في حق القصاص، فالمراد بالشيء: الحق، وفي تنكيره تعميم للحكم، بمعنى: أيّ حق كان سواء كان تمام الحق أو بعضه، وفي التعبير عن ولي الدم بالأخ إشارة لحس المحبة والرأفة وتلويح إلى أن العفو أحب. (فاتباع بالمعروف وأداء عليه باحسان) فعليه أن يتبع القاتل في مطالبة الدية بمصاحبة المعروف من الاتباع، وعلى القاتل أن يؤدي الدية إلى أخيه ولي الدم بالاحسان من غير مماطلة فيها. (ذلك تخفيف من ربّكم ورحمة) الحكم بانتقال القصاص إلى الدية تخفيف من ربكم فلا يتغيّر، فليس لولي الدم أن يقتص بعد العفو فيكون اعتداء.

١٧٩ . (ولكم في القصاص...) إشارة إلى حكمة التشريع، فان العفو وإن كان فيه ما فيه من التخفيف والرحمة، لكن المصلحة العامة قائمة بالقصاص. وقوله: (لعلّكم تتّقون) أي القتل، وهو بمنزلة التعليل لتشريع القصاص.

١٨٠ . (كُتِبَ عليكم إذا حضر...) المراد بالخير: المال، وكأنه المال المعتد به دون اليسير الذي لا يُعبأ به. والمراد بالمعروف: المعروف المتداول من الصنيعة والاحسان. ولسان الآية لسان الوجوب، لكن تقييد الحق بقوله: (على المتّقين) ممّا يوهن الدلالة على الوجوب، فإن الأنسب بالوجوب أن يقال: حقاً على المؤمنين. وكيف كان فقد قيل أن الآية منسوخة بآية الإرث.

(٣٨/١)

---

١٨١ . (فمن بدّله بعد ما سمعه...) ضمير إثمه راجع إلى التبديل، والباقي من الضمائر إلى الوصية بالمعروف، وإنما قال: (على الذين يبدّلونه) ولم يقل: عليهم، ليكون فيه دلالة على سبب الإثم وهو تبديل الوصيّة بالمعروف، وليستقيم تفريع الآية التالية عليه.

١٨٢ . (فمن خاف من موص...) الجنف: الميل والانحراف. والمعنى: إن من خاف من وصية الموصي أن تكون وصيّته بالإثم أو مائلاً إليه فأصلح بينهم برده إلى ما لا إثم فيه، فلا إثم عليه لأنه لم يبدل وصيته بالمعروف، إنما بدل ما فيه إثم أو جنف.

١٨٣ . (يا أيّها الذين آمنوا كُتب...) الكتابة: معروفة المعنى، ويكنّى بها عن الفرض والعزيمة والقضاء الحتم. والصيام والصوم: الكف عن الفعل، وقد غلب استعماله في الشرع في الكف عن أمور مخصوصة من طلوع الفجر إلى المغرب بالنية، والمراد بالذين من قبلكم: الأمم الماضية ممن سبق ظهور الاسلام من أمم الأنبياء.

١٨٤ . (أيّاماً معدودات...) المراد بالايام المعدودات: شهر رمضان، وتنكير (أيام) واتصافها بالعدد، للدلالة على تحقير التكليف من حيث الكلفة والمشقة تشجيعاً للمكلف. (فمن كان منكم...) ان الصيام مكتوب مفروض والعدد مأخوذ في الفرض، وكما لا يرفع اليد عن أصل الفرض، كذلك لا يرفع اليد عن العدد، فلو عرض عارض يوجب ارتفاع الحكم الفرض عن الأيام المعدودات، كعارض المرض والسفر، فانه لا يرفع اليد عن صيام عدة من أيام أُخر خارج شهر رمضان تساوي ما فات المكلّف من الصيام عدداً. (وعلى الذين يطيقونه...) الإطاقة: صرف تمام الطاقة في الفعل. والفدية: البدل وهي هنا بدل مالي وهو طعام مسكين، وحكم الفدية أيضاً فرض كحكم القضاء في المريض والمسافر، لقوله: (وعلى الذين) الظاهر في الوجوب التعيين دون الرخصة والتخيير. (فمن تطوّع خيراً...) التطوّع: من الطوع وهو إتيان الفعل بالرضا والرغبة.

(٣٩/١)

---

١٨٥ . (شهر رمضان الذي أُنزل...) النزول: الورود على المحل من العلو، والفرق بين الانزال والتنزيل، أن الإنزال دفعي، والتنزيل تدريجي. والقرآن: اسم للكتاب المنزل على نبيه محمّد صلى الله عليه وآله. (هدىً للناس وبينات...) الناس: الطبقة الدانية من الانسان الذين مستوى فهمهم المتوسط أنزل المستويات، وهؤلاء أهل التقليد لا يسعهم تمييز الأُمور المعنوية بالبينة والبرهان، ولا فرق الحق من الباطل إلاّ بمبين يبيّن لهم وهاد يهديهم، والقرآن هدىً لهم ونعم الهدى، وأما الخاصّة المستكملون في ناحيتي العلم والعمل، فالقرآن بينات وشواهد من الهدى والفرقان في حقهم. (فمن شهد منكم الشهر...) الشهادة: الحضور مع تحمل العلم، وشهادة الشهر إنما هي ببلوغه والعلم به. (يريد الله بكم اليسر...) التقدير: إنما أمرناكم بالافطار والقضاء لنخفف عنكم ولتكملوا العدة. (ولتكبّروا الله على ما هداكم...) ظاهر الجملتين على ما يشعر به لام الغاية انهما لبيان غاية أصل الصوم.
١٨٦ . (وإذا سألك عبادي...) إن الله تعالى قريب من عباده، لايحول بينه وبين دعائهم شيء، وهو ذو عناية بهم، فهو يدعوهم إلى دعائه، فليستجيبوا له في هذه الدعوة، وليوقنوا بانه قريب مجيب لعلهم يرشدون في دعائه.

(٤٠/١)

---

١٨٧ . (أُحلَّ لكم ليلة الصيام...) الرفث: هو التصريح بما يكنّى عنه مما يستقبح ذكره، وقد كُني به هاهنا عن عمل الجماع. (هنّ لباس لكم...) اللباس معناه معروف، وهو ما يستر به الانسان بدنه، والجملتان من قبيل الاستعارة، فإن كلاً من الزوجين يمنع صاحبه عن اتباع الفجور. (علم الله انكم كنتم...) الإختيان والخيانة بمعنى واحد، وفيه معنى النقض على ما قيل. والآية دالة على أن حكم الصيام كان قبل نزول الآية: حرمة الجماع في ليلة الصيام، والآية بنزولها شرعت الحلية ونسخت الحرمة، كما ذكره جمع من المفسرين، ويُشعر به أو يدل عليه قوله: (أُحلَّ لكم) وقوله: (كنتم تختانون) وقوله: (فتاب عليكم وعفا عنكم) وقوله: (فالآن باشروهنّ).
(وابتغوا ما كتب الله لكم) الابتغاء: الطلب، والمراد بابتغاء ما كتب الله: طلب الولد الذي كتب الله سبحانه ذلك على النوع الانساني من طريق المباشرة، وفطرهم على طلبه بما أودع فيهم من شهوة النكاح والمباشرة. (حتى يتبيّن لكم الخيط...) المراد هو التحديد بأوّل حين من طلوع الفجر الصادق.
(ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون...) العكوف والاعتكاف: اللزوم، والاعتكاف بالمكان: الاقامة فيه ملازماً له. (تلك حدود الله...) لاتتعدوا عن هذه الاحكام والحرمات الالهية التي بيّنها لكم.
١٨٨ . (ولا تأكلوا أموالكم بينكم...) المراد بالأكل: الأخذ أو مطلق التصرف مجازاً. (وتدلوا بها إلى الحكّام...) الإدلاء: ارسال الدلو في البئر، كُني به عن مطلق تقريب المال إلى الحكام ليحكموا كما يريد الراشي. فالآية كلام واحد مسوق لغرض واحد، وهو النهي عن تصالح الراشي والمرتشي على

أكل أموال الناس بوضعها بينهما وتقسيمها لانفسهما بأخذ الحاكم ما أدلى به منها إليه وأخذ الراشي فريقاً منها بالإثم.

(٤١/١)

---

١٨٩ . (يسألونك عن الأهلّة...) الأهلة: جمع هلال ويسمّى القمر هلالاً أوّل الشهر القمري. والغرض في السؤال إنما كان متعلقاً بشأن الشهور القمرية من حيث السبب أو الفائدة، فأجيب ببيان الفائدة وانها أزمان وأوقات مضروبة للناس في أمور معاشهم ومعادهم. (وليس البرّ بأن تأتوا...) ثبت بالنقل ان جماعة من عرب الجاهلية كانوا إذا أحرموا للحج لم يدخلوا بيوتهم عند الحاجة من الباب، بل اتخذوا نقباً من ظهورها ودخلوا منه، فنهى عن ذلك الاسلام وأمرهم بدخول البيوت من أبوابها. (واتقوا الله لعلّكم تفلحون) يمكن أن يكون المراد بالتقوى امتثال هذا الأمر الخاص الموجود في الآية وترك ما ذمّه من إتيان البيوت من ظهورها.

١٩٠ . (وقاتلوا في سبيل الله...) القتال: محاولة الرجل قتل من يحاول قتله، وكونه في سبيل الله إنما هو لكون الغرض منه إقامة الدين وإعلاء كلمة التوحيد، فهو عبادة يقصد بها وجه الله تعالى دون الاستيلاء على أموال الناس وأعراضهم، ولذلك عقبه بقوله تعالى: (ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين).

١٩١ . (واقتلوهم حيث ثقفتموهم...) ثقف ثقافة: وجد وأدرك. والمعنى: شدّدوا على المشركين بمكة كل التشديد بقتلهم حيث وجدوا حتى ينجر ذلك إلى خروجهم من ديارهم وجلائهم من أرضهم كما فعلوا بكم ذلك، وما فعلوه أشد، فإن ذلك منهم كان فتنة، والفتنة أشد من القتل. (ولا تقاتلوهم عند المسجد...) فيه نهي عن القتال عند المسجد الحرام حفظاً لحرمته ما حفظوه.

١٩٢ . (فإن انتهوا فإنّ...) الانتهاء: الامتناع والكف. والمراد به الانتهاء عن مطلق القتال عند المسجد الحرام.

(٤٢/١)

---

١٩٣ . (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة...) في الآية دلالة على وجوب الدعوة قبل القتال، فإن قُبلت فلا قتال، وإن ردت فلا ولاية إلاّ لله ونعم المولى ونعم النصير. والآية خاصة بالمشركين غير شاملة لأهل الكتاب. (فإن انتهوا فلا عدوان...) فإن انتهوا عن الفتنة وآمنوا بما آمنتم به فلا تقاتلوهم، فلا عدوان إلاّ على الظالمين.

١٩٤ . (الشهر الحرام بالشهر...) الحرمات: جمع حرمة وهي ما يحرم هتكه ويجب تعظيمه ورعاية جانبه. والمعنى: انهم لو هتكوا حرمة الشهر الحرام بالقتال فيه، جاز للمؤمنين أن يقاتلوهم فيه، وجاز للمؤمنين معاملتهم بالمثل. (فمن اعتدى عليكم...) إن الله سبحانه إنما شرع القصاص في الشهر الحرام لأنه شرع القصاص في جميع الحرمات، وإنما شرع القصاص في الحرمات لأنه شرع جواز الاعتداء بالمثل. ثم ندبهم إلى ملازمة طريقة الاحتياط.

١٩٥ . (وانفقوا في سبيل الله...) أَمْرٌ بانفاق المال لإقامة القتال في سبيل الله. (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) الباء زائدة للتأكيد، والمعنى: ولا تلقوا أيديكم إلى التهلكة، كناية عن النهي عن إبطال القوة والاستطاعة والقدرة، فإن اليد مظهر لذلك. والكلام مطلق أريد به النهي عن كل ما يوجب الهلاك من إفراط وتفريط. (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) ليس المراد بالاحسان الكف عن القتال أو الرأفة في قتل أعداء الدين وما يشبههما، بل الاحسان هو الاتيان بالفعل على وجه حسن، بالقتال في مورد القتال، والكف في مورد الكف، والشدة في مورد الشدة، والعفو في مورد العفو.

(٤٣/١)

---

١٩٦ . (وأتمّوا الحجّ والعمرة لله...) الحج: العمل المعروف بين المسلمين. والعمرة: عمل آخر. والاحصار: الحبس والمنع، والمراد الممنوعية عن الاتمام بسبب مرض أو عدو بعد الشروع بالاحرام. والاستيسار: صيرورة الشيء يسيراً. والهَدي: المراد به ما يسوقه الانسان للتضحية به في حجه من النعم. (فمن كان منكم مريضاً...) المراد بالمرض: خصوص المرض الذي يتضرّر فيه من ترك الشعر على الرأس من غير حلق. والمراد بالأذى: ما كان من غير طريق المرض كالهوام فهو كناية عن التأذي من الهوام كالقمل على الرأس. (فاذا أمنتم فمن...) إذا أمنتم المانع من مرض أو عدو أو غير ذلك. (...واتّقوا الله واعلموا...) الحكم لله يحكم ما يشاء، وهو حكم عام لايستثنى فيه أحد.

١٩٧ . (الحجّ أشهر معلومات...) زمان الحج أشهر معلومات عند القوم، وقد بينته السنة وهي: شوال وذو القعدة وذو الحجّة. وفرض الحج: جعله فرضاً على نفسه بالشروع فيه. وقد فسّرت السُنّة الرفث بالجماع، والفسوق بالكذب، والجدال بقول: لا والله وبلى والله. (وما تفعلوا من خير...) تذكرة بأن الاعمال غير غائبة عنه تعالى، ودعوة إلى التقوى لئلاّ يفقد المشتغل بطاعة الله روح الحضور ومعنى العمل.

١٩٨ . (ليس عليكم جناح...) فسّرت السُنّة الابتغاء من الفضل في هذه الآية من البيع، فدلت الآية على إباحة البيع أثناء الحج. (فإذا أفضتم من عرفات) الافاضة: الصدور عن المكان جماعة، فهي تدل على وقوف عرفات، كما تدل على الوقوف بالمشعر الحرام وهو المزدلفة. (واذكروه كما هداكم) واذكروه ذكراً يماثل هدايته إياكم وانكم كنتم من قبل هدايته إياكم لمن الظالمين.

١٩٩ . (ثم أفيضوا من حيث...) انّ أحكام الحج هي التي ذكرت، غير انه يجب عليكم في الافاضة أن تفيضوا من عرفات لا من المزدلفة. وربّما قيل: إنّ في الآيتين تقديماً وتأخيراً في التأليف، والترتيب: ثم افيضوا من حيث أفاض الناس، فإذا أفضتم من عرفات.

(٤٤/١)

---

٢٠٠ . (فاذا قضيتم مناسككم...) دعوة إلى ذكر الله والبلاغ فيه، بأن يذكره الناسك كذكره آباءه وأشد منه لأن نعمته في حقه وهي نعمة الهداية، أعظم من حق آبائه عليه. (فمن الناس من يقول...) ان من الناس من لا يريد إلاّ الدنيا ولا نصيب له في الآخرة.

٢٠١، ٢٠٢ . (ومنهم من يقول ربّنا...) ومنهم من لا يريد إلاّ ما يرتضيه له ربه سواء في الدنيا أو في الآخرة، ولهؤلاء نصيب في الآخرة. (والله سريع الحساب) إسم من أسماء الله الحسنى، وإطلاقه يدل على شموله للدنيا والآخرة معاً، فالحساب جار كلما عمل عبد شيئاً من الحسنات أو غيرها آتاه الله الجزاء جزاءً وفاقاً.

فالمحصل من معنى قوله: (فمن الناس من يقول) إلى آخر الآيات [٢٠٢]: أن اذكروا الله تعالى، فان الناس على طائفتين: منهم من يريد الدنيا فلا يذكر غيرها ولا نصيب له في الآخرة، ومنهم من يريد ما عند الله مما يرتضيه له وله نصيب من الآخرة، والله سريع الحساب يسرع في حساب ما يريده عبده فيعطيه كما يريد، فكونوا من أهل النصيب بذكر الله، ولا تكونوا ممّن لا خلاق له بتركه ذكر ربّه فتكونوا قانطين آئسين.

٢٠٣ . (واذكروا الله في أيام...) الأيام المعدودات هي أيام التشريق، وهي اليوم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة. (فمن تعجل في يومين...) إن من أتم عمل الحج فهو مغفور لا ذنب له، سواء تعجّل في يومين أو تأخر، والآية ليست في مقام التخيير بين التأخر والتعجل، بل المراد بيان كون الذنوب مغفورة للناسك على أي حال. (لمن اتقى) المراد: ان هذا الحكم لمن اتقى وأما من لم يتق فليس له. (واتقوا الله واعلموا...) أمرٌ بالتقوى في خاتمة الكلام وتذكير بالحشر والبعث، فان التقوى لا تتم والمعصية لا تجتنب إلاّ مع ذكر يوم الجزاء.

٢٠٤ . (ومن الناس من يعجبك...) إنه يتكلم بما يعجبك كلامه ممّا يشير به إلى رعاية جانب الحق والعناية بصلاح الخلق وتقدّم الدين والأُمّة، وهو أشدّ الخصماء للحق.

(٤٥/١)

---

٢٠٥ . (وإذا تولّى سعى...) وإذا تمكن هذا المنافق الشديد الخصومة من العمل وأوتي سلطاناً وتولى أمر الناس، سعى في الأرض ليفسد فيها. ويمكن أن يكون التولّي بمعنى: الإعراض عن المخاطبة والمواجهة، أي إذا خرج من عندك كانت غيبته مخالفة لحضوره، وتبدّل ما كان يظهره من طلب الصلاح والخير إلى السعي في الأرض لأجل الفساد والافساد. (ويهلك الحرث والنسل) انه يفسد في الأرض بإفناء الانسان وإبادة هذا النوع بإهلاك الحرث والنسل.

٢٠٦ . (وإذا قيل له اتق...) إنه إذا أُمِرَ بتقوى الله أخذته العزة الظاهرة التي اكتسبها بالاثم والنفاق.

٢٠٧ . (ومن الناس من يشري...) المراد بيان أن هناك رجلاً آخر باع نفسه من الله سبحانه لا يريد إلاّ ما اراده الله تعالى، لا هوى له في نفسه ولا اعتزاز له إلاّ بربه ولا ابتغاء له إلاّ لمرضاة الله تعالى، فيصلح به أمر الدين والدنيا. (والله رؤوف بالعباد) فإن وجود إنسان هذه صفته، من رأفة الله سبحانه بعباده.

٢٠٨ . (يا أيّها الذين آمنوا ادخلوا...) السلم المدعو إليه هو التسليم لله سبحانه، فيجب على المؤمنين أن يسلموا الأمر لله ورسوله صلى الله عليه وآله. وكافّة: كلمة تأكيد بمعنى جميعاً. (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) اتباعه فيما يدعو إليه من أمر الدين بأن يزين شيئاً من طرق الباطل بزينة الحق، ويسمّي ما ليس من الدين باسم الدين.

٢٠٩ . (فإن زللتم من بعد...) فإن لم تدخلوا في السلم كافة وزللتم . والزلة هي اتباع خطوات الشيطان . فاعلموا أن الله عزيز غير مغلوب في أمره، حكيم لا يتعدى عما تقتضيه حكمته من القضاء في شأنكم.

٢١٠ . (هل ينظرون إلاّ أن...) إن هؤلاء حالهم حال من ينتظر ما أوعدناهم به من القضاء على طبق ما يختارونه من اتباع خطوات الشيطان والاختلاف والتمزق، وذلك بأن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ويقضي الأمر من حيث لا يشعرون. (وإلى الله ترجع الأمور) فلا مفر من حكمه وقضائه.

(٤٦/١)

---

٢١١ . (سل بني إسرائيل...) هذه بنو اسرائيل في مرآكم، سلهم كم آتيناهم من آية بينة وانظر في أمرهم من أين بدأوا وإلى اين كان مصيرهم حرّفوا الكلم عن مواضعه ووضعوا أموراً من عند أنفسهم بغياً بعد العلم، فعاقبهم الله أشد العقاب. وهذه هي السنة الجارية من الله سبحانه: من يبدل نعمة ويخرجها إلى غير مجراها فإن الله يعاقبه، والله شديد العقاب.

٢١٢ . (زيِّن للذين كفروا...) ظاهر الكفر في القرآن . وهو الستر . أعم من أن يكون كفراً اصطلاحياً أو كفراً مطلقاً في مقابل الايمان المطلق. فتزيّن الحياة الدنيا لا يختص بالكفار اصطلاحاً، بل كل

من ستر حقيقة من الحقائق الدينية، وغيّر نعمة دينية فهو كافر زينت له الحياة الدنيا فليتهيأ لشديد العقاب.

٢١٣ . (كان الناس أمّة واحدة...) الآية تبين السبب في تشريع أصل الدين وتكليف النوع الانساني به، وسبب وقوع الاختلاف فيه ببيان: أن الانسان كان في أول اجتماعه أمة واحدة، ثم ظهر فيه بحسب الفطرة الاختلاف في اقتناء المزايا الحيوية، فاستدعى ذلك وضع قوانين ترفع الاختلافات، فأُلبست القوانين الموضوعة لباس الدين، وشُفّعت بالتبشير والانذار بالثواب والعقاب، وأُصلحت بالعبادات المندوبة إليها ببعث النبيين وإرسال المرسلين، ثم اختلفوا في معارف الدين، فاختل بذلك أمر الوحدة الدينية، وظهرت الشعوب والاحزاب، وتبع ذلك الاختلاف في غيره، ولم يكن هذا الاختلاف الثاني إلاّ بغياً من الذين أوتوا الكتاب، وظلماً وعتواً منهم بعدما تبيّن لهم أصوله ومعارفه. فالاختلاف اختلافان: اختلاف في أمر الدين مستند إلى بغي الباغين، واختلاف في أمر الدنيا وهو فطري. ثم هدى الله سبحانه المؤمنين إلى الحق المختلف فيه باذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

(٤٧/١)

---

٢١٤ . (أم حسبتم أن تدخلوا...) هل انقطعتم بما أمرناكم من التسليم بعد الايمان والثبات على نعمة الدين، أم لا بل حسبتم أن تدخلوا الجنّة. (ولما يأتكم مثل...) المثل: ما يُمثِل الشيء ويحضره ويشخصه عند السامع. (مسّتهم البأساء والضرّاء وزُلزلوا...) البأساء: الشدّة المتوجهة إلى الانسان في خارج نفسه كالمال والجاه والأهل. والضرّاء: الشدّة التي تصيب الانسان في نفسه كالجرح والقتل والمرض. والزلزلة: من زلّ بمعنى عثر، كأن الأرض مثلاً تحدث لها بالزلزلة عثرة بعد عثرة، والزلزال في الآية كناية عن الاضطراب. (متى نصر الله) الظاهر أنه مقول قول الرسول والذين آمنوا معه، ولا ضير في أن يتفوه الرسول بمثل هذا الكلام استدعاءً وطلباً للنصر الذي وعد به الله سبحانه رسله والمؤمنين. (ألا إنّ نصر الله قريب) الظاهر أنه مقول له تعالى، لا تتمّة لقول الرسول والذين آمنوا معه.

٢١٥ . (يسألونك ماذا ينفقون...) في الآية دلالة على أن الذي ينفق به هو المال كائناً ما كان، من قليل أو كثير، وان ذلك فعل خير والله به عليم. لكنهم كان عليهم أن يسألوا عمّن ينفقون لهم، وهم: الوالدان والأقربون واليتامى والمساكين وابن السبيل.

٢١٦ . (كتب عليكم القتال...) الآية تدل على فرض القتال على كافة المؤمنين لكون الخطاب متوجهاً إليهم. (وعسى أن تكرهوا...) تكرار «عسى» في الآية لكون المؤمنين كارهين للحرب محبين للسلم، فأرشدهم الله سبحانه على خطأهم في الأمرين.

٢١٧ . (يسألونك عن الشهر الحرام...) الآية تشتمل على المنع عن القتال في الشهر الحرام وذمه بأنه صد عن سبيل الله وكفر. (وإخراج أهله منه...) والذي فعله المشركون من إخراج رسول الله والمؤمنين من المهاجرين، وهم أهل المسجد الحرام منه، أكبر من القتال، وما فتنوا به المؤمنين من الزجر والدعوة إلى الكفر أكبر من القتل، فلا يحق للمشركين أن يطعنوا المؤمنين وقد فعلوا ما هو أكبر مما طعنوا به، ولم يكن المؤمنون فيما أصابوه منهم إلاّ راجين رحمة الله والله غفور رحيم. (ومن يرتدّ منكم) تهديد للمرتد بحبط العمل وخلود النار. والحبط: بطلان العمل وسقوط تأثيره.

٢١٨ . (إنّ الذين آمنوا والذين...) وردت روايات عديدة في أن الآية نزلت في أصحاب عبدالله بن جحش حين بعثه الرسول صلى الله عليه وآله في سرية ليأتيه باخبار قريش، فالتقوا بجماعة منهم ودار بين الطرفين قتال. والآية تدل على عذر من فعل فعلاً قُربّياً، فأخطأ الواقع، فلا ذنب مع الخطأ، وتدل أيضاً على جواز تعلق المغفرة بغير مورد الذنب.

٢١٩ . (يسألونك عن الخمر والميسر...) الخمر: كل مائع معمول للسكر. والميسر: القمار. والإثم: يقارب الذنب وما يشبهه معنىً. (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) العفو على ما ذكره الراغب: قصد الشيء لتناوله، ثم أوجب لحوق العنايات المختلفة الكلامية به مجيئه لمعاني مختلفة كالعفو بمعنى المغفرة، والعفو بمعنى إمحاء الأثر، والعفو بمعنى التوسط في الانفاق، وهذا هو المقصود في المقام والله العالم. (يبيِّن الله لكم...) لعلّكم تتفكّرون في أمر الدارين وما يرتبط بكم من حقيقتهما، وان الدنيا دار خلقها الله لكم لتحيوا فيها وتكسبوا ما ينفعكم في مقركم وهو الدار الآخرة التي ترجعون فيها إلى ربكم، فيجازيكم بأعمالكم التي عملتموها في الدنيا.

وفي الآية حث على البحث عن حقائق الوجود ومعارف المبدأ والمعاد وأسرار الطبيعة، والتفكر في طبيعة الاجتماع ونواميس الاخلاق، وقوانين الحياة الفردية والاجتماعية. كما ان القرآن وإن كان يدعو إلى الإحاطة المطلّقة لله ورسوله من غير أي قيد وشرط، غير انه لا يرضى أن تؤخذ الاحكام والمعارف التي يعطيها من غير تفكر وتعقل يكشف عن حقيقة الأمر. وكأن المراد بالتبيين: الكشف عن علل الاحكام والقوانين، وايضاح أصول المعارف والعلوم.

٢٢١ . (ولا تنكحوا المشركات...) ظاهر الآية قصر التحريم على المشركات والمشركين من الوثنيين دون أهل الكتاب. (ولأمّة مؤمنة خير...) الظاهر أن المراد بالأمّة المؤمنة: المملوكة التي تقابل

الحرة، وقد كان الناس يستذلّون الإماء ويعيِّرون من تزوّج بهن، فالمؤمنة وإن كانت أمة خير من المشركة وإن كانت حرة ذات حسب ونسب ومال. (أولئك يدعون إلى النار...) إشارة إلى حكمة الحكم بالتحريم، وهو أن المشركين لاعتقادهم بالباطل وسلوكهم سبيل الضلال، رسخت فيهم الملكات الرذيلة المزينة للكفر والفسوق، فهم يدعون إلى النار. والمؤمنون. بخلافهم. بسلوكهم سبيل الايمان وتلبسهم بلباس التقوى يدعون بقولهم وفعلهم إلى الجنة والمغفرة باذن الله.

٢٢٢ . (ويسألونك عن المحيض...) يسألونك عن إتيانهن في هذه الحال، فأُجيب: بأنه ضرر، وهو كذلك. (فاعتزلوا النساء...) المراد بالاعتزال: ترك الاتيان من محل الدم فقط، لا مطلق المخالطة والمعاشرة ولا مطلق التمتّع والاستلذاذ. (حتى يطهرن) ينقطع عنهن الدم وهو الطهر بعد الحيض، (فإذا تطهرن) يغسلن محل الدم أو يغتسلن، (فأتوهنّ من حيث...) أمر يفيد الجواز لوقوعه بعد الحظر، وهو كناية عن الأمر بالجماع على ما يليق بالقرآن الشريف من الأدب الالهي البارع. (إنّ الله يحبّ التوّابين...) الآية مطلقة غير مقيدة فتشمل جميع مراتب التوبة والطهارة.

(٥٠/١)

---

٢٢٣ . (نساؤكم حرث لكم...) الحرث: مصدر بمعنى الزراعة. وأنّى: من اسماء الشرط يستعمل في الزمان، وربّما استعمل في المكان. فإن كان بمعنى المكان كان المعنى: من أي محل شئتم. وإن كان بمعنى الزمان كان المعنى: في أي زمان شئتم. وكيف كان فهو يفيد الاطلاق بحسب معناه، وخاصة من حيث تقييده بقوله: (شئتم) وهذا هو الذي يمنع الأمر (فأتوا حرثكم) أن يدل على الوجوب، إذ لا معنى لإيجاب فعل مع إرجاعه إلى اختيار المكلف ومشيئته. (وقدموا لأنفسكم) المراد. والله أعلم. تقديم العمل الصالح ومنه تقديم الأولاد برجاء صلاحهم للمجتمع. (واتقوا الله) التقوى بالاعمال الصالحة في إتيان الحرث وعدم التعدي عن حدود الله والتفريط في جنب الله وانتهاك محارم الله. (واعلموا أنكم ملاقوه...) الأمر بتقوى الله بمعنى الخوف من يوم اللقاء وسوء الحساب.

٢٢٤ . (ولا تجعلوا الله عرضةً...) ولا تجعلوا الله عرضة تتعلق بها أيمانكم التي عقدتموها بحلفكم أن لا تبروا وتتّقوا وتصلحوا بين الناس. فإن الله سبحانه لا يرضى أن يُجعل اسمه ذريعة للامتناع عما أمر به من البرّ والتقوى والاصلاح بين الناس.

٢٢٥ . (لا يؤاخذكم الله باللّغو...) المقابلة في الآية بين عدم المؤاخذة على لغو اليمين وبين المؤاخذة على ما كسبته القلوب وخاصة من حيث اليمين، تدل على أن المراد بلغو اليمين: ما لا يؤثر في قصد الحالف، وهو اليمين الذي لايعقد صاحبه على شيء من قول: لا والله وبلى والله.

٢٢٦، ٢٢٧ . (للّذين يؤلون من نسائهم...) الايلاء بمعنى الحلف، وغلب في الشرع في حلف الزوج أن لا يأتي زوجته غضباً وإضراراً. والتربّص: الانتظار. والفيء: الرجوع. والمعنى: ان من آلى من

امرأته يتربص له الحاكم أربعة أشهر، فإن رجع إلى حق الزوجية وهو المباشرة وكفّر وباشر فلا عقاب عليه، وإن عزم الطلاق وأوقعه فهو المخلص الآخر، والله سميع عليم.

(٥١/١)

---

٢٢٨ . (والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنّ...) الآية بمنزلة قولنا: يعتددن احترازاً من اختلاط المياه وفساد النسل بتمكين الرجال من أنفسهنّ. والقروء: جمع القرء وهو لفظ يطلق على الطهر والحيض معاً.
(ولا يحلّ لهنّ أن يكتمن...) المراد به تحريم كتمان المطلقة الدم أو الولد استعجالًا في خروج العدة أو إضراراً بالزوج في رجوعه ونحو ذلك. (وبعولتهنّ أحقّ بردهنّ...) وبعولتهنّ أحقّ بهنّ من غيرهم، ويحصل ذلك بالرد والرجوع في أيام العدّة، وهذه الأحقية إنّما تتحقّق في الرجعيّات دون البائنات التي لا رجوع فيها. (ولهنّ مثل الذي عليهنّ...) ان النساء أو المطلقات قد سوّى الله بينهنّ وبين الرجال، مع حفظ ما للرجال من الدرجة عليهنّ، فجعل لهن مثل ما عليهنّ من الحكم.
٢٢٩ . (الطّلاق مرّتان فإمساك...) المرّة بمعنى الدفعة. والتسريح: أصله من الاطلاق في الرعي، وقد استعير في الآية لإطلاق المطلقة، بمعنى عدم الرجوع إليها في العدّة. (إلاّ أن يخافا...) الخوف هو الغلبة على ظنّهما أن لا يقيما حدود الله وهي أوامره ونواهيه من الواجبات والمحرّمات في الدين.
(فلا جناح عليهما...) نفي الجناح عنهما مع أن النهي في قوله: (ولا يحلّ لكم أن تأخذوا) إنما تعلّق بالزوج، فلأن حرمة الأخذ على الزوج توجب حرمة الاعطاء على الزوجة إلاّ في طلاق الخلع فيجوز توافقهما على الطلاق مع الفدية.
٢٣٠ . (فإن طلّقها فلا تحلّ له...) بيان لحكم التطليقة الثالثة وهو الحرمة حتى تنكح زوجاً غيره.
فإن طلقها الزوج الثاني فلا جناح على المرأة والزوج الأوّل أن يتراجعا إلى الزوجية بالعقد بالتوافق من الجانبين، وهو التراجع، وليس بالرجوع الذي كان حقّاً للزوج في التطليقتين الأوّليتين، وذلك إن ظنّا أن يقيما حدود الله.
[٣٧]

(٥٢/١)

---

٢٣١ . (وإذا طلّقتم النساء فبلغن...) المراد ببلوغ الأجل: الاشراف على انقضاء العدّة. والدليل على أن المراد به ذلك قوله تعالى: (فامسكوهنّ بمعروف أو سرّحوهنّ بمعروف) إذ لا معنى للامساك ولا التسريح بعد انقضاء العدّة. (ولا تمسكوهنّ ضراراً لتعتدوا) نهى عن الرجوع بقصد المضارة كما نهى

عن التسريح بالأخذ من المهر في غير الخلع. (ومن يفعل ذلك...) أي أمسك ضراراً فقد ظلم نفسه حيث حملها على الانحراف عن الطريقة التي تهدي إليها فطرته الانسانية. (ولا تتّخذوا آيات الله هزواً) مَن اقتصر في دينه على ظواهر الاحكام ونبذ غيرها وراء ظهره فقد اتخذ آيات الله هزواً. (واذكروا نعمة الله) المراد: نعمة الدين أو حقيقة الدين وهي السعادة التي تنال بالعمل بشرائع الدين كسعادة الحياة المختصة بتآلف الزوجين، ويمكن أن يكون المراد بالنعمة مطلق النعم الالهية.

٢٣٢ . (وإذا طلّقتم النساء فبلغن أجلهنّ...) الآية تدل على نهي الأولياء ومن يجري مجراهم عن منع المرأة أن تنكح زوجها ثانياً بعد انقضاء العدّة سخطاً ولجاجاً كما يتفق كثيراً، ولا دلالة في ذلك على أن العقد لا يصح إلاّ بوليّ. (ذلكم أزكى لكم وأطهر) الزكاة: النمو الصالح الطيب، والمشار إليه بقوله: (ذلكم) عدم المنع عن رجوعهنّ إلى أزواجهنّ أو نفس رجوعهنّ إلى أزواجهنّ، والمآل واحد، وذلك أن فيه رجوعاً من الانفصال إلى الاتصال.

---

٢٣٣ . (والوالدات يرضعن أولادهنّ...) الوالدات هنّ الأُمّهات، وإنما عدل عن الأُمّهات إلى الوالدات لأن الأم أعم من الوالدة، كما أن الأب أعم من الوالد، والابن أعم من الولد. (لمن أراد أن يتمّ الرضاعة) دلالة على أن الحضانة والإرضاع حقّ للوالدة المطلّقة موكول إلى اختيارها والبلوغ إلى آخر المدّة أيضاً من حقها، فإن شاءت إرضاعه حولين كاملين فلها ذلك، وإن لم تشأ التكميل فلها ذلك. (وعلى المولود له رزقهنّ...) المراد بالمولود له: الوالد. والرزق والكسوة هما النفقة واللباس، وقد نزلهما الله تعالى على المعروف وهو المتعارف من حالهما. وقد علل ذلك بحكم عام آخر رافع للحرج وهو قوله تعالى: (لا تكلّف نفس إلاّ وسعها). وقد فرّع عليه حكمين آخرين: أحدهما: حق الحضانة والإرضاع للزوجة فلا يحقّ للزوج أن يحول بين الوالدة وولدها بمنعها عن حضانته أو رؤيته أو ما أشبه ذلك فإن ذلك مضارّة وحرج عليها. وثانيهما: نفي مضارّة الزوجة للزوج بولده، وذلك قوله تعالى: (لا تضارّ والدة بولدها...).

(وعلى الوارث مثل ذلك) إن الذي جُعل على الوالد من الكسوة والنفقة فهو مجعول على وارثه إن مات. (فإن أرادا فصالاً...) الفصال: الفطام. والتشاور: الاجتماع على المشورة. فمن الجائز ان يتراضيا بالتشاور على فصال الولد من غير جناح عليهما ولا بأس، وكذا من الجائز أن يسترضع الزوج لولده من غير الزوجة الوالدة إذا ردت إليه بالامتناع عن إرضاعه أو لعلّة أخرى.

٢٣٤ . (والذينَ يُتوفّون منكم...) التوفّي: الإماتة، يقال توفاه الله إذا أماته فهو متوفّى. ويذرون: يدعون. والمراد بالعشر: الأيام حذفت لدلالة الكلام عليها. (فإذا بلغن أجلهنّ...) المراد ببلوغ الأجل:

انقضاء العدة. وقوله: (فلا جناح) كناية عن اعطاء الاختيار لهنّ في أفعالهنّ، فإن اخترن الزواج فلهنّ ذلك، وليس لقرابة الميت منعهنّ.

(٥٤/١)

---

٢٣٥ . (ولا جناح عليكم فيما عرضتم...) التعريض: الميل بالكلام إلى جانب ليفهم المخاطب أمراً مقصوداً للمتكلم لا يريد التصريح به. والإكنان: من الكَن بمعنى الستر، والمراد بالآية: نفي البأس عن التعريض في الخطبة أو إخفاء أمور في القلب في أمرها. (علم الله أنّكم ستذكروهنّ) إن ذكركم إياهن أمر مطبوع في طباعكم والله لا ينهى عن أمر تقضي به غريزتكم الفطرية ونوع خلقتكم، بل يجوزه. (ولا تعزموا عقدة النكاح...) ولا تجروا عقد النكاح حتى تنقضي عدتهن. وهذه الآية تكشف أن الكلام فيها إنما هو في خطبة المعتدات وفي عقدهن. (واعلموا انّ الله يعلم...) إيراد ما ذكر من صفاته تعالى يدل على أن الأمور المذكورة وهي خطبة المعتدات والتعريض لهنّ ومواعدتهنّ سرّاً من موارد الهلكات، لا يرتضيها الله سبحانه كل الارتضاء، وإن كان قد أجاز ما أجازه منها.

٢٣٦ . (لا جناح عليكم إذا طلّقتم...) المس: كناية عن المواقعة. والمراد بفرض الفريضة: تسمية المهر. والمعنى: إن

[٣٨]

عدم مس الزوجة لا يمنع عن صحّة الطلاق وكذا عدم ذكر المهر. (ومتعوهنّ على الموسع...) يجب عليكم أن تمتعوا المطلقات عن غير فرض فريضة متاعاً بالمعروف، وإنما يجب على الموسع قدره، أي ما يناسب حاله ويتقدر به وضعه من التمتيع، وعلى المقتر قدره من التمتيع. وهذا يختص بالمطلقة غير المفروضة لها التي لم يُسمّ مهرها. (حقّاً على المحسنين) حق الحكم حقاً على المحسنين، وهم المطلّقون.

(٥٥/١)

---

٢٣٧ . (وإن طلّقتموهنّ من قبل...) وإن أوقعتم الطلاق قبل الدخول بهن وقد فرضتم لهن فريضة وسميتم المهر، فيجب عليكم تأدية نصف ما فرضتم من المهر، إلاّ أن يعفون هؤلاء المطلقات أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح من وليهنّ، فيسقط النصف المذكور أيضاً، أو الزوج فان عقدة النكاح بيده أيضاً، فلا يجب على الزوجة المطلقة رد نصف المهر الذي أخذته، والعفو على أي حال أقرب للتقوى لأن من أعرض عن حقه الثابت شرعاً فهو على الاعراض عما ليس له بحق من محارم الله

سبحانه أقوى وأقدر. (ولا تنسوا الفضل...) الفضل: الزيادة في المكارم والمحامد. والمراد به الترغيب في الاحسان والفضل والعفو عن الحقوق، والتسهيل والتخفيف من الزوج للزوجة وبالعكس.

٢٣٨ . (حافظوا على الصّلوات...) حفظ الشيء: ضبطه. والوسطى: مؤنث الأوسط، والصلاة الوسطى هي الواقعة في وسطها. ولا يظهر من كلامه تعالى ما هو المراد من الصلاة الوسطى، وانما تفسيره السُنّة. وقد ورد عن الباقر والصادق عليه السلام: أن الصلاة الوسطى هي الظهر. هذا هو المأثور عن أئمة أهل البيت في الروايات المروية عنهم لساناً واحداً.

٢٣٩ . (فإن خفتم فرجالاً...) حافظوا إن لم تخافوا، وإن خفتم فقدروا المحافظة بقدر ما يمكن لكم، وإن زال عنكم الخوف بتجدد الأمن ثانياً عاد الوجوب ووجب عليكم ذكر الله سبحانه. (فاذكروا الله كما علّمكم) فاذكروا الله ذكراً يماثل ما علمكم من الصلاة المفروضة المكتوبة في حال الأمن في ضمن ما علمكم من شرائع الدين.

٢٤٠ . (والذين يتوفّون منكم...) التقدير: ليوصوا وصية ينتفع بها أزواجهم ويتمتعن متاعاً إلى الحول بعد التوفي. والآية منسوخة بآية عدة الوفاة وآية الميراث بالربع والثمن.

٢٤١ . (وللمطلّقات متاع بالمعروف...) الآية في حق مطلق المطلقات، وتعليق ثبوت الحكم بوصف التقوى مُشعر بالاستحباب.

---

٢٤٢ . (كذلك يبيِّن الله...) المراد بالعقل في كلامه تعالى: الادراك الذي يتم للانسان مع سلامة فطرته، وبه يظهر معنى الآية، فالبيان يتم بالعلم، والعلم مقدمة للعقل ووسيلة إليه.

٢٤٣ . (ألم تَرَ إلى الذين...) الرؤية هاهنا بمعنى العلم. وقد ذكر الزمخشري أن لفظ: ألم تَرَ، جرى مجري المثل يؤتى به في مقام التعجيب. والتقدير: يحذرون الموت حذراً. (فقال لهم الله موتوا) الأمر تكويني، ولا ينافي كون موتهم واقعاً عن مجرى طبيعي كما ورد في الروايات: أن ذلك كان بالطاعون. (ثم أحياهم) لايخلو عن الدلالة على ان الله أحياهم ليعيشوا، فعاشوا بعد حياتهم. (ولكنّ أكثر الناس لايشكرون) هؤلاء الذين تفضل الله عليهم بالاحياء طائفة خاصة، وليس المراد كون الأكثر منهم بعينهم لا يشكرون، بل الأكثر من جميع الناس.

٢٤٤ . (وقاتلوا في سبيل الله...) فرض وإيجاب للجهاد. وفي قوله تعالى: (واعلموا انّ الله سميع عليم) تحذير للمؤمنين في سيرهم هذا السير، أن لا يخالفوا بالقول إذا أمر الله ورسوله بشيء، ولا يضروا نفاقاً كما كان ذلك من بني إسرائيل.

٢٤٥ . (من ذا الذي يُقرض الله...) القرض معروف، وقد عدّ الله سبحانه ما ينفقونه في سبيله قرضاً لنفسه وذلك للترغيب، ولأنه إنفاق في سبيله، ولأنه مما سيرد إليهم اضعافاً مضاعفة. (والله يقبض

ويبصط...) إيراد صفاته الثلاث أعني: كونه قابضاً وباسطاً ومرجعاً يرجعون إليه، للاشعار بأن ما انفقوه بإقراضه تعالى لايعود باطلاً ولا يستبعد تضعيفه أضعافاً كثيرة، فإن الله هو القابض الباسط، ينقص ما يشاء، ويزيد ما يشاء، وإليه يرجعون فيوفيهم ما أقرضوه أحسن التوفية.

٢٤٦ . (ألم تَرَ إلى الملأ...) الملأ كما قيل: الجماعة من الناس على رأي واحد. وقولهم لنبيهم: (ابعث لنا ملكاً...)

[٣٩]

(٥٧/١)

على ما يعطيه السياق يدل على ان جالوت كان قد تملكهم وسار فيهم بما افتقدوا به جميع شؤون حياتهم المستقلة من الديار والأولاد، فعند ذلك سأل الملأ منهم نبيهم أن يبعث لهم ملكاً ليرتفع به اختلاف الكلمة وتتجمع قواهم المتفرقة، ويقاتلوا تحت أمره في سبيل الله. وفي قوله تعالى: (والله عليم بالظالمين) دلالة على أنّ قول نبيهم لهم: (هل عسيتم إن كتب...) انما كان لوحي من الله سبحانه أنهم سيتولون عن القتال.

٢٤٧ . (وقال لهم نبيّهم...) في جوابه عليه السلام هذا حيث نسب بعث الملك إلى الله، تنبيه بما فات منهم، فليس ذلك للنبيّ بل الأمر في ذلك إلى الله سبحانه، إذ قالوا: (إبعث لنا ملكاً...)، ولم يقولوا: اسأل الله ان يبعث لنا ملكاً ويكتب لنا القتال. (أنّى يكون له الملك...) التصريح باسم طالوت هو الذي أوجب منهم الاعتراض على ملكه، وذلك لوجود صفتين فيه كانتا تنافيان عندهم الملك، فلم يكن طالوت من بيت الملك ولا من بيت النبوة، وقد أجاب نبيهم بقوله: (إنّ الله اصطفاه عليكم) فهذه إحدى الصفتين المنافيتين للملك عندهم. والصفة الثانية ما في قولهم: (ولم يؤت سعة من المال) حيث كان طالوت فقيراً، وقد أجاب عنه نبيهم بقوله: (وزاده بسطة في العلم والجسم). ثم جمع الجميع تحت حجة واحدة ذكرها بقوله تعالى: (والله يؤتي ملكه من يشاء) وهو أن الملك لله وحده، ليس لأحد فيه نصيب إلاّ ما آتاه الله سبحانه منه. فله تعالى التصرف في ملكه كيف شاء وأراد، ليس لأحد أن يقول: لماذا أو بماذا. فلا ينبغي السؤال عن نقل الملك من بيت الى بيت، أو تقليده أحداً ليست له أسبابه الظاهرة من الجمع والمال. والإفاضة الالهية وإن كانت كيف شاء ولمن شاء، غير أنها لا تقع جزافاً خالية عن الحكم والمصالح، فهو سبحانه لا يفعل إلاّ فعلاً ذا مصلحة.

(٥٨/١)

---

٢٤٨ . (وقال لهم نبيهم إن آية...) التابوت: الصندوق. والسكينة: من السكون وتستعمل في سكون القلب، وهو استقرار الانسان وعدم اضطراب باطنه في تصميم إرادته. (وبقية مما ترك آل موسى) آل الرجل: خاصته من أهله ويدخل فيهم نفسه إذا أُطلق، فآل موسى وآل هارون، هم موسى وهارون وخاصتهما من أهلهما. وقوله: (تحمله الملائكة) حال عن التابوت. وفي قوله تعالى: (إنّ في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) كسياق صدر الآية، دلالة على أنهم سألوا نبيهم آية على صدق ما أخبر به: ان الله قد بعث لكم طالوت ملكاً.

٢٤٩ . (فلمّا فصل طالوت...) الفصل هاهنا: مفارقة المكان. والجند: المجتمع الغليظ من كل شيء، وفي جمع الجند دلالة على أنهم كانوا من الكثرة على حد يعتنى به. والابتلاء: الامتحان. والاغتراف: رفع الشيء وتناوله. (فلمّا جاوزه هو والذين...) التدبّر في الآيات يعطي أن يكون القائلون: (لا طاقة لنا) هم المغترفون، والذين أجابوهم هم الذين لم يُطعموا النهر أصلاً.

وفي مجموع الكلام إشارة إلى حق الأمر في شأن بني إسرائيل وإيفائهم بميثاق الله، فانهم سألوا بعث الملك وشددوا الميثاق، وقد كانوا من الكثرة بحيث لما تولوا إلاّ قليلاً منهم عن القتال، كان ذلك القليل الباقي جنوداً. وهذه الجنود أيضاً لم تغن عنهم شيئاً، بل تخلفوا بشرب النهر ولم يبق إلاّ القليل القليل مع شائبة فشل ونفاق بينهم من جهة المغترفين، ومع ذلك كان النصر للذين آمنوا وصبروا.

٢٥٠ . (ولمّا برزوا لجالوت...) البروز: الظهور. والإفراغ: الصب في القالب، والمراد إفاضة الله سبحانه الصبر عليهم على قدر ظرفيتهم، فهو استعارة بالكناية لطيفة، وكذا تثبيت الأقدام كناية عن الثبات وعدم الفرار.

---

٢٥١ . (فهزموهم باذن الله...) الهزم: الدفع. (ولولا دفع الله الناس...) المراد بفساد الأرض: فساد من على الأرض أي فساد المجتمع الانساني. ومعنى الدفع والغلبة معنى عام سار في جميع شؤون الاجتماع الانساني، وحقيقته حمل الغير بأي وجه أمكن على ما يريده الانسان، ودفعه عما يزاحمه ويمانعه عليه. وهذا معنى عام موجود في الحرب والسلم معاً،

[٤٠]

وفي الشدّة والرخاء، والراحة والعناء، وبين جميع الأفراد في جميع الشعوب. نعم إنما يتنبه الانسان له عند ظهور المخالفة ومزاحمة بعض الأفراد بعضهم في حقوق الحياة أو في الشهوات والميول ونحوها، فيشرع الانسان في دفع الانسان المزاحم الممانع عن حقه أو عن مشتهاه، ومعلوم أن هذا على مراتب ضعيفة وشديدة، والقتال والحرب إحدى مراتبه.

والدفع والغلبة من الاصول الفطرية عند الانسان، وهذا الأصل الفطري ينتفع به الانسان في ايجاد

أصل الاجتماع، ثم ينتفع به في تحميل إرادته على غيره وتمالك ما بيده تغلباً وبغياً، وينتفع به في دفعه واسترداد ما تملكه تغلباً وبغياً، وينتفع به في إحياء الحق بعد موته. فهو أصل فطري ينتفع به الانسان أكثر مما يتضرر به.

وهذا الذي ذكرناه لعلّه هو المراد بقوله تعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم...) ويؤيد ذلك تذييله بقوله تعالى: (ولكن الله ذو فضل...).

٢٥٢ . (تلك آيات الله...) كالخاتمة يختم بها الكلام والقصة، غير أن آخر الآية: (وإنّك لمن المرسلين) لايخلو عن ارتباط بالآية التالية.

(٦٠/١)

---

٢٥٣ . (تلك الرّسل فضّلنا...) إن الرسل الذين أرسلوا إلى الناس، عباد لله مقربون عند ربهم، مرتفع عن الناس أفقهم، وهم مفضل بعضهم على بعض على ما لهم من الأصل الواحد والمقام المشترك، فهذا حال الرسل وقد أتوا للناس بآيات بينات أظهروا بها الحق كل الاظهار، وبينوا طريق الهداية أتم البيان، وكان لازمه أن لا ينساق الناس بعدهم إلاّ إلى الوحدة والألفة والمحبّة في دين الله من غير اختلاف وقتال، لكن كان هناك سبب آخر أعقم هذا السبب، وهو الاختلاف عن بغي منهم وانشعابهم إلى مؤمن وكافر، ثم التفرّق بعد ذلك في سائر شؤون الحياة والسعادة. ولو شاء الله لأعقم هذا السبب أي الاختلاف، فلا يوجب الاقتتال ولا اقتتلوا، ولكن لم يشأ، وأجرى هذا السبب كسائر الاسباب والعلل على سنة الاسباب التي أرادها الله في عالم الصنع والايجاد، والله يفعل ما يريد.

٢٥٤ . (ياأيّها الذين آمنوا أنفقوا...) معناه واضح، وفي ذيل الآية دلالة على ان الاستنكاف عن الانفاق كفر وظلم.

(٦١/١)

---

٢٥٥ . (الله لا إله إلاّ هو...) اسم الحي معناه: ذو الحياة الثابتة. واسم القيوم فهو وصف يدل على المبالغة، والقيام هو حفظ الشيء وفعله وتدبيره وتربيته والمراقبة عليه والقدرة عليه. والسِنة: الفتور الذي يأخذ الحيوان في أول النوم. ويعود معنى (لا تأخذه سِنة ولا نوم) إلى مثل قولنا: لا يؤثر فيه هذا العامل الضعيف بالفتور في أمره ولا ما هو أقوى منه. (من ذا الذي يشفع عنده إلاّ باذنه) إن تصرف العلل والاسباب الموجودة في العالم، في الموجودات المعلولة، توسط في التصرف، وبعبارة أخرى شفاعة في موارد الاسباب بإذن الله سبحانه. (يعلم ما بين أيديهم...) الظاهر ان ضمير الجمع

الغائب راجع إلى الشفعاء. فعلمه تعالى: كناية عن إحاطته تعالى بما هو حاضر معهم موجود عندهم، وبما هو غائب عنهم آت خلفهم، ولذلك عقبه بقوله تعالى: (ولا يحيطون بشيء من علمه...) تبييناً لتمام الاحاطة الربوبية والسلطة الالهية، أي انه عالم محيط بهم وبعلمهم، وهم لا يحيطون بشيء من علمه إلاّ بما شاء. (وسع كرسيّه...) المراد بسعة الكرسي احاطة مقام السلطنة الالهية، فيتعين للكرسي من المعنى: انه المقام الربوبي الذي يقوم به ما في السماوات والأرض من حيث انها مملوكة مدبرة معلومة، فهو من مراتب العلم. ويتعين بالسعة من المعنى: انها حفظ كل شيء مما في السماوات والأرض. (ولا يؤوده حفظهما...) آده يؤوده أوداً: إذا ثقل عليه وأجهده وأتعبه.

٢٥٦ . (لا إكراه في الدِّين...) نفي الدين الاجباري، فالاعتقاد والايمان من الامور القلبية التي لا يحكم فيها الاكراه والاجبار. والدِّين لما انكشفت حقائقه واتضح طريقه، فقد تبيّن انه رشد والرشد في اتباعه، والغي في تركه والرغبة عنه، وعلى هذا لا موجب لأن يكره أحد أحداً على الدِّين. (فمن يكفر بالطاغوت...) والكلام موضوع على الاستعارة للدلالة على أن الايمان بالنسبة إلى السعادة بمنزلة عروة الاناء بالنسبة إلى الاناء وما فيه.

---

٢٥٧ . (الله وليّ الذين آمنوا...) هذا الاخراج من النور إلى الظلمات وما يشاكله من المعاني أمور حقيقية غير

[٤١]

مجازية خلافاً لما توهمه كثير من المفسرين. والذي يمكن أن يقال: إن الانسان بحسب خلقته على نور الفطرة، هو نور إجمالي يقبل التفصيل. وأما بالنسبة إلى المعارف الحقة والأعمال الصالحة تفصيلاً، فهو في ظلمة بعد، لعدم تبين أمره. والنور والظلمة بهذا المعنى لا يتنافيان ولا يمتنع اجتماعهما. والمؤمن بايمانه يخرج من هذه الظلمة إلى نور المعارف والطاعات تفصيلاً. والكافر بكفره يخرج من نور الفطرة إلى ظلمات الكفر والمعاصي التفصيلية.

٢٥٨ . (ألم تَرَ إلى الذي حاجَّ...) هذا الذي حاجَّ إبراهيم هو نمرود من ملوك بابل. والمحاجة التي وقعت هي أن إبراهيم عليه السلام كان يدعي أن ربه الله لا غير، ونمرود كان يدعي أنه رب إبراهيم وغيره، ولذلك لما احتج إبراهيم عليه السلام على دعواه بقوله: (ربِّي الذي يحيي ويميت) قال: (أنا أحيي وأميت)، ولم يعارض إبراهيم عليه السلام بالحق بل بالتمويه والمغالطة وتلبيس الأمر على الحاضرين. فعدل إلى حجة اخرى لا يدع المكابر أن يعارضه بشيء فقال إبراهيم عليه السلام: (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق...) فبهت نمرود، والله لا يهدي القوم الظالمين.

٢٥٩ . (أو كالذي مرّ على قرية...) الرجل كان من صالحي عباد الله، بل نبياً مكلماً، وقد خرج عليه السّلام من داره قاصداً مكاناً بعيداً، فلما سار إلى ما كان يقصده مر بالقرية التي ذكر الله تعالى انها كانت (خاوية على عروشها). ثم وقف معتبراً بما يشاهده من أمر القرية الخربة التي كان قد أبيد أهلها وشملتهم نازلة الموت وعظامهم الرميمة بمرئى ومنظر منه عليه السّلام. ثم تعمق في الاعتبار فهاله ما شاهده منها فاستعظم طول مدة مكثها مع ما يصاحبه من تحولها من حال إلى حال بحيث يصير الأصل نسياً منسياً. وعند ذلك قال: (أنّى يحيي هذه الله). وقد كان هذا الكلام ينحل إلى جهتين: احداهما: استعظام طول المدة والإحياء مع ذلك. والثانية: استعظام رجوع الاجزاء إلى صورتها الأولى بعد عروض هذه التغيرات. فبين الله له الأمر من الجهتين جميعاً: أما من الجهة الأُولى فبإماتته ثم إحيائه. وأما من الجهة الثانية فبإحياء العظام بمنظر ومرئى منه.

(فأماته الله مائة عام ثم بعثه) وقد كانت الاماتة والاحياء في وقتين مختلفين من النهار (قال كم لبثت قال لبثتُ يوماً أو بعض يوم) نظراً إلى اختلاف الوقتين. فلما أُجيب بقوله تعالى: (بل لبثت مائة عام) كان الجواب في مظنة أن يُرتاب فيه من جهة ما كان يشاهد نفسه ولم يتغير. فدفع الله تعالى هذا بأن أمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه لم يتغير شيء منهما، وأن ينظر إلى الحمار وقد صار عظاماً رميمة. وتم عند ذلك البيان الالهي: ان استعظامه طول المدة قد كان في غير محله. (ولنجعلك آية للناس) إنا فعلنا بك ما فعلنا لنبين لك كذا وكذا ولنجعلك آية للناس.

٢٦٠ . (وإذ قال إبراهيم...) إن إبراهيم عليه السلام إنما سأل أن يشاهد كيفية الإحياء، لا أصل الإحياء كما هو ظاهر قوله: (كيف تحيي الموتى) فقد سأل عن كيفية إفاضة الله الحياة على الأموات وفعله بأجزائها الذي به تلبس الحياة. (قال أوَ لم تؤمن قال بلى...) بلى: كلمة يردّ بها النفي، ولذلك ينقلب بها النفي إثباتاً. (ليطمئنّ قلبي) يدل على كون مطلوبه عليه السّلام من هذا السؤال حصول الاطمئنان المطلق وقطع منابت كل خطور قلبي. (فخذ أربعة من الطير) انما أمر بذلك ليعرفها فلا يشك فيها عند إعادة الحياة إليها ولا ينكرها، وليرى ما هي عليه من الاختلاف والتميز أولاً وزوالهما ثانياً. وقوله: (فصرهنّ إليك ثم اجعل...) أي إذبحهنّ وبدِّد أجزاءهنّ واخلطها ثم فرّقها على الجبال لتتباعد الأجزاء وهي غير متميزة. (ثم ادعهنّ) ادعُ الطيور، (يأتينك سعياً) يتجسدن ويتّصفن بالاتيان والاسراع إليك. (واعلم ان الله عزيز حكيم) عزيز لايفقد شيئاً بزواله عنه،

حكيم لا يفعل شيئاً إلاّ من طريقه اللائق به.

٢٦١ . (مثل الذين ينفقون...) المراد بسبيل الله: كل أمر ينتهي إلى مرضاته سبحانه. (والله يضاعف لمن يشاء...) يزيد على سبعمائة لمن يشاء فهو الواسع لا مانع من جوده ولا محدد لفضله. ولم يقيد ما ضربه الله من المثل بالآخرة، بل الكلام مطلق يشمل الدنيا كالآخرة.

٢٦٢ . (الذين ينفقون أموالهم...) الاتباع: اللحوق والالحاق. والمنّ: ذِكر ما ينغص المعروف. والأذى: الضرر العاجل أو الضرر اليسير. والخوف: توقع الضرر. والحزن: الغم الذي يغلظ على النفس.

[٤٢]

٢٦٣ . (قول معروف ومغفرة...) المعروف من القول: ما لا ينكره الناس بحسب العادة. والأصل في معنى المغفرة: الستر. والحلم: السكوت عند المكروه من قول أو فعل.

---

٢٦٤ . (يا أيّها الذين آمنوا لاتبطلوا...) تدل الآية على حبط الصدقة بلحوق المن والأذى. (كالذي ينفق ماله...) المراد من عدم ايمان المرائي: عدم ايمانه بدعوة الانفاق التي يدعو إليها الله سبحانه، إذ لو كان يؤمن بالداعي في دعوته هذه، وبيوم القيامة، لقصد في فعله وجه الله. وليس المراد من عدم ايمان المرائي، عدم ايمانه بالله سبحانه رأساً. (فمثله كمثل صفوان...) الصفوان: الحجر الأملس. والوابل: المطر الغزير الشديد الوقع. وخلاصة معنى المثل: أن حال المرائي كحال الحجر الأملس الذي عليه شيء من التراب، إذا نزل عليه وابل المطر، فإن الوابل يغسله ويبقى الصلد الذي لا يجذب الماء، ولا يتربّى فيه بذر النبات، فالوابل وإن كان من أظهر أسباب الحياة والنمو وكذا التراب، لكن لكون المحل صلداً، يبطل عمل هذين السببين. وقد ظهر من الآية: أن قبول العمل يحتاج إلى نية الاخلاص وقصد وجه الله، وقد روى الفريقان عن النبيّ صلى الله عليه وآله انه قال: إنما الأعمال بالنيّات.

٢٦٥ . (ومثل الذين ينفقون...) المراد بابتغاء مرضاة الله: أن لا يقصد بالعمل رئاء ونحوه مما يجعل النية غير خالصة لوجه الله. والمراد بقوله: (تثبيتاً من أنفسهم): تثبيت الانسان نفسه على ما نواه من النيّة الخالصة. (كمثل جنّة بربوة...) الربوة: الأرض الجيدة التي تزيد وتعلو في نموها. والطل: أضعف المطر القليل الأثر. والغرض من المثل: ان الانفاق الذي أريد به وجه الله لا يتخلف عن أثره الحسن، فإن العناية الالهية واقعة عليه متعلقة به، وإن كانت مراتب العناية مختلفة لاختلاف درجات النية في الخلوص، واختلاف وزن الاعمال، كما ان الجنة التي في الربوة إذا أصابها المطر

لم تلبث دون أن تؤتي أُكلها إيتاءً جيداً، وإن كان إيتاؤها مختلفاً في الجودة باختلاف المطر النازل عليه من وابل وطل.

(٦٦/١)

---

٢٦٦ . (أيودّ أحدكم أن تكون...) إذا اجتمع الكبر والذرية الضعفاء، واحترقت الجنة انقطعت الاسباب عنهم عند ذلك، فلا صاحب الجنة يمكنه أن يعيد لنفسه الشباب والقوة أو الأيام الخالية حتى يهيئ لنفسه نظير ما كان هيأها، ولا لذريته قوة على ذلك، ولا رجاء لهم ان ترجع الجنة إلى ما كانت عليه من النضارة والاثمار.

وهذا مثل ضربه الله للذين ينفقون أموالهم ثم يتبعونه منّاً وأذى فيحبط عملهم ولا سبيل إلى إعادة العمل الباطل إلى حال صحته واستقامته. وانطباق المثل على الممثل ظاهر.

٢٦٧ . (يا أيّها الذين آمنوا أنفقوا...) معنى الآية ظاهر. وإنما بيّن تعالى كيفية مال الانفاق، وانه ينبغي ان يكون من طيّب المال لا من خبيثه الذي لا يأخذه المنفق إلاّ بإغماض، فإنه لايتصف بوصف الجود والسخاء، بل يُتصور بصورة التخلص، فلا يفيد حباً للصنيعة والمعروف ولا كمالاً للنفس. ولذلك ختمها بقوله: (واعلموا ان الله غني حميد) أي راقبوا في إنفاقكم غناه وحمده، فهو في عين غناه يحمد إنفاقكم الحسن فأنفقوا من طيب المال. أو أنه غني محمود لا ينبغي أن تواجهوه بما لا يليق بجلاله جل جلاله.

٢٦٨ . (الشيطان يعدكم الفقر...) إن اختياركم الخبيث على الطيب انما هو لخوف الفقر، والجهل بما يستتبعه هذا الانفاق. أما خوف الفقر فهو إلقاء شيطاني ولا يريد الشيطان بكم إلاّ الضلال والفحشاء، فلا يجوز أن تتبعوه. وأما ما يستتبعه هذا الانفاق فهو الزيادة والمغفرة اللتان ذكرتا لكم في الآيات السابقة، وهو استتباع بالحق لأن الذي يعدكم استتباع الانفاق لهذه المغفرة والزيادة هو الله سبحانه ووعده الحق.

(٦٧/١)

---

٢٦٩ . (يؤتي الحكمة من يشاء...) الجملة تدل على ان البيان الذي بيّن الله به حال الانفاق بجميع علله وأسبابه وما يستتبعه من الأثر الصالح في حقيقة حياة الانسان هو من الحكمة، فالحكمة هي القضايا الحقة المطابقة للواقع من حيث اشتمالها بنحو على سعادة الانسان كالمعارف الحقّة الالهية في المبدأ والمعاد.

٢٧٠ . (وما أنفقتم من نفقة...) ما دعاكم الله سبحانه إليه أو دعوتم أنفسكم إليه بايجابه عليها بالنذر من بذل المال،

[٤٣]

فلا يخفى على الله، يثيب من أطاعه ويؤاخذ من ظلم.

٢٧١ . (إنْ تُبدوا الصدقات...) مدح الله سبحانه كلاً من شقي الترديد [إظهار الصدقات واخفاءها] لكون كل واحد من الشقين ذا آثار صالحة. فأما اظهار الصدقة فإن فيه دعوة عملية إلى المعروف، وتشويقاً للناس إلى البذل والإنفاق. وأما اخفاؤها فإنه حينئذ يكون أبعد من الرياء والمن والأذى، وفيه حفظ لنفوس المحتاجين عن الخزي والمذلة.

٢٧٢ . (ليس عليك هداهم...) كَأن ما كان يشاهده رسول الله صلى الله عليه وآله من فعال المؤمنين في صدقاتهم من السجايا بالاخلاص من بعضهم، والمن والأذى والتثاقل في انفاق طيب المال من بعض، أوجد في نفسه الشريفة وجداً وحزناً فسلاّه الله تعالى بالتنبيه على أن أمر هذا الايمان الموجود فيهم والهدي الذي لهم إنما هو إلى الله تعالى يهدي من يشاء إلى الايمان وإلى درجاته. (وما تنفقوا من خير فلأنفسكم) إن ساحة المتكلم الداعي منزهة عن الانتفاع بما يتعقب هذه الدعوة من المنافع، وإنما يعود نفعه إلى المدعوين، فما تنفقوا من خير فلأنفسكم، لكن لا مطلقاً، بل في حال ما تنفقون إلاّ ابتغاء وجه الله. (وما تنفقوا من خير يُوفَّ...) ان نفع هذا الانفاق المندوب وهو ما يترتب عليه من مثوبة الدنيا والآخرة ليس أمراً وهمياً، بل هو أمر حقيقي واقعي سيوفيه الله تعالى إليكم من غير أن يظلمكم بفقد أو نقص.

---

٢٧٣ . (للفقراء الذين أُحصروا...) الحصر: المنع والحبس. والتعفف: التلبس بالعفة. والسيماء: العلامة. والالحاف: الالحاح في السؤال. وفي الآية بيان مصرف الصدقات، وهم الفقراء الذين مُنعوا في سبيل الله، إما عدو أخذ مالهم أو منعهم التعيش بالخروج إلى الاكتساب، أو مرض، أو اشتغال بما لا يسعهم معه الاشتغال بالكسب كطالب العلم وغير ذلك. (يحسبهم الجاهل) الجاهل بحالهم. (لا يسألون الناس إلحافاً) المراد: انهم لا يسألون الناس أصلاً، ولا يبعد ان يكون المراد نفي الالحاف لا أصل السؤال.

٢٧٤ . (الذين ينفقون أموالهم...) السر والعلانية متقابلان، والتقدير: مسرين ومعلنين. واستيفاء الأزمنة والأحوال في الانفاق للدلالة على اهتمام هؤلاء المنفقين في استيفاء الثواب، وإمعانهم في ابتغاء مرضاة الله وإرادة وجهه.

وقد ورد ان الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام كانت معه أربعة دراهم، فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سراً وبواحد علانية.

(٦٩/١)

---

٢٧٥ . (الذين يأكلون الرِّبا...) المراد بخبط الممسوس في قيامه، قيام الربوي في حياته بأمر المعاش كقيام الممسوس الخابط في أمر الحياة. وهذا الخبط الذي يبتلى به المرابي كخبط الممسوس، فان المراباة تضطره أن يختل عنده أصل المعاملة والمعاوضة فلا يفرق بين البيع والربا، فإذا دعي إلى أن يترك الربا ويأخذ بالبيع، أجاب أن البيع مثل الربا لا يزيد على الربا بمزية، فالعادي وغير العادي عنده على حد سواء، ولذلك استدل تعالى على خبط المرابين بما حكاه من قولهم: (انّما البيع مثل الرِّبا). وقوله تعالى: (وأحلّ الله البيع وحرّم الرِّبا) جملة مستأنفة، وهي تدل على الإخبار عن حكم سابق. (فمن جاءه موعظة...) إن من انتهى عن موعظة جاءته فالذي تقدم منه من المعصية سواء كان في حقوق الله أو في حقوق الناس، فإنه لا يؤاخَذ بعينها، لكنه لا يوجب تخلصه من تبعاتها، بل أمره فيها إلى الله إن شاء وضع فيها تبعة كقضاء الصلاة الفائتة وموارد الحدود وغير ذلك مع العفو عن أصل الجرائم بالتوبة، وإن شاء عفا عن الذنب ولم يضع عليه تبعة بعد التوبة.

٢٧٦ . (يمحق الله الرِّبا...) المحق: نقصان الشيء حالاً بعد حال ووقوعه في طريق الفناء والزوال تدريجاً. والإرباء: الإنماء. والأثيم: الحامل للإثم.

٢٧٧ . (إن الذين آمنوا وعملوا...) تعليل يُبين به ثواب المتصدقين والمنتهين عما نهى الله عنه من أكل الربا بوجه عام ينطبق على المورد انطباقاً.

٢٧٨ . (يا أيّها الذين آمنوا اتقوا...) خطاب للمؤمنين وأمرٌ لهم بتقوى الله، وهو توطئة لما يتعقبه من الأمر بقوله:

[٤٤]

(وذروا ما بقي من الربا) وهو يدل على انه كان من المؤمنين في عهد نزول الآيات من يأخذ الربا، وله بقايا منه في ذمة الناس من الربا، فأمر بتركها، وهدد في ذلك بما سيأتي من قوله:

(٧٠/١)

---

٢٧٩ . (فإن لم تفعلوا فأذنوا...) أيقنوا بحرب، أو أعلموا انفسكم باليقين بحرب من الله ورسوله. (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم...) أي أصول أموالكم الخالصة من الربا لا تَظلمون بأخذ الربا ولا تُظلمون

بالتعدي إلى رؤوس أموالكم.

٢٨٠ . (وإن كان ذو عسرة...) إذا وجد غريم من غرمائكم لا يتمكن من أداء دينه، فأنظروه وامهلوه حتى يكون متمكناً ذا يسار فيؤدي دينه. (وان تصدقوا خيراً...) وإن تضعوا الدين عن المعسر فتتصدقوا به عليه فهو خير لكم إن كنتم تعلمون.

٢٨١ . (واتّقوا يوماً ترجعون...) ان أمامكم يوماً ترجعون فيه إلى الله فتوفى كل نفس ما كسبت. وقد قيل: إن هذه الآية آخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢٨٢، ٢٨٣ . (يا أيّها الذين آمنوا إذا...) التداين: مداينة بعضهم بعضاً. والإملال والاملاء: إلقاء الرجل للكاتب ما يكتبه. والبخس: النقص والحيف. والسأمة: الملال. والمضارة: من الضرر ويستعمل لما بين الاثنين وغيره. والفسوق: الخروج عن الطاعة. والرهان وقرئ فرُهُن، وكلاهما جمع الرهن: بمعنى المرهون.

والضمير البارز في قوله: (أن يملّ هو فليملل وليّه) فائدته تشريك من عليه الحق مع وليه، فإن هذه الصورة تغاير الصورتين الأوليتين بأن الولي في الصورتين الاوليتين هو المسؤول بالأمر المستقل فيه، بخلاف هذه الصورة فإن الذي عليه الحق يشارك الولي في العمل، فكأنه قيل: ما يستطيعه من العمل فعليه ذلك، وما لا يستطيعه هو فعلى وليه.

وقوله: (أن تضلّ إحداهما) حذر أن تُضل إحداهما.

وفي قوله: (إحداهما الأُخرى) وُضع الظاهر موضع المضمر، والنكتة فيه اختلاف معنى اللفظ في الموضعين. فالمراد من الأول: إحداهما لا على التعيين. ومن الثاني: إحداهما بعد ضلال الاخرى، فالمعنيان مختلفان.

وقوله: (واتقوا الله) أمر بالتقوى فيما ساقه الله إليهم في هذه الآية من الأمر والنهي.

وأما قوله: (ويعلّمكم الله والله بكل شيء عليم) كلام مستأنف مسوق في مقام الامتنان. كقوله تعالى في آية الإرث: (يبيّن الله لكم أن تضلّوا) النساء . ١٧٦، فالمراد به الامتنان بتعليم شرائع الدين ومسائل الحلال والحرام. ويؤيد ما ذكرنا تكرار لفظ الجلالة ثانياً، فإنه لولا كون قوله: (ويعلّمكم الله) كلاماً مستأنفاً كان مقتضى السياق أن يقال: يعلمكم، باضمار الفاعل، ففي قوله تعالى: (واتقوا الله ويعلّمكم الله إنّ الله بكل شيء عليم)، أظهر الاسم أوّلاً وثانياً لوقوعه في كلامين مستقلين، وأظهر ثالثاً ليدل به على التعليل، كأنه قيل: هو بكل شيء عليم لأنه الله.

واعلم ان الآيتين تدلاّن على ما يقرب من عشرين حكماً من أصول أحكام الدين والرهن وغيرهما، والاخبار فيها وفيما يتعلّق بها كثيرة لكن البحث عنها راجع إلى الفقه.

٢٨٤ . (لله ما في السماوات والأرض...) كلام يدل على ملكه تعالى لعالم الخلق ممّا في السماوات والأرض، وهو توطئة لقوله: (وإن تبدوا ما في أنفسكم...) أي ان له ما في السماوات والأرض ومن جملتها أنتم وأعمالكم وما اكتسبتها

[٤٥]

نفوسكم، فهو محيط بكم مهيمن على أعمالكم لا يتفاوت عنده كون أعمالكم بادية ظاهرة، أو خافية مستورة فيحاسبكم عليها. (فيغفر لمن يشاء ويعذب...) الترديد بين المغفرة والعذاب لا يخلو من الإشعار بأن المراد بما في النفوس، هي الصفات والأحوال النفسانية السيئة.

(٧٢/١)

---

٢٨٥ . (آمن الرسول بما أنزل...) تصديق لايمان الرسول والمؤمنين، وإنما أفرد رسول الله عنهم بالايمان بما أنزل إليه من ربّه ثم الحقهم به، تشريفاً له. وهذا دأب القرآن في الموارد التي تناسب التشريف أن يكرم النبيّ بإفراده وتقديم ذكره، ثم إتباع ذلك بذكر المؤمنين. (كلٌ آمن بالله...) إن ما أُنزل إلى رسول الله، يدعو إلى الايمان وتصديق الكتب والرسل والملائكة، فمن آمن بما أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد آمن بجميع ذلك، كل على ما يليق به. (لا نفرق بين أحد من رسله) حكاية لحالهم من دون توسيط لفظ القول. (وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك...) القوم لما قالوا: سمعنا وأطعنا، وهو الاجابة بالسمع والطاعة المطلقين فأوفوا الربوبية حقّها، سألوه تعالى حقهم الذي جعله لهم وهو المغفرة.

(٧٣/١)

---

٢٨٦ . (لا يكلِّف الله نفساً...) كلام جار على سنة الله الجارية بين عباده: ان لايكلفهم ما ليس في وسعهم من الايمان بما هو فوق فهمهم، والإطاعة لما هو فوق طاقة قواهم. (ربّنا لا تؤاخذنا...) استرحموا ربهم وسألوه أن لا يعاملهم معاملة من كان قبلهم من المؤاخذة والحمل والتحميل، لأنهم علموا بما علّمهم الله أن لا حول ولا قوة إلاّ بالله، وأن لا عاصم من الله إلاّ رحمته. والنبيّ صلى الله عليه وآله وإن كان معصوماً من الخطأ والنسيان، لكنه انما يعتصم بعصمة الله ويصان به تعالى، فصح له أن يسأل ربّه ما لا يأمنه من نفسه، ويدخل نفسه لذلك في زمرة المؤمنين. (ربّنا ولا تحمل علينا إصراً...) الإصر: الثقل على ما قيل، وقيل هو حبس الشيء بقهره، وهو قريب من المعنى الأول، فإن في الحبس حمل الشيء على ما يكرهه ويثقل عليه. (كما حملته على الذين من قبلنا) هم

أهل الكتاب وخاصة اليهود على ما تشير السورة إلى كثير من قصصهم. (ربّنا ولا تحمِّلنا ما لا طاقة لنا به) المراد بما لا طاقة لنا به: جزاء السيئات الواصلة إليهم من تكليف شاق لا يتحمل عادة، أو عذاب نازل، أو رجز مصيب كالمسخ ونحوه. (واعف عنّا واغفر...) المراد من العفو والمغفرة والرحمة: ما يتعلق بذنوبهم من جهة الخطأ والنسيان ونحوها. (أنت مولانا فانصرنا...) المولى: الناصر الذي يتولّى أمر المنصور، فإنه من الولاية بمعنى تولي الأمر. وهذا الدعاء منهم يدل على انهم ما كان لهم بعد السمع والطاعة لأصل الدين همّ إلاّ في إقامته ونشره والجهاد لاعلان كلمة الحق، وتحصيل إتفاق كلمة الأُمم عليه.

«سورة آل عمران»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (ألم) [قد مرّ الكلام عن الحروف المقطعة في أوّل سورة البقرة].

٢ . (الله لا إله إلاّ هو...) المراد: بيان قيامه تعالى أتم القيام على أمر الايجاد والتدبير.

---

٣ . (نزّل عليك الكتاب...) الباء في قوله: (بالحق) للمصاحبة، والمعنى: نزّل عليك الكتاب تنزيلاً يصاحب الحق ولا يفارقه. والمراد من (ما بين يديه): التوراة والانجيل. والتوراة: كلمة عبرانية بمعنى الشريعة، والإنجيل: لفظ يوناني، وقيل فارسي معناه البشارة. (وأنزل الفرقان) الفرقان: ما يفرق به بين الحق والباطل على ما في الصحاح. والفرقان هو الدين الذي يحكم بين الناس بالعدل مع ما ينضم إليه من المعارف ووظائف العبودية والله أعلم. وقيل: المراد بالفرقان القرآن.

٤ . (إنّ الذين كفروا...) الانتقام على ما قيل: مجازاة المسيء على إساءته.

٥ . (إنّ الله لا يخفى عليه...) بيّن أنه عزيز لا يخفى عليه شيء ظاهر على الحواس ولا غائب عنها.

٦ . (هو الذي يصوّركم...) ينظم أجزاء وجودكم في بدء الأمر على نحو يؤدي إلى ما يشاءه في ختمه.

[٤٦]

---

٧ . (هو الذي أنزل عليك...) المراد بالتشابه: كون الآية بحيث لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد استماعها بل يتردد بين معنى ومعنى، حتى يرجع إلى محكمات الكتاب، فتعين هي معناها وتبينها بياناً، فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة. والآية المحكمة محكمة بنفسها. وقد وصف المحكمات بأنها (أُمّ الكتاب) والأُم بحسب أصل معناه: ما يرجع إليه الشيء، فالبعض من الكتاب وهنّ المتشابهات ترجع إلى بعض آخر وهي المحكمات. (فأمّا الذين في قلوبهم زيغ...) الآية تصف حال الناس بالنسبة إلى تلقي القرآن بمحكمه ومتشابهه، وأن منهم من هو زائغ القلب فهو يتبع المتشابه ابتغاءً للفتنة والتأويل. ومنهم من هو راسخ العلم مستقر القلب يأخذ بالمحكم ويؤمن بالمتشابه ولا يتبعه، ويسأل الله أن لا يزيغ قلبه بعد الهداية. (والراسخون في العلم يقولون...) ظاهر الكلام أن الواو للاستئناف. والرسوخ: أشدّ الثبات. وهؤلاء لهم علم بالله وبآياته لا يدخله ريب وشك، فما حصل لهم من العلم بالمحكمات ثابت لا يتزلزل، وإذا وردت عليهم آية متشابهة، لم يوجب تشابهها اضطراب قلوبهم فيما عندهم من العلم الراسخ.

٨ . (ربّنا لا تُزغ قلوبنا...) التجأوا إلى ربهم وسألوه أن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم، وأن يهب لهم من لدنه رحمة تبقي لهم هذه النعمة.

٩ . (ربّنا إنّك جامع الناس...) هذا منهم بمنزلة التعليل لسؤال الرحمة، وذلك لعلمهم بأن إقامة نظام الخلقة ودعوة الدين وكدح الانسان كل ذلك مقدمة لجمعهم إلى يوم القيامة.

١٠ . (إنّ الذين كفروا لن تُغني...) إن الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا وزعموا أنّ أموالهم وأولادهم تغنيهم من الله، قد أخطأوا، فلا غنى من الله سبحانه في وقت ولا في شيء.

(٧٦/١)

---

١١ . (كدأب آل فرعون...) إنّ آل فرعون كانوا دائبين على دأب هؤلاء الذين كفروا، في الكفر وتكذيب الآيات، ولا ريب في هذا الخبر، فإنا كنا حاضرين شاهدين، وقد كذبوا بآياتنا نحن، (فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب) كرّر لفظ الجلالة للدلالة على أن كفرهم وتكذيبهم هذا، منازعة ومحاربة مع من له جلال الالوهية ويهون عليه أخذ المذنب بذنبه، وهو شديد العقاب لأنه الله جل أسمه.

١٢ . (قل للذين كفروا...) الحشر: إخراج الجماعة عن مقرهم بالازعاج. والمهاد: الفراش. وظاهر السياق ان المراد بالذين كفروا: هم المشركون. وتذكر هذه الآية الغلبة عليهم وحشرهم إلى جهنم.

١٣ . (قد كان لكم آية في فئتين...) إنكم أيها المشركون لو كنتم من أُولي الأبصار والبصائر، لكفاكم في الاعتبار والدلالة على أن الغلبة للحق وأن الله يؤيد بنصره من يشاء ولا يغلب بمال ولا ولد، ما رأيتموه يوم بدر، فقد كان المؤمنون مقاتلين في سبيل الله سبحانه، وقد كانوا فئة قليلة لا

يبلغون ثلث الفئة الكافرة، فنصر الله المؤمنين على قلتهم على أعدائه، وكثّرهم في أعينهم فكانوا يرونهم مثليهم رأي العين، وأيدهم بالملائكة، فلم ينفع المشركين ما كانوا يتعززون به من أموال وأولاد، ولم يغنهم جمعهم ولا كثرتهم وقوتهم من الله شيئاً.

١٤ . (زُيِّن للناس حبُّ الشهوات...) الآية بمنزلة البيان وشرح حقيقة الحال لما تقدم، إذ يظهر أنهم يعتقدون الاستغناء بالأموال والأولاد من الله سبحانه، فالآية تبين أن سبب ذلك أنهم انكبوا على حب هذه المشتهيات وانقطعوا إليها عن ما يهمهم من أمر الآخرة، وقد اشتبه عليهم الأمر، فان ذلك متاع الحياة الدنيا، ليس لها إلا أنها مقدمة لنيل ما عند الله من حسن المآب، وانما قدر لهم ذلك ليتخذوها وسيلة إلى الدار الآخرة، ويأخذوا من متاع هذه ما يتمتعون به في تلك.

والمراد من فاعل التزيين ليس هو الله سبحانه، بل هو الشيطان أو النفس.

(٧٧/١)

---

١٥ . (قل أ أُنبِّئكم بخير...) الآية مسوقة لبيان قوله: (والله عنده حسن المآب) وقد وُضِع فيها محل هذه الشهوات الفانية الباطلة، أمور هي خير للانسان لكونها باقية وحسنة حقيقة من غير بطلان، وهي مجانسة لهذه الشهوات في ما يريده الانسان من خواصها وآثارها، غير أنها خالية عن القبح والفساد، غير صارفة للإنسان عن ما هو خير منها،

[٤٧]

وهي الجنّة ومطهّرات الأزواج ورضوان الله تعالى.

١٦ . (الّذين يقولون ربّنا...) وصفٌ للمتقين المدلول عليهم في الآية السابقة. فوصفهم أنهم يقولون: (ربّنا) وفيه إظهار للعبودية بذكره تعالى بالرّبوبية، واسترحام منه تعالى فيما يسألونه بقولهم: (إنّنا آمنّا)، والجملة ليست في مقام الامتنان، بل استنجاز لما وعد الله تعالى عباده أنه يغفر لمن آمن منهم، ولذلك فرّعوا عليه قولهم: (فاغفر لنا ذنوبنا) بفاء التفريع.

١٧ . (الصّابرين الصّادقين...) وصفهم الله بخمس خصال لايشذ منها تقوى من متق، الصبر، والصدق، والقنوت وهو الخضوع لله سبحانه ويشمل العبادات وأقسام النسك، والانفاق وهو بذل المال لمن يستحق، والاستغفار بالاسحار.

١٨ . (شهد الله أنّه لا إله إلاّ...) شهد «وهو الله عز اسمه» على أنّه لا إله إلاّ هو... شهد بهذه الشهادة وهو قائم بالقسط في فعله، حاكم بالعدل في خلقه. والملائكة يشهدون بانه لا إله إلاّ هو. وأُولو العلم يشهدون أنه لا إله إلاّ هو، يشاهدون من آياته الآفاقية والأنفسية وقد ملأت مشاعرهم ورسخت في عقولهم.

١٩ . (إنّ الدِّين عند الله...) إن الدِّين عند الله سبحانه واحد لا اختلاف فيه، وهو الاسلام وهو التسليم للحق. وأما اختلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى في الدين، فلم يكن عن جهل منهم بحقيقة الأمر، وانما حملهم على ذلك بغيهم وظلمهم من غير عذر، وذلك كفر منهم بآيات الله، (ومن يكفر بآيات الله فانّ الله سريع الحساب) يحاسبه سريعاً في دنياه وآخرته، أما في الدنيا فبالخزي وسلب سعادة الحياة عنه، وأما في الآخرة فبأليم العذاب.

٢٠ . (فإن حاجّوك فقل...) فإن حاجوك في أمر الدين فقل: أسلمت وجهي لله ومن اتبعن، فهذا هو الدين ولا حجة بعد الدين في أمر الدين، ثم سلهم: أأسلموا فإن أسلموا فقد اهتدوا، وليقبلوا ما أنزل الله عليك وعلى من قبلك، ولا حجّة عليهم ولا مخاصمة بعد ذلك بينكم، وإن تولوا فلا تخاصمهم ولا تحاجهم فلا ينبغي الخصام في أمر ضروري وهو أن الدين هو التسليم لله سبحانه، وما عليك إلاّ البلاغ. والمراد بالأميين: المشركين.

٢١ . (إنّ الّذين يكفرون...) مضمون الآية منطبق على أهل الكتاب وخاصة اليهود. وقوله: (يكفرون)، (ويقتلون) في موضعين للاستمرار، ويدلان على كون الكفر بآيات الله، وقتل الأنبياء، وقتل الذين يدعون إلى القسط، دأباً وعادة جارية فيما بينهم كما يشتمل عليه تاريخ اليهود، فقد قتلوا جمعاً كثيراً وجماً غفيراً من أنبيائهم وعبادهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وكذا النصارى جروا مجراهم.

٢٢ . (أولئك الّذين حبطت أعمالهم...) دلالة أولاً: على حبط عمل من قتل رجلاً من جهة أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر. وثانياً: على عدم شمول الشفاعة له يوم القيامة، لقوله: (وما لهم من ناصرين).

٢٣ . (ألم تَرَ إلى الّذين أُوتوا...) المراد بالذين أوتوا نصيباً من الكتاب: أهل الكتاب. ولم يقل: اوتوا الكتاب، ليدل على أن الذي في أيديهم من الكتاب ليس إلاّ نصيباً منه دون جميعه لأن تحريفهم أذهب كثيراً من أجزائه. والمراد . والله أعلم: أنهم يتولون عن حكم كتاب الله اعتزازاً بما قالوا واغتراراً بما وضعوه من عند أنفسهم واستغناءً به عن الكتاب.

٢٤ . (ذلك بأنّهم قالوا...) معناه واضح. واغترارهم بفريتهم التي افترتها أنفسهم إنما هو لكون المغرورين غير المفترين، وعلى هذا فنسبة الافتراء التي توسل إليها سابقوهم إلى هؤلاء المغرورين

من اللاحقين، لكونهم أمة واحدة يرضى بعضهم بفعال بعض.

٢٥ . (فكيف إذا جمعناهم...) انهم يتولون ويعرضون إذا دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم اغتراراً بما افتروه في دينهم واستكباراً عن الحق، فكيف يصنعون إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه وهو يوم القضاء الفصل والحكم الحق، ووفيت كل نفس ما كسبت والحكم حكم عدل وهم لا يظلمون.

٢٦ . (قل اللّهمّ مالك الملك...) الله سبحانه مالك لكل شيء على الاطلاق. (تؤتي الملك من تشاء...) المُلك في

[٤٨]

نفسه موهبة من مواهب الله، ويكون المُلك بالنسبة إلى من هو أهله نعمة من الله سبحانه إليه، وبالنسبة إلى غير أهله نقمة. (وتعزّ من تشاء وتذلّ...) العزّة له تعالى محضاً، وما عند غيره منها فانما بإتيائه وإفضاله، فكل شيء غيره تعالى ذليل في نفسه إلاّ من أعزه الله تعالى. (بيدك الخير إنّك...) ان أمر كل خير مطلوب إليك، وأنت المعطي المفيض إياه.

(٨٠/١)

---

٢٧ . (تولج اللّيل في النّهار...) المراد من إيلاج اللّيل في النهار، وإيلاج النهار في اللّيل: ما هو المشاهد من اختلاف اللّيل والنهار في عرض السنة. (وتخرج الحيّ من الميِّت) وذلك اخراج المؤمن من صلب الكافر وإخراج الكافر من صلب المؤمن، ويمكن أن يراد الأعم من ذلك، من خلق الأحياء كالنبات والحيوان من الأرض وإعادة الأحياء إلى الأرض بإماتتها. (وترزق من تشاء بغير حساب) العطف عطف تفسير. والمعنى: إنك متصرف في خلقك بهذه التصرفات لأنك ترزق من تشاء بغير حساب.

٢٨ . (لا يتّخذ المؤمنون الكافرين...) اتخاذ الكافرين أولياء هو الامتزاج الروحي بهم بحيث يؤدي إلى مطاوعتهم والتأثر منهم في الاخلاق وسائر شؤون الحياة. ويدل على ذلك تقييد هذا النهي بقوله: (من دون المؤمنين) فإن فيه دلالة على إيثار حبّهم على حب المؤمنين. (إلاّ أن تتّقوا منهم تقيّة) استثنى التقية، وفي الآية دلالة ظاهرة على الرخصة في التقية على ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام.

٢٩ . (قل إن تخفوا ما في صدوركم...) أمر في الآية رسوله بإبلاغ هذه الحقيقة . وهو علمه بما تخفيه أنفسهم أو تبديه . من دون أن يباشره بنفسه كسابق الكلام.

٣٠ . (يوم تجد كلّ نفس...) تجد كل ما عملت من الخير وإن قل وكذا من السوء. (تودّ لو أنّ بينها...) دلالة على أن حضور سيّئ العمل يسوء النفس، وإنما تود الفاصلة الزمانية بينها وبينه دون أن تود أنه لم يكن من أصله، لما يشاهد من بقائه بحفظ الله فلا يسعها إلاّ ان تحب بعده وعدم

حضوره في أشق الاحوال. (ويحذِّركم الله نفسه...) إن الله لرأفته بعباده ينهاهم قبلاً أن يتعرضوا لمثل هذه المعصية التي وبال أمرها واقع لا محالة من غير أن يؤثر فيه شفاعة شافع ولا دفع دافع.

(٨١/١)

---

٣١ . (قل إن كنتم تحبّون...) المراد: إن كنتم تريدون أن تخلصوا لله في عبوديتكم بالبناء على الحب حقيقة، فاتبعوا هذه الشريعة التي هي مبنية على الحب الذي ممثله الاخلاص والاسلام، فإن اتبعتموني في سبيلي وشأنه هذا الشأن، أحبكم الله وهو أعظم البشارة للمحب، وعند ذلك تجدون ما تريدون، وهذا هو الذي يبتغيه محب بحبه.

٣٢ . (قل اطيعوا الله والرّسول...) الآية مشعرة بكون إطاعة الله وإطاعة الرسول واحدة.

٣٣ . (إنّ الله اصطفى آدم...) ذكر سبحانه في هؤلاء المصطفين آدم ونوحاً. ثم ذكر سبحانه آل إبراهيم وآل عمران، فأما آل إبراهيم فالمراد بهم: الطاهرون من ذريته من طريق إسماعيل، والمراد بآل عمران: مريم وعيسى عليهما السّلام أو هما وزوجة عمران. والآية ليست في مقام الحصر.

٣٤ . (ذرية بعضها من بعض...) الذرية في الأصل: صغار الأولاد، على ما ذكروا، ثمّ استعملت في مطلق الأولاد.

٣٥ . (إذ قالت إمرأة عمران...) النذر: ايجاب الانسان على نفسه ما ليس بواجب. والتحرير: الاطلاق عن وثاق. والتقبّل: القبول عن رغبة ورضى.

٣٦ . (فلمّا وضعتها قالت...) فلما وضعت ما في بطنها وتبينت أنه أُنثى قالت: (ربّ إنِّي وضعتها أُنثى) وهو خبر أُريد به التحسّر والتحزّن دون الإخبار. (والله أعلم بما وضعت وليس الذّكر كالأُنثى) جملتان معترضتان وهما مقولتان له تعالى، لا لامرأة عمران. (وإنِّي سمّيتها مريم...) معنى مريم في لغتهم: العابدة والخادمة على ما قيل. ثمّ أعاذتها وذريتها بالله من الشيطان الرجيم لتستقيم لها العبادة والخدمة ويطابق اسمها المسمّى.

٣٧ . (فتقبّلها ربّها بقبول...) المراد بتقبّلها: قبول البنت بما أنها مسماة بمريم ومحررة، فيعود معناه إلى اصطفائها، فإن القبول إنما نسب إلى مريم لا إلى النذر. (وأنبتها نباتاً حسناً) المراد: إعطاء الرشد والزكاة لها ولذريتها، وإفاضة الحياة لها ولمن ينمو منها من الذرية، حياة لا

[٤٩]

(٨٢/١)

يمسها نفث الشيطان. (وكفلها زكريّا) كفلها باصابة القرعة، حيث اختصموا في تكفلها ثم تراضوا بالقرعة فأصابت القرعة زكريا. (كلّما دخل عليها زكريّا المحراب...) إنه كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء. (قال يا مريم أنّى لك...) يدل على انه عليه السلام إنما قال لها ذلك مرّة واحدة، فأجابت بما قنع به واستيقن أن ذلك كرامة لها.

٣٨ . (هنالك دعا زكريّا...) [لما شاهد زكريا عليه السلام] من أمر مريم وخصوص كرامتها على الله، لم يملك من نفسه دون أن يسأل الله أن يهب له مثلها خطراً وكرامة، فكون ذريته طيبة أن يكون لها [للذرية] ما لمريم من الكرامة عند الله والشخصية في نفسها، ولذلك استجيب في عين ما سأله من الله، ووهب له يحيى وهو أشبه الانبياء بعيسى عليهما السّلام.

٣٩ . (فنادته الملائكة وهو قائم...) تسميته بيحيى إنما هي من جانب الله سبحانه. (مصدّقاً بكلمة من الله) دلالة على كونه من دعاة عيسى، فالكلمة هو عيسى المسيح. والسيّد: هو الذي يتولى أمر سواد الناس، ثمّ غلب استعماله في شريف القوم. والحصور: هو الذي لا يأتي النساء، والمراد: الممتنع عن ذلك للإعراض عن مشتهيات النفس زهداً.

٤٠ . (قال ربِّ أنّى يكون...) استفهام تعجيب واستعلام لحقيقة الحال، لا استبعاد واستعظام.. فصار ما كان يثير على وجهه غبار اليأس وسيماء الحزن يغيره إلى نظرة التعجب المشوب بالسرور. (قال كذلك الله يفعل ما يشاء) الأمر كذلك أي الذي بشرت به من الموهبة هو كذلك كائن لا محالة.

٤١ . (قال ربِّ اجعل لي...) الّذي جعله الله آية لزكريا على ما يدل عليه قوله: (آيتك أن لاتكلِّم...) هو أنه كان لايقدر ثلاثة أيام على تكليم أحد ويعتقل لسانه إلاّ بذكر الله وتسبيحه.

---

٤٢ . (وإذ قالت الملائكة...) في الآية دليل على كون مريم محدَّثة تكلمها الملائكة. (إنّ الله اصطفاك وطهّرك) اصطفاؤها: تقبلها لعبادة الله، وتطهيرها: اعتصامها بعصمة الله فهي مصطفاة معصومة. (واصطفاك على نساء العالمين) اصطفاؤها: تقديم لها عليهنّ.

٤٣ . (يا مريم أقنتي لربِّك...) تكرار النداء في المقام بمنزلة أن يقال لها: إن لك عندنا نبأ بعد نبأ، فاستمعي لهما وأصغي إليهما، أحدهما: ما أكرمك الله به من المنزلة وهو ما لك عند الله، والثاني: ما يلزمك من وظيفة العبودية وهو ما لله سبحانه عندك.

٤٤ . (ذلك من أنباء الغيب...) عدّه من أنباء الغيب نظير ما عُدت قصة يوسف عليه السلام من أنباء الغيب التي توحى إلى رسول الله، وأما ما يوجد من ذلك عند أهل الكتاب فلا عبرة به لعدم سلامته من تحريف المحرفين. (وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم...) القلم: القدح الّذي تُضرب به القرعة، ويسمى سهماً أيضاً. أي: يضربون بسهامهم ليعينوا بالقرعة أيّهم يكفل مريم، (وما كنت لديهم

إذ يختصمون) اختصامهم في كفالة مريم.

٤٥ . (إذ قالت الملائكة...) المراد بالكلمة: المسيح عليه السّلام. والمسيح: هو الممسوح، سمي به عيسى عليه السلام لأنه كان مسيحاً باليمن والبركة أو لأنه مُسح بالتطهير من الذنوب أو مسح بدهن زيت بورك فيه وكان الأنبياء يمسحون به. وهناك وجوه أخرى ذكروها. وعيسى: أصله يشوع، وفي بعض الاخبار تفسيره بيعيش. (وجيهاً في الدّنيا والآخرة) الوجاهة: المقبولية. (ومن المقرّبين) فهو مقرّب عند الله سبحانه داخل في صف الأولياء والمقرّبين من الملائكة.

---

٤٦ . (ويكلِّم النّاس في المهد...) ظاهر الآية أنه يكلِّم الناس في المهد كلاماً تاماً يعتني به العقلاء من الناس، كما يعتنون بكلام الكهل، وبعبارة أخرى: يكلمهم في المهد كما يكلمهم كهلاً. والذي يظهر من سياق قوله: (في المهد وكهلاً) أنه لا يبلغ سن الشيخوخة وإنما ينتهي إلى سن الكهولة، وهو ما يكون فيه الانسان رجلاً تاماً قوياً.

٤٧ . (قالت ربّ أنّى يكون...) كانت تعلم أن الذي يكلمها هو الله سبحانه، وإن كان متوجهاً إليها من جهة الروح المتمثل أو الملائكة، ويمكن أن يكون الكلام من قبيل الاستغاثة المعترضة في الكلام. (قال كذلك...) إن الذي بُشرتِ به أمر مقضي لا مردّ له.

٤٨ . (ويعلِّمه الكتاب والحكمة...) الكتاب: هو الوحي الرافع لاختلافات الناس. والحكمة: هي المعرفة النافعة المتعلقة بالاعتقاد أو العمل.

[٥٠]

٤٩ . (ورسولاً إلى بني إسرائيل...) من الممكن أن يكون الرسول إلى قوم خاص، نبياً مبعوثاً إليهم وإلى غيرهم كموسى وعيسى عليهما السّلام. (وأُبرئ الأكمه والأبرص) الأكمه: الذي يولد مطموس العين، وقد يقال لمن تذهب عينه. والأبرص: من كان به برص وهو مرض جلدي معروف. (بإذن الله) سيق للدلالة على أن صدور هذه الآيات المعجزة منه عليه السّلام مستند إلى الله تعالى.

٥٠ . (ومصدِّقاً لما بين يديّ...) تصديقه للتوراة الأصل النازلة على موسى عليه السلام. والكلام لايخلو عن دلالة على إمضائه عليه السلام لأحكام التوراة إلاّ ما نسخه الله تعالى بيده من الأحكام الشاقة المكتوبة على اليهود، ولذا قيل: ان الإنجيل غير مشتمل على الشريعة. (ولأحلّ لكم بعض الّذي...) قد جئتكم لأنسخ بعض الأحكام المحرمة المكتوبة عليكم.

٥١ . (إنّ الله ربِّي وربّكم...) فيه قطع لعذر من اعتقد الوهيته، لتفرسه عليه السّلام ذلك منهم أو لعلمه بذلك بالوحي.

٥٢ . (فلمّا أحسّ عيسى منهم...) لما أحس منهم الكفر ولاحت أسباب اليأس من إيمان عامتهم قال: (من أنصاري إلى الله) فطلب أنصاراً لسلوك هذا الصراط المستقيم الذي كان يندب إليه وهو العبودية، أعني التقوى والإطاعة. فأجابه الحواريون بعين ما طلبه فقالوا: (نحن أنصار الله) ثمّ ذكروا ما هو كالتفسير له فقالوا: (آمنّا بالله واشهد بأنّا مسلمون) ومرادهم بالإسلام إطاعته وتبعيته، فكأنهم قالوا: ربنا حالنا هذا الحال ويشهد بذلك رسولك.

وحواري الإنسان: من اختص به من الناس، وقيل أصله من الحور وهو شدة البياض، ولم يستعمل القرآن هذا اللفظ إلاّ في خواص عيسى عليه السلام من أصحابه.

٥٣ . (ربّنا آمنّا بما أنزلت...) سألوا ربهم أن يكتبهم من الشاهدين، وفرّعوا ذلك على ايمانهم وإسلامهم جميعاً، لأن تبليغ الرسول رسالته إنما يتحقق بتعليمه معالم الدين وعمله بها.

٥٤ . (ومكروا ومكر الله...) الماكرون: هم بنو إسرائيل.

٥٥ . (إذ قال الله يا عيسى...) التوفي: أخذ الشيء أخذاً تاماً. وتوفيه عليه السلام: أخذه من بين اليهود. والمراد بالرفع: الرفع المعنوي دون الرفع الصوري إذ لا مكان له تعالى من سنخ الأمكنة الجسمانية. والتطهير من الكافرين: إبعاده من الكفار وصونه عن مخالطتهم. (وجاعل الّذين اتبعوك فوق...) وعد منه تعالى له عليه السّلام أنه سيفوق متبعي عيسى عليه السلام على مخالفية الكافرين بنبوته، وأن تفوقهم هذا سيدوم إلى يوم القيامة.

٥٦ . (فأمّا الّذين كفروا...) اشتمال التفريع على قوله: (في الدّنيا) يدل على كونه متفرعاً على مجموع قوله: (وجاعل الّذين اتّبعوك فوق...) فيدل على أن نتيجة هذا الجعل والرّجوع، تشديد العذاب عليهم في الدّنيا بيد الّذين فوّقهم الله تعالى عليهم، وفي الآخرة بالنّار.

٥٧ . (أمّا الذين آمنوا...) هذا أجر الذين آمنوا وعملوا الصّالحات من الذين اتبعوا عيسى عليه السلام أن الله يوفيهم أجورهم، وأما غيرهم فليس لهم من ذلك شيء، وقد أُشير إلى ذلك في الآية: (والله لا يحبّ الظالمين).

٥٨ . (ذلك نتلوه عليك...) اشارة إلى اختتام القصة. والمراد بالذكر الحكيم: القرآن.

٥٩ . (إنّ مثل عيسى...) إن ما يعلمه الله تعالى من كيفية خلق عيسى الجاري بيده، أن كيفية خلقه تضاهي كيفية خلق آدم، وكيفية خلقه أنه جمع أجزاءه من تراب ثمّ قال له كن، فتكون تكوناً بشرياً

من غير أب.

٦٠ . (الحق من ربِّك...) تأكيد لمضمون الآية السّابقة، وفيه تطييب لنفس رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه على الحق، وتشجيع له في المحاجّة.

٦١ . (فمن حاجّك فيه...) أطبق المفسرون واتفقت الرواية وأيده التاريخ: أن رسول الله صلى الله عليه وآله حضر للمباهلة ولم

[٥١]

يحضر معه إلاّ عليّ وفاطمة والحسنان عليهم السّلام، فلم يحضر لها إلاّ نفسان وإبنان وإمرأة واحدة. والابتهال: من البهلة وهي اللّعنة، هذا أصله ثمّ كثر استعماله في الدعاء والمسألة، إذا كان مع إصرار وإلحاح. (فنجعل لعنة الله) كالبيان للابتهال. (على الكاذبين) ليس المراد جعل اللعنة على كل كاذب، بل على الكاذبين الواقعين في أحد طرفي المحاجة، وهذا يعطي أن يكون الحاضرون للمباهلة شركاء في الدعوى، فلمن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهم عليّ وفاطمة والحسنان عليه السلام شركة في الدعوى والدعوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا من أفضل المناقب الّتي خص الله بها أهل بيت نبيّه عليه السلام، كما خصهم باسم الأنفس والنساء والأبناء لرسوله صلى الله عليه وآله من بين رجال الأمة ونسائهم وأبنائهم.

٦٢ . (إن هذا لهو القصص...) هذه إشارة إلى ما تقدم من قصص عيسى عليه السلام، أي ما قصصناه هو الحق دون ما تدعيه النصارى من أمر عيسى.

---

٦٣ . (فإن تولّوا فإنّ الله...) فإن تولوا فإنما هو لكونهم لايريدون بالمحاجة ظهور الحق، بل الغلبة الظاهرية، فهم لا يريدون إصلاحاً، بل إفساد الدنيا بإفساد الحياة السعيدة، فإن تولوا فإنما لأنهم مفسدون.

٦٤ . (قل يا أهل الكتاب تعالوا...) تعالوا نأخذ بهذه الكلمة . وهي أن لا نعبد إلاّ الله ولا نشرك... متعاونين متعاضدين في نشرها والعمل بما توجبه. (فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون) استشهاد بأنهم [الرّسول صلى الله عليه وآله ومن اتبعه] على الدّين المرضي عند الله تعالى وهو الاسلام، فينقطع بذلك خصامهم وحجاجهم إذ لا حجّة على الحق وأهله.

٦٥ . (يا أهل الكتاب لم تحاجّون...) محاجتهم في إبراهيم عليه السلام بضم كل طائفة إياه إلى نفسها، فتدعي اليهود أنه كان يهودياً، وتدعي النصارى أنه كان نصرانياً. ومن المعلوم أن اليهودية والنصرانية إنما نشأتا بعد نزول التوراة والانجيل وقد نزلا بعد إبراهيم عليه السلام.

٦٦ . (ها أنتم هؤلاء حاججتم...) الآية تثبت لهم علماً في المحاجة وتنفي علماً. ومن المعلوم أن

المحاجة كانت جارية بين اليهود والنصارى، فكانت النصارى تحاج اليهود في بعثة عيسى عليه السلام ونبوته وهم على علم منه، وكانت اليهود تحاج النصارى وتبطل الوهيته وبنوته والتثليث وهم على علم منه. فهذه محاجتهم فيما لهم به علم. وأما محاجتهم فيما ليس لهم به علم فمحاجتهم في أمر إبراهيم عليه السلام أنه كان يهودياً أو نصرانياً.

٦٧ . (ما كان إبراهيم يهودياً...) قد مرّ تفسيره. وقد قيل: إن عرب الجاهلية من الوثنية كانت تدعي أنهم على دين إبراهيم، ويُدعون بالحنيفية الوثنية، ولما وصف الله سبحانه إبراهيم عليه السلام بقوله: (ولكن كان حنيفاً) وجب بيانه حتى لا يتوهم منه الوثنية فلذلك أردفه بقوله: (مسلماً وما كان من المشركين).

---

٦٨ . (إنّ أولى النّاس...) إن هذا النبيّ المعظم إبراهيم لو أُخذت النسبة بينه وبين من بعده من المنتحلين وغيرهم، لكان الحق أن لا يعد تابعاً لمن بعده، بل تعتبر الأولوية به والأقربية منه، والأقرب من النبيّ الذي له شرع وكتاب، هم الذين يشاركونه اتباع الحق، والأُولى بهذا المعنى بابراهيم عليه السلام هذا النبيّ [الرّسول صلى الله عليه وآله] والّذين آمنوا، لأنهم على الاسلام الذي اصطفى الله به إبراهيم وكذا كل من اتبعه، دون من يكفر بآيات الله ويلبس الحق بالباطل.

٦٩ . (ودّت طائفة من أهل...) حبّهم لإضلال المؤمنين، إضلال بعينه لأنفسهم من حيث لايشعرون.

٧٠ . (يا أهل الكتاب لم تكفرون...) المراد بكفرهم بآيات الله: إنكارهم كون النبيّ صلى الله عليه وآله هو النبيّ الموعود الذي بشرت به التوراة والإنجيل، مع مشاهدتهم انطباق الآيات والعلائم المذكورة فيهما عليه.

٧١ . (يا أهل الكتاب لم تلبسون...) اللَّبس: إلقاء الشبهة والتمويه. أي تظهرون الحق في صورة الباطل.

٧٢ . (وقالت طائفة من أهل...) ورد في سبب نزول الآية عن أئمة أهل البيت عليه السلام: أن هذه الكلمة قالتها اليهود حين تغيير القبلة، حيث صلى رسول الله صلاة الصبح إلى بيت المقدس وهو قبلة اليهود. ثمّ حولت القبلة في صلاة الظهر نحو الكعبة، فقالت طائفة من اليهود: آمِنوا بما أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار، يريدون استقبال بيت المقدس، واكفروا آخره

[٥٢]

يريدون استقبال الكعبة، ويؤيده قولهم بعده:

٧٣ . (ولا تؤمنوا إلاّ لمن تبع...) لا تثقوا بمن لا يتبع دينكم، فتفشوا عنده شيئاً من اسراركم والبشارات التي عندكم، فيخبروا المؤمنين أن من شواهد نبوة النبيّ الموعود تحويل القبلة إلى الكعبة، فإن في إفشائكم ما تعلمونه من كونها من إمارات صدق الدعوة، محذور أن يؤتي المؤمنون مثل ما اوتيتم من القبلة فيذهب به تقدمكم في أمر القبلة، ومحذور أن يقيموا عليكم الحجّة عند ربّكم أنكم كنتم عالمين بأمر القبلة الجديدة ثم لم تؤمنوا. فأجاب الله عن قولهم في كتمان أمر القبلة لئلا يهتدي المؤمنون: بأن الهدى الذي يحتاج إليه المؤمنون إنما هو هدى الله دون هداكم فان المؤمنين في غنى عن ذلك. وأجاب تعالى عمّا ذكروره من مخافة أن يؤتى أحد مثل ما أوتوا: بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا بيدكم حتى تحبسوه لأنفسكم وتمنعوا منه غيركم.

٧٤ . (يختص برحمته من يشاء...) في تبديل الفضل بالرحمة دلالة على أن الفضل من شعب الرّحمة.

٧٥ . (ومن أهل الكتاب...) إشارة إلى اختلافهم في حفظ الأمانات والعهود اختلافاً فاحشاً آخذاً بطرفي التضاد، وأن هذا وإن كان رذيلة ضارّة، إلاّ انه ناشئ بينهم من رذيلة اخرى اعتقادية وهي ما يشتمل عليه قولهم: (ليس علينا في الأُميين سبيل) فانهم كانوا يسمون أنفسهم بأهل الكتاب وغيرهم بالأميين، ومعنى قولهم: نفي أن يكون لغير إسرائيلي على إسرائيلي سبيل، فقد كانوا يزعمون أنهم هم المخصوصون بالكرامة الإلهية، وقد اسندوا قولهم إلى الدّين. (ويقولون على الله الكذب...) إبطال لدعواهم انه ليس علينا في الأُميين سبيل.

٧٦ . (بلى من أوفى بعهده...) مفاد الكلام: ان الكرامة الإلهية يشترط في نيلها الوفاء بعهد الله، وميثاقه، والتقوى في الدين، فإذا تمّت الشرائط حصلت الكرامة وهي المحبّة والولاية الإلهية التي لا تعدو عباده المتقين.

٧٧ . (إنّ الّذين يشترون...) إن الكرامة الإلهية خاصة بمن أوفى بعهده واتقى، لأن غيرهم . وهم الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً . لا كرامة لهم. (أولئك لا خلاق لهم...) الخلاق: النصيب. والتزكية: الإنماء نمواً صالحاً. ونفي النصيب عنهم في الآخرة لاختيارهم نصيب الدنيا، والمراد بالثمن القليل هو الدنيا.

٧٨ . (وإن منهم لفريقاً...) ليّ اللسان: إمالته. والظاهر أن المراد بذلك: أنهم يقرأون ما افتروه من

الحديث على الله سبحانه، بألحان ما يقرأون بها الكتاب تلبيساً على الناس ليحسبوه من الكتاب. فهم كانوا يلبسون الأمر على الناس بلحن القول فأبطله الله بقوله: (وما هو من الكتاب)، ثم كانوا يقولون بألسنتهم: (هو من عند الله) فكذبهم الله بقوله أوّلاً: (وما هو من عند الله)، وثانياً بقوله: (ويقولون على الله الكذب)، وزاد في الفائدة أوّلاً: أن الكذب من دأبهم وديدنهم، وثانياً: أن ذلك ليس كذباً صادراً عنهم بالتباس الأمر عليهم، بل هم عالمون به متعمدون فيه.

٧٩ . (ما كان لبشر أن يؤتيه...) لايسع لبشر أن يجمع بين هذه النعم الألهية، وبين دعوة الناس إلى عبادة نفسه، بأن يؤتى الكتاب والحكم والنبوة ثمّ يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله. إنّ البشر الذي هذا شأنه إنّما يدعوكم إلى التلبس بالإيمان واليقين بما في الكتاب الذي تعلمونه وتدرسونه من أصول المعارف الإلهية، والاتصاف والتحقّق بالملكات والأخلاق الفاضلة التي يشتمل عليها، حتى تنقطعوا بذلك إلى ربّكم وتكونوا علماء ربّانيين.

٨٠ . (ولا يأمركم أن تتّخذوا...) إنكم على تقدير إجابتكم هذا البشر الذي أوتي الكتاب والحكم والنبوة تكونون مسلمين لله متحلين بحلية الاسلام، فكيف يمكنه أن يأمركم بالكفر ويضلكم عن السبيل الذي هداكم إليه بإذن الله سبحانه.

---

٨١ . (وإذ أخذ الله ميثاق...) الإصر: العهد. والمعنى: إن الله أخذ الميثاق من النبيين وأممهم أن لو آتاهم الله الكتاب والحكمة وجاءهم رسول مصدق لما معهم ليؤمنن بما آتاهم وينصرن الرّسول، وذلك من الأنبياء تصديق من المتأخر للمتقدم والمعاصر وبشارة من المتقدم بالمتأخر وتوصية الأمة، ومن الأمة الإيمان والتصديق والنصرة، ولازم ذلك وحدة الدّين

[٥٣]

الإلهي.

٨٢ . (فمن تولّى بعد ذلك...) تأكيد للميثاق المأخوذ، والمعنى واضح.

٨٣ . (أفغير دين الله يبغون...) أفغير الإسلام يبغون وهو دين الله لأن من في السّماوات والأرض مسلمون له منقادون لأمره، فإن رضوا به كان انقيادهم طوعاً من أنفسهم، وإن كرهوا ما شاءه وأرادوا غيره كان الأمر أمره وجرى عليهم كرهاً من غير طوع.

ومن هنا يظهر أن الواو في قوله: (طوعاً وكرهاً) للتقسيم، وأن المراد بالطوع والكره: رضاهم بما أراد الله فيهم مما يحبونه، وكراهتهم لما أراده فيهم مما لا يحبونه كالموت والفقر والمرض.

٨٤ . (قل آمنّا بالله وما أُنزل...) أمر النبيّ أن يجري على الميثاق الذي أُخذ منه ومن غيره، فيقول عن نفسه وعن المؤمنين من أمته: (آمنّا بالله...)، وهذا من الشواهد على أن الميثاق مأخوذ من

الأنبياء وأممهم جميعاً. (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل...) هؤلاء المذكورون بأسمائهم هم الأنبياء من آل إبراهيم. ولا تخلو الآية من إشعار بأن المراد بالاسباط هم الأنبياء من ذرية يعقوب أو من أسباط بني إسرائيل كداود وسليمان ويونس وأيوب وغيرهم. (والنبيّون من ربِّهم) تعميم الكلام ليشمل آدم ونوحاً ومن دونهما.

٨٥ . (ومن يبتغ غير الاسلام...) نفي لغير مورد الإثبات من الميثاق المأخوذ، وفيه تأكيد لوجوب الجري على الميثاق.

(٩٢/١)

---

٨٦ . (كيف يهدي الله قوماً...) الاستفهام يفيد الاستبعاد والانكار، والمراد استحالة الهداية. والمراد بالكفر: الكفر بعد ظهور الحق وتمام الحجة. وأما قوله: (وشهدوا أن الرّسول حق) فإن كان المراد بهم أهل الكتاب، فشهادتهم هي مشاهدتهم أن آيات النبوة الّتي عندهم منطبقة على رسول الله صلى الله عليه وآله. وإن كان المراد بهم أهل الردة من المسلمين، فشهادتهم هي إقرارهم بالرّسالة.

٨٧، ٨٨ . (أولئك جزاؤهم أن عليهم...) [مرّ الكلام في اللعنة عليهم في تفسير الآية ١٥٩ من سورة البقرة].

٨٩ . (إلاّ الّذين تابوا...) دخلوا في الصلاح، والمراد به: كون توبتهم نصوحاً تغسل عنهم درن الكفر وتطهر باطنهم بالإيمان. وأما الإتيان بالاعمال الصالحة فهو وإن كان مما يتفرع على ذلك ويلزمه، غير أنه ليس بمقوم لهذه التوبة ولا ركناً منها، ولا في الآية دلالة عليه. وفي قوله: (فإنّ الله غفور رحيم) وضع العلّة موضع المعلول، والتقدير: فيغفر الله له فإن الله غفور رحيم.

٩٠، ٩١ . (إنّ الّذين كفروا بعد...) إن الذي يكفر بعد ظهور الحق وتمام الحجة، ولا يتوب بعده توبة مُصلحة، إنما هو أحد رجلين: إما كافر يكفر ثمّ يزيد كفراً فيطغى ولا سبيل للصلاح إليه، فهذا لا يهديه الله ولا يقبل توبته لأنه لايرجع بالحقيقة، بل هو منغمر في الضلال ولا مطمع في إهتدائه. وإما كافر يموت على كفره وعناده من غير توبة يتوبها، فلا يهديه الله في الآخرة بأن يدخله الجنّة، إذ لم يرجع إلى ربه، ولا شفيع ولا ناصر حتى يشفع له أو ينصره.

وقد اشتملت الآية الثانية على ذكر نفي الفداء والناصرين لكونهما كالبدل، والبدل إنما يكون من فائت يفوت الإنسان، وقد فاتتهم التوبة في الدنيا ولا بدل لها يحل محلها في الآخرة.

(٩٣/١)

---

٩٢ . (لن تنالوا البرّ...) النيل: الوصول. والبرّ: التوسع في فعل الخير. والمراد: أن انفاق المال على حبه أحد أركان البرّ الذي لا يتم إلاّ باجتماعها [أي باجتماع تلك الأركان والّتي تحدثت عنها الآية ١٧٧ من سورة البقرة]. (وما تنفقوا من

[٥٤]

شيء...) تطييب لنفوس المنفقين أن ما ينفقونه من المال المحبوب عندهم لا يذهب مهدوراً من غير أجر، فإن الله الذي يأمرهم به عليم بانفاقهم وما ينفقونه.

٩٣ . (كلّ الطعام كان حلاًّ...) إسرائيل: هو يعقوب النبيّ عليه السلام. والآية تتعرض لشبهة كانت تلقيها اليهود لا على رسول الله صلى الله عليه وآله، بل على المؤمنين في ضمن ما كانوا يتلاقون ويتحاورون، وحاصلها: انه كيف يكون النبيّ صادقاً وهو يخبر بالنسخ، وأن الله إنما حرّم الطيبات على بني إسرائيل لظلمهم، وهذا نسخ لحل سابق لا يجوز على الله سبحانه، بل المحرّمات محرّمة دائماً من غير إمكان تغيير لحكم الله. وحاصل الجواب من النبيّ صلى الله عليه وآله بتعليم من الله تعالى: إن التوراة ناطقة بكون كل الطعام حلاً قبل نزولها، فأتوا بالتوراة واتلوها إن كنتم صادقين في قولكم.

٩٤ . (فمن افترى على الله...) ظاهره أنه كلام الله سبحانه يخاطب به نبيّه صلى الله عليه وآله، وعلى هذا ففيه تطييب لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله بأن أعداءه من اليهود هم الظالمون بعد هذا البيان، لافترائهم الكذب على الله، وتعريض لليهود.

٩٥ . (قل صدق الله فاتبعوا...) فإذا كان الحق معي فيما أخبرتكم به ودعوتكم إليه، فاتبعوا ديني واعترفوا بحلية لحم الإبل وغيره من الطيبات التي أحلها الله، وانما حرّمها الله عليكم عقوبة لاعتدائكم وظلمكم كما أخبر تعالى به.

---

٩٦ . (إنّ أوّل بيت وضع...) المراد بوضع البيت للنّاس: وضعه لعبادتهم. وبكة: أرض البيت سميت بكة لازدحام الناس فيها، وربّما قيل: هي مكة، وقيل: اسم للحرم. وقيل: المسجد، وقيل: المطاف. ومباركاً: من البركة وهي الخير الكثير. وكونه هدىً: هو إرادته للناس سعادة آخرتهم.

٩٧ . (فيه آيات بيّنات...) بيان مزايا البيت ومفاخره التي يتقدم بها على غيره في الشرف. والآيات هي: مقام إبراهيم، وتقرير الأمن فيه، وايجاب حجه على الناس المستطيعين. (ومن كفر فان الله غني عن العالمين) الكفر هاهنا من الكفر بالفروع نظير الكفر بترك الصّلاة والزّكاة. والتقدير: ومن ترك الحج فلا يضر الله شيئاً فإن الله غني عن العالمين.

٩٨ . (قل يا أهل الكتاب لِمَ تكفرون...) المراد بالآيات: حلية الطعام قبل نزول التوّراة، وكون القبلة

هي الكعبة في الإسلام.

٩٩ . (قل يا أهل الكتاب لِمَ تصدّون...) الصّد: الصرف. (تبغونها عوجاً) المراد: طلب سبيل الله معوجاً من غير استقامة.

١٠٠ . (يا أيّها الّذين آمنوا إن...) المراد بالفريق: هم اليهود أو فريق منهم.

١٠١ . (وكيف تكفرون وأنتم تُتلى...) يمكنكم أن تعتصموا بالحق، بالإنصات إلى آيات الله والتدبر فيها، ثمّ الرجوع فيما خفي عليكم أو الرجوع ابتداءً إلى رسوله الذي هو فيكم غير محتجب عنكم ولا بعيد منكم، واستظهار الحق بالرجوع إليه ثمّ إبطال شبه القتها اليهود إليكم. والتمسك بآيات الله وبرسوله والاعتصام بهما اعتصام بالله. ويتبين من الآية أن الكتاب والسنّة كافيان في الدلالة على كل حق يمكن أن يُضل فيه.

---

١٠٢ . (يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا...) تقوى الله سبحانه أن يطاع ولا يعصى ويُخضع له فيما أعطى أو منع. وإذا أُخذت التقوى حق التقوى كانت محض العبودية الّتي لا تشوبها إنية وغفلة، وهي الطاعة من غير معصية، والشكر من غير كفر، والذكر من غير نسيان، وهو الإسلام الحق، أعني الدرجة العليا من درجاته. وعلى هذا يرجع معنى قوله: (ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون) إلى نحو قولنا: ودوموا على هذه الحال «حق التقوى» حتى تموتوا.

١٠٣ . (واعتصموا بحبل الله...) حبل الله هو الكتاب المنزل من عند الله. [والآية تبين حالهم قبل الإيمان] فهؤلاء وهم طائفة من المسلمين كانوا قد آمنوا بعد كفرهم وهم المخاطبون الأقربون بهذه الآيات، لم يكونوا يعيشون مدى حياتهم قبل الإسلام إلاّ في حال تهددهم الحروب آناً بعد آن، ولم يكونوا يفقهون ما حقيقة الأمن العام الذي يعم المجتمع. ثمّ لما اجتمعوا على الاعتصام بحبل الله ولاحت لهم حياة السعادة، وجدوا صدق ما يذكرهم الله من هنيء النعمة.

١٠٤ . (ولتكن منكم أمّة...) قيل ان «من» للتبعيض بناءً على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا الدعوة من الواجبات الكفائية.

[٥٥]

١٠٥ . (ولا تكونوا كالّذين تفرّقوا...) المراد بالاختلاف: التفرق من حيث الاعتقاد. وبالتفرق: الاختلاف والتشتت من حيث الأبدان. وقدم التفرق على الاختلاف لأنه كالمقدمة المؤدية إليه، فكأنه تعالى يقول: ولا تكونوا كالذين تفرقوا بالأبدان أوّلاً وخرجوا من الجماعة، وأفضاهم ذلك إلى اختلاف العقائد والآراء أخيراً.

١٠٦، ١٠٧ . (يوم تبيضّ وجوه...) لما كان المقام مقام الكفر بالنعمة وهو نظير الخيانة، مما يوجب الخجل، ذكر سبحانه من بين أنواع عذاب الآخرة ما يناسبها بحسب التمثيل وهو سواد الوجه الذي يكنى به في الدنيا عن الانفعال والخجل ونحوهما. وكذا ذكر من ثواب الشاكرين لهذه النعمة ما يناسب الشكر وهو بياض الوجه المكنى به في الدنيا عن الارتضاء والرضا.

١٠٨ . (تلك آيات الله...) إن هذه الآيات الكاشفة عن ما يصنع الله بالطائفتين: الكافرين والشاكرين، مصاحبة للحق من غير أن تجري على نحو الباطل والظلم، وأن الله لا يريد ظلماً أي ظلم لجميع العالمين.

١٠٩ . (ولله ما في السّماوات...) لما ذكر أن الله لايريد الظلم، علل ذلك بما يزول معه توهم صدور الظلم، فذكر أن الله تعالى يملك جميع الأشياء من جميع الجهات، فله أن يتصرف فيها كيف يشاء، فملكه دليل على أنه تعالى ليس بظالم. وهناك دليل آخر: وهو أن مرجع جميع الأمور أياً ما كانت إليه تعالى، فليس لغيره تعالى من الأمر شيء حتى يسلبه الله عنه وينتزعه من يده فيكون بذلك ظالماً.

١١٠ . (كنتم خير أمّة...) إنكم معاشر أمة الإسلام كنتم في أول ما تكونتم وظهرتم للناس، خير أمة ظهرت، لكونكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتعتصمون بحبل الله متفقين متحدين كنفس واحدة، ولو كان أهل الكتاب على هذا الوصف أيضاً لكان خيراً لهم، لكنهم اختلفوا، منهم أمة يؤمنون وأكثرهم فاسقون.

١١١ . (لن يضرّوكم إلاّ أذىً...) الأذى: ما يصل إلى الحيوان من الضرر إما في نفسه أو جسمه أو تبعاته دنيوياً كان أو أخروياً، على ما ذكره الراغب.

١١٢ . (ضُربت عليهم الذلّة...) المراد بضرب الذلّة عليهم: القضاء التشريعي بذلتهم، والدليل على ذلك قوله: (أينما ثقفوا) فإن ظاهر معناه: أينما وجدهم المؤمنون أي تسلطوا عليهم، وهو إنما يناسب الذلة التشريعية التي من آثارها الجزية. فيؤول معنى الآية إلى أنهم أذلاء بحسب حكم الشرع الإسلامي إلاّ أن يدخلوا تحت الذمّة أو أمان من الناس بنحو من الأنحاء. (وباءوا بغضب من الله...) باءوا: اتخذوا مباءة ومكاناً، أو رجعوا. والمسكنة: أشد الفقر، والظاهر أن المسكنة أن لا يجد الانسان سبيلاً إلى النجاة والخلاص عمّا يهدده من فقر أو أي عُدم. (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)

أنهم عصوا وكانوا قبل ذلك يستمرون على الاعتداء.

١١٣ . (ليسوا سواء من أهل...) ليسوا مستوين في الوصف والحكم فإن منهم (أمة قائمة يتلون آيات...)، ومن هنا يظهر أن قوله: (من أهل الكتاب...) في مقام التعليل يبين فيه وجه عدم استواء أهل الكتاب. والمراد في قوله: (قائمة): القيام على الإيمان والطاعة. والآناء: جمع إنى، وقيل: إنو وهو الوقت.

١١٤ . (يؤمنون بالله واليوم...) عدّد الله سبحانه لهم جمل مهمات الصّالحات وهي الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسارعة في كل خير، ثمّ وصفهم بأنهم صالحون فهم أهل الصراط المستقيم. قيل: المراد بهؤلاء الممدوحين عبدالله بن سلام وأصحابه.

١١٥ . (وما يفعلوا من خير...) يشكر الله لهم، فيرده إليهم من غير ضيعة، كما قال تعالى: (ومن تطوّع خيراً فإن الله شاكر عليم) البقرة: ١٥٨.

١١٦ . (إنّ الّذين كفروا...) المراد بهؤلاء: هم الطائفة الأخرى من أهل الكتاب الذين لم يستجيبوا دعوة النبوّة،

[٥٦]

وكانوا يوطئون على الإسلام ولا يألون جهداً في إطفاء نوره.

---

١١٧ . (مثلُ ما ينفقون في...) إن إنفاقهم في هذه الحياة وهم يريدون به اصلاح شأنهم ونيل مقاصدهم الفاسدة، لا يثمر إلاّ الشقاء، وفساد ما يريدونه ويحسبونه سعادة لأنفسهم كالريح التي فيها صر [البرد الشديد] تهلك حرث الظالمين، وليس ذلك إلاّ ظلماً منهم لأنفسهم فإن العمل الفاسد لا يأتي إلاّ بالأثر الفاسد.

١١٨ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تتّخذوا...) سميت الوليجة بطانة وهي ما يلي البدن من الثوب، لكونها تطلع على باطن الإنسان. وقوله: (لا يألونكم): لا يقصرون فيكم. (خبالاً): شراً وفساداً. (ودّوا ما عنتّم): ودّوا وأحبوا عنتّكم وشدّة ضرركم. (قد بدت البغضاء من أفواههم) أُريد به: ظهور البغضاء والعداوة من لحن قولهم وفلتات لسانهم. ولم يُبين ما في صدورهم بل أبهم قوله: (وما تخفي صدورهم أكبر) للإيماء إلى أنه لا يوصف لتنوعه وعظمته.

١١٩ . (ها أنتم أولاء تحبونهم...) ها: للتنبيه. أولاء: اسم إشارة. والمعنى أنتم هؤلاء، على حد قولهم: زيد هذا وهند هذه كذا وكذا. (وتؤمنون بالكتاب كلّه) أي وأنتم تؤمنون بجميع الكتب السّماوية النازلة من عند الله، كتابهم وكتابكم، وهم لا يؤمنون بكتابكم. (وإذا لقوكم قالوا آمنّا) أي انهم منافقون. (وإذا خلوا عضّوا عليكم...) عض الأنامل على شيء: مثل يضرب للتحسر والتأسف غضباً وحنقاً. (قل

موتوا بغيظكم) دعاء عليهم في صورة الأمر، وبذلك تتصل الجملة بقوله: (إنّ الله عليم بذات الصدور) أي اللّهمّ أمتهم بغيظهم إنك عليم بذات الصدور، أي القلوب.

١٢٠ . (إن تمسسكم حسنة تسؤهم...) المساءة خلاف السرور. وفي الآية دلالة على أن الأمن من كيدهم مشروط بالصبر والتقوى.

(٩٩/١)

---

١٢١ . (وإذا غدوت من...) واذكر إذ خرجت بالغداة من أهلك تهيئ للمؤمنين مقاعد للقتال أو تسكنهم وتوقفهم فيها، والله سميع لما قيل هناك، عليم بما أضمرته قلوبهم. وفيه دلالة على كلام جرى هناك بينهم، وأمور أضمروها في قلوبهم. والمستفاد من قوله: (وإذ غدوت من أهلك) قرب المعركة من داره صلى الله عليه وآله، فيتعين بذلك أن الآية ناظرة إلى غزوة أُحد.

١٢٢ . (إذ هَمّت طائفتان...) الهمّ: ما هممت به في نفسك وهو القصد. والفشل: ضعف مع جبن. والمعنى: انهما همتا بالفشل، مع أن الله وليّهما ولا ينبغي لمؤمن أن يفشل وهو يرى أن الله وليه، ومع أن المؤمنين ينبغي أن يكلوا أمرهم إلى الله، ومن يتوكل على الله فهو حسبه.

١٢٣ . (ولقد نصركم الله ببدر...) وما كان ينبغي أن يظهر منكم الهمّ والفشل وقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة.

١٢٤ . (إذ تقول للمؤمنين...) الإمداد: من المدد وهو إيصال المدد على نحو الإتصال.

١٢٥ . (بلى إن تصبروا وتتّقوا...) بلى: كلمة تصديق. والفور والفوران: الغليان، ثمّ استعير للسرعة والعجلة، فاستعمل في الأمر الّذي لا ريث فيه ولا مهلة، فمعنى (من فورهم هذا): من ساعتهم هذه. والظاهر أن مصداق الآية هو يوم بدر، وإنما هو وعد على الشرط وهو ما يتضمّنه قوله: (إن تصبروا وتتّقوا...).

١٢٦ . (وما جعله الله إلاّ بشرى...) إن الملائكة الممدين ليس لهم من أمر النصر شيء، بل هم أسباب ظاهرية يجلبون لكم البشرى وطمأنينة القلب، وإنما حقيقة النصر من الله سبحانه لا يُغني عنه شيء، وهو الله الّذي ينتهي إليه كل أمر، العزيز الّذي لا يُغلب، الحكيم الّذي لا يجهل.

(١٠٠/١)

١٢٧، ١٢٨ . (ليقطع طرفاً من الّذين...) قطع الطرف: كناية عن تقليل عدتهم وتضعيف قوتهم بالقتل والأسر. والكبت: الإخزاء والإغاظة. وقوله: (ليس لك من الأمر شيء) معترضة، فائدتها بيان

أن الأمر في القطع والكبت لله، وليس للنبيّ صلى الله عليه وآله فيه صنع حتى يمدحوه إذا ظفروا على عدوهم، ويلوموه إذا دارت الدائرة عليهم. ومعنى الآيتين: إن هذا التدبير المتقن منه تعالى إنما هو ليقطع طرفاً من المشركين بالقتل والأسر، أو ليخزيهم ويخيبهم في سعيهم، أو ليتوب عليهم أو ليعذبهم.

١٢٩ . (ولله ما في السّماوات...) الله هو المالك لكل شيء فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ومع ذلك فإن مغفرته ورحمته تسبقان عذابه وغضبه فهو الغفور الرّحيم.

١٣٠ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تأكلوا...) قوله: (اضعافاً مضاعفة) يشير إلى الوصف الغالب في الرّبا، فإنه بحسب الطبع يتضاعف فيصير المال أضعافاً مضاعفة بإنفاد مال الغير وضمه إلى رأس المال الربوي.

١٣١ . (واتقوا النّار التي...) إشارة إلى كفر آكل الرّبا.

١٣٣ . (وسارعوا إلى مغفرة من ربِّكم...) المسارعة: الاشتداد في السّرعة، وهي ممدوحة في الخيرات مذمومة في الشرور.

والمراد بالعرض في قوله: (وجنّة عرضها) السعة، وهو استعمال شائع، وكأن التعبير كناية عن بلوغ الجنة في السعة غايتها أو ما لا يحدها الخيال البشري.

وقوله: (أُعدّت للمتّقين) كالتوطئة لما يذكره في الآية التالية من أوصاف المتقين.

١٣٤ . (الّذين ينفقون في السرّاء والضرّاء...) السرّاء والضرّاء: ما يَسرّ الإنسان ويسوؤه، أو اليسر والعسر. والكظم: شد رأس القربة بعد ملئها، فاستعير للإنسان إذا امتلأ حزناً أو غضباً. والغيظ: هيجان الطبع للانتقام، بخلاف الغضب فهو إرادة الانتقام أو العقوبة، ولذلك يقال: غضب الله، ولا يقال: اغتاظ. والاحسان: إتيان الأعمال على وجه حسن على أساس الاستقامة والثبات على الإيمان بالله سبحانه.

---

١٣٥ . (والّذين إذا فعلوا فاحشة...) الفاحشة: ما تتضمّن الفحش والقبيح من الأعمال، وقد شاع استعمالها في الزِّنا. والمراد بالظلم سائر المعاصي الكبيرة والصغيرة.

١٣٦ . (أُولئك جزاؤهم مغفرة...) بيان لأجرهم الجزيل.

١٣٧ . (قد خلت من قبلكم...) السنن: جمع سُنة وهي الطريقة التي يسلكها المجتمع. والأمر بالسير في الأرض هو للاعتبار بآثار الماضين من الأمم الغابرة، وقد جعلهم الله أحاديث يعتبر بها المعتبرون.

١٣٨ . (هذا بيان للنّاس...) الاعتبار بآثار الماضين هو بلاغ وبيان للبعض وهدى وموعظة

لآخرين.

١٣٩ . (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم...) الوهن: الضعف في خَلق أو خُلق. والمراد به هنا ضعفهم من حيث العزيمة وقتال أعداء الدين. وسبب وهنهم هو ما حدث في واقعة أُحد واستشهاد سبعين من سراة المسلمين وشجعانهم.

والمعنى: لا ينبغي لكم أن تهنوا في عزمكم ولا أن تحزنوا لما فاتكم من الظفر على اعدائكم إن كان فيكم الإيمان، فان الإيمان أمر يستصحب علاكم، إذ انه يلازم التقوى والصبر وفيهما ملاك الفتح والظفر.

١٤٠ . (إن يمسسكم قرح...) القرح: الأثر من الجراحة، وهو كناية عما أصاب المسلمين يوم أُحد.

والمعنى: إن القرح الّذي أصابكم لستم بمتفردين فيه بل ان المشركين قد أصابهم مثله، فلم يتفوقوا عليكم بشيء حتى يوجب ذلك وهنكم وحزنكم. (وتلك الأيام نداولها...) أي ان السنّة الإلهية جرت على مداولة الأيام بين الناس من غير ان توقف على قوم ويذب عنها قوم، وذلك لمصالح عامة تتبع هذه السنّة، لا تحيط أفهامكم إلاّ ببعضها. (وليعلم الله الّذين آمنوا...) المراد به ظهور إيمان المؤمنين بعد خفائه. والشهداء: شهداء الأعمال، أما الشهداء بمعنى المقتولين في ساحة القتال فلا يعهد استعماله في القرآن إنما هو من الألفاظ الإسلامية المستحدثة.

---

١٤١ . (وليمحص الله الّذين آمنوا...) التمحيص: تخليص الشيء من الشوائب. والمحق: إنفاد الشيء تدريجاً وإزالته شيئاً فشيئاً. وهذا التمحيص من حكم مداولة الأيام. فان تمييز المؤمن من غير المؤمن أمر، وتخليص إيمانه بعد التمييز من شوائب الكفر والنفاق والفسوق أمر آخر، ولذلك قوبل بالمحق للكافرين. فالله سبحانه يزيل أجزاء الكفر وأمثالها من المؤمن شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى إلاّ ايمانه، فيكون خالصاً لله. ويبيد أجزاء الكفر والشرك وكيد الكافر شيئاً فشيئاً حتى لا يبقى شيء.

١٤٢ . (أم حسبتم أن تدخلوا...) أي هل حسبتم أن تدخلوا الجنة من غير ان يتميز المستحق لها عن غير المستحق... وصاحب الدرجة الرفيعة عن غيره؟

١٤٣ . (ولقد كنتم تمنون...) تثبيت أن ظنهم ذاك . بانّ من آمن بالنبيّ صلى الله عليه وآله يدخل الجنة . هو ظن فاسد، فانهم كانوا يتمنون الموت قبل المعركة، حتى إذا وقعت المعركة ورأوا الموت رأي العين، لم يقدموا على ما كانوا يتمنونه بل تولوا عن القتال. فهل كان من الجائز أن يدخلوا الجنّة بمجرّد هذا التمني من غير ان يمتحنوا أو يمحصوا؟.

١٤٤ . (وما محمّد إلاّ رسول...) معنى الآية على ما فيها من سياق العتاب والتوبيخ: أن محمّداً صلى الله عليه وآله ليس إلاّ رسولاً من الله مثل سائر الرسل، ليس شأنه إلاّ تبليغ رسالة ربه لا يملك

من الأمر شيئاً، وانّما الأمر لله والدّين دينه باق ببقائه، فما معنى اتكاء ايمانكم على حياته، حيث يظهر منكم أنه لو مات أو قتل تركتم القيام بالدين، ورجعتم إلى اعقابكم القهقرى واتخذتم الغواية بعد الهداية. وقوله: (وسيجزي الله الشّاكرين) بمنزلة الاستثناء ممّا قبله على ما يعطيه السّياق، وهو دليل على أن القوم كان فيهم من لم يظهر منه هذا الانقلاب أو ما يُشعر به، كالانسلال والتولي، وهم الشاكرون.

---

١٤٥ . (وما كان لنفس أن تموت...) تعريض لهم في قولهم عن اخوانهم المقتولين بانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا. وقول طائفة اخرى: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا) وهؤلاء من المؤمنين غير المنافقين، الذين تركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وقعدوا عن القتال.

١٤٦ . ١٤٨ . (وكأيّن من نبي قاتل معه...) كأيّن: كلمة تكثير. والرّبيون: جمع ربّي وهو كالرّباني من اختص بربّه تعالى فلم يشتغل بغيره. وقيل المراد به الألوف والرّبي: الألف. والاستكانة: التضرع. وفي الآية موعظة واعتبار فيه عتاب وتشويق للمؤمنين أن يأتموا بهؤلاء الربيين، فيؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة كما آتى الربيين، ويحبهم لاحسانهم كما أحبهم لذلك. وقد حكى الله من فعلهم وقولهم ما للمؤمنين أن يعتبروا به ويجعلوه شعاراً لهم حتى لا يبتلوا بما ابتلوا به يوم أحد من الفعل والقول غير المرضيين لله تعالى، وحتى يجمع الله لهم ثواب الدنيا والآخرة كما جمع ذلك لأولئك الربيين.

١٤٩ . (يا أيّها الّذين آمنوا إن تطيعوا...) لايبعد أن يستفاد من السّياق أن الكفار كانوا أيام نزول الآيات بعد غزوة أحد، يلقون إلى المؤمنين ما يثبطهم عن القتال، ويبث الفرقة والاختلاف فيما بينهم.

١٥٠ . (بل الله مولاكم...) لما بين الله تعالى أن إطاعتهم للذين كفروا والميل إلى ولايتهم يقودهم إلى الخسران الّذي هو رجوعهم إلى اعقابهم كافرين، أضرب عنه بقوله: (بل الله مولاكم وهو خير النّاصرين).

١٥١ . (سنلقي في قلوب الّذين كفروا...) وعد جميل للمؤمنين بأنهم سينصرون من خلال إلقاء الرعب في قلوب الكفار. (بما أشركوا...) اتخذوا ما ليس معه برهان شريكاً لله تعالى.

---

١٥٢ . (ولقد صدقكم الله وعده) تثبيت لصدق وعده بالنصر بشرط التقوى والصبر. (إذ تحسونهم باذنه) الحس . بالفتح: القتل على وجه الاستئصال. وهو ينطبق على ما رزق الله المسلمين في بداية معركة أحد من الظهور على أعدائهم. (حتّى إذا فشلتم...) لكن الرماة تنازعوا فيما بينهم، في ترك مواقعهم لنيل الغنائم. وعلى هذا فلابد من تفسير الفشل هنا بضعف الرأي. ويدل لفظ التنازع على ان الكل لم يكونوا مجمعين على الفشل والمعصية، بل كان بعضهم يصر على الطاعة والبقاء، ولذا قال تعالى بعده: (منكم من يريد الدّنيا ومنكم...). (ثمّ صرفكم عنهم ليبتليكم) كفكم عن المشركين بعد وقوع الاختلاف بينكم ليمتحنكم ويختبر إيمانكم وصبركم في الله. ومع ذلك فان الله سبحانه عفا عنهم بفضله (ولقد عفا عنكم...).

١٥٣ . (إذ تُصعِدون ولا تلوون...) الإصعاد: الذهاب والإبعاد في الأرض، يقال: أصعد في جانب البرّ أي ذهب فيه بعيداً. لا تلوون: لا تلتفتون. أُخراكم: الأُخرى مقابل الأُولى. وكون الرّسول يدعوهم في أخراهم، يدل على انهم تفرّقوا عنه صلى الله عليه وآله على طوائف، أولاهم مبتعدون عنه واخراهم بقربه، وهو يدعوهم دون ان يلتفت إليه أحد لا أولاهم ولا أخراهم، فتركوه بين جموع المشركين وهم يصعدون فراراً من القتل. وقوله تعالى قبيل هذا: (وسيجزي الله الشاكرين) يدل على أن منهم من لم يتزلزل في عزيمته ولم ينهزم لا في أوّل الانهزام، ولا بعد شيوع خبر قتل النبيّ صلى الله عليه وآله.

(فأثابكم غمّاً بغمٍّ لكيلا تحزنوا...) جازاكم غماً بالندامة والحسرة على فوت النصر بدل غم الحزن على ما فاتكم وأصابكم، فان الله تعالى ذمّ في كتابه هذا الحزن.

---

١٥٤ . (ثمّ أنزل عليكم...) الأمنة: الأمن. والآية تدل على أن هذا النعاس إنما غشي طائفة من القوم ولم يعم الجميع، بدليل قوله: (طائفة منكم) وهؤلاء هم الذين رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد الهزيمة والإصعاد لما ندموا وتحسّروا. وأما الطائفة الثانية من القوم فهم الذين يذكرهم الله تعالى بقوله: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) وهؤلاء لم يكرمهم الله بما أكرم الطائفة الأولى من العفو وإثابة الغم ثم الأمنة والنعاس، بل وكلهم إلى أنفسهم. وقد ذكر تعالى من أوصافهم وصفين: الأوّل: (أهمّتهم أنفسهم) فليس لهم همّ إلاّ حفظ حياتهم من القتل. والثاني: (يظنون بالله غير الحقّ...) فهؤلاء كانوا يظنون أن الدين الحق لا يُغلب ولا يُغلب المتدين به لأن الله ينصره من غير قيد وشرط. وهذا هو الظن بغير الحق وهو ظن الجاهلية. ولذلك لما غلبوا وانتشر فيهم القتل، فانهم تشككوا وقالوا: (هل لنا من الأمر شيء). فأمر الله رسوله صلى الله عليه وآله أن يجيبهم: (قل إنّ الأمر كلّه لله). ثمّ ان هؤلاء أخفوا قولاً ثانياً لهم لاشتماله على ترجيح الكفر على الإسلام وهو: (لو كان لنا من

الأمر شيء ما قتلنا هاهنا...). فأمر الله تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يجيبهم فقال: (قل لو كنتم في بيوتكم...) فلا مفرّ من الأجل المسمّى الذي لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون، وأن سنّة الله جرت على عموم الابتلاء والتمحيص وهي واقعة لا محالة.

١٥٥ . (إنّ الّذين تولّوا منكم...) استزلال الشيطان إياهم: إرادته وقوعهم في الزلة، ولم يرد ذلك منهم إلاّ بسبب بعض ما كسبوا في نفوسهم وأعمالهم، فان بعض ما اقترفوا من الذنوب والآثام مكّن الشيطان أن أغواهم بالتولي والفرار.

(١٠٦/١)

(ولقد عفا الله عنهم...) العفو المذكور في هذه الآية يختلف عن العفو المذكور في الآية السابقة. فلم يذكر في هذه الآية ما ذكره في الآية السابقة من اكرام تلك الطائفة بالاثابة والأمنة والنعاس وتسميتهم بالمؤمنين. كما انه تعالى في هذه الآية ختم الكلام بذكر حلمه: (إنّ الله غفور حليم) والعفو مع الحلم إغماض مع استبطان سخط.

١٥٦ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تكونوا...) الآية تنهى المؤمنين أن يكونوا كالكافرين فيقولوا لمن مات منهم خارج بلده أو قومه، وفيمن قتل منهم في غزوة: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا. فان هذا القول يسوق الانسان إلى عذاب قلبي ونقمة إلهية وهو الحسرة في القلوب (ليجعل الله ذلك حسرة). وهذا القول هو من الجهل، فان القرب والبعد منهم ليس بمحيي ومميت، بل ان الاحياء والاماتة من الشؤون المختصة بالله وحده (والله يحيي ويميت). فليتقوا الله ولا يكونوا مثلهم فان الله (بما يعملون بصير).

١٥٧ . (ولئن قتلتم في سبيل الله...) الظاهر أن المراد بقوله: (ممّا يجمعون) هو المال وما يلحق به. وقد قدم القتل على الموت في هذه الآية، لأن القتل في سبيل الله أقرب إلى المغفرة من الموت.

١٥٨ . (ولئن مُتّم أو قُتلتم...) عاد في هذه الآية إلى الترتيب الطبيعي بتقديم الموت على القتل لفقد النكتة الزائدة [في الآية السّابقة حيث قُدم فيها القتل على الموت].

١٥٩ . (فبما رحمة من الله...) الفظّ: الجافي القسي. وغلظ القلب: كناية عن عدم الرقة والرأفة. والانفضاض: التفرق. ومعنى الآية: فقد لان لكم رسولنا برحمة منا، ولذلك أمرناه أن يعفو عنكم ويستغفر لكم ويشاوركم في الأمر، وأن يتوكل علينا إذا عزم.

١٦٠ . (إن ينصركم الله فلا غالب...) أمر الله سبحانه المؤمنين في هذه الآية بالتوكل، فقال: (وعلى الله فليتوكّل المؤمنون) لإيمانهم بالله الّذي لا ناصر ولا معين إلاّ هو.

(١٠٧/١)

١٦١، ١٦٢ . (وما كان لنبيٍّ أن يغلَّ...) الغلّ: الخيانة. والمعنى: حاشا أن يغل ويخون النبيّ ربه أو الناس، والحال أن الخائن يلقى ربه بخيانته ثم توفّى نفسه ما كسبت. ثمّ ذكر تعالى أن رمي النبيّ بالخيانة قياس جائر مع الفارق، فانّه متّبع رضوان الله لا يعدو رضى ربّه. وأن الخائن باء بسخط عظيم من الله (ومأواه جهنّم وبئس المصير).

١٦٣ . (هم درجات عند الله...) هذه الطوائف من المتّبعين لرضوان الله والبائين بسخط من الله، درجات مختلفة، والله بصير بالأعمال، فلا تزعموا أنه يفوته الحقير من خير أو شر.

١٦٤ . (لقد منَّ الله على المؤمنين...) الآية مسوقة سوق الامتنان والمنّ على المؤمنين لصفة إيمانهم، ولذا قيل: (على المؤمنين).

١٦٥ . (أوَ لمّا أصابتكم مصيبة...) إنكم أنفسكم اخترتم هذه المصيبة. وذلك انهم اختاروا الفداء من الأسرى يوم بدر، وكان الحكم فيهم القتل، وشرط عليهم أنكم إن قبلتم الفداء، قتل منكم في القابل بعدتهم، فقالوا: رضينا فإنا نأخذ الفداء وننتفع به وإذا قتل منّا فيما بعد كنا شهداء. وقد وصفت المصيبة بقوله: (قد أصبتم مثليها) وهو اشارة إلى مقايسة ما أصابهم الكفار يوم أحد وهو قتل سبعين رجلاً منهم [من المسلمين]، بما أصابوا الكفار يوم بدر، فانهم قتلوا منهم يوم بدر سبعين رجلاً وأسروا سبعين رجلاً.

١٦٦ . (وما أصابكم يوم التقى...) ذِكر استناد المصيبة إلى إذن الله بمنزلة البيان لقوله: (هو من عند أنفسكم)، وليكون توطئة لانضمام قوله: (وليعلم المؤمنين)، وبانضمامه يتمهد الطريق للتعرض لحال المنافقين.

١٦٧ . (وليعلم الذين نافقوا...) تعرضٌ لحال المنافقين وما تكلموا به وجوابه، وبيان حقيقة هذا الموت الّذي هو القتل في سبيل الله. وقوله: (أو ادفعوا) أي لو لم تقاتلوا في سبيل الله فادفعوا عن حريمكم وأنفسكم. وقوله: (هم للكفر يومئذ...) اللاّم بمعنى (إلى)، فهذا حالهم بالنسبة إلى الكفر الصريح. وقوله: (يقولون بأفواههم...) ذكر الأفواه للتأكيد، وللتقابل بينها وبين القلوب.

١٦٨ . (الّذين قالوا لاخوانهم...) المراد باخوانهم: اخوانهم في النسب وهم القتلى. وانما ذكر أُخوّتهم لهم ليكون مع انضمام قوله: (وقعدوا) أوقع تعيير وتأنيب عليهم، فانهم قعدوا عن امداد اخوانهم حتى أصابهم ما أصابهم من القتل الذريع. وقوله: (قل فادرأوا) جواب عن قولهم ذاك. والدرء: الدفع.

١٦٩ . (ولا تحسبنّ الّذين قتلوا...) المراد بالموت: بطلان الشعور والفعل، ولذا ذكرهما في قوله: (بل

أحياء...) حيث ذكر الارتزاق وهو فعل، والفرح والاستبشار ومعهما شعور.

١٧٠ . (فرحين بما آتاهم...) انهم فرحون بما وجدوه من الفضل الإلهي الحاضر المشهود عندهم، ويطلبون السرور بما يأتيهم من البشرى بحسن حال الذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

١٧١ . (يستبشرون بنعمة من الله...) هذا الاستبشار أعم من الاستبشار بحال غيرهم وبحال أنفسهم، والدّليل عليه قوله: (وانّ الله لا يضيع أجر المؤمنين) فانه باطلاقه شامل للجميع.

---

١٧٢ . (الّذين استجابوا لله...) الاستجابة والاجابة بمعنى واحد . كما قيل . وهي أن تسأل شيئاً فتجاب بالقبول. ولعلّ ذكر الله والرّسول مع جواز الاكتفاء بذكر أحد اللفظين، إنما هو لكونهم في وقعة أُحد عصوا الله والرّسول، فلمّا استجابوا في هذه الوقعة وضع فيها بحذاء تلك الوقعة استجابتهم لله والرّسول. وفي قوله: (للّذين أحسنوا منهم...) قصر الوعد [بالأجر العظيم] على بعض المستجيبين. فهؤلاء الجماعة ما كانوا خالصين لله في أمره، بل كان منهم من لم يكن محسناً متقياً فيستحق عظيم الأجر من الله سبحانه.

١٧٣ . (الّذين قال لهم النّاس...) (النّاس) الأول غير الثاني. فالثاني أُريد به المشركون، و (النّاس) الأول هم الخاذلون المثبطون الذين كانوا يخذلون المؤمنين عن الخروج إلى قتال المشركين. وقوله: (حسبنا الله) كافينا الله. (ونعم الوكيل) الوكيل هو الّذي يدبر الأمر عن الإنسان.

١٧٤ . (فانقلبوا بنعمة من الله...) حَمَدهم الله تعالى إذ اتبعوا رضوانه فقال: (واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم).

١٧٥ . (إنّما ذلكم الشّيطان يخوف...) ظاهر الإشارة إلى الناس الذين قالوا لهم ما قالوا، فيكون هذا من الموارد التي أطلق فيها القرآن الشيطان على الإنسان، ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك: (فلا تخافوهم) أي الناس القائلين لكم ما قالوا لأن ذلكم الشيطان.

١٧٦ . (ولا يحزنك الّذين يسارعون...) لايحزنك الّذين يسرعون ولا تزال تشتد سرعتهم في الكفر، فانهم لا يضرون الله شيئاً لأنهم مسخرون لله يسلك بهم في سير حياتهم إلى حيث لا يبقى لهم حظ في الآخرة ولهم عذاب أليم.

١٧٧ . (إنّ الّذين كفروا...) إنما قلنا ان هؤلاء المسارعين لا يضرون الله شيئاً لأن الكافرين جميعاً لا يضرونه شيئاً.

١٧٨ . (ولا يحسبنّ الّذين كفروا...) لما طيب الله نفس نبيّه [في الآيتين السّابقتين] عطف الكلام على الكفار أنفسهم، فبين انه لا ينبغي لهم أن يفرحوا بما يجدونه من الاملاء والامهال الإلهي، فان ذلك سوق لهم بالاستدراج إلى زيادة الاثم، ووراء ذلك عذاب مهين ليس معه إلاّ الهوان.

١٧٩ . (ما كان الله ليذر المؤمنين...) عطف الكلام إلى المؤمنين، فبين سبحانه أن سنة الابتلاء جارية فيهم ليتم تكميلهم أيضاً فيخلص المؤمن الخالص من غيره، ويتميز الخبيث من الطيب. ثمّ ذكر انه لما لم يكن من الابتلاء والتكميل محيد، فآمنوا بالله ورسله حتى تنسلكوا في سلك الطيبين دون الخبثاء، غير ان الإيمان وحده لا يكفي في بقاء طيب الحياة حتى يتم الأجر، إلاّ بعمل صالح يرفع الإيمان إلى الله ويحفظ طيبه، ولذلك قال أولاً: (فآمنوا بالله ورسله) ثمّ تممه ثانياً بقوله: (وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم).

١٨٠ . (ولا يحسبنّ الّذين يبخلون...) لمّا بيّن تعالى حال إملاء الكافرين، وكان الحال بالبخل وعدم انفاق المال في سبيل مثله، فانه عطف الكلام إليهم، وبين ان المال شرّ لهم. وفي التعبير عن المال بقوله: (بما آتاهم من فضله) إشعار بوجه لومهم وذمّهم. وقوله: (سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة) في مقام التعليل لكون البخل شرّاً لهم.

وقوله تعالى: (ولله ميراث السماوات) انه حال من يوم القيامة، وكذا قوله: (والله بما تعملون خبير).

١٨١ . (لقد سمع الله قول الّذين...) القائلون هم اليهود، وانما قالوا ذلك لما سمعوا أمثال قوله تعالى: (من ذا الّذي يقرض الله...) البقرة: ٢٤٥. أو أنهم قالوا ذلك لما رأوا فقر عامة المؤمنين، فقالوا ذلك تعريضاً بأن ربهم لو كان غنياً لغار لهم وأغناهم، فليس هو إلاّ فقيراً ونحن أغنياء. (سنكتب ما قالوا) المراد بالكتابة: الحفظ والتثبيت أو الكتابة في صحائف أعمالهم. والمراد بقتل الأنبياء بغير حق: القتل على العرفان والعمد دون السهو والخطأ والجهالة.

١٨٢ . (ذلك بما قدّمت أيديكم...) بما قدّمتم أمامكم من العمل. وقوله (وأنّ الله ليس بظلّام للعبيد) عطف على قوله: (ما قدّمت) وتعليل للكتابة والعذاب، فلو لم يكن ذلك الحفظ والجزاء، لكان إهمالاً لأمر نظام الأعمال، وفي ذلك ظلم كثير بكثرة الأعمال، فيكون ظلاماً لعباده تعالى عن ذلك.

١٨٣ . (الّذين قالوا إنّ الله...) العهد: الأمر. والقربان: ما يتقرب به من النعم وغيره. وأكل النار: كناية عن إحراقها. والمراد بقوله: (قد جاءكم رسل من قبلي) أمثال زكريا ويحيى من أنبياء بني إسرائيل المقتولين بأيديهم.

١٨٤ . (فان كذّبوك فقد كذّبت...) تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله في تكذيبهم له. والزبر: جمع زبور وهو كتاب الحكم والمواعظ، وقد أُريد بالزبر والكتاب المنير مثل كتاب نوح وصحف إبراهيم والتوارة والإنجيل.

١٨٥ . (كل نفس ذائقة الموت...) التوفية: الإعطاء الكامل. والزحزحة: الإبعاد. والفوز: الظفر بالبغية. والآية تتضمّن الوعد للمصدّق، والوعيد للمكذّب. وقد استدلّ بعضهم بالآية على ثبوت البرزخ لدلالتها على سبق بعض الإعطاء وأن الذي في يوم القيامة هو الإعطاء الكامل، وهو استدلال حسن.

(١١٢/١)

---

١٨٦ . (لتبلون في أموالكم وأنفسكم...) بعدما ذكر سبحانه البلاء والابلاء على المؤمنين، ثمّ ذكر قول اليهود وهو ممّا يوهن عزم المؤمنين، أخبرهم تعالى بأن هذا الابلاء الإلهي والأقاويل المؤذية من أهل الكتاب والمشركين ستتكرر على المؤمنين، ويكثر إستقبالها إياهم وقرعها سمعهم، فعليهم أن يصبروا ويتقوا حتى يعصمهم ربهم من الزلل والفشل، ويكونوا أرباب عزم وإرادة، وهذا إخبار قبل الوقوع ليستعدوا لذلك استعدادهم ويوطنوا عليه أنفسهم.

١٨٧ . (وإذ أخذ الله ميثاق...) النبذ: الطرح، ونبذه وراء ظهره: كالمثل يراد به الترك وعدم الاعتناء.

١٨٨ . (لا تحسبنّ الّذين يفرحون...) بما أنعم عليهم من المال، ولازمه حب المال والبخل به. والمفازة: النجاة. وإنما هلك هؤلاء لأن قلوبهم تعلقت بالباطل فلا ولاية للحق عليهم.

١٨٩ . (ولله ملك السّماوات...) ذكر تعالى حديث ملكه للسماوات والأرض، وقدرته على كل شيء، وهذان الوصفان يصلحان لتعليل مضامين جميع ما تقدم من الآيات.

١٩٠ . (إنّ في خلق السّماوات...) كأن المراد بالخلق كيفية وجودها وآثارها وأفعالها من حركة وسكون وتغير وتحول، فيكون خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار مشتملاً على معظم الآيات المحسوسة.

١٩١ . (الّذين يذكرون الله قياماً...) يذكرون الله في جميع حالاتهم من القيام والقعود والاضطجاع، فالنظر في آيات السّماوات والأرض واختلاف الليل والنهار أورثهم ذكراً دائماً لله فلا ينسونه، وتفكراً في خلق السماوات والأرض يتذكرون به أن الله سيبعثهم للجزاء فيسألون عندئذ رحمته ويستنجزون وعده.

١٩٢ . (ربّنا إنّكَ من تُدخل...) لمّا نفوا البطلان عن الخلق، لاح لهم أن الله سيحشر الناس للجزاء، وانه تعالى سيجزي هناك الظالمين جزاء خزي وهو النّار.

١٩٣ . (ربّنا إنّنا سمعنا منادياً...) لما ذكروا إيمانهم بالمنادي وهو الرّسول صلى الله عليه وآله، وهو يخبرهم بامور عن الله تعالى، يحذرهم من بعضها كالذنوب والسيئات والموت على الكفر والذنب، ويرغبهم في بعضها كالمغفرة والرحمة وتفاصيل الجنة الّتي وعد الله عباده المؤمنين الأبرار بها، سألوا ربّهم أن يغفر لهم ويكفّر عن سيئاتهم ويتوفاهم مع الأبرار.

١٩٤ . (ربّنا وآتنا ما وعدتنا...) وسألوا ربّهم أن ينجزهم ما وعدهم من الجنّة والرحمة على ما ضمنه لهم الرسل بإذن الله. فقوله: (على رسلك) أي حملته على رسلك وضمنه عليك الرسل. وقوله: (ولا تخزنا) بإخلاف الوعد، ولذا عقبه بقوله: (إنّك لاتخلف الميعاد).

١٩٥ . (فاستجاب لهم ربّهم...) التعبير بالرّب واضافته إليهم يدل على ثوران الرحمة الإلهية، ويدل عليه أيضاً التعميم الذي في قوله: (انّي لا اُضيع عمل عامل منكم) فلا فرق عنده تعالى بين عمل وعمل، ولا بين عامل وعامل. وعلى هذا فقوله: (فالّذين هاجروا وأخرجوا...) في مقام تفصيل صالحات الأعمال لتثبيت ثوابها. والآية مع ذلك لا تفصّل إلاّ الأعمال الّتي تندب إليها هذه السورة، وتبالغ في الترغيب فيها، وهو إيثار الدين على الوطن وتحمل الأذى في سبيل الله والجهاد. والظاهر أن المراد بالمهاجرة ما يشمل المهاجرة عن الشرك والعشيرة والوطن لإطلاق اللفظ، ولمقابلته قوله: (واخرجوا من ديارهم) وهو هجرة خاصة، ولقوله: (لاكفِّرنّ عنهم سيئاتهم)، فإن ظاهر السيّئات في القرآن صغائر المعاصي، فهم هاجروا الكبائر بالاجتناب والتوبة.

١٩٦، ١٩٧ . (لا يغرنّك تقلب الّذين...) الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله والمقصود به الناس. والتقدير: هذا حال أبرار المؤمنين وهذا أجرهم، وأما ما ترى فيه الكفار من رفاه وترف الحياة ودر المعاش فلا يغرنك ذلك لأنه متاع قليل لا دوام له.

١٩٨ . (لكن الّذين اتقوا ربّهم...) النزل: ما يُعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما، والمراد بهم الأبرار بدليل قوله في آخر الآية: (وما عند الله خير للأبرار).

١٩٩ . (وإنّ من أهل الكتاب...) المراد انهم مشاركون للمؤمنين في حسن الثواب، والغرض منه أن السّعادة الأخروية ليست جنسية حتى يمنع منها أهل الكتاب، بل الأمر دائر مدار الإيمان بالله وبرسله، فلو آمنوا كانوا هم والمؤمنون سواء. وقد نفى عن هؤلاء الممدوحين من أهل الكتاب ما ذمهم به في سوابق الآيات.

٢٠٠ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) الأوامر [الواردة في هذه الآية] مطلقة؛ فالصبر يراد به الصبر على الشدائد، والصبر في طاعة الله، والصبر عن المعصية. والمصابرة: التصبر وتحمل الأذى جماعةً باعتماد صبر البعض على صبر آخرين، فيتقوى الحال ويشتد الوصف ويتضاعف تأثيره. وقوله تعالى: (ورابطوا) أعم معنى من المصابرة، وهي الارتباط بين قواهم وأفعالهم في جميع شؤون حياتهم الدّينية. ولما كان المراد بذلك نيل حقيقة السعادة المقصودة للدنيا والآخرة، عقّب هذه الأوامر بقوله تعالى: (واتّقوا الله لعلّكم تفلحون) يعني الفلاح التام الحقيقي.

«سورة النساء»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (يا أيّها النّاس اتقوا ربّكم...) ظاهر السّياق أن المراد بالنفس الواحدة: آدم عليه السلام، ومن زوجها: زوجته، وهما أبوا هذا النسل. (وخلق منها زوجها) بيان لكون زوجها من نوعها بالتماثل. (وبثّ منها رجالاً...) المراد أن أفراد البشر من ذريّتهما. (واتقوا الله الّذي...) التساؤل: سؤال بعض الناس بعضاً بالله، وهو كناية عن كونه تعالى معظماً عندهم محبوباً لديهم. وأما قوله: (والأرحام) فظاهره أنه معطوف على لفظ الجلالة، والمعنى: واتقوا الأرحام.

---

٢ . (وآتوا اليتامى أموالهم...) أُمر بايتاء اليتامى أموالهم. (ولا تتبدلوا الخبيث بالطّيّب) لا تتبدلوا الخبيث من أموالكم بالطيّب من أموالهم، بأن يكون لهم عندكم مال طيب فتعزلوه لأنفسكم وتردوا إليهم ما يعادله من رديء أموالكم. (إنّه كان حوباً كبيراً) الحوب: الإثم.

٣ . (وإن خفتم ألاّ تقسطوا...) الآية واقعة موقع الترقي بالنسبة إلى النهي في الآية السابقة. والمعنى: إنكم إن خفتم أن لا تقسطوا في اليتيمات ولم تطب نفوسكم أن تنكحوهن وتتزوجوا بهن، فدعوهن وانكحوا نساءً غيرهن ما طاب لكم مثنى وثلاث ورباع. (وإن خفتم...) فمن خاف أن لا يقسط فيهن، فعليه أن ينكح واحدة، وإن أحب أن يزيد في العدد فعليه بالإماء. (ذلك أدنى ألاّ تعولوا) العول: الميل. والمعنى: هذه الطريقة على ما شُرّعت أقرب من أن لا تميلوا عن العدل، ولا تتعدّوا عليهنّ في حقوقهنّ.

٤ . (وآتوا النّساء صدقاتهنّ...) الصداق: المهر. والنحلة: العطية من غير المثامنة. ولعل إمكان توهم عدم جواز تصرف الزوج في المهر أصلاً حتى برضى من الزوجة، هو الموجب للإتيان بالشرط في قوله: (فإن طبن لكم...).

٥ . (ولا تأتوا السّفهاء أموالكم...) السّفه: خفة العقل. والمراد بالسفهاء هم السفهاء من اليتامى. وأن المراد بقوله: (أموالكم) أموالهم.

٦ . (وابتلوا اليتامى حتّى...) الابتلاء: الامتحان. والمراد من بلوغ النكاح: بلوغ أوانه. والإيناس: المشاهدة. والرشد: خلاف الغي وهو الاهتداء إلى مقاصد الحياة. ودفع مال اليتيم كناية عن إعطائه إياه. (فإن آنستم...) بمعنى: وامتحنوهم فإن آنستم منهم الرشد فادفعوا إليهم أموالهم. و (بداراً أن يكبروا) في معنى: حذر أن يكبروا. (ومن كان غنياً) أي لا يحتاج في معاشه إلى الأخذ من مال اليتيم فليستعفف أي فليطلب طريق العفة فلا يأخذ من أموالهم. (ومن كان فقيراً) فليأكل منها بالمعروف. (فإذا دفعتم إليهم...) تشريع للاستشهاد عند الدفع تحكيماً للأمر ورفعاً لغائلة الخلاف والنزاع.

٧ . (للرّجال نصيب ممّا ترك...) النصيب: الحظ والسهم. والتركة: ما بقي من مال الميت. والأقربون: القرابة الأدنون. والنصيب المفروض: المقطوع المعيّن. وفي الآية إعطاء للحكم الكلي وتشريع لسنة حديثة غير مألوفة في أذهان المكلفين.

٨ . (وإذا حضر القسمة...) ظاهر الآية أن المراد من حضور أُولي القربى أن يشهدوا قسمة التركة حينما يأخذ الورثة في اقتسامها. وعلى هذا فالمراد من أُولي القربى الفقراء منهم.

٩ . (وليخش الّذين لو تركوا...) المعنى يعود إلى مثل قولنا: وليخش الناس ويتّقوا الله فى أمر اليتامى، فإنّهم كأيتام أنفسهم في أنّهم ذرية ضعاف يجب أن يُخاف عليهم ويُعتنى بشأنهم ولا يضطهدوا ولا تُهضم حقوقهم. فالكلام في مساق قولنا: من خاف الذل فليشتغل بالكسب، وكلٌّ يخاف ذلك.

[٧٨]

١٠ . (إن الّذين يأكلون...) الآية كسابقتها متعلقة المضمون بقوله: (للرِّجال نصيب...) وهي تخويف وردع للناس عن هضم حقوق اليتامى في الارث. وأما قوله: (وسيصلون سعيراً) فهو إشارة إلى العذاب الأخروي، والسعير من أسماء نار الآخرة.

١١ . (يوصيكم الله في أولادكم...) الإيصاء والتوصية: العهد والأمر. وفي العدول عن لفظ الأبناء إلى الأولاد دلالة على أن حكم السهم والسهمين مخصوص بما ولده الميت بلا واسطة. (للذّكر مثل حظّ الانثيين) في انتخاب هذا التعبير إشعار بإبطال ما كانت عليه الجاهلية من منع توريث النساء، فكأنه جعل إرث الانثى مقرراً معروفاً وأخبر بأنّ للذكر مثله مرّتين، أو جعله الأصل في التشريع

وجعل إرث الذّكر محمولاً عليه يعرف بالاضافة إليه، هذا ما ذكره بعض العلماء ولا بأس به.
وهذه الآية متكفلة لبيان سهام الطبقة الأُولى وهي: الأولاد والأب والأم على جميع تقاديرها، إمّا تصريحاً: كسهم الأب والأم وهو السدس لكل واحد منهما مع وجود الأولاد، والثلث أو السدس للأُم مع عدمهم على ما ذكر في الآية، وكسهم البنت الواحدة وهو النصف، وسهم البنات إذا تفردن وهو الثلثان، وسهم البنين والبنات إذا اجتمعوا وهو للذّكر مثل حظّ الأنثيين، ويلحق بها سهم البنتين وهو الثلثان. وإمّا تلويحاً: كسهم الابن الواحد فإنه يرث جميع المال لقوله: (للذّكر مثل حظّ الانثيين)، وقوله في البنت: (وإن كانت واحدة فلها النصف)، وكذا الأبناء إذا تفردوا لما يفهم من قوله: (للذّكر مثل حظّ الانثيين)، أن الابناء متساوون في السهام. وأمر الآية في إيجازها عجيب.
واعلم أن مقتضى إطلاق الآية، عدم الفرق فى إيراث المال وإمتاع الورثة بين النبيّ صلى الله عليه وآله وبين سائر الناس.
١٢ . (ولكم نصف ما ترك...) قال الراغب: الكلالة اسم لما عدا الولد والوالد من الورثة، قال: وروى أن النبيّ صلى الله عليه وآله سئل عن الكلالة فقال: من مات وليس له ولد ولا والد، فجعله اسماً للميت، وكلا القولين صحيح فإن الكلالة مصدر يجمع الوارث والموروث جميعاً، انتهى.
والمعنى: وإن كان الميت كلالة للوارث ليس أباً له ولا أبناً.

(١١٨/١)

وقوله: (غير مضار) منصوب على الحال، والمضارة: الاضرار، وظاهره أن المراد به الإضرار بالدَّين من قبل الميت، كأن يعتمل بالدَّين للاضرار بالورثة وتحريمهم الارث، أو المراد المضارة بالدَّين كما ذكروا بالوصيّة بما يزيد على ثلث المال.
وهاتان الآيتان أعني قوله: (يوصيكم الله في أولادكم...) [الآية ١١ والآية ١٢]، والآية الّتي في آخر السورة: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة...)، مع قوله تعالى: (للرِّجال نصيب ممّا ترك الوالدان...)، ومع قوله تعالى: (وأُولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) الأحزاب: ٦، والأنفال: ٧٥، خمس آيات أو ستة هي الأصل القرآني للإرث في الإسلام، والسنّة تفسرها أوضح تفسير وتفصيل.
[ومن هذه الآيات يتبين أن [أقرب الأقارب إلى الميت: الأب والأم والابن والبنت، إذ لا واسطة بينهم وبين الميت، والابن والبنت يمنعان أولاد أنفسهما، لأنهم يتصلون به بواسطتهم، فإذا فقدت واسطتهم فهم يقومون مقامها.
وتتلوها المرتبة الثانية: وهم إخوة الميت وأخواته وجدّه فإنهم يتصلون بالميت بواسطة واحدة وهي الأب أو الأم، وأولاد الأخ والأخت يقومون مقام أبيهم وأمهم، وكل بطن يمنع من بعده من البطون.

وتتلو هذه المرتبة مرتبة أعمام الميت وأخواله وعماته وخالاته فإن بينهم وبين الميت واسطتين وهما الجد أو الجدة، والأب أو الأم.

١٣، ١٤ . (تلك حدود الله...) الحد: الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر وارتفاع التمايز بينهما،

[٧٩]

كحد الدار والبستان، والمراد بها أحكام الارث والفرائض المبينة. وقد عظّم الله أمرها بما ذكر في الآيتين من الثواب على إطاعته وإطاعة رسوله فيها، والعذاب الخالد المهين على المعصية.

(١١٩/١)

---

١٥ . (واللاّتي يأتين الفاحشة...) يقال أتاه وأتى به: أي فعله. والفاحشة: من الفحش وهي الشناعة، والظاهر أن المراد بها هاهنا الزنا على ما ذكره جمهور المفسرين، ورووا أن النبيّ صلى الله عليه وآله ذكر عند نزول آية الجلد: أن الجلد هو السبيل الذي جعله الله لهن إذا زنين، ويشهد بذلك ظهور الآية في أن هذا الحكم سينسخ حيث يقول تعالى: (أو يجعل الله لهن سبيلاً).

(فإن شهدوا فامسكوهنّ...) الحكم هو الحبس الدائم بقرينة الغاية المذكورة في الكلام أعني قوله: (حتى يتوفاهن الموت)، غير أنه لم يعبر عنه بالحبس والسجن، بل بالامساك لهن في البيوت، وهذا من واضح التسهيل.

١٦ . (واللّذان يأتيانها منكم...) هذه الآية متممة الحكم في الأولى، فإن الأولى لم تتعرض إلاّ لما للنساء من الحكم، والثانية تبين الحكم فيهما معاً، وهي متضمنة لحكم الزنا من غير إحصان وهو الإيذاء سواء كان المراد به الحبس أو الضرب أو التعيير بالقول أو غير ذلك، والآية على هذا منسوخة بآية الجلد من سورة النور. (فإن تابا وأصلحا...) تقييد التوبة بالاصلاح لتحقيق حقيقة التوبة، وتبيين أنها ليست مجرد لفظ أو حالة مندفعة.

١٧ . (إنّما التّوبة على الله...) إن الله سبحانه إنما يقبل توبة المذنب العاصي إذا لم يقترف المعصية استكباراً على الله بحيث يبطل منه روح الرجوع والتذلل لله، ولم يتساهل ويتسامح في أمر التوبة تساهلاً يؤدي إلى فوت الفرصة بحضور الموت.

(١٢٠/١)

---

١٨ . (وليست التّوبة للّذين...) هذه التوبة لا تقبل من صاحبها لأن اليأس من الحياة وهول المطلع هما اللذان أجبراه على أن يندم على فعله ويعزم على الرجوع إلى ربّه، ولات حين رجوع حيث لا حياة دنيوية ولا خيرة عملية. (ولا الّذين يموتون وهم كفّار) هذا مصداق آخر لعدم قبول التوبة، وهو الإنسان يتمادى في الكفر ثمّ يموت وهو كافر، فإن الله لا يتوب عليه. (أولئك اعتدنا لهم عذاباً أليماً) اسم الإشارة يدل على بعدهم من ساحة القرب والتشريف. والاعتاد: الإعداد أو الوعد.

١٩ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا يحل...) الآية تنهى عن وراثة أموال النساء كرهاً منهن. (ولا تعضلوهنّ لتذهبوا) العضل: المنع والتضييق الشديد. والآية تنهى عن التضييق عليهن بشيء من وجوه التضييق ليضطررن إلى بذل شيء من الصداق لفك عقدة النكاح والتخلص من ضيق العيشة، فالتضييق بهذا القصد محرم على الزوج، إلاّ أن تأتي الزوجة بفاحشة مبينة، فله حينئذ أن يعضلها ويضيق عليها لتفارقه بالبذل. (وعاشروهنّ بالمعروف) المعروف: الأمر الذي يعرفه الناس في مجتمعهم من غير أن ينكروه ويجهلوه، وحيث قيد به الأمر بالمعاشرة، كان المعنى الأمر بمعاشرتهن المعاشرة المعروفة بين هؤلاء المأمورين. (فإن كرهتموهنّ فعسى أن...) من قبيل إظهار الأمر المعلوم في صورة المشكوك المحتمل، إتقاء من تيقظ غريزة التعصب في المخاطب.

٢٠ . (وإن أردتم استبدال...) إن أردتم أن تطلقوا بعض أزواجكم وتتزوجوا باخرى مكانها، فلا تأخذوا من الصداق الّذي آتيتموها شيئاً، وإن كان ما آتيتموها مالاً كثيراً، وما تأخذونه قليلاً جداً.

---

٢١ . (وكيف تأخذونه وقد أفضى...) الاستفهام للتعجيب. والإفضاء هو الاتصال بالمماسة، وأصله الفضاء بمعنى السعة. ولمّا كان هذا الأخذ إنما هو بالبغي والظلم، ومورده مورد الاتصال والاتحاد، أوجب ذلك صحة التعجب، حيث ان الزّوجين يصيران بسبب ما أوجب الزواج من الإفضاء والاقتراب كشخص واحد، ومن العجيب أن يظلم شخص واحد

[٨٠]

نفسه ويؤذيها، أو يؤذي بعض أجزائه بعضاً. (وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً) الظاهر أن المراد بالميثاق الغليظ هو العلقة التي أبرمها الرّجل بالعقد ونحوه، ومن لوازمها الصداق الّذي يسمى عقد النكاح وتستحقه المرأة من الرّجل.

٢٣ . (حُرِّمت عليكم أُمّهاتكم...) هؤلاء هن المحرمات بحسب النسب، وهي سبعة أصناف. والأم: من اتصل اليها نسب الإنسان بالولادة، كمن ولدته من غير واسطة أو بواسطة، كوالدة الأب أو الأم فصاعدة. والبنت: من اتصل نسبها بالإنسان بسبب ولادتها منه كالمولودة من صلبه بلا واسطة، وكبنت الأبن والبنت فنازلة. والأخت: من اتصل نسبها بالانسان من جهة ولادتهما معاً من الأب أو

الأم أو منهما جميعاً بلا واسطة. والعمة: اخت الأب وكذا أخت الجد من جهة الأب أو الأم. والخالة أخت الأم أو اخت الجدة من جهة الأب أو الأم.

(١٢٢/١)

(وأُمّهاتكم اللاّتي أرضعنكم...) شروع في بيان المحرمات بالسبب، وهي سبع، ست منها ما في هذه الآية، وسابعتها ما يتضمنه قوله: (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء). وقد صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله فيما رواه الفريقان أنه قال: إنّ الله حرّم من الرضاعة ما حرّم من النسب. (وربائبكم اللاّتي في حجوركم) الربائب: جمع ربيبة وهي بنت زوجة الرّجل من غيره. (وحلائل أبنائكم الّذين من أصلابكم) الحلائل: جمع حليلة، قال في المجمع: وهي بمعنى محللة مشتقة من الحلال، والذكر حليل، سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل له مباشرة صاحبه. (وأن تجمعوا بين الأختين) المراد به بيان تحريم نكاح أخت الزوجة ما دامت الزوجة حيّة باقية تحت حبالة الزوجية، فهو أوجز عبارة وأحسنها في تأدية المراد. (إلاّ ما قد سلف) المراد به بيان العفو عمّا سلف من عملهم بالجمع بين الأختين قبل نزول هذه الآية.

٢٤ . (والمحصنات من النّساء...) المراد بالمحصنات: المتزوجات اللاّتي تحت حبالة التزويج، وهو عطف على موضع أُمهاتكم. والمعنى: وحرمت عليكم كل مُزوجة من النساء ما دامت مزوجة ذات بعل. وعلى هذا يكون قوله: (ما ملكت أيمانكم) رفعاً لحكم المنع عن محصنات الإماء على ما ورد في السنة أن لمولى الأمة المزوجة أن يحول بين مملوكته وزوجها، ثمّ ينالها عن استبراء ثم يردها إلى زوجها. (كتاب الله عليكم) إلزموا حكم الله المكتوب المقضي عليكم. (وأُحل لكم ما وراء ذلك...) أُحل لكم فيما سوى الأصناف المعدودة أن تطلبوا مباشرة النساء ونيلهن بإنفاق أموالكم في أجرة المنكوحات من النساء، نكاحاً من غير سفاح [زنا]، أو إنفاقها في ثمن الجواري والإماء.

(فما استمتعتم به منهن...) المراد بالاستمتاع: نكاح المتعة بلا شك، فإن الآية مدنية نازلة في سورة النساء في النصف الأول من عهد النبيّ صلى الله عليه وآله بعد الهجرة.

(١٢٣/١)

---

٢٥ . (ومن لم يستطع منكم طولاً...) إن من لم يقدر على أن ينكح الحرائر المؤمنات لعدم قدرته على تحمل أثقال المهر والنفقة، فله أن ينكح من الفتيات المؤمنات، من غير أن يتحرّج من فقدان القدرة على الحرائر، ويعرض نفسه على خطرات الفحشاء ومعترض الشقاء. (فانكحوهن بإذن أهلهن)

إرشاد إلى نكاح الفتيات مشروطاً بأن يكون بإذن مواليهنّ، فإن زمام أمرهنّ إنما هو بيد الموالي. والمراد بإتيانهنّ أجورهنّ بالمعروف: توفيتهنّ مهور نكاحهنّ، وإتيان الاجور إيّاهن: إعطاؤها مواليهن، وقد أرشد إلى الاعطاء بالمعروف عن غير بخس ومماطلة وإذاء. (محصنات غير مسافحات ولا متّخذات أخدان) المراد بالمحصنات: العفائف. والمسافحات: ما يقابل متّخذات الأخدان. والأخدان: جمع خِدن وهو الصديق. (فإن أتين بفاحشة...) ان الفتيات المؤمنات إذا أتين بفاحشة وهو الزِّنا، فعليهنّ نصف حدّ المحصنات غير ذوات الأزواج وهو جلد خمسين سوطاً. (ذلك لمن خشي العنت) العنت: الجهد والشدّة والهلاك وكأن المراد به الزِّنا.

[٨١]

٢٦ . (يريد الله ليبيّن لكم...) بيان وإشارة إلى غاية تشريع ما سبق من الأحكام في الآيات الثلاث، والمصالح التي تترتّب عليها إذا عُمل بها. فقوله: (يريد الله ليبيِّن لكم) أحكام دينه مما فيه صلاح دنياكم وعقباكم، وما في ذلك من المعارف والحكم. (ويهديكم سنن الذين من قبلكم) طرق حياة السابقين من الأنبياء والأمم الصالحة، الجارين في الحياة الدنيا على مرضاة الله، الحائزين به سعادة الدنيا والآخرة.

٢٧ . (والله يريد أن...) المراد بالميل العظيم: هتك الحدود الإلهية المذكورة في الآيات، بإتيان المحارم وإلغاء تأثير الأنساب والاسباب، واستباحة الزنا، والمنع عن الأخذ بما سنه الله من السنة القويمة.

---

٢٨ . (يريد الله أن يخفف عنكم...) كأنه قيل: إنّا خففنا عنكم لكون الضعف العام في نوع الإنسان سبباً مقتضياً للتخفيف لولا المانع، لكن لم تزل الموانع تمنع عن فعلية التخفيف وانبساط الرحمة في سائر الأمم، حتى وصلت النوبة إليكم فعمتكم الرحمة.

٢٩ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تأكلوا...) نهي عن المعاملات التي لا تسوق المجتمع إلى سعادته ونجاحه، بل تضره وتجره إلى الفساد والهلاك، وهي المعاملات الباطلة في نظر الدين كالربا والقمار والبيوع الغررية كالبيع بالحصاة والنواة وما أشبه ذلك. (ولا تقتلوا أنفسكم...) المراد من قتل النفس المنهي عنه: ما يشمل إلقاء نفسه في مخاطرة القتل والتسبيب إلى هلاك نفسه المؤدي إلى قتله، وذلك أن تعليل النهي عن قتل النفس بالرحمة لهذا المعنى أوفق وأنسب.

٣٠ . (ومن يفعل ذلك...) إن الله تعالى إنما ينهاكم عن قتل أنفسكم، رحمة بكم ورأفة، وإلاّ فمجازاته لمن قتل النفس، بإصلائه النار عليه يسير غير عسير.

٣١ . (إن تجتنبوا كبائر...) المستفاد من الآية أن هناك من المعاصي المنهي عنها ما هي صغيرة.

فيتبين من الآية أوّلاً: أن المعاصي قسمان: صغيرة وكبيرة. وثانياً: أن السيئات في الآية هي الصغائر لما فيها من دلالة المقابلة على ذلك.

(١٢٥/١)

---

٣٢ . (ولا تتمنوا ما فضّل الله...) المراد بالفضل: المزية الّتي رزقها الله تعالى كلاً من طائفتي الرّجال والنّساء بتشريع الأحكام الّتي شرعت في خصوص ما يتعلق بالطائفتين كلتيهما، كمزية الرجال على النساء في عدد الزوجات وزيادة سهم الإرث، ومزية النساء على الرّجال في وجوب جعل المهر لهن ووجوب نفقتهن على الرجال. ومعنى الآية: ولا تتمنّوا الفضل المالي وغير المالي الذي خص الله تعالى به أحد القبيلين من الرّجال والنّساء، ففضّل به بعضكم على بعض، فإن ذلك الفضل أمر خصّ به من خصّ به لأنه أحرزه بنفسيته في المجتمع الإنساني أو بعمل يده بتجارة ونحوها، وله منه نصيب، وإنما ينال كلٌ نصيبه ممّا اكتسبه.

٣٣ . (ولكلٍّ جعلنا موالي...) ولكل واحد منكم ذكراً أو انثى جعلنا موالي أي أولياء في الوراثة يرثون ما تركتم من المال. (الّذين عقدتم أيمانكم) الزوج والزوجة. (فآتوهم نصيبهم) الضمير للموالي، والمراد بالنصيب: ما بيّن في آيات الإرث.

٣٤ . (الرِّجال قوّامون على النِّساء...) القيّم: الّذي يقوم بأمر غيره، والقوام مبالغة منه. (قانتات حافظات للغيب) إنهنّ قانتات لازواجهنّ حافظات للغيب بما حفظ الله لهم من الحقوق حيث شرع لهم القيمومة، وأوجب عليهن الإطاعة وحفظ الغيب لهم. (واللاّتي تخافون نشوزهنّ) النشوز: العصيان والاستكبار عن الطاعة، والمراد بخوف النشوز: ظهور آياته وعلائمه. (فعظوهنّ واهجروهنّ في المضاجع واضربوهنّ) أمور مترتبة تدريجية: فالموعظة، فإن لم تنجح فالهجرة، فإن لم تنفع فالضرب. (فإن اطعنكم فلا تبتغوا...) لا تتخذوا عليهن علّة تعتلون بها في إيذائهن مع إطاعتهنّ لكم. ثم علّل هذا النهي بقوله: (إنّ الله كان عليّاً كبيراً) وهو إيذان لهم أن مقام ربّهم عليّ كبير فلا يغرّنّهم ما

[٨٢]

يجدونه من القوّة والشدّة في أنفسهم فيظلموهنّ بالإستعلاء والإستكبار عليهنّ.

(١٢٦/١)

---

٣٥ . (وإن خفتم شقاق...) الشقاق: البينونة والعداوة. وقد قرر الله سبحانه بعث الحكمين ليكون أبعد من الجور والتحكم. (إن يريدا إصلاحاً...) إن يرد الزوجان نوعاً من الإصلاح من غير عناد ولجاج في الاختلاف. فإنّ سلب الاختيار من أنفسهما وإلقاء الأمر الى الحكمين المرضيين يوجب وفاق البين. وأسند التوفيق الى الله لأنه هو السبب الحقيقي الذي يربط الأسباب بالمسبِّبات وهو المعطي لكل ذي حق حقّه، ثم تمّم الكلام بقوله: (إنّ الله كان عليماً خبيراً).

٣٦ . (واعبدوا الله ولا تشركوا...) هذا هو التوحيد، غير أن المراد به التوحيد العملي، وهو إتيان الأعمال الحسنة طلباً لمرضاة الله وابتغاءً لثواب الآخرة دون اتباع الهوى والشرك به. (وبالوالدين إحساناً) تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً. (وبذي القربى) القرابة. والمراد بالجار ذي القربى: الجار القريب داراً. وبالجار الجنب . وهو الأجنبي: الجار البعيد داراً. (والصّاحب بالجنب) هو الّذي يصاحبك ملازماً لجنبك. (وابن السّبيل) هو الذي لا يعرف من حاله إلاّ أنه سالك سبيل. (وما ملكت أيمانكم) العبيد والإماء. (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) المختال: التائه المتبختر، والفخور: كثير الفخر.

٣٧ . (الّذين يبخلون ويأمرون...) أمرهم الناس بالبخل إنما هو بسيرتهم الفاسدة، وعملهم به سواء أمروا به لفظاً أو سكتوا. وأما كتمانهم (ما آتاهم الله من فضله) فهو تظاهرهم بظاهر الفاقد المعدم للمال، لتأذيهم من سؤال الناس ما في أيديهم. والمراد بالكافرين: الساترون لنعمة الله التي أنعم بها، ومنه الكافر المعروف لستره على الحق بإنكاره.

٣٨ . (والّذين ينفقون أموالهم...) في الآية دلالة على أن الرئاء في الانفاق . أو هو مطلقاً . شرك بالله كاشف عن عدم الإيمان به.

٣٩، ٤٠ . (وماذا عليهم لو آمنوا...) التقدير: ومن الأسف عليهم إن لم يؤمنوا ولم ينفقوا، فإنهم لو آمنوا وانفقوا والله عليم بهم، لم يكن الله ليظلمهم في مثقال ذرّة انفقوها بالإهمال وترك الجزاء، (وإن تكُ حسنة يضاعفها).

٤١ . (فكيف إذا جئنا من...) [تقدّم الكلام في معنى الشّهادة على الأعمال، في تفسير الآية ١٤٣ من سورة البقرة].

٤٢ . (يومئذ يودّ الّذين...) إنهم بارزون يومئذ لله لا يخفى عليه منهم شيء لظهور حالهم عليه تعالى بحضور أعمالهم، وشهادة أعضائهم وشهادة الأنبياء والملائكة وغيرهم عليهم، والله من ورائهم محيط، فيودون عند ذلك لو لم يكونوا وليس لهم أن يكتموه تعالى حديثاً مع ما يشاهدون من ظهور مساوئ أعمالهم وقبائح أفعالهم.

٤٣ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) المراد بالصّلاة: المسجد، والدليل عليه قوله: (ولا جنباً إلاّ عابري سبيل). وقوله: (حتّى تعلموا ما تقولون) في مقام التعليل للنهي عن شرب الخمر بحيث يبقى سكرها إلى حال دخول الصّلاة، أي نهيناكم عنه لغاية أن تعلموا ما تقولون، وليس غاية للحكم بمعنى أن لا تقربوا إلى أن تعلموا ما تقولون فإذا علمتم ما تقولون فلا بأس.

٤٤ . (ألم ترَ إلى الّذين أُوتوا...) [الّذي يظهر من الآيات ٣٦ . ٤٢ [أن اليهود كانوا يلقون إلى المؤمنين المودة، ويظهرون لهم النصح فيفتنونهم بذلك، ويأمرونهم بالبخل والإمساك عن الانفاق ليمنعوا بذلك سعيهم عن النجاح، وجدهم في التقدم والتعالي، وهذا لازم كون تلك الآيات نازلة في حق اليهود أو في حق من كان يسار اليهود ويصادقهم ثم ينحرف عن الحق بتحريفهم ويميل إلى حيث يميلونه، فيبخل ثم يأمر بالبخل.

وهذا هو الّذي يستفاد من قوله: (ويريدون أن تضلّوا السّبيل...) فالمعنى: إنك ترى اليهود الذين اوتوا نصيباً من الكتاب . أي حظاً منه لا جميعه . كما يدعون لأنفسهم، يشترون الضلالة ويختارونها على الهدى، ويريدون أن تضلوا

السبيل، فإنهم وإن لقوكم ببشر الوجه، لكنهم ما يريدون إلاّ ضلالكم عن السبيل كما اختاروا لأنفسهم الضّلالة.

٤٥ . (والله أعلم بأعدائكم...) والله أعلم منكم باعدائكم، وهم [اليهود] أعداؤكم فلا يغرنكم ظاهر ما تشاهدون من حالهم، فإيّاكم أن تطيعوا أمرهم أو تصغوا إلى أقوالهم المزوقة وإلقاءاتهم المزخرفة، فأنتم لا تحتاجون إلى ولايتهم الكاذبة ونصرتهم المرجوة، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً، فأي حاجة مع ولايته ونصرته إلى ولايتهم ونصرتهم.

٤٦ . (من الّذين هادوا...) وصف الله تعالى هذه الطائفة بتحريف الكلم عن مواضعه. (واسمع غير مُسمع) اسمع لا أسمعك الله. (وراعنا) كان المؤمنون يخاطبون رسول الله صلى الله عليه وآله حينما كانوا يكلمونه بقولهم: راعنا يا رسول الله، ومعناه: انظرنا واسمع منّا حتى نوفي غرضنا من كلامنا، فاغتنمت اليهود ذلك فكانوا يخاطبونه صلى الله عليه وآله بقولهم: راعنا، وهم يريدون به ما عندهم من المعنى المستهجن. (ليّاً بألسنتهم وطعناً بالدّين) لاوين ألسنتهم وطاعنين في الدّين. (ولو أنّهم قالوا سمعنا...) إنهم لو قالوا: سمعنا واطعنا، لكان فيه من الخير والقوام أكثر ممّا يقدرون في أنفسهم لهذا اللّي والطعن. (ولكن لعنهم الله...) تأييس للسامعين من أن تقول اليهود سمعنا واطعنا، فإنها كلمة ايمان وهؤلاء ملعونون لا يوفقون للإيمان.

٤٧ . (يا أيّها الّذين أوتوا الكتاب...) المراد بأصحاب السبت: قوم من اليهود كانوا يعدون [يصيدون] في السبت فلعنهم الله ومسخهم. والخطاب لجميع أهل الكتاب، دعاهم إلى الإيمان بالكتاب الّذي نزّله مصدقاً لما معهم، وأوعدهم بالسخط الّذي يلحقهم لو تمردوا واستكبروا من غير عذر من طمس أو لعن يتبعانهم إتباعاً لا ريب فيه.

(١٢٩/١)

---

٤٨ . (إنّ الله لايغفر أن يُشرك...) إنكم إن لم تؤمنوا به كنتم بذلك مشركين، والله لا يغفر أن يُشرك به، فيحل عليكم غضبه وعقوبته، فيطمس وجوهكم بردها على أدبارها أو يلعنكم، فنتيجة عدم المغفرة هي ترتب آثار الشرك الدنيوية من طمس أو لعن.

٤٩ . (ألم تَرَ إلى الّذين يزكون...) الظاهر أن هؤلاء المزكين لأنفسهم هم أهل الكتاب أو بعضهم. (بل الله يزكي...) إضراب عن تزكيتهم لأنفسهم، وردّ لهم فيما زكوه، وبيان أن ذلك من شؤون الربوبية تختص به تعالى.

٥٠ . (انظر كيف يفترون...) تزكيتهم لأنفسهم ببنوّة الله وحبه وولايته ونحو ذلك، إفتراء على الله إذ لم يجعل الله لهم ذلك، ولو لم يكن في التزكية إلاّ انها افتراء على الله، لكفى في كونها إثماً مبيناً.

٥١ . (ألم تر إلى الّذين أُوتوا...) ورد في أسباب النزول أن مشركي مكة طلبوا من أهل الكتاب أن يحكموا بينهم وبين المؤمنين فيما ينتحلونه من الدين، فقضوا لهم على المؤمنين، وهذا القضاء اعتراف منهم بأن للمشركين نصيباً من الحق، وهو الإيمان بالجبت والطاغوت الذي نسبه الله إليهم. والجبت: كل ما لا خير فيه، وقيل: كل ما يعبد من دون الله سبحانه.

٥٢ . (أولئك الّذين لعنهم...) [الآية متصلة بما قبلها وهي واضحة المعنى].

٥٣ . (أم لهم نصيب...) النقير: المقدار اليسير الّذي يأخذه الطير من الأرض. ويؤول معنى الآية إلى نحو قولنا: أم لهم نصيب من الملك الذي أنعم الله به على نبيه بالنّبوة والولاية والهداية ونحوه، ولو كان لهم ذلك، لم يؤتوا الناس أقل القليل الّذي لا يعتد به، لبخلهم وسوء سريرتهم.

٥٤ . (أم يحسدون النّاس...) المراد بالنّاس: النبيّ صلى الله عليه وآله. والجملة إيئاس لهم في حسدهم وقطع لرجائهم زوال هذه النعمة، بأن الله قد أعطى آل إبراهيم من فضله ما أعطى، وآتاهم من رحمته ما آتى، فليموتوا بغيظهم فلن ينفعهم الحسد شيئاً.

[٨٤]

(١٣٠/١)

---

٥٥ . (فمنهم من آمن به...) الصد: الصرف. وقد قوبل الإيمان بالصد لأن اليهود ما كانوا ليقنعوا على مجرد عدم الإيمان بما أُنزل على النبيّ صلى الله عليه وآله، دون أن يبذلوا مبلغ جهدهم في صد الناس عن سبيل الله والإيمان بما نزله من الكتاب. وربّما كان الصد بمعنى الاعراض.

٥٦، ٥٧ . (إنّ الّذين كفروا...) بيّن تعالى كفاية جهنّم في أمرهم بقوله: (إن الّذين كفروا بآياتنا...) وهو بيان في صورة التعليل. ثمّ عقبه بقوله: (والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات...) ليتبين الفرق بين الطائفتين: من آمن به، ومن صد عنه. ويظهر أنهما في قطبين متخالفين من سعادة الحياة الأخرى وشقائها: دخول الجنات وظلها الظليل، وإحاطة سعير جهنم والاصطلاء بالنّار.

٥٨ . (إن الله يأمركم أن تؤدوا...) لما كان أمر اليهود ما كان، غيّر سبحانه سياق الكلام من التكلم إلى الغيبة، فأمر النّاس بتأدية الأمانات إلى أهلها، وبالعدل في الحكم.

٥٩ . (يا أيّها الّذين آمنوا أطيعوا...) الآية جُمع فيها بين الرّسول وأولي الأمر، وذَكَر لهما معاً طاعة واحدة فقال: (وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم)، ولا يجوز على الرّسول أن يأمر بمعصيته أو يغلط في حكم، فلو جاز شيء من ذلك على أولي الأمر، لم يسع إلاّ أن يذكر القيد الوارد عليهم، فلا مناص من أخذ الآية مطلقة من غير أي تقييد، ولازمه اعتبار العصمة في جانب اولي الأمر كما اعتبرت في جانب رسول الله صلى الله عليه وآله من غير فرق.

فالمراد بأُولي الأمر آحاد من الأمة معصومون في أقوالهم مفترض طاعتهم، فتحتاج معرفتهم إلى تنصيص من جانب الله سبحانه من كلامه أو بلسان نبيّه، فينطبق على ما روي من طرق أئمة أهل البيت عليهم السّلام أنهم هم.

---

٦٠ . (ألم تَرَ إلى الّذين...) الاستفهام للتأسف. والمعنى: من الأسف ما رأيته أن بعض الناس وهم معتقدون أنهم مؤمنون بما أُنزل إليك من الكتاب وإلى سائر الانبياء، يتحاكمون عند التنازع إلى الطاغوت وهم أهل الطغيان والمتمردون على دين الله المتعدون على الحق، وقد أُمروا في هذه الكتب أن يكفروا بالطاغوت، وكفى في منع التحاكم إليهم أنه إلغاء لكتب الله وإبطال لشرائعه.

٦١ . (وإذا قيل لهم تعالوا...) تعالوا: بحسب الأصل أمر من التعالي وهو الارتفاع. وصدّ عنه: يصدّ صدوداً أي أعرض. وقوله: (إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) بمنزلة أن يقال: إلى حكم الله ومن يحكم به. وفي قوله (يصدّون عنك) إنما خصّ الرسول بالإعراض مع أن الذي دُعوا اليه هو الكتاب والرسول معاً، لأن الأسف إنما هو من فعل الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل الله فهم ليسوا بكافرين حتى بتجاهروا بالإعراض عن كتاب الله، بل منافقون يتظاهرون بالإيمان.

٦٢ . (فكيف إذا اصابتهم...) فإذا كان حالهم هذا الحال، كيف صنيعهم إذا اصابهم بفعلهم هذا

وباله السيّئ، ثمّ جاؤوك يحلفون بالله قائلين: ما أردنا بالتحاكم إلى غير الكتاب والرّسول إلاّ الاحسان والتوفيق وقطع المشاجرة بين الخصوم؟

٦٣ . (أولئك الّذين يعلم الله...) تكذيب لقولهم فيما اعتذروا به. (وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) قولاً يبلغ في أنفسهم ما تريد أن يقفوا عليه ويفقهوه من مفاسد هذا الصنيع، وأنه نفاق لو ظهر نزل بهم الويل من سخط الله تعالى.

٦٤ . (وما أرسلنا من رسول...) ذكر الله سبحانه أن وجوب طاعة النبيّ صلى الله عليه وآله وجوب مطلق، وليست إلاّ طاعة الله. ثمّ ذكر أنهم لو رجعوا إلى الله ورسوله بالتوبة حين ما خالفوا الرّسول بالاعراض، لكان خيراً لهم من أن يحلفوا بالله، ويلفقوا أعذاراً غير موجهة لا تنفع ولا ترضي رسول الله صلى الله عليه وآله لأن الله سبحانه يخبره بحقيقة الأمر، وذلك قوله: (ولو أنهم

[٨٥]

(١٣٢/١)

إذ ظلموا...).

٦٥ . (فلا وربّك لايؤمنون حتّى...) الرد لا يختص بالمنافقين، بل يعمهم وغيرهم من جهة أن ظاهر حالهم أنهم يزعمون أن مجرد تصديق ما أُنزل من عند الله بما يتضمنه من المعارف والأحكام، إيمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند ربّه، وليس كذلك، بل الإيمان تسليم تام باطناً وظاهراً، فكيف يتأتى لمؤمن حقاً أن لا يسلم للرّسول حكماً في الظاهر بأن يعرض عنه ويخالفه، أو في باطن نفسه بأن يتحرج عن حكم الرّسول إذا خالف هوى نفسه. فلو تحرج متحرج بما قضى به النبيّ صلى الله عليه وآله، فمن حكم الله تحرج، لأنه هو الّذي شرفه بافتراض الطاعة ونفوذ الحكم.

٦٦ . (ولو أنّا كتبنا عليهم...) ولو أنّا فرضنا عليهم قتل أنفسهم والخروج من ديارهم وأوطانهم، لم يمتثلوا أمرنا، باستثناء القليل منهم. (ولو أنهم فعلوا...) اشارة إلى أن هذه الأحكام الظاهرة في صورة الأمر والفرض، ليست إلاّ إشارات إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم، فهي في الحقيقة مواعظ ونصائح يراد بها خيرهم وصلاحهم.

٦٧ . (وإذاً لآتيناهم من لدنا...) حين يتثبتون بالإيمان الثابت.

٦٨ . (ولهديناهم صراطاً مستقيماً) قد مضى الكلام في الصراط المستقيم في سورة الحمد.

٦٩ . (ومن يطع الله والرّسول...) الطاعة المفترضة طاعته تعالى وطاعة رسوله. وقوله: (فاولئك مع الّذين أنعم...) يدل على اللحوق دون الصيرورة، فهؤلاء ملحقون بجماعة المنعم عليهم. والنبيّون: هم أصحاب الوحي الّذين عندهم نبأ الغيب. والشهداء: شهداء الأعمال. والصّالحون: أهل اللياقة بنعم الله. والصديقون: الّذي يدل عليه لفظه انه مبالغة من الصدق.

٧٠ . (ذلك الفضل من الله...) تفخيم أمر هذا الفضل كأنه كل الفضل، وختم الآية بالعلم لكون الكلام في درجات الإيمان الّتي لا سبيل إلى تشخيصها إلاّ العلم الإلهي.

(١٣٣/١)

---

٧١ . (يا أيّها الّذين آمنوا خذوا...) خذوا أسلحتكم أي أعدوا للخروج واخرجوا إلى عدوكم فرقة فرقة (سرايا) أو اخرجوا إليهم جميعاً (عسكراً).

٧٢ . (وإن منكم لمن ليُبطّئن...) هؤلاء من المؤمنين. (فإن اصابتكم مصيبة) من قتل أو جرح (قال قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً) حتى ابتلى بمثل ما ابتلي به المؤمنون.

٧٣ . (ولئن أصابكم فضل...) من قبيل غنيمة الحرب ونحوها. (ليقولن كأن لم تكن...) لضعف ايمانهم لا يرون لأنفسهم أدنى ربط يربطهم بالمؤمنين، فيتمنون ان يكونوا معهم كما يتمنى الأجنبي فضلاً ناله أجنبي، فيقول أحدهم: (يا ليتني كنت معهم...).

٧٤ . (فليقاتل في سبيل الله...) تجديد للحث على القتال في سبيل الله، بتذكير أن هؤلاء جميعاً مؤمنون، قد شروا باسلامهم الحياة الدنيا بالآخرة، ثمّ صرح على فائدة القتال، فبين أن أمر المقاتل في سبيل الله ينتهي إلى إحدى عاقبتين محمودتين: أن يقتل في سبيل الله، أو يغلب عدو الله، وله على أي حال أجر عظيم.

٧٥ . (وما لكم لاتقاتلون في...) الآية تشتمل على حث وتحريض آخر على القتال في لفظ الاستفهام، بتذكير أن قتالكم قتال في سبيل الله سبحانه، وهو الذي لا بغية لكم في حياتكم السعيدة إلاّ برضوانه، ولا سعادة أسعد من قربه، وفي سبيل المستضعفين من رجالكم ونسائكم وولدانكم.

وهؤلاء المستضعفون يستغيثون بقولهم: (ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظّالم أهلها) وفيه اشعار بأنهم كانوا يظلمونهم بأنواع التعذيب والإيذاء وكذلك كان الأمر. (واجعل لنا من لدنك ولياً...) فهم يتمنون ولياً ويتمنون نصيراً، لكن لا يرضون دون أن يسألوا ربهم الولي والنصير.

[٨٦]

(١٣٤/١)

---

٧٦ . (الّذين آمنوا يقاتلون...) مقايسة بين الذين آمنوا والذين كفروا من جهة نية كل من الطائفتين في قتالهم، ليُعلم بذلك شرف المؤمنين على الكفار في طريقتهم، وأن سبيل المؤمنين ينتهي إلى الله سبحانه ويعتمد عليه، بخلاف سبيل الكفّار. (فقاتلوا أولياء الشّيطان) الذين كفروا لوقوعهم في سبيل

الطاغوت. (إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفاً) إنّما استضعف كيد الشيطان لأنه سبيل الطاغوت الذي يقابل سبيل الله.

٧٧ . (ألم تَرَ إلى الذين قيل...) إن المؤمنين كانوا في ابتداء أمرهم يشقّ عليهم ما يشاهدونه من تعدي الكفار، فيصعب عليهم أن يصبروا على ذلك ولا يقابلوه بسلّ السيوف، فأمرهم الله بالكف عن ذلك وإقامة شعائر الدين من صلاة وزكاة ليشتد عظم الدين ويقوم صلبه. فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون العدو . وهم ناس مثلهم . كخشية الله أو أشد خشية. (وقالوا ربّنا لِمَ كتبت...) تلويح منهم بأنهم لو عاشوا من غير قتل حتى يموتوا حتف أنفهم لم يكن ذلك إلاّ عيشاً يسيراً وأجلاً قريباً، فما لله سبحانه لا يرضى لهم أن يعيشوا هذه العيشة اليسيرة حتى يبتليهم بالقتل ويعجل لهم بالموت. (قل متاع الدنيا قليل...) أمر للنبيّ صلى الله عليه وآله أن يجيب هؤلاء الضعفاء بما يوضح لهم خطأ رأيهم.

٧٨ . (أينما تكونوا يدرككم...) إن الموت أمر لا يفوتكم إدراكه، ولو لجأتم منه إلى أي ملجأ محكم متين. (وإن تصبهم حسنة...) المراد بالحسنة والسيئة ما يمكن أن يسند إلى الله سبحانه، وقد اسندوا قسماً منه إلى الله وهو الحسنة، وقسماً إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وهو السيئة، فأمر تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله بأن يجيبهم بقوله: (قل كل من عند الله).

---

٧٩ . (ما أصابك من حسنة...) الحسنات وهي الأمور التي يستحسنها الانسان كالعافية والنعمة والأمن والرفاهية، كل ذلك من الله سبحانه. والسيئات وهي الأمور التي تسوء الإنسان كالمرض والذلة والمسكنة والفتنة، كل ذلك يعود إلى الانسان لا إليه سبحانه. ولا ينافي ذلك رجوع جميع الحسنات والسيئات بنظر كلي آخر إليه تعالى. (وأرسلناك للنّاس رسولاً) شأنك الرّسالة لا شأن لك سواها، وليس لك من الأمر شيء حتى تؤثر في ميمنة أو مشأمة، أو تجر إلى الناس السيئات وتدفع عنهم الحسنات.

٨٠ . (من يُطع الرّسول...) ما أنت إلاّ رسول منّا، من يطعك فقد أطاع الله، ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً.

٨١ . (ويقولون طاعة فاذا...) ويقول هؤلاء مجيبين لك فيما تدعوهم إليه من الجهاد: نطيعك طاعة، فإذا خرجوا من عندك دبروا ليلاً أمراً غير ما أجابوك به وقالوا لك، أو غير ما قلته أنت لهم. وهو كناية عن عقدهم النية على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ أمر الله رسوله بالاعراض عنهم والتوكل في الأمر والعزيمة فقال: (فاعرض عنهم وتوكل...).

٨٢ . (أفلا يتدبرون القرآن...) المراد ترغيبهم أن يتدبروا في الآيات القرآنية. فالآيات يصدق قديمها

حديثها، ويشهد بعضها على بعض من غير أن يكون بينها أي اختلاف، فارتفاع هذه الاختلافات من القرآن يهديهم إلى أنه كتاب منزل من الله، وليس من عند غيره، إذ لو كان من عند غيره لم يسلم من كثرة الاختلاف.

---

٨٣ . (وإذا جاءهم أمر...) الأمر الذي جاءهم من الأمن أو الخوف هو بعض الأراجيف الّتي كانت تأتي بها أيدي الكفار ورسلهم المبعوثون لإيجاد النفاق والخلاف بين المؤمنين، فكان الضعفاء من المؤمنين يذيعونها من غير تدبر، فيوجب ذلك وهناً في عزيمة المؤمنين، غير أن الله سبحانه وقاهم من اتباع هؤلاء الشياطين الآتين بتلك الأخبار. فتنطبق الآية على قصة بدر الصغرى. (ولو ردوه إلى الرّسول وإلى أُولي الأمر...) المراد بالعلم: تمييز الحق من الباطل. والاستنباط: استخراج القول من حال الإبهام إلى مرحلة التمييز والمعرفة.

٨٤ . (فقاتل في سبيل الله...) في الآية دلالة على زيادة تعيير من الله سبحانه للمتثاقلين من الناس، حيث أدى تثاقلهم إلى أن أمر الله نبيه بالقيام بالقتال بنفسه، وأن يعرض عن المنافقين ولا يلحّ عليهم بالإجابة ويخليهم وشأنهم، ولا يضيق بذلك صدره فليس عليه إلاّ تكليف نفسه وتحريض المؤمنين، أطاع من أطاع وعصى من عصى.

[٨٧]

٨٥ . (من يشفع شفاعة حسنة...) الآية في معنى النهي عن الشفاعة السيئة، وهي شفاعة أهل الظلم والطغيان والنفاق والشرك المفسدين في الأرض. وفيها تذكرة للمؤمنين وتنبيه لهم أن يتيقظوا عند الشفاعة لما يشفعون له، ويجتنبونها إن كان المشفوع لأجله ممّا فيه شرّ وفساد.

٨٦ . (وإذا حيِّيتم بتحيّة...) أمر بالتحيّة قبال التحيّة بما يزيد عليها أو يماثلها، وهو حكم عام لكل تحيّة، غير أن مورد الآيات هو تحيّة السلم والصلح التي تلقى إلى المسلمين، على ما يظهر من الآيات التالية.

٨٧ . (الله لا إله إلاّ هو...) معنى الآية ظاهر، وهي بمنزلة التعليل لما تشتمل عليه الآيتان السابقتان من المضمون. كأنه قيل: خذوا بما كلفكم الله في أمر الشفاعة الحسنة والسيئة، ولا تبطلوا تحيّة من يحيِّيكم بالإعراض والردّ، فإن أمامكم يوماً يجمعكم الله فيه ويجازيكم على إجابة ما دعاكم إليه وردّه.

---

٨٨ . (فما لكم في المنافقين فئتين...) الفئة: الطائفة. والإركاس: الرد. والمعنى: فإذا كانت الشفاعة السيئة تعطي لصاحبها كفلاً من مساءتها، فما لكم أيها المؤمنون تفرقتم في أمر المنافقين فئتين: فئة ترى قتالهم، وفئة تشفع لهم، والله ردهم إلى الضلال بعد خروجهم منه جزاءً بما كسبوا من سيئات الأعمال، أتريدون بشفاعتكم أن تهدوا هؤلاء الذين أضلهم الله ومن يضلل الله فما له من سبيل إلى الهدى. وفي قوله: (ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً) إلتفات من خطاب المؤمنين الى خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله، إشارةً الى أن من يشفع لهم من المؤمنين لا يتفهّم حقيقة هذا الكلام حقّ التفهّم، ولو فقهه لم يشفع في حقّهم، فأعرض عن مخاطبتهم به وألقى إلى من هو بيِّن واضح عنده وهو النبيّ صلى الله عليه وآله.

٨٩ . (ودّوا لو تكفرون...) إنّهم كفروا وزادوا عليه أنهم ودوا وأحبوا أن تكفروا مثلهم فتستووا. ثمّ نهاهم عن ولا يتهم إلاّ أن يهاجروا في سبيل الله، فإن تولوا فليس عليكم فيهم إلاّ أخذهم وقتلهم حيث وجدتموهم، والاجتناب عن ولايتهم ونصرتهم.

٩٠ . (إلاّ الّذين يَصِلون...) استثنى الله سبحانه من قوله: (فإن تولوا فخذوهم...) طائفتين: احداهما: (الّذين يَصِلون...) أي بينهم وبين بعض أهل الميثاق ما يوصلهم بهم من حلف ونحوه، والثانية: الّذين يتحرجون من مقاتلة المسلمين ومقاتلة قومهم، فيعتزلون المؤمنين ويلقون إليهم السلم، فهاتان الطائفتان مستثناتان من الحكم المذكور. وقوله: (حصرت صدورهم) أي ضاقت.

---

٩١ . (ستجدون آخرين يريدون...) إخبار بانّه سيواجهكم قوم آخرون ربّما شابهوا الطائفة الثانية من الطائفتين المستثناتين، حيث أنهم يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم، غير أن الله سبحانه يخبر أنهم منافقون غير مأمونين في مواعدتهم وموادعتهم. ولذا بدّل الشرطين المثبتين في حق غيرهم، أعني قوله: (فإن اعتزلوكم...) بالشرط المنفي، أعني قوله: (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا...). وهذا في معنى تنبيه المؤمنين على أن يكونوا على حذر منهم، ومعنى الآية ظاهر.

٩٢ . (وما كان لمؤمن أن يقتل...) إن الله تعالى لم يبح قط ولا يبيح أبداً أن يقتل مؤمن مؤمناً، وحرّم ذلك إلاّ في قتل الخطأ. ومن قتل مؤمناً بقتل الخطأ وجب عليه تحرير نفس مملوكة مؤمنة، وإعطاء دية يسلمها إلى أهل المقتول، إلاّ أن يتصدق أولياء القتيل بالدّية على معطيها ويعفوا عنها فلا تجب الدّية. (وإن كان من قوم عدو لكم) إن كان المقتول خطأ مؤمناً وأهله كفار محاربون لا يرثون، وجب التحرير ولا دية إذ لا يرث الكافر المحارب من المؤمن شيئاً. (وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق) وإن كان المؤمن المقتول من قوم بينكم وبينهم عهد، وجبت الدية وتحرير الرقبة. وقد قدّم

الدّية تأكيداً في مراعاة جانب الميثاق. (فمن لم يجد فصيام...) من لم يستطع التحرير وجب عليه صيام شهرين متتابعين. (توبة من الله...) جعل الكفارة للقاتل خطأً، توبة وعناية من الله للقاتل فيما لحقه من دون هذا الفعل.

٩٣ . (ومن يقتل مؤمناً متعمداً...) أغلظ الله سبحانه وتعالى في وعيد قاتل المؤمن متعمداً بالنّار الخالدة، غير انّك عرفت في الكلام على قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به) النساء: ٤٨، ان تلك الآية، وكذا قوله تعالى: (إن الله يغفر الذّنوب جميعاً) الزمر: ٥٣، تصلحان لتقييد هذه الآية، فهذه الآية توعد بالنّار الخالدة، لكنها ليست بصريحة في الحتم، فيمكن العفو بتوبة أو شفاعة.

(١٣٩/١)

---

٩٤ . (يا أيّها الّذين آمنوا إذا ضربتم...) الضّرب: السير في الأرض، وتقييده بسبيل الله يدل على أن المراد به هو الخروج للجهاد. والتبين: التمييز، والمراد به التمييز بين المؤمن والكافر. والمراد بابتغاء عرض الحياة الدّنيا: طلب المال والغنيمة. وقوله: (فعند الله مغانم كثيرة) ما عند الله من المغانم أفضل من مغنم الدنيا الّذي تريدونه، لكثرتها وبقائها، فهي الّتي يجب عليكم أن تؤثروها. (كذلك كنتم من قبل فمنّ الله...) على هذا الوصف . وهو ابتغاء عرض الحياة الدّنيا . كنتم من قبل أن تؤمنوا، فمنّ الله عليكم بالإيمان الصارف لكم عن ابتغاء عرض الحياة الدّنيا، إلى ما عند الله من المغانم الكثيرة، فإذا كان كذلك فيجب عليكم أن تتبينوا. وفي تكرار الأمر بالتبين تأكيد في الحكم.

والآية مع اشتمالها على العظة ونوع من التوبيخ [لا تُصرِّح بأن هذا القتل الذي وقع كان قتلاً متعمّداً كما يبيِّن ذلك ظاهر الآية [فالظاهر أنه كان قتل خطأ من بعض المؤمنين لبعض من ألقى السلم من المشركين لعدم وثوق القاتل بكونه مؤمناً حقيقة، بزعم أنه إنّما يظهر الإيمان خوفاً على نفسه، والآية توبخه بأن الإسلام إنّما يعتبر بالظاهر، ويُحال أمر القلوب إلى اللطيف الخبير.

٩٥ . (لا يستوي القاعدون من...) الضرر: النقصان المانع من القيام بأمر الجهاد كالعمى والمرض. والجهاد بالأموال: إنفاقها في سبيل الله للظفر على اعداء الدين. والجهاد بالأنفس: القتال. والمراد بهؤلاء القاعدين: التاركين للخروج إلى القتال عندما لا حاجة إلى خروجهم لخروج غيرهم على حد الكفاية. والدرجة: المنزلة. والدرجات: المنزلة بعد المنزلة.

٩٦ . (درجات منه ومغفرة...) وأعطى الله المجاهدين أجراً عظيماً مفضلاً إياهم على القاعدين، معطياً أو مثيباً لهم أجراً عظيماً وهو الدرجات من الله.

(١٤٠/١)

٩٧ . (إنّ الّذين توفّاهم الملائكة...) المراد بالظلم: ظلمهم لانفسهم بالاعراض عن دين الله وترك إقامة شعائره من جهة الوقوع في بلاد الشرك والتوسط بين الكافرين، حيث لا وسيلة يُتوسل بها إلى تعلم معارف الدين والقيام بما تندب إليه من وظائف العبودية. (قالوا كنّا مستضعفين...) أجابوا بوضع السبب موضع المسبب، وهو أنهم كانوا يعيشون في أرض لا يتمكنون فيها من التلبس بالدين، لكون أهل الأرض مشركين أقوياء فاستضعفوهم. (قالوا ألم تكن أرض...) كذّبتهم الملائكة في دعوى الاستضعاف بأن أرض الله كانت أوسع ممّا وقعوا فيه ولزموه، فهم لم يكونوا بمستضعفين حقيقة لوجود قدرتهم على الخروج من قيد الاستضعاف، وانما اختاروا هذا الحال بسوء إختيارهم.

٩٨ . (إلاّ المستضعفين من الرّجال...) في اطلاق المستضعفين على هؤلاء دلالة على أن الظالمين المذكورين [في الآية السّابقة] لم يكونوا مستضعفين لتمكنهم من رفع قيد الاستضعاف عن أنفسهم، وإنما الاستضعاف وصف هؤلاء المذكورين في هذه الآية.

٩٩ . (فأولئك عسى الله...) إنما اختير ذكر رجاء عفوهم ثمّ عقب ذلك بقوله: (وكان الله عفواً غفوراً) اللائح منه شمول العفو، لكونهم مذكورين في صورة الاستثناء من الظالمين الذين أُوعدوا بأن مأواهم جهنم وساءت مصيراً.

[٨٩]

١٠٠ . (ومن يهاجر في سبيل الله...) راغمه: ساخطه. والمعنى: ومن يهاجر في سبيل الله أي طلباً لمرضاته في التلبس بالدين علماً وعملاً، يجد في الأرض موانع كثيرة، كلّما منعه مانع في بعضها من إقامة دين الله، استراح إلى بعض آخر بالهجرة إليه، لإرغام المانع واسخاطه أو لمنازعته المانع واسخاطه، ويجد سعة في الأرض. (ومن يخرج من بيته مهاجراً...) المهاجرة إلى الله ورسوله: كناية عن المهاجرة إلى أرض الإسلام التي يتمكن فيها من العلم بكتاب الله وسنة رسوله والعمل بها.

١٠١ . (وإذا ضربتم في الأرض...) إذا سافرتم فلا مانع من حرج أو إثم أن تنقصوا شيئاً من الصّلاة. (إن خفتم أن يفتنكم...) إن خفتم أن يعذبوكم بالحملة والقتل.

١٠٢ . (وإذا كنت فيهم فأقمت...) وإذا كنت أنت فيهم يا رسول الله، والحال حال الخوف، فأقمت لهم الصّلاة أي صلّيتهم جماعة فأممتهم فيها، فلا يدخلوا في الصلاة جميعاً، بل لتقم طائفة منهم معك بالاقتداء بك وليأخذوا معهم اسلحتهم، ومن المعلوم أن الطائفة الأخرى يحرسونهم وامتعتهم، فإذا سجد المصلون معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا وراءكم يحرسونكم والأمتعة، ولتأت طائفة أخرى لم

يصلوا فليصلوا معك، وليأخذ هؤلاء المصلون أيضاً كالطائفة الأولى المصلية حذرهم واسلحتهم. (ولا جناح عليكم إن كان...) تخفيف آخر، وهو أنهم إن كانوا يتأذون من مطر ينزل عليهم أو كان بعضهم مرضى، فلا مانع من أن يضعوا أسلحتهم، لكن يجب عليهم مع ذلك أن يأخذوا حذرهم، ولا يغفلوا عن الذين كفروا فهم مهتمون بهم.

١٠٣ . (فإذا قضيتم الصّلاة...) كناية عن الذكر المستمر المستوعب لجميع الأحوال. (فإذا اطمأننتم...) المراد: الرجوع إلى الأوطان، وعلى هذا فالمراد بإقامة الصّلاة: إتمامها. (إن الصّلاة كانت...) المراد بكونها كتاباً موقوتاً: أنها مفروضة ثابتة غير متغيرة أصلاً، فالصّلاة لا تسقط بحال.

١٠٤ . (ولا تهنوا في ابتغاء القوم...) إن حال الفريقين في أن كل منهما يألم [هو حال واحد]، فلستم أسوأ حالاً من أعدائكم، بل أنتم أرفه منهم وأسعد حيث أن لكم رجاء الفتح والظفر والمغفرة من ربّكم الّذي هو وليكم، وأما أعداؤكم فلا مولى لهم ولا رجاء لهم من جانب يُطيب نفوسهم وينشطهم في عملهم، وكان الله عليماً بالمصالح، حكيماً متقناً في أمره ونهيه.

(١٤٢/١)

---

١٠٥ . (إنّا أنزلنا إليك الكتاب...) مضمون الآية على ما يعطيه السّياق: أن الله أنزل إليك الكتاب وعلمك أحكامه وشرائعه وحكمه لتضيف إليها ما أوجد لك من الرأي وعرّفك من الحكم فتحكم بين الناس وترفع بذلك اختلافاتهم. (ولا تكن للخائنين خصيماً) عطف على ما تقدمه من الجملة الخبرية، لكونها في معنى الانشاء. كأنه قيل: فاحكم بينهم ولا تكن للخائنين خصيماً. والخصيم هو الذي يدافع عن الدعوى وما في حكمها، وفيه نهيه صلى الله عليه وآله عن أن يكون خصيماً للخائنين على من يطالبهم بحقوقه، فيدافع عن الخائنين ويبطل حقوق المحقين من أهل الدعوى.

١٠٦ . (واستغفر الله إن الله...) ولا تكن للخائنين خصيماً ولا تمل إليهم، واطلب من الله سبحانه أن يوفقك لذلك ويستر على نفسك أن تميل إلى الدفاع عن خيانتهم ويتسلط عليك هوى النّفس.

١٠٧ . (ولا تجادل عن الّذين...) ولا تكن خصيماً لهؤلاء، ولا تجادل عنهم فانهم مصرون على الخيانة مبالغون فيها ثابتون على الاثم، والله لا يحب من كان خواناً أثيماً.

[٩٠]

١٠٨ . (يستخفون من النّاس...) [هذه الآيات «١٠٥ . ١٢٦» نزلت في رجل من بني أُبيرق سرق سرقة، فلمّا وصل الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، رمى بنو أُبيرق رجلاً مؤمناً بتلك السرقة].

١٠٩ . (ها أنتم هؤلاء جادلتم...) المراد: ان الجدال عنهم لو نفعهم فإنما ينفعهم في الحياة الدّنيا، ولا

قدر لها عند الله، وأمّا الحياة الأخروية الّتي لها عظيم القدر عند الله، فلا مدافع هناك عن الخائنين ولا مجادل عنهم، بل لا وكيل لهم يومئذ يتكفّل تدبير أمورهم وإصلاح شؤونهم.

١١٠ . (ومن يعمل سوءً أو يظلم...) فيه ترغيب وحث لاولئك الخائنين أن يرجعوا إلى ربّهم بالاستغفار.

(١٤٣/١)

---

١١١ . (ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه...) يجب على من يكسب إثماً أن يتذكر أن ما يكسبه من الإثم فإنما يكسبه على نفسه لا على غيره، وأنه هو الذي فعله لا غيره، وإن رماه به أو تعهد له هو أن يحمل إثمه، وكان الله عليماً يعلم أنه فعل هذا الكاسب، حكيماً لا يؤاخذ بالإثم إلاّ آثمه.

١١٢ . (ومن يكسب خطيئة...) إن من يكسب معصية ثمّ يرم بها بريئاً بنسبتها إليه، فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً.

١١٣ . (ولولا فضل الله عليك...) السّياق يدل على أن المراد بهمهم بإضلال النبيّ صلى الله عليه وآله، هو همهم أن يرضوه بالدفاع عن الذين سماهم الله تعالى بالخائنين والجدال عنهم، وأما قوله: (وما يضلون إلاّ أنفسهم) فالمراد به: أن إضلال هؤلاء لا يتعدى أنفسهم ولا يتجاوزهم إليك، فهم الضالون بما همّوا به، لأنه معصية وكل معصية ضلال. (وما يضرونك من شيء) الكلام سوق لنفي إضرار الناس مطلقاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله في علم أو عمل. (وأنزل الله عليك الكتاب..) هذا الإنزال والتعليم هو المانع من تأثيرهم في إضلاله صلى الله عليه وآله، فهو الملاك في عصمته. والمراد بالإنزال والتعليم [في هذه الآية] نوعان إثنان من العلم، أحدهما: التعليم بالوحي ونزول الروح الأمين على النبيّ صلى الله عليه وآله، والآخر: التعليم بنوع من الإلقاء في القلب والإلهام الخفيّ الإلهي من غير إنزال الملك. وهذا ما تؤيِّده الروايات الواردة في علم النبيّ صلى الله عليه وآله.

١١٤ . (لا خير في كثير من نجواهم...) النجوى: المسارة في الحديث. وقد عمم البيان لمطلق المسارة في القول سواء كان ذلك بطريق التبييت أو بغيره لأن الحكم المذكور هو انتفاء الخير لمطلق المسارة. (إلاّ من أمر بصدقة...) ظاهر الاستثناء انه منقطع. والمعنى: لكن من أمر [بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس] ففيما أمر به شيء من الخير.

(١٤٤/١)

---

١١٥ . (ومن يشاقق الرّسول...) المراد بمشاقة الرّسول بعد تبين الهدى: مخالفته وعدم إطاعته. (نولّه ما تولّى) نجره على ما جرى عليه، ونساعده على ما تلبس به من اتباع غير سبيل المؤمنين.
١١٦ . (إنّ الله لايغفر...) الآية تدل على أن مشاقة الرّسول شرك بالله العظيم، وإن الله لا يغفر أن يُشرك به.
١١٧ . (إن يدعون من دونه...) الإناث: جمع انثى، يقال: أنث الحديد أنثاً أي انفعل ولان. ففيه معنى الانفعال والتأثر. وقد سميت الأصنام وكل معبود من دون الله إناثاً، لكونها قابلات منفعلات ليس في وسعها أن تفعل شيئاً ممّا يتوقعه عبّادها منها. (وإن يدعون إلاّ شيطاناً مريداً) المريد: العاري من كل خير، أو مطلق العاري. ويؤول المعنى إلى: أن عبادتهم لكل معبود من دون الله عبادة ودعوة منهم للشيطان المريد لكونها طاعة له.
١١٨، ١١٩ . (لعنه الله وقال...) اللعن: الابعاد عن الرحمة. والتبتيل: الشق، وينطبق على ما نقل: أن عرب الجاهلية كانت تشق آذان البحائر والسوائب لتحريم لحومها. (ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنّهم...) لأضلنهم بالاشتغال بعبادة غير الله واقتراف المعاصي، ولأغرنهم بالاشتغال بالآمال والمعاصي الّتي تصرفهم عن الاشتغال بواجب شأنهم وما
[٩١]
يهمهم من أمرهم، ولآمرنّهم بشق آذان الأنعام وتحريم ما أحل الله سبحانه، ولآمرنّهم بتغيير خلق الله، وينطبق على مثل الإخصاء وأنواع المثلة واللواط والسحق. وليس من البعيد أن يكون المراد بتغيير خلق الله: الخروج عن حكم الفطرة وترك الدين الحنيف.
١٢٠ . (يَعدهم ويمنيهم...) أما المواعيد: فهي الوساوس الشيطانية بلا واسطة. وأما الأماني: فهي المتفرعة على وساوسه ممّا يستلذه الوهم من المتخيلات، ولذلك قال: (وما يعدهم الشّيطان إلاّ غروراً) فعد الوعد غروراً دون التمنية على ما لا يخفى.
١٢١ . (أولئك مأواهم جهنم...) بيّن تعالى عاقبة حالهم. (لا يجدون عنها محيصاً) معدلاً ومفراً.

---

١٢٢ . (والّذين آمنوا وعملوا...) فيه مقابلة لما ذكر في وعد الشيطان أنه ليس إلاّ غروراً، فكان وعد الله حقاً، وقوله صدقاً.
١٢٣ . (ليس بأمانيكم ولا أماني...) ليس بأمانيكم معاشر المسلمين . أو معشر طائفة من المسلمين . ولا بأماني أهل الكتاب، بل الأمر يدور مدار العمل، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. (من يعمل سوءً يجز به) يشمل الجزاء الدنيوي الذي تقرره الشريعة الاسلامية كالقصاص للجاني والقطع للسارق، ويشمل الجزاء الأخروي الذي أوعده الله تعالى في كتابه وبلسان نبيه. (ولا يجد له من دون الله...)

فالجزاء المشرّع من عند الله لا يصرفه عن عامل السوء صارف.

١٢٤ . (ومن يعمل من الصّالحات...) هذا هو الشق الثاني المتضمن لجزاء عامل العمل الصالح وهو الجنة. وشَرَط في المجازاة بالجنة أن يكون الآتي بالعمل الصالح مؤمناً، إذ الجزاء الحسن إنّما هو بإزاء العمل الصّالح ولا عمل للكافر.

١٢٥ . (ومن أحسن ديناً...) الإنسان لا مناص له عن دين، وأحسن الدين اسلام الوجه لله الذي له ما في السّماوات والأرض، والخضوع له خضوع العبودية، والعمل بما تقتضيه ملة إبراهيم حنيفاً وهو الملة الفطرية، وقد اتخذ الله سبحانه إبراهيم الذي هو أول من أسلم وجهه لله محسناً واتبع الملة الحنيفية خليلاً. وفي العيون بإسناده عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: سمعت أبي يحدِّث عن أبيه عليه السلام أنه قال: إنما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً لأنه لم يردّ أحداً ولم يسأل أحداً قطّ غير الله عزّ وجلّ.

(١٤٦/١)

---

١٢٧ . (ويستفتونك في النّساء...) يسألونك أن تفتيهم في أمرهن قل: الفتوى إلى الله، وقد أفتاكم فيهنّ، بما أفتى فيما أنزل من آيات أوّل السورة. (وما يتلى عليك في الكتاب...) قل: الله يفتيكم في الأحكام التي تتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء. وأما قوله: (اللاّتي لا تؤتونهن ما كتب...) فوصف ليتامى النساء، وفيه إشارة إلى نوع حرمانهنّ الّذي هو السبب لتشريع ما شرّع الله تعالى لهن من الأحكام، فألغى السنّة الجائرة الجارية عليهنّ، ورفع الحرج بذلك عنهنّ. (والمستضعفين من الولدان) معطوف على يتامى النساء، وقد كانوا يستضعفون الولدان من اليتامى، ويحرمونهم من الإرث، معتذرين بأنهم لا يركبون الخيل ولا يدفعون عن الحريم. (وأن تقوموا لليتامى بالقسط) قل: الله يفتيكم أن تقوموا لليتامى بالقسط، وهذا بمنزلة الإنتقال من حكم بعض يتامى النساء والولدان، إلى حكم مطلق اليتيم في ماله وغير ماله. (وما تفعلوا من خير...) تذكرة لهم بأن ما عزم الله عليهم في النساء وفي اليتامى من الأحكام، فيه خيرهم، وأن الله عليم به، ليكون ترغيباً لهم في العمل به، وتحذيراً عن مخالفته لأن الله عليم بما يعملون.

١٢٨ . (وإن امرأة خافت...) إنما اعتبر خوف النشوز والاعراض دون نفس تحققهما، لأن الصلح يتحقق موضوعه من حين تحقق العلائم والآثار المعقبة للخوف. والسّياق يدل على أن المراد بالصلح: هو الصلح بغضّ المرأة عن بعض حقوقها في الزوجية أو جميعها لجلب الأنس والألفة والموافقة، والتحفظ عن وقوع المفارقة، والصلح خير. (وأحضرت

الأنفس الشحّ) الشح: البخل. والمعنى: أن الشح من الغرائز النفسانية الّتي جبلها الله عليها لتحفظ به منافعها، فما لكل نفس من الشح هو حاضر عندها، فالمرأة تبخل بما لها من الحقوق في الزوجية كالكسوة والنفقة والوقاع، والرّجل يبخل بالموافقة والميل إذا أحب المفارقة، ولا جناح عليهما حينئذ أن يصلحا ما بينهما بإغماض أحدهما أو كليهما عن بعض حقوقه.

١٢٩ . (ولن تستطيعوا أن تعدلوا...) بيّن تعالى أن العدل بين النساء بحقيقة معناه وهو اتخاذ حاق الوسط، ممّا لا يستطاع للإنسان ولو حرص عليه، فالواجب على الرّجل من العدل بين النساء أن يسوي بينهن عملاً، بإيتائهن حقوقهن من غير تطرف، والمندوب عليه أن يحسن إليهن ولا يظهر الكراهة لمعاشرتهن، ولا يُسيء اليهن خلقاً، وكذا كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله. (وإن تصلحوا وتتّقوا...) تأكيد وترغيب للرجال في الاصلاح عند بروز امارات الكراهة والخلاف ببيان أنه من التقوى.

١٣٠ . (وإن يتفرّقا يغن...) وإن تفرق الرّجل والمرأة بطلاق، يغن الله كلاً منهما بسعته.

١٣١ . (... ولقد وصيّنا الّذين...) تأكيد في دعوتهم إلى مراعاة صفة التقوى في جميع مراحل المعاشرة الزوجية، وفي كل حال، وأن في تركها كفراً بنعمة الله، بناءً على أن التقوى الّتي تحصل بطاعة الله ليس إلاّ شكراً لأنعمه، أو أن ترك تقوى الله تعالى لا منشأ لها إلاّ الكفر. (وإن تكفروا فإن لله...) إن لم تحفظوا ما وصيناكم به والّذين من قبلكم، وأضعتم هذه الوصية ولم تتقوا الله وهو كفر بالله، أو عن كفر بالله، فإن ذلك لا يضر الله سبحانه إذ لا حاجة له إليكم وإلى تقواكم، وله ما في السماوات والأرض، وكان الله غنياً حميداً.

١٣٢ . (ولله ما في السّماوات...) قد مر بيان معنى ملكه، وهو تعالى وكيل يقوم بامور عباده وشؤونهم وكفى به وكيلاً لايحتاج فيه إلى اعتضاد.

١٣٣ . (إن يشأ يذهبكم...) إن الله وصاكم جميعاً بملازمة التقوى، وإن كفرتم فإنه غني عنكم، فهو قادر أن يؤخركم ويقدم آخرين يقومون لما يحبه ويرتضيه، وكان الله على ذلك قديراً.

١٣٤ . (من كان يريد ثواب...) ان ثواب الدنيا والآخرة وسعادتهما، إنما هو عند الله سبحانه، فليتقرب إليه حتى من أراد ثواب الدنيا وسعادتها، فإن السعادة لا توجد للانسان في غير تقوى الله الحاصل بدينه الذي شرعه له.

١٣٥ . (يا أيّها الّذين آمنوا كونوا...) القسط: العدل. والقيام بالقسط: العمل به والتحفظ له. كأنه قيل: كونوا شهداء لله، ولا يتيّسر لكم ذلك إلاّ بعد أن تكونوا قوامين بالقسط، فكونوا قوامين بالقسط حتى تكونوا شهداء لله. (ولو على أنفسكم...) ولو كانت على خلاف نفع أنفسكم أو والديكم أو أقربائكم، فلا يحملنكم حب منافع أنفسكم أو حب الوالدين والأقربين، أن تحرفوها أو تتركوها. (إن يكن غنياً أو فقيراً...) لا يحملنكم غنى الغني أن تميلوا عن الحق إليه، ولا فقر الفقير أن تراعوا حاله بالعدول عن الحق، بل أقيموا الشهادة لله سبحانه ثمّ خلوا بينه وبين الغني والفقير، فهو أولى بهما وأرحم بحالهما. (فلا تتبعوا الهوى...) مخافة أن تعدلوا عن الحق والقسط باتباع الهوى وترك الشهادة لله. (وإن تلووا أو تعرضوا...) اللي بالشهادة: كناية عن تحريفها، من ليّ اللسان. والإعراض: ترك الشهادة.

١٣٦ . (يا أيّها الّذين آمنوا آمِنوا...) الإيمان بواحد من حقائق هذه المعارف لا يتم إلاّ مع الإيمان بجميعها من غير استثناء، والرد لبعضها مع الأخذ ببعض آخر كفر لو أُظهر ونفاق لو كُتم، ومن يكفر بالله أو ملائكته أو كتبه أو رسله أو اليوم الآخر، أي من يكفر بشيء من أجزاء الايمان فقد ضل ضلالاً بعيداً.

---

١٣٧ . (إن الّذين آمنوا ثمّ...) في مقام التعليل لقوله: (ومن يكفر بالله...)، أي أن من يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر هو الذي آمن ثمّ كفر ثمّ آمن ثمّ كفر ثمّ ازداد كفراً.

١٣٨، ١٣٩ . (بشّر المنافقين بأن...) تهديد للمنافقين، وقد وصفهم بموالاة الكافرين دون المؤمنين، وهذا وصف

[٩٣]

أعمّ مصداقاً من المنافقين الذين لم تؤمن قلوبهم. فإن طائفة من المؤمنين [كانوا] لا يزالون مبتلين بموالاة الكفار، والانقطاع عن جماعة المؤمنين، والاتصال بهم باطناً. (أيبتغون عندهم العزة...) استفهام انكاري ثمّ جواب بما يقرره الانكار، فإن العزة من فروع الملك والملك لله وحده.

١٤٠ . (وقد نزّل عليكم...) يريد ما نزّله في سورة الأنعام: (وإذا رأيت الّذين يخوضون...) الأنعام: ٦٨، فإن سورة الأنعام مكية وسورة النساء مدنية. (إنكم إذاً مثلهم) تعليل للنهي، أي بما نهيناكم لأنكم إذا قعدتم معهم . والحال هذه . تكونون مثلهم.

١٤١ . (الّذين يتربّصون بكم...) التربص: الانتظار. والاستحواذ: الغلبة والتسلط. وهذا وصف آخر لهؤلاء المنافقين فإنهم إنّما حفظوا رابطة الاتصال بالفريقين جميعاً: المؤمنين والكافرين، يستدرّون الطائفتين ويستفيدون ممن حسن حاله منهما، فإن كان للمؤمنين فتح قالوا: إنّا كنا معكم فليكن لنا سهم ممّا أوتيتموه، وإن كان للكافرين نصيب قالوا: ألم نغلبكم ونمنعكم من المؤمنين أي من الايمان

بما آمنوا به والاتصال بهم، فلنا سهم ممّا أوتيتموه من النصيب. (فالله يحكم بينكم...) إن الحكم يومئذ للمؤمنين على الكافرين، ولن ينعكس الأمر أبداً.

(١٥٠/١)

---

١٤٢ . (إنّ المنافقين يخادعون...) هؤلاء يريدون بأعمالهم الصادرة عن النفاق أن يخادعوا الله أي النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين، ولا يدرون أن هذا الذي خلّى بينهم وبين هذه الأعمال ولم يمنعهم منها هو الله سبحانه، وهو خدعة منه لهم ومجازاة لهم بسوء نياتهم وخباثة أعمالهم، فخدعتهم له بعينها خدعته لهم. (وإذا قاموا إلى الصّلاة...) لو كانت قلوبهم متعلقة بربهم مؤمنة به لم يأخذهم الكسل والتواني في التوجه إليه وذكره، ولم يعملوا عملهم لمراءاة الناس، ولذكروا الله كثيراً.

١٤٣ . (مذبذبين بين ذلك...) وهذا نعت المنافقين، يتذبذبون بين ذلك . أي ما ذكر من الايمان والكفر . لا إلى المؤمنين فقط ولا إلى الكفار فقط. (ومن يُضلل الله...) في مقام التعليل، فسبب ترددهم بين الجانبين من غير تعلق بأحدهما، أن الله أضلهم عن السبيل فلا سبيل لهم.

١٤٤ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تتخذوا...) الآية تنهى المؤمنين عن الاتصال بولاية الكفار وترك ولاية المؤمنين.

١٤٥ . (إنّ المنافقين في الدرك...) [تعليل ما ورد في الآية السّابقة] بالوعيد الشديد المتوجه إلى المنافقين، وليس إلاّ أن الله سبحانه يعد هذا الصنيع نفاقاً يحذر المؤمنين من الوقوع فيه.

١٤٦ . (إلاّ الّذين تابوا...) استثناء من الوعيد. ولازم ذلك خروجهم من جماعة المنافقين، ولحقوهم بصف المؤمنين، ولذا ذيّل الاستثناء بذكر كونهم مع المؤمنين، وذَكَر ثواب المؤمنين جميعاً فقال تعالى: (فاولئك مع المؤمنين...).

١٤٧ . (ما يفعل الله بعذابكم...) لا موجب لعذابكم إن شكرتم نعمة الله باداء واجب حقه، وآمنتم به، وكان الله شاكراً لمن شكره وآمن به، عليماً لا يجهل مورده.

(١٥١/١)

---

١٤٨ . (لا يحب الله الجهر بالسّوء...) السوء من القول: كل كلام يسوء من قيل فيه، كالدعاء عليه، وشتمه بما فيه من المساوئ والعيوب وبما ليس فيه، فكل ذلك لا يحب الله الجهر به وإظهاره. وقوله: (إلاّ من ظُلم) لكن من ظُلم لا بأس بأن يجهر بالسوء من القول فيمن ظلمه.

١٤٩ . (إن تبدوا خيراً...) إبداء الخير: إظهاره سواء كان فعلاً كإظهار الانفاق على مستحقه، وكذا كل معروف، لما فيه من إعلاء كلمة الدين وتشويق الناس إلى المعروف، أو كان قولاً كاظهار الشكر على النعم. وإخفاء الخير: إخفاء فعل المعروف ليكون أبعد من الرئاء وأقرب إلى الخلوص. والعفو عن السوء: الستر عليه قولاً، بأن لا يذكر ظالمه بظلمه. (فإن الله كان عفواً قديراً) إن تعفوا عن سوء فقد اتصفتم بصفة من صفات الله الكمالية . وهو العفو على قدرة . فإن الله ذو عفو على قدرته.

١٥٠ . (إنّ الّذين يكفرون...) هؤلاء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فاليهود تؤمن بموسى وتكفر بعيسى ومحمّد، والنصارى تؤمن بموسى وعيسى وتكفر بمحمّد صلّى الله عليهم أجمعين، وقد أطلق الله عليهم أنهم كافرون بالله ورسوله. (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً) سبيلاً متوسطاً بين الإيمان بالله ورسله، والكفر بالله ورسله، وهو الإيمان ببعض والكفر ببعض. ولا سبيل إلى الله إلاّ الإيمان به وبرسله جميعاً.

١٥١ . (أولئك هم الكافرون...) إنه تعالى بعد وصفهم بانهم يريدون بالايمان ببعض الرسل والكفر بالبعض، أن يفرقوا بين الله ورسله، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، ذكر أنهم كافرون بذلك حقاً.

١٥٢ . (والّذين آمنوا بالله...) لما كفّر أولئك المفرقين بين الله ورسله، ذكر من يقابلهم بالايمان بالله ورسله على سبيل عدم التفرقة.

---

١٥٣ . (يسألك أهل الكتاب...) أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، والّذي سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله هو أن ينزّل عليهم كتاباً من السماء. فقال تعالى في جوابهم أولاً: (فقد سألوا موسى أكبر من ذلك) أي ممّا سألوك من تنزيل كتاب من السّماء إليهم (فقالوا أرنا الله جهرة) إراءة عيان نعاينه بابصارنا. ثمّ قال تعالى: (ثمّ اتخذوا العجل...) وهذه عبادة الصنم وهو من أفظع الجهالات البشرية، وقد أمرهم موسى في ذلك أن يتوبوا إلى بارئهم فيقتلوا أنفسهم، فأخذوا فيه فعفا الله عنهم، وآتى موسى عليه السلام سلطاناً مبيناً حيث سلطه عليهم وعلى السامري وعجله.

١٥٤ . (ورفعنا فوقهم الطّور...) [القصص مذكورة في: سورة البقرة: ٥٨ . ٦٣، و ٩٣. وسورة الاعراف: ١٦١ . ١٦٣].

١٥٥ . (فبما نقضهم ميثاقهم...) تلخيص لما ذكر عنهم من نقض المواثيق. (وكفرهم بآيات الله) تلخيص لأنواع من الكفر كفروا بها في زمن موسى عليه السلام. (وقتلهم الأنبياء بغير الحق) زكريا ويحيى وغيرهما. (وقولهم قلوبنا غلف) في أغشية تمنعها عن استماع الدعوة النّبوية، كأنهم كانوا يدعون أنهم خُلقوا غلف القلوب. (بل طبع الله عليها...) إنّما فعل ذلك بهم في مقابل كفرهم

وجحودهم للحق.

١٥٦ . (وبكفرهم وقولهم على مريم...) قذفها عليها السّلام في ولادة عيسى بالزنا.

١٥٧ . (وقولهم إنّا قتلنا المسيح...) إنه عليه السلام لم يتوف بأيديهم لا صلباً ولا غير مصلوب، بل شبّه لهم أمره فأخذوا غير المسيح عليه السلام مكان المسيح فقتلوه أو صلبوه.

١٥٨ . (بل رفعه الله...) هذه الآية بحسب السّياق تنفي وقوع ما ادعوه من القتل والصلب عليه، فقد سلم من قتلهم وصلبهم.

١٥٩ . (وإن من أهل الكتاب...) الآية لا تخلو عن إشعار أو دلالة على حياته عليه السلام وعدم توفيه بعد. والمراد بايمانهم به قبل الموت: إيمانهم جميعاً به قبل موته عليه السلام.

---

١٦٠ . (فبظلم من الّذين...) المراد بالظّلم: بعض ما ذكر من مظالمهم الفجيعة، فهي السبب لتحريم ما حرّم عليهم من الطيبات بعد إحلالها. ثمّ ضم إلى ذلك قوله: (وبصدهم عن سبيل الله كثيراً) وهو إعراضهم المتكرر عن سبيل الله.

[٩٥]

١٦١ . (وأخذهم الرّبا وقد نهوا...) استوجبوا من الله بمظالمهم جزاءين: جزاء دنيوي عام وهو تحريم الطّيبات، وجزاء أخروي خاص بالكافرين منهم وهو العذاب الأليم.

١٦٢ . (لكن الرّاسخون في العلم...) ذكر الله سبحانه في فصل من القول: إن هؤلاء السائلين وهم أهل الكتاب ليست عندهم سجية اتباع الحق ولا ثبات ولا عزم ولا رأي، وكم من آية بيِّنة ظلموها، ودعوة حق صدّوا عنها، إلاّ أن الراسخين في العلم منهم لما كان عندهم ثبات على علمهم وما وضح من الحق لديهم، وكذا المؤمنون حقيقة منهم، لما كان عندهم سجية اتباع الحق، فانهم يؤمنون بما أُنزل اليك وما أُنزل من قبلك، لما وجدوا أن الذي نُزِّل إليك من الوحي يماثل ما نُزِّل من قبلك على سائر النبيِّين. فهؤلاء الذين استثناهم الله راسخون في العلم أو مؤمنون حقيقة.

١٦٣ . (إنّا أوحينا إليك...) إنهم آمنوا بما أُنزل إليك لأنّا لم نؤتك أمراً مبتدعاً يختص من الدعاوى والجهات بما لا يوجد عند غيرك من الأنبياء السابقين، بل الأمر على نهج واحد لا اختلاف فيه، فإنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده، ونوح أول نبي جاء بكتاب وشريعة، وكما أوحينا إلى ابراهيم ومن بعده من آله، وهم يعرفونهم ويعرفون كيفية بعثتهم ودعوتهم، فمنهم من أوتي كتاباً كداود أُوتي زبوراً وهو وحي نبوي، وموسى أُوتي التكليم وهو وحي نبوي، وغيرهما كاسماعيل واسحاق ويعقوب أُرسلوا بغير كتاب، وذلك أيضاً عن وحي نبوي.

١٦٤ . (ورسلاً قد قصصناهم...) عن الصادق عليه السلام: وكان بين آدم وبين نوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسموا، كما سمي من استعلن من الأنبياء، وهو قول الله عزّ وجلّ: (ورسلاً لم نقصصهم عليك...).

١٦٥ . (...وكان الله عزيزاً حكيماً) وإذا كانت له العزة المطلقة والحكمة المطلقة، استحال أن يغلبه أحد بحجة، بل له الحجّة البالغة.

١٦٦ . (لكن الله يشهد...) الله مع ذلك يشهد بما أنزل على نبيّه، والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيداً.

١٦٧ . (إنّ الّذين كفروا...) إن الّذين كفروا وصدوا عن هذا الكتاب والوحي الذي يتضمنه، فقد كفروا وصدّوا عن سبيل الله.

١٦٨ . (إنّ الّذين كفروا وظلموا...) المراد بالظلم: الصد عن سبيل الله كما هو ظاهر. ويمكن أن تكون الآية في مقام التعليل بالنسبة إلى الآية السّابقة، يبين فيها وجه ضلالهم البعيد، والمعنى ظاهر.

١٧٠ . (يا أيّها النّاس قد...) خطاب عام لأهل الكتاب وغيرهم من الناس كافة، متفرع على ما مر من البيان لأهل الكتاب. (وإن تكفروا فإنّ لِلّه...) إن تكفروا لم يزد كفركم عليكم شيئاً، ولا ينقص من الله سبحانه شيئاً، فإن كل شيء ممّا في السماوات والأرض لله، فمن المحال أن يسلب منه تعالى شيء من ملكه. والآية من الكلمات الجامعة التي كلما أمعنت في تدبّرها أفادت زيادة لطف في معناها، وسعة عجيبة في تبيانها، فإحاطة ملكه تعالى على الأشياء وآثارها تعطي في الكفر والإيمان والطاعة والمعصية معاني لطيفة، فعليك بزيادة التدبّر فيها.

[٩٦]

١٧١ . (يا أهل الكتاب لاتغلوا...) ظاهر الخطاب بقرينة ما يذكر فيه من أمر المسيح عليه السلام أنه خطاب للنصارى. (إنّما المسيح) أي المبارك. (عيسى بن مريم) تصريح بالاسم واسم الأم ليكون أبعد من التفسير والتأويل بأي معنى مغاير، وليكون دليلاً على كونه إنساناً مخلوقاً كأي انسان ذي أُم. (فآمنوا بالله ورسله...) فإذا كان كذلك وجب عليكم الإيمان على هذا النحو، وهو أن يكون ايماناً بالله بالربوبية، ولرسله . ومنهم عيسى . بالرّسالة. (ولا تقولوا ثلاثة) الثلاثة هم الاقانيم الثلاثة: الأب

والأبن وروح القدس. (سبحانه أن يكون...) اسبحه تسبيحاً وانزهه تنزيهاً من أن يكون له ولد. (وكفى بالله وكيلاً) ولياً لشؤونكم، مدبراً لاموركم، يهديكم إلى ما هو خير لكم ويدعوكم إلى صراط مستقيم.

١٧٢ . (لن يستنكف المسيح...) وكيف يستنكف المسيح والملائكة المقربون عن عبادته، والحال أن الّذين يستنكفون عن عبادته، ويستكبرون من عباده من الإنس والجن والملائكة يحشرون إليه جميعاً، فيجزون حسب أعمالهم، والمسيح والملائكة يعلمون ذلك ويؤمنون به ويتقونه.

١٧٣ . (...ولا يجدون لهم من دون الله...) التعرض لنفي الولي والنصير، مقابلة لما قيل به من الوهية المسيح والملائكة.

١٧٤ . (يا أيّها النّاس قد جاءكم...) البرهان: بيان الحجّة [كما قال الراغب]. والمراد بالنّور: هو القرآن لا محالة بقرينة قوله: (وأنزلنا إليكم) ويمكن أن يراد بالبرهان أيضاً ذلك [أي القرآن]، والجملتان إذاً تؤكد احداهما الاخرى. ويمكن أن يكون المراد به النبيّ صلى الله عليه وآله، ويؤيده وقوع الآية في ذيل الآيات المبينة لصدق النبيّ في رسالته، ونزول القرآن من عند الله تعالى، وكون الآية تفريعاً لذلك.

---

١٧٥ . (فأمّا الّذين آمنوا...) بيان لثواب من اتبع برهان ربه والنور النازل من عنده. والآية كأنها منتزعة من الآية السابقة أعني قوله: (فأما الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات...) ولعله لذلك لم يذكر هاهنا جزاء المتخلف من تبعية البرهان والنور، لأنه بعينه ما ذكر في الآية السابقة، فلا حاجة إلى تكراره ثانياً، بعد الإشعار بأن جزاء المتبعين هاهنا جزاء المتبعين هنالك، وليس هناك إلاّ فريقان: المتبعون والمتخلفون.

١٧٦ . (يستفتونك قل الله...) تقدم الكلام في معنى الاستفتاء ومعنى الكلالة في الآيات السّابقة.

«سورة المائدة»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (يا أيّها الّذين آمنوا أوفوا...) لمّا كان العقد . وهو العهد . يقع على جميع المواثيق الدّينية التي أخذها الله من عباده، وكان لفظ العقود جمعاً محلى باللام، لا جرم كان الأوجه حمل العقود في الآية على ما يعمّ كل ما يصدق عليه أنه عقد. (أُحلت لكم بهيمة الانعام) أُحل لكم أكل لحومها. (غير محلي الصّيد وأنتم حرم) حرمة هذا الذي أُحل إذا كان اصطياده في حال الإحرام.

[٩٧]

٢ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تحلوا...) الاحلال: الإباحة الملازمة لعدم المبالاة بالحرمة والمنزلة. والشعائر: جمع شعيرة وهي العلامة، وكأن المراد بها أعلام الحج ومناسكه. والشهر الحرام: محرّم ورجب وذو القعدة وذو الحجّة. والهدي: ما يُساق للحج من الغنم والبقر والإبل. والقلائد: جمع قلادة، وهي ما يُقلد به الهدي. والآمّين: جمع آم، والمراد بهم: القاصدون لزيارة البيت الحرام. والفضل: المال أو الربح المالي. (وإذا حللتم فاصطادوا) الحل والإحلال: الخروج من الإحرام. (ولا يجرمنّكم شنآن قوم...) يقال: جرمه يجرمه أي حمله. والشنآن: العداوة. والمعنى: ولا تحملنكم عداوة قوم منعوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا عليهم بعدما أظهركم الله عليهم. (وتعاونوا على البرِّ والتّقوى...) المعنى واضح. وهذا أساس السنّة الإسلامية. وقد فسّر الله سبحانه البر في كلامه بالايمان والاحسان في العبادات والمعاملات. والتقوى مراقبة أمر الله ونهيه. فيعود معنى التعاون على البر والتقوى إلى الاجتماع على الإيمان والعمل الصالح على أساس تقوى الله، وهو الصلاح والتقوى الاجتماعيان. ويقابله التعاون على الاثم الّذي هو العمل السيّئ المستتبع للتأخر في أمور الحياة السعيدة، وعلى العدوان وهو التعدي على حقوق الناس الحقّة بسلب الأمن من نفوسهم أو أعراضهم أو أموالهم. ثمّ أكّد سبحانه نهيه عن الاجتماع على الاثم والعدوان بقوله: (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) وهو في الحقيقة تأكيد على تأكيد.

(١٥٨/١)

---

٣ . (حُرِّمت عليكم الميتة...) الآية لا تشتمل فيما عدته من المحرمات على أمر جديد غير مسبوق بالتحريم فيما تقدم عليها من الآيات المكية أو المدنية المتضمنة تعداد محرمات الأطعمة من اللحوم ونحوها. (والمنخنقة والموقوذة والمتردية...) المنخنقة: البهيمة التي تموت خنقاً. والموقوذة: التي تضرب حتى تموت. والمتردية: التي سقطت من مكان عال. والنطيحة: التي ماتت عن نطح. وما أكل السبع: التي أكل من لحمها الوحش الضاري كالأسد والذئب. (إلاّ ما ذكيتم) استثناء لما يقبل التذكية، بمعنى فري الأوداج الأربعة منها. (وما ذبح على النّصب) قال الراغب: النصيب: الحجارة تنصب على الشيء، وجمعه نصائب ونصب، وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها. والأزلام: القداح.

(١٥٩/١)

(اليوم يئس الّذين كفروا...) تمام يأس الكفار إنما كان يتحقق بأن ينصب الله لهذا الدين من يقوم مقام النبيّ صلى الله عليه وآله في حفظه وتدبير أمره. وهذا يؤيد ما ورد من الروايات ان الآية نزلت يوم غدير خم، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر من الهجرة في أمر ولاية عليّ عليه السلام. والمراد بالذين كفروا: مطلق الكفار من الوثنيين واليهود والنصارى وغيرهم. (فلا تخشوهم واخشون) لا موجب للخشية بعد يأس الذين كنتم في معرض الخطر من قبلهم. (اليوم أكملت لكم دينكم...) اليوم . وهو اليوم الذي يئس فيه الذين كفروا . أكملت لكم مجموع المعارف الدينية التي أنزلتها إليكم، بفرض الولاية، وأتممت عليكم نعمتي وهي الولاية الّتي هي إدارة أمور الدين وتدبيرها تدبيراً إلهياً، فإنها كانت إلى اليوم ولاية الله ورسوله، وهي إنما تكفي ما دام الوحي ينزل، ولا تكفي لما بعد ذلك من زمان انقطاع الوحي، ولا رسول بين الناس يحمي دين الله ويذب عنه، بل من الواجب أن ينصب من يقوم بذلك، وهو ولي الأمر بعد رسول الله صلى الله عليه وآله القيّم على أمور الدِّين والأمّة. (فمن اُضطر في مخمصة...) المخمصة: المجاعة، والتجانف: التمايل.

٤ . (يسألونك ماذا اُحلّ لهم...) سؤال مطلق اُجيب عنه بجواب عام مطلق، فيه إعطاء الضابط الكلي الذي يميز الحلال من الحرام. (وما علّمتم من الجوارح مكلّبين...) الجوارح المعلّمة بالتكليب . أي كلاب الصيد . إذا كانت معلّمة واصطادت لكم شيئاً من الوحش الذي يحل أكله بالتذكية وقد سميتم عليه، فكلوا منه إذا قتله دون أن تصلوا إليه، فذلك

تذكية له، وأما دون القتل فالتذكية بالذبح والإحلال به لله يغني عن هذا الحكم.

(١/١٦٠)

---

٥ . (اليوم أحلّ لكم الطيّبات...) ورد في أكثر الروايات المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام، أن المراد بالطعام في الآية: هو البر وسائر الحبوب. والمراد بالمحصنات: العفائف غير ذوات الأزواج. (ومن يكفر بالإيمان...) معنى الكفر بالإيمان: ترك العمل بما يعلم أنه حق، وقد حذّر الله المؤمنين بعد بيان حلية طعامهم والمحصنات من نسائهم أن لا يسترسلوا في التنعم بهذه النعم استرسالاً يؤدي إلى الكفر بالإيمان وترك أركان الدّين، والإعراض عن الحق.

٦ . (يا أيّها الّذين آمنوا إذا قمتم...) الآية تدل على اشتراط الصلاة بما تذكره من الغسل والمسح أعني الوضوء. والغَسل: إمرار الماء على الشيء. (وإن كنتم جنباً فاطهروا) تقدير الكلام: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأمسحوا برؤوسكم وأرجلكم إن لم تكونوا جنباً وإن كنتم جنباً فاطهروا. ويستفاد من ذلك أن تشريع الوضوء إنما هو في حال عدم الجنابة. والمراد بالمرض في قوله: (كنتم مرضى) المرض الذي يتحرج معه الإنسان من استعمال الماء ويتضرر به. (أو على سفر) التقدير: إذا قمتم

إلى الصلاة وكنتم على سفر ولم تجدوا ماء فتيمموا. (أو جاء أحد منكم من الغائط) التقدير: إذا قمتم إلى الصلاة وجاء أحد منكم من الغائط ولم تجدوا ماءً فتيمموا. (أو لامستم النّساء) كناية عن الجماع. والصعيد: وجه الأرض. (ما يريد الله ليجعل عليكم...) ان مرادنا بهذه الأحكام المجعولة تطهيركم، لا أن نشق عليكم ونحرّجكم، ولذلك لما وجدنا الوضوء والغسل حرجيين عليكم عند فقدان الماء انتقلنا من إيجاب الوضوء والغسل إلى إيجاب التيمّم.

٧ . (واذكروا نعمة الله...) هذا هو الميثاق الّذي كان مأخوذاً منهم على الإسلام، كما تشهد به تذكرته لهم بقوله: (إذ قلتم سمعنا وأطعنا) فإنه السمع المطلق والطاعة المطلقة، وهو الإسلام لله.

---

٨ . (يا أيّها الّذين آمنوا كونوا...) الآية في مقام الردع عن الانحراف عن العدل في الشهادة لشنآن [عداوة] وبغض من الشاهد للمشهود عليه، فيقيم الشهادة عليه يريد بها نوع انتقام منه ودحض لحقه. ولمّا كان الغرض هو الردع عن الظلم في الشهادة لسابق عداوة من الشاهد للمشهود عليه، قيّد الشهادة بالقسط فأمر بالعدل في الشهادة وأن لا تشتمل على ظلم حتى على العدو. (اعدلوا هو أقرب للتّقوى واتقوا الله) دعا إلى العدل وعدّه ذريعة إلى حصول التقوى. وهذه الآية نظيرة الآية التي في سورة النساء: (يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوامّين...) النساء . ١٣٥، وإنما الفرق بين الآيتين أن آية النساء في مقام النهي عن الإنحراف عن العدل في الشهادة لاتباع الهوى، بأن يهوى الشاهد المشهود له لقرابة ونحوها، فيشهد له بما ينتفع به على خلاف الحق. [وأما هذه الآية من سورة المائدة فهي تنهى عن الإنحراف عن العدل في الشهادة لسابق عداوة].

٩ . (وعد الله الّذين آمنوا...) الجملة الثانية أعني قوله: (لهم مغفرة) إنشاء للوعد الّذي أخبر عنه بقوله: (وعد الله).

١٠ . (والّذين كفروا وكذّبوا...) إيعاد شديد للّذين كفروا وكذبوا بآيات الله.

١١ . (يا أيّها الّذين آمنوا اذكروا...) هذا المضمون يقبل الانطباق على وقائع متعددة مختلفة وقعت بين الكفار والمسلمين، كغزوات بدر وأُحد والأحزاب وغير ذلك، فالظاهر أن المراد به مطلق ما هَمَّ به المشركون من قتل المؤمنين وإمحاء أثر الإسلام ودين التوحيد. (واتقوا الله وعلى الله...) أمر بالتقوى والتوكل على الله، والمراد بالحقيقة النهي والتحذير الشديد عن ترك التقوى وترك التوكل على الله سبحانه.

١٢ . (ولقد أخذ الله...) [الميثاق هو الّذي ذكره في سورة البقرة وغيرها]. (وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً) الظاهر أنهم رؤساء الأسباط الإثني عشر، كانوا كالولاة عليهم يتولون أمورهم. (وقال الله إنّي

معكم) إيذان بالحفظ
[٩٩]

(١٦٢/١)

والمراقبة، فيتفرع عليه أن ينصرهم إن اطاعوه ويخذلهم إن عصوه، ولذلك ذكر الأمرين جميعاً فقال: (لئن أقمتم الصّلاة...) والمراد بالرسل ما سيستقبلهم ببعثته ودعوته كعيسى ومحمّد عليهما السّلام وسائر من بعثه الله بين موسى ومحمّد عليهم السّلام. (وأقرضتم الله قرضاً حسناً) وهو الانفاق المندوب دون الزكاة الواجبة. (لأكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنّات...) هذا ما يرجع إلى جميل الوعد. ثمّ قال: (فمن كفر بعد ذلك...).

١٣ . (فبما نقضهم ميثاقهم...) هذا كله جزاؤهم بما كفروا بآيات الله التي على رأسها الميثاق المأخوذ منهم، أو جزاء كفرهم بالميثاق خاصة، فإن سواء السبيل الذي ضلوه هو سبيل السعادة. وقوله: (لعناهم) اللعن: هو الابعاد من الرحمة. (وجعلنا قلوبهم قاسية) قسوة القلب مأخوذة من قسوة الحجارة وهي صلابتها، والقسي من القلوب ما لا يخشع لحق ولا يتأثر برحمة. وقد عقبت قسوة قلوبهم أنهم عادوا (يحرفون الكلم عن مواضعه) وأفضاهم ذلك إلى أن فاتتهم حقائق ناصعة من الدين (ونسوا حظّاً ممّا ذكروا به) ولم يكن إلاّ حظاً من الأصول الّتي تدور على مدارها السعادة، (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) أي على طائفة خائنة منهم، أو على خيانة منهم.

١٤ . (ومن الّذين قالوا...) كان المسيح عيسى بن مريم نبي رحمة يدعو الناس إلى الصلح والسلم، ويندبهم إلى الاشراف على الآخرة والاعراض عن ملاذ الدنيا، فلما نسوا حظاً ممّا ذكروا به، أثبت الله سبحانه في قلوبهم مكان السلم والصلح حرباً، وبدل المؤاخاة التي ندبوا إليها معاداة ومباغضة.

١٥ . (يا أهل الكتاب قد جاءكم...) أما بيانه كثيراً ممّا كانوا يخفون من الكتاب، فكبيانه آيات النبوة وبشارتها. وأما عفوه عن كثير، فهو تركه كثيراً ممّا كانوا يخفونه من الكتاب. (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) المراد بالنور والكتاب المبين: القرآن. ومن المحتمل أن يكون المراد بالنور: النبيّ صلى الله عليه وآله.

(١٦٣/١)

---

١٦ . (يهدي به الله...) يهدي الله سبحانه ويورد بسبب كتابه أو بسبب نبيه من اتبع رضاه، سبلاً من شأنها أن يسلم من سار فيها من شقاء الحياة الدنيا والآخرة، وكل ما تتكدر به العيشة السعيدة.

(ويخرجهم من الظلّمات إلى النّور باذنه) الاخراج من الظلمات إلى النور إذا نسب إلى غيره تعالى كنبي أو كتاب، فمعنى إذنه تعالى فيه إجازته ورضاه. وإذا نسب ذلك إلى الله تعالى، فمعنى إخراجهم باذنه: إخراجهم بعلمه، وقد جاء الإذن بمعنى العلم، يقال: أذن به أي علم به.

١٧ . (لقد كفر الّذين قالوا...) هؤلاء إحدى الطوائف الثلاث التي تقدم نقل أقوالهم في سورة آل عمران، وهي القائلة باتحاد الله سبحانه بالمسيح فهو إله وبشر بعينه. (قل فمن يملك من الله شيئاً...) هذا برهان على إبطال قولهم، فله أن يهلك المسيح، كما له ان يهلك اُمّه ومن في الأرض على حدّ سواء من غير مزية للمسيح على غيره، وكيف يجوز الهلاك على الله سبحانه فوضعهم أن المسيح بشر يبطل وضعهم أنه هو الله سبحانه، للمناقضة. (ولله ملك السّماوات والأرض وما بينهما) كيف يمكن أن يمنع مانع من إرادته تعالى اهلاك المسيح وغيره ووقوع ما أراده من ذلك، والملك والسلطنة المطلقة في السّماوات والأرض وما بينهما لله تعالى لا ملك لأحد سواه فلا مانع من نفوذ حكمه ومضى أمره. (يخلق ما يشاء وهو على كل شيء قدير) فله القدرة على كل شيء وهو يخلق ما يشاء من الأشياء. فله الملك المطلق في السّماوات والأرض وما بينهما، فخلقه ما يشاء وقدرته على كل شيء هو البرهان على ملكه، كما ان ملكه هو البرهان على أن له أن يريد اهلاك

[١٠٠]

الجميع، ثمّ يمضي إرادته لو أراد، وهو البرهان على أنه لا يشاركه أحد منهم في ألوهيته.

---

١٨ . (وقالت اليهود والنّصارى...) لا ريب أنهم لم يكونوا يدّعون البنوة الحقيقية، فإنما أُريد بالأبناء أنهم من الله سبحانه بمنزلة الأبناء من الأب. فمعنى قولهم: (نحن أبناء الله وأحباؤه) أنّا خاصة الله ومحبوبوه لا سبيل له تعالى إلى تعذيبنا وإن فعلنا ما فعلنا وتركنا ما تركنا. (قل فلم يعذّبكم بذنوبكم) أمر نبيه بالاحتجاج عليهم ورد دعواتهم أنه لو صحّت دعواكم أنكم أبناء الله وأحباؤه مأمونون من التعذيب الإلهي، لكنتم مأمونين من كل عذاب أخروي أو دنيوي، فما هذا العذاب الواقع عليكم المستمر فيكم بسبب ذنوبكم. (بل أنتم بشر...) إنكم بشر من جملة من خلقه الله من بشر وغيره، لا تمتازون عن سائر من خلقه الله منهم، وإذا كان كذلك كان لله سبحانه أن يغفر لمن يشاء منهم ويعذب من شاء منهم.

١٩ . (يا أهل الكتاب قد جاءكم...) الآية خطاب ثان لأهل الكتاب متمم للخطاب السّابق، فإن الآية الأولى [آية ١٥] بينت لهم أن الله أرسل إليهم رسولاً أيده بكتاب مبين يهدي بإذن الله إلى كل خير وسعادة، وهذه الآية تبين أن ذلك البيان الإلهي، إنما هو لإتمام الحجّة عليهم أن يقولوا: (ما جاءنا من بشير ولا نذير).

٢٠ . (وإذ قال موسى...) قول موسى لهم: (اذكروا نعمة الله...) أُريد به مجموع النعم الّتي أنعم الله بها عليهم وحباهم بها. وقد قسّم النعمة الّتي ذكرهم بها ثلاثة أقسام فقال: (إذ جعل فيكم أنبياء) وهم الأنبياء الذين في عمود نسبهم كإبراهيم وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من الأنبياء، أو خصوص الأنبياء من بني إسرائيل كيوسف أو الأسباط وموسى وهارون. ثمّ قال: (وجعلكم ملوكاً) أي مستقلين بأنفسكم خارجين من ذل استرقاق الفراعنة وتحكم الجبابرة. ثمّ قال: (وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين) وهي العنايات والألطاف الإلهية.

(١٦٥/١)

---

٢١ . (يا قوم ادخلوا الأرض المقدّسة...) أمرهم بدخول الأرض المقدسة، وكان يستنبط من حالهم التمرد والتأبي عن القبول، ولذلك أكد أمره بالنهي عن الارتداد وذكر استتباعه الخسران.

٢٢ . (قالوا يا موسى إنّ فيها...) المراد بالجبارين: هم أولو السطوة والقوة من الذين يجبرون الناس على ما يريدون. (وإنّا لن ندخلها حتّى يخرجوا منها) اشتراط منهم خروج القوم الجبارين في دخول الأرض.

٢٣ . (قال رجلان من الّذين...) ظاهر السّياق أن المراد بالمخافة: مخافة الله سبحانه، وان هناك رجالاً كانوا يخافون الله أن يعصوا أمره وأمر نبيّه، ومنهم هذان الرّجلان اللذان قالا ما قالا، وأنهما كانا يختصان من بين أولئك الذين يخافون بأن الله أنعم عليهما. (ادخلوا عليهم الباب) لعلّ المراد به أول بلد من بلاد أولئك الجبابرة يلي بني إسرائيل، أو المراد باب البلدة. (فإذا دخلتموه فانكم غالبون) وعدٌ منهما لهم بالفتح والظفر على العدو إتكالاً منهما بما ذكره موسى عليه السلام أن الله كتب لهم تلك الأرض لإيمانهما بصدق أخباره، أو انهما عرفا ذلك بنور الولاية الإلهية.

٢٤ . (قالوا يا موسى إنّا لن...) تكرارهم قولهم: (إنّا لن ندخلها) ثانياً لإيئاس موسى عليه السلام من أن يصر على دعوته فيعود إلى الدعوة بعد الدعوة. ثمّ جرأتهم الجهالة على ما هو أعظم من ذلك كله، وهو قولهم مفرعين على ردهم الدعوة: (فاذهب أنت وربّك...).

٢٥ . (قال ربّ إنّي لا أملك...) ربّ إنّي أبلغت وأعذرت ولا أملك في إقامة أمرك إلاّ نفسي وكذلك أخي، وقد قمنا بما علينا من واجب التكليف، ولكن القوم واجهونا بأشدّ الامتناع. فاحلل أنت هذه العقدة ومهد بربوبيتك السبيل إلى نيل ما وعدته من تمام النعمة وايراثهم الأرض واستخلافهم فيها، واحكم وافصل بيننا وبين هؤلاء الفاسقين.

٢٦ . (قال فانّها محرّمة...) إن الأرض المقدّسة قضينا أن لا يوفقوا لدخولها أربعين سنة، يسيرون فيها في الأرض

متحيرين، فلا تحزن على القوم الفاسقين من نزول هذه النقمة عليهم.

٢٧ . (واتل عليهم نبأ...) التلاوة: القراءة. والنبأ: الخبر إذا كان ذا جدوى ونفع. والقربان: ما يتقرب به إلى الله سبحانه أو إلى غيره. (إذ قرّبا قرباناً...) ظاهر السياق أن كل واحد منهما قدم إلى الرّب تعالى شيئاً يتقرب به. (قال لاقتلنك قال إنّما يتقبّل...) القائل الأول هو القاتل والثاني هو المقتول. وقول القاتل: (لاقتلنك) تهديد بالقتل حسداً لقبول قربان المقتول. وقول المقتول: (إنّما يتقبّل الله من المتّقين) جواب عمّا قاله القاتل، فان مسألة قبول القربان وعدم قبوله لا صنع له في ذلك ولا اجرام، وإنما الاجرام من قبل القاتل حيث لم يتق الله فجازاه الله بعدم قبول قربانه.

٢٨ . (لئن بسطت إليّ يدك...) أن القاتل لو أراد قتله وبسط إليه يده لذلك، ما هو بباسط يده إليه ليقتله لتقواه وخوفه من الله سبحانه.

٢٩ . (إنّي أريد أن تبوء...) المراد بقوله هذا: أن ينتقل إثم المقتول ظلماً إلى قاتله على إثمه الّذي كان له، فيجتمع عليه الإثمان، والمقتول يلقى الله سبحانه ولا إثم عليه.

٣٠ . (فطوّعت له نفسه...) التطويع يدل على التدريج، فالتطويع في الآية: اقتراب تدريجي للنفس من الفعل بوسوسة بعد وسوسة. والمعنى: انقادت له نفسه وأطاعت أمره بقتل أخيه طاعة تدريجية.

٣١ . (فبعث الله غراباً...) البحث: طلب الشيء في التراب. والمواراة: الستر. والسوأة: ما يتكرهه الإنسان. والآية بسياقها تدل على أن القاتل قد كان بقي زماناً على تحير من أمره، وكان يحذر أن يعلم به غيره، ولا يدري كيف الحيلة إلى أن لايظفروا بجسده حتى بعث الله الغراب. (فأصبح من النّادمين) إشارة إلى ندامته على عدم مواراة سوأة أخيه، وربّما أمكن أن يقال: إن المراد به ندمه على أصل القتل.

٣٢ . (من أجل ذلك كتبنا...) معنى الجملة: أنه لمّا كان من طباع الإنسان أن يندفع بأي سبب واه إلى ارتكاب هذا الظلم العظيم، وكان من أمر بني إسرائيل ما كان، بيّنا لهم منزلة قتل النفس، لعلهم يكفون عن الاسراف، ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثمّ إنهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون. وقوله: (من قتل نفساً...) كناية عن كون الناس جميعاً ذوي حقيقة إنسانية واحدة، الواحد منهم والجميع فيها سواء، فمن قصد الإنسانية التي في الواحد منهم فقد قصد الإنسانية الّتي في الجميع.

٣٣ . (إنّما جزاء الّذين يحاربون...) المراد بالمحاربة والافساد على ما هو الظاهر: الإخلال بالأمن

العام، ولا يكون إلاّ باستعمال السلاح المهدد بالقتل. والتقتيل والتصليب والتقطيع: تفعيل من القتل والصلب والقطع. والمراد بقطع الأيدي والأرجل: قطع بعضها دون الجميع، أي إحدى اليدين وإحدى الرجلين مع مراعاة مخالفة الجانب. (أو ينفوا من الأرض) النفي: الطرد والتغييب، وفسر في السنة بطرده من بلد إلى بلد. (ذلك لهم خزي...) الخزي: الفضيحة، والمعنى ظاهر. وتمام الكلام في الفقه، غير أن الآية لا تخلو عن إشعار بالترتيب بين الحدود بحسب اختلاف مراتب الفساد، فإن الترديد بين القتل والصّلب والقطع والنفي . وهي أُمور غير متعادلة ولا متوازنة، بل مختلفة من حيث الشدّة والضعف . قرينة عقلية على ذلك.

كما أن ظاهر الآية أنها حدود للمحاربة والفساد، فمن شهر سيفاً وسعى في الأرض فساداً أو قتل نفساً، فإنما يقتل لأنه محارب مفسد، وليس ذلك قصاصاً يقتصّ منه لقتل النفس المحترمة، فلا يسقط القتل لو رضي أولياء المقتول بالدية، كما رواه العيّاشي في تفسيره عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣٤ . (إلاّ الّذين تابوا...) أما بعد القبض عليهم وقيام البينة فإن الحد غير ساقط. وأما قوله: (فاعلموا ان الله غفور رحيم) فهو كناية عن رفع الحد عنهم.

(١٦٨/١)

---

٣٥ . (يا أيّها الّذين آمنوا اتقوا...) قال الرّاغب في المفردات: الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبة. (وجاهدوا في

[١٠٢]

سبيله) المراد: مطلق الجهاد، ومن الممكن أن يكون المراد بالجهاد هو القتال مع الكفّار.

٣٦ . (إنّ الّذين كفروا...) إنّ الّذين كفروا لو أنهم ملكوا ما في الأرض جميعاً، ثمّ زيد عليه مثله ليكون لهم ضعفا ما في الأرض، ثمّ أرادوا أن يفتدوا به من عذاب يوم القيامة، ما تقبل منهم، ولهم عذاب أليم.

وفي الآية اشارة إلى ان العذاب هو الأصل القريب من الإنسان، وإنما يصرف عنه الايمان والتقوى، كما يشير إليه قوله تعالى: (إنّ الإنسان لفي خسر إلاّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات) العصر . ٣.

٣٧ . (يريدون أن يخرجوا...) يريدون أن يخرجوا من النار وهي العذاب، وما هم بخارجين منها لأنه عذاب خالد مقيم عليهم لا يفارقهم أبداً.

٣٨ . (والسّارق والسّارقة فاقطعوا...) اليد: ما دون المنكب. والمراد بها في الآية: اليمين بتفسير السنة، ويصدق قطع اليد بفصل بعض أجزائها أو جميعها عن البدن بآلة قطاعة. والنكال: العقوبة التي يعاقب بها المجرم لينتهي عن إجرامه ويعتبر بها غيره من الناس.

٣٩ . (فمن تاب من بعد ظلمه...) لما كان القطع نكالاً يراد به رجوع المنكول به عن معصيته، فمن تاب من بعد ظلمه توبة ثمّ أصلح ولم يحم حول السرقة، فإنّ الله يتوب عليه ويرجع إليه بالمغفرة والرحمة، لأنّ الله غفور رحيم.

٤٠ . (ألم تعلم أن الله...) إن الله سبحانه لما كان له ملك السّماوات والأرض، كان له تعالى أن يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء على حسب الحكمة والمصلحة، فيعذب السارق والسارقة إن لم يتوبا، ويغفر لهما إن تابا.

(١٦٩/١)

---

٤١ . (يا أيّها الرّسول لايحزنك...) لا يحزنك هؤلاء بسبب مسارعتهم في الكفر فانهم إنما آمنوا بألسنتهم لا بقلوبهم، وما أولئك بمؤمنين، وكذلك اليهود الذين جاؤوك وقالوا ما قالوا. (سماعون للكذب سماعون...) اختلاف معنى السمع هو الذي أوجب تكرار قوله: (سمّاعون) فإن الأوّل يفيد معنى الاصغاء، والثاني معنى القبول. (يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه...) إن عدّة من اليهود ابتلوا بواقعة دينية فيما بينهم لها حكم إلهي عندهم، لكن علماءهم غيروا الحكم بعد ثبوته، ثمّ بعثوا طائفة منهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأمروهم أن يحكّموه في الواقعة، فإن حكم بما أنبأهم علماؤهم من الحكم المحرف فليأخذوه، وإن حكم بغير ذلك فليحذروا. (ومن يُرد الله فتنته...) إنهم في أمرهم هذا مفتونون بفتنة إلهية، فلتطب نفس النبيّ صلى الله عليه وآله بأن الأمر من الله وإليه. (أولئك الّذين لم يرد الله أن يطهّر قلوبهم) فقلوبهم باقية على قذارتها الأوّلية لما تكرّر منهم من الفسق بعد الفسق فأضلهم الله به، وما يضل به إلاّ الفاسقين.

وقد ورد في أسباب النزول أن هذه الآيات نزلت في اليهود حين زنا منهم محصنان من أشرافهم، وأراد أحبارهم أن يبدّلوا حكم الرّجم الذي في التوراة بالجلد، فبعثوا من يسأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن حكم زنا المحصن، ووصّوهم إن هو حكم بالجلد أن يقبلوه، وإن حكم بالرّجم أن يردّوه، فحكم رسول الله صلى الله عليه وآله بالرّجم، فتولّوا عنه، فسأل صلى الله عليه وآله إبن صوريا عن حكم التوراة في ذلك وأقسمه بالله وآياته أن لا يكتم ما يعلمه من الحق، فصدّق رسول الله صلى الله عليه وآله بأن حكم الرّجم موجود في التوراة.

(١٧٠/١)

---

٤٢ . (سماعون للكذب أكّالون...) كل مال اكتسب بالحرام فهو سحت، والسياق يدل على أن المراد بالسحت في الآية هو الرشا. واليهود منهم علماء يأكلون الرشا وعامة مقلدون سماعون لاكاذيبهم.
(فإن جاءوك فاحكم...) تخيير للنبيّ صلى الله عليه وآله بين أن يحكم بينهم إذا حكّموه أو يعرض عنهم. ثمّ قرر تعالى بأنه ليس عليه صلى الله عليه وآله ضرر لو ترك الحكم فيهم وأعرض عنهم، وبيّن له أنه لو حكم بينهم فليس له أن يحكم إلاّ بالقسط والعدل.
٤٣ . (وكيف يحكمونك وعندهم...) تعجيب من فعالهم أنهم أمة ذات كتاب وشريعة وهم منكرون لنبوتك
[١٠٣]
وكتابك وشريعتك، ثمّ يبتلون بواقعة في كتابهم حكم الله فيها، ثمّ يتولون بعدما عندهم التوراة فيها حكم الله، والحال أن أولئك المبتعدين من الكتاب وحكمه ليسوا بالذين يؤمنون بذلك.
٤٤ . (إنّا أنزلنا التّوراة...) فيها شيء من الهداية يهتدى بها، وشيء من النور يتبصر به من المعارف والأحكام على حسب حال بني إسرائيل، ومبلغ استعدادهم. (يحكم بها النّبيّون...) إنما وصف النبيين بالاسلام وهو التسليم لله، للإشارة إلى أن الدين واحد، وهو الإسلام لله وعدم الاستنكاف عن عبادته. (والرّبّانيّون والأحبار بما استحفظوا...) ويحكم بها الرّبانيون وهم العلماء المنقطعون إلى الله علماً وعملاً أو الّذين إليهم تربية النّاس، والأحبار وهم الخبراء من علمائهم يحكمون بما أمرهم به وأراده منهم أن يحفظوه من كتاب الله. (فلا تخشوا النّاس واخشون...) أخذنا منهم الميثاق على حفظ الكتاب وأشهدناهم عليه أن لا يغيروه ولا يخشوا في إظهاره غيري ولا يشتروا بآياتي ثمناً قليلاً.

(١٧١/١)

---

٤٥ . (وكتبنا عليهم فيها...) بيان حكم القصاص في أقسام الجنايات من القتل والقطع والجرح، فالنفس تقتل بالنفس، والعين تفقأ بالعين، والأنف يجدع بالأنف، والاذن تصلم بالاذن، والسن تقلع بالسن، والجروح ذوات قصاص. (فمن تصدّق به فهو كفّارة له) فمن عفا من أولياء القصاص كولي المقتول أو نفس المجروح، عن الجاني ووهبه ما يملكه من القصاص، فالعفو كفارة لذنوب المتصدق أو كفارة عن الجاني في جنايته.
وقوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الظالمون) من قبيل وضع العلّة موضع معلولها، والتقدير: وإن لم يتصدّق فليحكم بما أنزل الله. فإن من لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الظالمون.
٤٦ . (وقفينا على آثارهم بعيسى...) استعارة بالكناية أُريد بها الدلالة على انه سلك به عليه السلام المسلك الذي سلكه من قبله الأنبياء. (وآتيناه الإنجيل فيه هدىً...) المراد بالهدى في وصف التوراة

وفي وصف الإنجيل أوّلاً هو نوع المعارف الاعتقادية كالتوحيد والمعاد. وبالنور في الموضعين: نوع الشرائع والأحكام. وبالهدى ثانياً في وصف الإنجيل: نوع المواعظ والنصائح. (ومصدّقاً لما بين يديه من التّوراة) المراد به تبعية الإنجيل لشريعة التوراة فلم يكن في الإنجيل إلاّ الإمضاء لشريعة التوراة والدعوة إليها إلاّ ما استثناه عيسى المسيح.

٤٧ . (وليحكم أهل الإنجيل...) الإنجيل لمّا صدّق التوراة فيما شرعته، وأحل بعض ما حرم فيها، كان العمل بما في التوراة في غير ما أحلها الإنجيل من المحرمات، عملاً بما أنزل الله في الإنجيل.

(١٧٢/١)

---

٤٨ . (وأنزلنا إليك الكتاب...) هذا حال القرآن الّذي وصفه الله تعالى بأنه تبيان كل شيء بالنسبة إلى ما بين يديه من الكتب السّماوية، يحفظ منها الأصول الثابتة غير المتغيرة، وينسخ منها ما ينبغي أن ينسخ من الفروع التي يمكن أن يتطرّق إليها التغير والتبدل حتى يناسب حال الإنسان. (فاحكم بينهم بما أنزل الله...) إذا كانت الشريعة النازلة إليك المودعة في الكتاب حقاً، وهو حق فيما وافق ما بين يديه من الكتب، وحق فيما خالفه لكونه مهيمناً عليه، فليس لك إلاّ أن تحكم بين أهل الكتاب . كما يؤيده ظاهر الآيات السابقة، أو بين الناس . كما تؤيده الآيات اللاحقة . بما أنزل الله إليك ولا تتبع أهواءهم بالاعراض والعدول عمّا جاءك من الحق. (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً...) لكل أمة جعلنا منكم (جعلاً تشريعياً) شرعة ومنهاجاً، ولو شاء الله لأخذكم أمة واحدة وشرع لكم شريعة واحدة، ولكن جعل لكم شرائع مختلفة ليمتحنكم فيما آتاكم من النعم المختلفة، واختلاف النعم كان يستدعي اختلاف الامتحان الذي هو عنوان التكاليف والأحكام المجعولة، فلا محالة ألقى الاختلاف بين الشرائع. (فاستبقوا الخيرات إلى الله...) وجعلنا هذه الشريعة الحقة المهيمنة على سائر الشرائع شريعة لكم، وفيها خيركم وصلاحكم، فاستبقوا الخيرات وهي الأحكام والتكاليف، ولا

[١٠٤]

تشتغلوا بأمر هذه الاختلافات الّتي بينكم وبين غيركم، فإن مرجعكم جميعاً إلى ربّكم تعالى فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون، ويحكم بينكم حكماً فصلاً ويقضي قضاء عدلاً.

٤٩ . (وأن احكم بينهم بما أنزل الله...) الآية تأمر بالحكم بما أنزل الله، وتحذر اتباع أهواء الناس، وتبين أن توليهم إن تولوا عمّا أنزل الله كاشف عن إضلال إلهي لهم لفسقهم.

(١٧٣/١)

---

٥٠ . (أفحكم الجّاهلية يبغون...) هؤلاء الّذين يتولون عن الحكم الحق ماذا يريدون بتوليهم، وليس هناك إلاّ حكم الجاهلية؟ أفحكم الجاهلية يبغون، والحال أنه ليس لأحد أحسن حكماً من الله لهؤلاء المدّعين للإيمان؟.

٥١ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تتخذوا...) النهي عن موادتهم الموجبة لتجاذب الأرواح والنفوس الّذي يفضي إلى التأثير والتأثر الأخلاقيين، فإن ذلك يقلّب حال مجتمعهم من السيرة الدينية المبنية على سعادة اتباع الحق، إلى سيرة الكفر المبنية على اتباع الهوى وعبادة الشيطان، والخروج عن صراط الحياة الفطرية. (بعضهم أولياء بعض) لا تتخذوهم أولياء لأنهم على تفرقهم وشقاقهم فيما بينهم، يد واحدة عليكم، لا نفع لكم في الاقتراب منهم بالمودة والمحبة. (ومن يتولهم منكم...) إن من يتخذهم منكم أولياء فإنه بعضهم، فهؤلاء الموالون لاولئك، أقوام عدهم الله تعالى من اليهود والنصارى وإن كانوا من المؤمنين ظاهراً.

٥٢، ٥٣ . (فترى الّذين في قلوبهم...) هؤلاء يسارعون فيهم لا لخشية الدائرة عليهم فليسوا يخافون ذلك، وإنما هي معذرة يختلقونها لأنفسهم لدفع ما يتوجه إليهم من ناحية النبيّ صلى الله عليه وآله والمؤمنين من اللوم والتوبيخ، إنما يحملهم على تلك المسارعة توليهم اليهود والنصارى. (فعسى الله أن يأتي...) وعسى أن يأتي الله بالفتح أو أمر من عنده فيقول الّذين آمنوا لهؤلاء الضعفاء الإيمان عند حلول السخط الإلهي بهم: أهؤلاء اليهود والنصارى الّذين أقسموا بالله جهد أيمانهم . أي أيمانهم التي بالغوا وجهدوا فيها . أنهم لمعكم فلماذا لا ينفعونكم ثمّ كأنه سئل فقيل: فإلى مَ انتهى أمر هؤلاء الموالين فقيل في جوابه: حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين.

---

٥٤ . (يا أيّها الّذين آمنوا من يرتد...) المقام مقام بيان أن الدين الحق في غنىً عن ايمانهم المشوب بموالاة أعداء الله، لمّا أن الله سبحانه هو ولي دينه وناصره، ومن نصرته لدينه أنه سيأتي بقوم براء من أعدائه، يتولون أولياءه ولا يحبون إلاّ إياه. وفي المجمع في الآية قال: وقيل: هم أمير المؤمنين عليّ عليه السلام واصحابه حين قاتل من قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين، وروي ذلك عن عمار وحذيفة وابن عبّاس، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السّلام.

٥٥، ٥٦ . (إنّما وليكم الله ورسوله...) الرّوايات متكاثرة من طرق الشيعة وأهل السنة على أن الآيتين نازلتان في أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام لما تصدق بخاتمه وهو في الصّلاة. فالآيتان خاصتان غير عامتين.

٥٧ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تتخذوا...) [الآية تنهى عن اتخاذ] المستهزئين بالله وآياته من أهل الكتاب والكفار أولياء. (واتّقوا الله إن كنتم مؤمنين) إن المؤمن وهو الآخذ بعروة الايمان لا معنى

لأن يرضى بالهزء واللعب بما آمن به، فهؤلاء إن كانوا متلبسين بالايمان . أي كان الدين لهم ديناً . لم يكن لهم بد من تقوى الله في أمرهم أي عدم اتخاذهم أولياء.

٥٨ . (وإذا ناديتم إلى الصّلاة...) المراد بالنداء إلى الصّلاة: الأذان المشروع في الإسلام. (ذلك بانّهم قوم لا يعقلون) اتخاذ الصّلاة أو الأذان هزواً ولعباً، إنما لكونهم قوماً لا يعقلون.

٥٩ . (قل يا أهل الكتاب...) هل تنكرون منّا إلاّ أنّا مؤمنون، وأن اكثركم فاسقون.

٦٠ . (قل هل أُنبّئكم...) إن إيماننا بالله وما أنزله على رسله، إن كان شراً عندكم، فأنا أخبركم بشر من ذلك يجب عليكم أن تتقموه، وهو النعت الذي فيكم.

[١٠٥]

(١٧٥/١)

---

٦١ . (وإذا جاءوكم قالوا...) يشير تعالى إلى نفاق قلوبهم وإضمارهم ما لا يرتضيه الله سبحانه في لقائهم المؤمنين فقال: (وإذا جاءوكم قالوا آمنّا) أي أظهروا الإيمان، والحال أنهم قد دخلوا عليكم مع الكفر وقد خرجوا من عندكم بالكفر، وإنما يظهرون الإيمان إظهاراً، والحال ان الله يعلم ما كانوا يكتمونه سابقاً من الغدر والمكر.

٦٢ . (وترى كثيراً منهم يسارعون...) الإثم والعدوان وأكل السحت تستوعب نماذج من فسوقهم في القول والفعل، فهم يقترفون الذنب في القول وهو الاثم القولي، والذنب في الفعل وهو إما فيما بينهم وبين المؤمنين وهو التعدي عليهم، وإما عند أنفسهم كأكلهم السحت وهو الربا والرشوة ونحو ذلك.

٦٣ . (لولا ينهاهم الرّبّانيّون...) توبيخ للرّبانيين والأحبار في سكوتهم عنهم وعدم نهيهم عن ارتكاب هذه الموبقات من الآثام والمعاصي، وهم عالمون بأنها معاص وذنوب.

(١٧٦/١)

---

٦٤ . (وقالت اليهود يد الله...) إنهم إنما تكلموا بهذه الكلمة الأثيمة في شيء من أمر الرّزق، إما في خصوص المؤمنين لما في عامتهم من الفقر، وإما أنهم إنما قالوها لجدب أو غلاء أصابهم، وإما أنهم تفوهوا بذلك لما سمعوا أمثال قوله تعالى: (من ذا الّذي يقرض الله قرضاً حسناً) البقرة . ٢٤٥، فقالوا: يد الله مغلولة لا يقدر على تحصيل ما ينفق في حوائجه لترويج دينه وإحياء دعوته. وقد قالوا ذلك سخرية واستهزاء على ما يظهر من بعض ما ورد في أسباب النزول، وهذا الوجه أقرب إلى النظر. (غُلت أيديهم ولعنوا...) دعاء عليهم بعذاب مشابه لما نسبوا إليه تعالى من النقص غير

المناسب لساحة قدسه. (وليزيدنّ كثيراً منهم...) اليهود كانت ترى لنفسها السيادة والتقدم، وكانت تتسمى بأهل الكتاب، فإذا رأت قرآناً نازلاً، ثمّ أمعنت فيه فوجدته كتاباً إلهياً مهيمناً على ما تقدم عليه من الكتب السماوية، فلا جرم تستيقظ من رقدتها وتطغى عاديتها، ويزيد طغيانها وكفرها. (كلّما أوقدوا ناراً...) الآية تسجل عليهم خيبة المسعى في إيقاد النيران التي يوقدونها على دين الله سبحانه وعلى المسلمين. (ويسعون في الأرض فساداً...) يجتهدون لإفساد الأرض والله لا يحب المفسدين فلا يخليهم أن ينالوا ما أرادوه من فساد الأرض فيخيب سعيهم.

٦٥ . (ولو أنّ أهل الكتاب...) المراد بالتقوى بعد الإيمان: التورع عن محارم الله وإتقاء الذنوب الّتي تحتم السخط الإلهي وعذاب النار، وهي الشرك بالله وسائر الكبائر. والمراد بالسيئات الّتي وعد الله سبحانه تكفيرها: الصغائر من الذنوب.

(١٧٧/١)

---

٦٦ . (ولو أنّهم أقاموا التّوراة...) المراد باقامة هذه الكتب: حفظ العمل العام بما فيها من شرائع الله تعالى، والاعتقاد بما بيّن الله تعالى فيها من معارف البدء والمعاد من غير أن يضرب عليها بحجب التحريف والكتمان والترك الصريح. (لأكلوا من فوقهم...) كناية عن تنعمهم بنعم السماء والأرض (منهم أمة مقتصدة...) الاقتصاد: أخذ القصد وهو التوسّط في الأمور، فالأمة المقتصدة هي المعتدلة في أمر الدين والتسليم لأمر الله.

٦٧ . (يا أيّها الرّسول بلِّغ...) الآية كاشفة عن أن الله سبحانه قد أمر رسوله صلى الله عليه وآله بحكم يتم به أمر الدّين، وكان من المترقب أن يخالفه الناس ويقلبوا الأمر على النبيّ صلى الله عليه وآله بحيث تنهدم أركان ما بناه من بنيان الدين، فكان النبيّ صلى الله عليه وآله يخاف إظهاره، فأمره الله بتبليغه وشدد فيه، ووعده العصمة من الناس، وعدم هدايتهم في كيدهم إن كادوا فيه.

وهذا يؤيد ما وردت به النصوص من طرق الفريقين أن الآية نزلت في أمر ولاية عليّ عليه السلام وأن الله أمر بتبليغها، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يخاف أن يتهموه في ابن عمه، ويؤخر تبليغها وقتاً إلى وقت، حتى نزلت الآية، فبلّغها بغدير خم، وقال فيه: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه.

٦٨ . (قل يا أهل الكتاب...) إنكم فاقدو العماد الّذي يجب عليكم أن تعتمدوا عليه في إقامة دين الله الّذي أنزله إليكم في كتبه وهو التقوى والإنابة إلى الله، بالرجوع إليه مرة بعد اخرى والاتصال به والإيواء إلى ركنه، بل مستكبرون عن

[١٠٦]

طاعته ومتعدون حدوده. وقوله: (فلا تأس على القوم الكافرين) تسلية منه تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله في صورة النهي عن الأسى.

٦٩ . (إنّ الّذين آمنوا والّذين...) الآية في مقام بيان أن لا عبرة في باب السعادة بالأسماء والألقاب، كتسمى جمع بالمؤمنين وفرقة بالذين هادوا وطائفة بالصابئين وآخرين بالنصارى، وإنما العبرة بالإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصّالح.

٧٠ . (لقد أخذنا ميثاق...) هذه الآية وما بعدها إلى عدّة آيات تتعرّض لحال أهل الكتاب. (كلّما جاءهم رسول...) كلّما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم أساؤوا مواجهته وإجابته، وجعلوا الرسل فريقين: فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون.

٧١ . (وحسبوا أن لا تكون فتنة...) إنهم لمكان ما اعتقدوا لأنفسهم من كرامة التهود ظنوا أن لا يصيبهم سوء، أو لا يفتنون بما فعلوا، فأعمى ذلك الظن والحسبان أبصارهم عن إبصار الحق، وأصم ذلك آذانهم عن سماع ما ينفعهم من دعوة أنبيائهم. ثم ختم الله الآية بقوله: (والله بصير بما يعملون) للدلالة على أن الله تعالى لا يغفله شيء، فغيره تعالى إذا أكرم قوماً بكرامة ضرب ذلك على بصره بحجاب يمنعه أن يرى منهم السوء والمكروه. وليس الله سبحانه على هذا النعت، بل هو البصير الذي لا يحجبه شيء عن شيء.

٧٢ . (لقد كفر الّذين قالوا...) هذا لكون النصارى لم تنفعهم النصرانية والانتساب إلى المسيح عليه السلام عن تعلق الكفر بهم، إذ أشركوا بالله ولم يؤمنوا به حق إيمانه حيث قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم. (وقال المسيح يا بني إسرائيل...) احتجاج على كفرهم وبطلان قولهم بقول المسيح عليه السلام نفسه، فان قوله عليه السلام: (اعبدوا الله ربّي وربّكم) يدل على انه عبد مربوب مثلهم.

٧٣ . (... قالوا إنّ الله ثالث...) أحد الثلاثة: الأب والابن والروح. (وما من إله إلاّ إله واحد) ليس في الوجود شيء من جنس الإله أصلاً إلاّ إله واحد نوعاً من الوحدة لا يقبل التعدد أصلاً، لا تعدّد الذات ولا تعدّد الصفات، لا خارجاً ولا فرضاً. (وإن لم ينتهوا...) تهديد لهم بالعذاب الأليم الأخروي.

٧٤ . (أفلا يتوبون إلى الله...) تحضيض على التوبة والاستغفار، وتذكرة بمغفرة الله ورحمته، أو إنكار أو توبيخ.

٧٥ . (ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول...) الآية تنفي عن المسيح وأمه معاً الألوهية، بأن المسيح كان رسولاً كسائر الرّسل، وأمه كانت صديقة، وهما معاً كانا يأكلان الطعام، وذلك كله ينافي الألوهية. (أنظر كيف نبين...) الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله وهو في مقام التعجيب، أي تعجب من

كيفية بياننا لهم الآيات، وهو أوضح بيان لأظهر آية في بطلان دعواهم الوهية المسيح، وكيفية صرفهم عن تعقل هذه الآيات. فإلى أي غاية يصرفون عنها، ولا تلتفت الى نتيجتها . وهي بطلان دعواهم . عقولهم؟

٧٦ . (قل أتعبدون من دون الله...) أمر الله سبحانه رسوله أن يخاطبهم خطاب البشر الساذج الجاري على ما تلهمه فطرته الساذجة في عبادة الله، كما خاطب الوثنيين وعباد الأصنام بذلك، فيذكرهم أن الّذي يضطر الإنسان لعبادة الرّب هو انه يرى أزمة الخير والشر والنفع والضر بيده فيعبده، لأنه يملك الضر والنفع، طمعاً في أن يدفع عنه الضر ويوصل إليه الخير لعبادته له.

٧٧ . (قل يا أهل الكتاب...) خطاب آخر للنبيّ صلى الله عليه وآله بأمره أن يدعو أهل الكتاب إلى عدم الغلو في دينهم، وأهل الكتاب وخاصة النصارى مبتلون بذلك. (ولا تتبعوا أهواء قوم...) ظاهر السّياق أن المراد بهؤلاء القوم الذين نُهوا عن اتباع أهوائهم هم المتبوعون المطاعون في آرائهم وأوامرهم، فيكون ضلالهم لمكان التزامهم بآرائهم، وإضلالهم كثيراً: هو

[١٠٧]

اتباع غيرهم لهم. وضلالهم عن سواء السبيل هو المتحصل لهم من ضلالهم وإضلالهم، وهو ضلال على ضلال.

(١٨٠/١)

٧٨، ٧٩ . (لُعن الّذين كفروا...) إخبار بأن الكافرين منهم ملعونون بلسان أنبيائهم، وفيه تعريض لهؤلاء الذين كفّرهم الله في هذه الآيات من اليهود، ملعونين بدعوة أنبيائهم أنفسهم، وذلك بسبب عصيانهم لانبيائهم، وهم كانوا مستمرين على الاعتداء. وقوله: (كانوا لا يتناهون...) بيان لقوله: (وكانوا يعتدون).

٨٠ . (ترى كثيراً منهم يتولون...) هذا من قبيل الاستشهاد بالحس على كونهم معتدين، فإنهم لو قدروا دينهم حق قدره لكانوا لزموه، ولازم ذلك أن يتولوا أهل التوحيد ويتبرأوا من الّذين كفروا، لأن أعداء ما يقدسه قوم أعداء لأولئك القوم، ثمّ ذمّهم الله بقوله: (لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم) وهو ولاية الكفار عن هوى النفس، وكان جزاؤه ووباله (أن سخط الله عليهم...).

٨١ . (ولو كانوا يؤمنون...) ولو كان أهل الكتاب هؤلاء يؤمنون بالله والنبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وما أُنزل إليه، أو نبي أنفسهم كموسى مثلاً وما أُنزل إليه كالتوراة مثلاً، ما اتخذوا أولئك الكفار أولياء، لأن الإيمان يَجبّ سائر الأسباب، ولكن كثيراً منهم فاسقون متمردون عن الإيمان.

٨٢ . (لتجدنّ أشدّ النّاس...) علل الله سبحانه قرب النصارى من قبول الدعوة الحقة الدينية، بأن فيهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون، ففيهم علماء لا يزالون يذكرونهم مقام الحق ومعارف الدين قولاً،

وفيهم زهاد يذكرونهم عظمة ربهم وأهمية سعادتهم الآخروية والدنيوية، وفيهم عدم الاستكبار عن قبول الحق. وأما اليهود فإنهم وإن كان فيهم أحبار علماء لكنهم مستكبرون لا تدعهم رذيلة العناد والاستعلاء أن يتهيأوا لقبول الحق. وأمّا الذين أشركوا فإنهم يفتقدون العلماء والزهاد، وفيهم رذيلة الاستكبار.

٨٣ . (وإذا سمعوا ما أُنزل...) [الآية تدل على إيمان طائفة من النصارى بالرّسول صلى الله عليه وآله].

(١٨١/١)

---

٨٤ . (وما لنا لا نؤمن بالله...) يجعلنا ربّنا مع القوم الصّالحين مدخلنا فيهم. وفي هذه الأفعال والأقوال التي حكاها الله تعالى عنهم، تصديق ما ذكره أنهم أقرب مودّة للذين آمنوا، وتحقيق أن فيهم العلم النافع والعمل الصالح والخضوع للحق، حيث كان فيهم قسيسون ورهبان وهم لا يستكبرون.

٨٥ . (فأثابهم الله بما قالوا...) الإثابة: المجازاة. [والآية تذكر جزاءهم في الآخرة بالجنّات].

٨٦ . (والّذين كفروا وكذّبوا...) الآية فيها ذكر جزاء من خالفهم.

٨٧ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تحرّموا...) مفاد الآية النهي عن تحريم ما أحله الله بالاجتناب عنه والامتناع من الاقتراب منه، فإنه يناقض الإيمان بالله وآياته ويخالف كون هذه المحللات طيّبات لا خباثة فيها حتى يُجتنب عنها، وهو إعتداء والله لا يحب المعتدين.

٨٨ . (وكلوا ممّا رزقكم...) مفاد هذه الآية بمنزلة التكرار والتأكيد لمضمون الآية السّابقة.

٨٩ . (لا يؤاخذكم الله باللّغو...) اللّغو: ما لا يترتب عليه أثر من الأعمال. والأيمان: جمع يمين وهو القسم والحلف. والتقابل الواقع بين قوله: (باللّغو في أيمانكم) وقوله: (بما عقدتم الأيمان) يعطي أن المراد باللغو في الأيمان ما لا يعقد عليه الحالف، وإنما يجري على لسانه جرياً لعادة اعتادها أو لغيرها وهو قولهم . وخاصة في البيع والشراء: لا والله، بلى
[١٠٨]

(١٨٢/١)

والله. بخلاف ما عقد عليه عقداً بالالتزام بفعل أو ترك، كقول القائل: والله لأفعلن كذا، ووالله لأتركن كذا. (فكفّارته اطعام...) الكفّارة: هي العمل الذي يستر به مساءة المعصية، من الكفر بمعنى الستر. وقوله: (فكفّارته) تفريع على اليمين باعتبار مقدر، هو نحو قولنا: فإن حنثتم فكفارته كذا. (اطعام

عشرة مساكين...) خصال ثلاث يدل الترديد على تعيين إحداها عند الحنث من غير جمع. ويدل قوله بعد: (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيّام) على كون الخصال المذكورة تخييرية من غير لزوم مراعاة الترتيب الواقع بينها في الذكر. (كذلك يبيّن الله لكم آياته...) يبين لكم بواسطة نبيه أحكامه لعلكم تشكرونه بتعلمها والعمل بها.

٩٠ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) تقدم الكلام في معنى الخمر والميسر والأزلام والأنصاب. والرجس: الشيء القذر على ما ذكره الراغب. (فاجتنبوه لعلّكم تفلحون) تصريح بالنهي بعد بيان المفسدة، ليكون أوقع في النفوس، ثمّ ترج للفلاح على تقدير الاجتناب، وفيه أشد التأكيد للنهي لتثبيته أن لا رجاء لفلاح من لا يجتنب هذه الأرجاس.

٩١ . (إنّما يريد الشّيطان...) إن حقيقة كون هذه الأمور من عمل الشيطان أو رجساً من عمل الشيطان، أن الشيطان لا بغية له ولا غاية في الخمر والميسر إلاّ أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء بتجاوز حدودكم وبغض بعضكم بعضاً، وان يصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة في هذه الأمور جميعاً أعني: الخمر والميسر والانصاب والازلام.

٩٢ . (وأطيعوا الله وأطيعوا...) تأكيد للأمر السّابق باجتناب هذه الأرجاس أولاً: بالأمر بطاعة الله سبحانه وبيده أمر التشريع، وثانياً: بالأمر بطاعة الرّسول وإليه الاجراء، وثالثاً: بالتحذير الصريح. (فإن توليتم...) تأكيد فيه معنى التهديد.

---

٩٣ . (ليس على الّذين آمنوا...) لا جناح على الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات فيما ذاقوه من خمر أو غيره من المحرمات المعدودة، بشرط أن يكونوا ملازمين للتقوى في جميع أطوارهم ومتلبسين بالإيمان بالله ورسوله، ومحسنين في أعمالهم عاملين بالواجبات وتاركين لكل محرم نهوا عنه، فإن اتفق لهم أن ابتلوا بشيء من الرجس الّذي هو من عمل الشيطان قبل نزول التحريم أو قبل وصوله إليهم أو قبل تفقههم به، لم يضرهم ذلك شيئاً.

٩٤ . (يا أيّها الّذين آمنوا ليبلونكم...) البلاء: الامتحان والاختبار. وقوله: (بشيء من الصيّد...) يفيد التحقير ليكون تلقينه للمخاطبين عوناً لهم على انتهائهم إلى ما سيواجههم من النهي في الآية الآتية. (تناله أيديكم ورماحكم) تعميم للصيد من حيث سهولة الاصطياد كما في فراخ الطير تنالها الأيدي، ومن حيث صعوبة الاصطياد ككبار الوحش لا تصطاد عادة إلاّ بالسلاح. (من يخافه بالغيب) معنى الخوف بالغيب: أن يخاف الإنسان ربه ويحترز ما ينذره به من عذاب الآخرة وأليم عقابه. (فمن اعتدى بعد ذلك) تجاوز الحد الذي يحده الله بعد البلاء المذكور، فله عذاب أليم.

٩٥ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تقتلوا...) الآية تتعرض لجهات مسألة قتل الصيد، أما ما وقع منه قبل

نزول الحكم فقد عفا الله عنه. وأما بعد جعل الحكم، فمن قتله فعليه جزاء مثل ما قتل في المرة الأُولى، فإن عاد فينتقم الله منه ولا كفارة عليه، وعلى هذا تدل معظم الأخبار المروية عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام في تفسير الآية.

٩٦ . (أُحل لكم صيد البحر...) المراد من حل صيد البحر وطعامه: جواز اصطياد حيوان البحر وحل أكل ما يؤخذ منه. وما يؤخذ من طعام البحر وإن كان أعم ممّا يؤخذ منه صيداً كالعتيق من لحم الصيد أو ما قذفه البحر من ميتة حيوان ونحوه، إلاّ أن الوارد من أخبار أئمة أهل البيت عليهم السّلام تفسيره بالمملوح ونحوه من عتيق الصيد.

[١٠٩]

---

٩٧ . (جعل الله الكعبة...) القيام: ما يقوم به الشيء، قال الراغب: والقيام والقوام اسم لما يقوم به الشيء أي يثبت كالعماد والسناد. والمعنى: ان الله تعالى جعل الكعبة بيتاً حراماً احترمه، وجعل بعض الشهور حراماً، ووصل بينهما حكماً كالحج في ذي الحجة الحرام، وجعل هناك أموراً تناسب الحرمة كالهدي والقلائد، كل ذلك لتعتمد عليه حياة الناس الإجتماعية السعيدة.

٩٨، ٩٩ . (اعلموا أنّ الله...) تأكيد للبيان وتثبيت للأحكام المذكورة، ووعد ووعيد للمطيعين والعاصين، وفيه شائبة تهديد، ولذلك قدم توصيفه بشدة العقاب على توصيفه بالمغفرة والرحمة، ولذلك أيضاً أعقب الكلام بقوله: (ما على الرّسول...).

١٠٠ . (قل لايستوي الخبيث...) مثل مضروب لبيان أن قواعد الدين ركبت على صفات تكوينية في الأشياء من طيب أو خباثة، مؤثرة في سبيل السعادة والشقاوة الانسانيتين، ولا يؤثر فيها قلة ولا كثرة، فالطيب طيب وإن كان قليلاً، والخبيث خبيث وإن كان كثيراً.

١٠١ . (يا أيّها الّذين آمنوا لا تسألوا...) لا تسألوا النبيّ صلى الله عليه وآله عن أشياء مسكوت عنها في الشريعة عفا الله عنها ولم يتعرض لبيانها تخفيفاً وتسهيلاً، فإنها بحيث تبين لكم إن تسألوا عنها حين نزول القرآن، وتسوؤكم إن أُبديت لكم وبينت. وقوله: (وإن تسألوا عنها حين يُنزّل القرآن تبد لكم) من تتمة النهي، لا لرفع النهي عن السؤال حين نزول القرآن.

١٠٢ . (قد سألها قوم...) الآية وإن أبهمت القوم المذكورين ولم تعرّفهم، لكن في القرآن الكريم ما يمكن أن تنطبق عليه الآية من القصص كقصة المائدة من قصص النصارى وقصص من قوم موسى وغيرهم.

١٠٣ . (ما جعل الله من بَحيرة...) البحيرة والسائبة والحامي: من الإبل. والوصيلة: من الشاة. وهذه

أصناف من الأنعام كان أهل الجاهلية يرون لها أحكاماً مبنية على الاحترام ونوع من التحرير، وقد نفى الله سبحانه أن يكون قد جعل من ذلك شيئاً.

(١٨٥/١)

---

١٠٤ . (وإذا قيل لهم تعالوا...) [ردّوا الدعوة الموجهة إليهم، بأنهم يقلدون في ذلك آباءهم. لكن التقليد يكون صحيحاً إذا رجع الجاهل إلى العالم، أما الرجوع إلى الجاهل فهو مذموم في سنة العقلاء] ولذلك ردّه تعالى بقوله: (أوَ لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) ومفاده أن العقل لا يبيح للإنسان الرجوع إلى من لا علم عنده ولا اهتداء.

١٠٥ . (يا أيّها الّذين آمنوا عليكم...) الآية تأمر المؤمنين أن يلزموا أنفسهم، ويلازموا سبيل هدايتهم، ولا يوحشهم ضلال من ضل من الناس، فإن الله سبحانه هو المرجع الحاكم على الجميع حسب أعمالهم. وقوله تعالى (لا يضرّكم من ضلّ إذا اهتديتم) مسوق سوق الكناية، أُريد به نهي المؤمنين عن التأثّر من ضلال من ضلّ من الناس، فيحملهم ذلك على ترك طريق الهداية كأن يقولوا: إن الدنيا الحاضرة لا تساعد الدِّين، أو يخافوا ضلالهم على هدى أنفسهم فيشتغلوا بهم وينسوا أنفسهم فيصيروا مثلهم. إنما الواجب على المؤمن هو الدعوة الى ربّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠٦، ١٠٧ . (يا أيّها الّذين آمنوا شهادة...) مضمون الآيتين: أن أحدهم إذا كان على سفر فأراد أن يوصي، فعليه أن يُشهد حين الوصية شاهدين عدلين من المسلمين، وإن لم يجد فشاهدين آخرين من غير المسلمين من أهل الكتاب، فإن ارتاب أولياء الميت في أمر الوصية، يحبس الشاهدان بعد الصّلاة فيقسمان بالله على صدقهما فيما يشهدان عليه وترفع بذلك الخصومة، فإن اطلعوا على أن الشاهدين كذبا في شهادتهما أو خانا في الأمر، فيوقف شاهدان آخران مقام الشاهدين
[١١٠]
الأوّلين، فيشهدان على خلافهما ويقسمان بالله على ذلك.

(١٨٦/١)

---

١٠٨ . (ذلك أدنى أن يأتوا...) الآية في مقام بيان حكمة التشريع، وهي أن هذا الحكم على الترتيب الذي قرره الله تعالى أحوط طريق إلى حيازة الواقع في المقام، وأقرب من أن لا يجورالشاهدان في شهادتهما ويخافا من أن يتغير الأمر عليهما برد شهادتهما بعد قبولها.

وإذا كان الواقع من أمر الوصية بحسب فرض المقام مجهولاً لا طريق إلى كشفه إلاّ شهادة من

أشهدهما الميت من الشاهدين، فأقوى ما يقرب شهادتهما من الصدق أن يؤخذ في ذلك بإيمانهما بالله تعالى وهو اليمين، وأن يرد اليمين إلى الورثة الأولياء مع يمينهما، على تقدير انكشاف كذبهما وخيانتهما عند الورثة.

ثمّ عقب تعالى القول بالموعظة والانذار فقال: (واتقوا الله واسمعوا...) والمعنى واضح.

١٠٩ . (يوم يجمع الله الرّسل...) ظاهر قوله تعالى في ذيل الآية السابقة: (واتقوا الله واسمعوا...) وإن كان مطلقاً، لكنه بحسب الانطباق على المورد نهي عن الإنحراف والجور في الشهادة والاستهانة بأمر اليمين بالله، فناسب أن يذكر في المقام بما يجري بينه سبحانه وبين رسله يوم القيامة، وهم شهداء على أممهم وأفضل الشهداء، حيث يسألهم الله سبحانه عن الذي أجابتهم به أممهم وهم أعلم الناس بأعمال أممهم والشاهدون من عند الله عليهم، فيجيبونه بقولهم: (لا علم لنا إنّك أنت علام الغيوب) وهذا الجواب منهم نحو خضوع لحضرة العظمة والكبرياء.

١١٠ . (إذ قال الله يا عيسى...) الآية تعد عدة من الآيات الباهرة الظاهرة بيده عليه السلام، إلاّ انها تمتن بها عليه وعلى أمه. والتأمل في السياق يوضح الوجه في عدّ ما ذكره من الآيات المختصة ظاهراً بالمسيح، نعمة عليه وعلى والدته. فإن ما اختص به المسيح عليه السلام من آية وموهبة كالولادة من غير أب والتأييد بروح القدس وخلق الطير وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله سبحانه، فهي بعينها كرامة لمريم كما أنها كرامة لعيسى عليهما السّلام. فهما معاً منعمان بالنعمة الألهية.

وقوله: (وإذ كففت بني إسرائيل عنك) فيه دلالة على أنهم قصدوه بشر فكفهم الله عن ذلك.

١١١ . (وإذ أوحيت إلى الحواريّين...) المراد: قصة أخذ الميثاق من الحواريين.

١١٢ . (إذ قال الحواريّون...) اقترحوا على المسيح عليه السلام أن يريهم آية خاصة، وهم حواريوه المختصون به وقد رأوا تلك الآيات الباهرة والكرامات الظاهرة. فاقتراحهم آية اختاروها لأنفسهم بعد هاتيك الآيات على كثرتها، من قبيل اقتراح الآية بعد الآية، وقد ركبوا أمراً عظيماً، ولذلك وبّخهم عيسى عليه السلام بقوله: (اتّقوا الله إن كنتم مؤمنين).

١١٣ . (قالوا إنّا نريد...) السياق ظاهر في أن قولهم هذا عذر اعتذروا به للتخلص من توبيخه عليه السلام. وقد عدّوا في بيان غرضهم من اقتراح الآية أموراً أربعة: أحدها: الأكل. والثاني: اطمئنان القلب. والثالث: العلم بأنه عليه السلام قد صدقهم فيما بلغه عن ربّه. والرابع: أن يكونوا من الشاهدين عندما يحتاج إلى الشهادة.

١١٤ . (قال عيسى بن مريم اللّهمّ...) أجابهم عيسى عليه السلام إلى مسألتهم بعد الاصرار، ثمّ ذكر

عليه السلام عنواناً لهذه المائدة، وهو أن تنزل فتكون عيداً له ولجميع أمته، ولم يكن الحواريون ذكروا أنهم يريدون عيداً يخصون به، لكنه عليه السلام عنون ما سأله بعنوان عام وقلبه في قالب حسن، ليخرج عن كونه سؤالاً للآية، ويكون سؤالاً مرضياً عند الله غير مصادم لمقام
[١١١]
العزّة والكبرياء، فإن العيد من شأنه أن يجمع الكلمة، ويجدِّد حياة الملّة، وينشط نفوس العائدين، ويعلن كلّما عاد عظمة الدِّين.
١١٥ . (قال الله إنّي منزلها...) وعد صريح بالإنزال، ولازم ذلك أن المائدة قد نزلت عليهم.

(١٨٨/١)

---

١١٦ . (وإذ قال الله يا عيسى...) مشافهة الله رسوله عيسى بن مريم في أمر ما قالته النصارى في حقه. وقد عبرت الآية عن مريم بالامومة فقيل: (اتّخذوني وأمي الهين) للدلالة على عمدة حجتهم في الألوهية وهو ولادته منها بغير أب. (قال سبحانك ما يكون لي...) جواب المسيح عليه السلام عمّا سُئل عنه وقد أتى عليه السّلام فيه بأدب عجيب، فبدأ بتسبيحه تعالى لما فاجأه أن سمع ذكر ما لا يليق نسبته إلى ساحة الجلال والعظمة. ثمّ عاد إلى نفي ما استفهم عن انتسابه إليه. (ما يكون لي أن أقول...) ما أملك ما لم أُملكه وليس من حقي القول بغير حق. وقوله عليه السلام: (إن كنت قلته...) نفي آخر للقول المستفهم عنه. وقوله عليه السلام (تعلم ما في نفسي) توضيح لنفوذ العلم الذي ذكره في قوله: (إن كنت قلته...).
١١٧ . (ما قلت لهم إلاّ ما أمرتني...) يقول عليه السلام: ما كان لي من الوظيفة فيهم إلاّ الرسالة إليهم والشهادة على أعمالهم، أما الرسالة فقد أديتها على أصرح ما يكون، وأما الشهادة فقد كنت عليها ما دمت فيهم، ولم أتعد ما رسمت لي من الوظيفة، فأنا براء من أن أكون ألقي إليهم أن اتخذوني وأمي إلهين من دون الله. وقد عقب عليه السلام قوله: (فلمّا توفّيتني كنت أنت...) بقوله: (وأنت على كلّ شيء شهيد) ليدل بذلك على أن الشهادة على أعمال أمته التي كان يتصداها ما دام فيهم، كانت حصّة يسيرة من الشهادة العامة المطلقة التي هي شهادة الله سبحانه.
١١٨ . (إن تعذّبهم فإنّهم عبادك...) لا عهدة عليّ فيما وقعوا فيه من الشرك الشنيع، إن تعذبهم بما حكمت فيمن أشرك بك فإنهم عبادك وإليك تدبير أمرهم، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم لك حق العزة والحكمة.

(١٨٩/١)

---

١١٩ . (قال الله هذا يوم...) المراد بالصّدق من الصّادقين: صدقهم في الدنيا فإنه تعالى يعقب هذه الجملة بقوله: (لهم جنّات تجري...) ومن البين أنه بيان لجزاء صدقهم عند الله سبحانه. (رضي الله عنهم ورضوا عنه) رضي الله عنهم بما قدموا إليه من الصدق، ورضوا عن الله بما آتاهم من الثواب.

١٢٠ . (لله ملك السّماوات...) اختتمت السورة بهذه الآية الدالة على الملك المطلق، فإن غرض السورة هو حث العباد وترغيبهم على الوفاء بالعهود والمواثيق المأخوذة عليهم من جانب ربّهم، وهو الملك على الاطلاق.

«سورة الأنعام»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (الحمد لله الّذي خلق...) إشارة إلى نظام الكون العام الذي عليه تدبر الأشياء على كثرتها وتفرقها. (ثمّ الّذين كفروا بربّهم يعدلون) ان الله سبحانه بخلقه السّماوات والأرض وجعله الظلمات والنور، متوحد بالألوهية، ومن العجب أن الذين كفروا يعدلون بالله غيره من أصنامهم فيجعلون له أنداداً تعادله بزعمهم.

٢ . (هو الّذي خلقكم...) يشير إلى خلقه العالم الإنساني الصغير بعد الاشارة إلى خلق العالم الكبير. (وأجل مسمّى عنده) الأجل المسمى: هو الذي لا يقع فيه تغير وهو الأجل المحتوم الذي لا يتغير ولا يتبدل. (ثمّ أنتم تمترون) المرية: بمعنى الشك والريب.

٣ . (...يعلم سرّكم وجهركم) السرّ والجهر متقابلان، وهما وصفان للأعمال، فسرّهم: ما عملوه سراً. وجهرهم: ما عملوه جهراً من غير ستر.

٤ . (وما تأتيهم من آية...) إشارة إلى أن سجية الاستكبار رسخت في نفوسهم فانتجت فيهم الاعراض عن الآيات الدالة على الحق.

٥ . (...فسوف يأتيهم أنباء...) تخويف وإنذار، فإن الّذي يستهزئون به حق، والحق يأبى إلاّ أن يظهر يوماً ويخرج من حد النبأ إلى حد العيان.

٦ . (ألم يروا كم أهلكنا...) قال الرّاغب: القرن: القوم المقترنون في زمن واحد وجمعه قرون. (فأهلكناهم بذنوبهم) دلالة على أن للسيئات والذنوب دخلاً في البلايا والمحن العامة.

---

٧ . (ولو نزلنا عليك...) إشارة إلى أن استكبارهم قد بلغ مبلغاً لا ينفع معه حتى لو أنزلنا كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم فناله حسهم بالبصر والسمع، وتأيد بعض حسهم ببعض، فانهم قائلون حينئذ لا محالة: هذا سحر مبين.

٨ . (وقالوا لولا أُنزل...) سؤالهم إنزال الملك إنما كان لأحد أمرين على ما يحكيه الله عنهم:

الأوّل: أن يأتيهم بما يعدهم النبيّ من العذاب، ولا نجيبهم إلى ما سألوه لأنه لو نزل الملك لقضي بينهم ولم ينظروا، وقد شاء الله أن ينظرهم إلى حين، فليخوضوا فيما يخوضون حتى يلاقوا يومهم، وسيوافيهم ما سألوه فيقضي الله بينهم.

الثاني: أن ينزل عليهم الملك ليكون حاملاً لاعباء الرّسالة داعياً إلى الله مكان النبيّ صلى الله عليه وآله أو يكون معه رسولاً مثله. وهذا هو الذي تجيب عنه الآية التالية.

٩ . (ولو جعلناه ملكاً...) احتجاج عليهم بانه لو أنزل عليهم ملك بالرسالة لم ينفعهم ذلك في رفع حيرتهم، فإن الله جاعل الملك عندئذ رجلاً يماثل الرّسول البشري، وهم لابسون على أنفسهم معه متشككون، فإنهم لا يريدون بهذه المسألة إلاّ أن يتخلصوا من الرّسول البشري الّذي هو في صورة رجل ليبدّلوا بذلك شكهم يقيناً وإذا صار الملك على هذا النعت . ولا محالة . فهم لا ينتفعون بذلك شيئاً.

١١ . (ولقد استهزئ برسل من قبلك...) كان استهزاؤهم بالرسل، بالاستهزاء بالعذاب الذي كانوا ينذرونهم بنزوله وحلوله، فحاق بهم [أصابهم] عين ما استهزأوا به.

١٢ . (قل لمن ما في السّماوات...) يأمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يسألهم عمن يملك السّماوات والأرض، وهو الله سبحانه من غير شك فهو المالك لما في السماوات والأرض جميعاً. (كتب على نفسه الرّحمة) أوجب على نفسه الرّحمة وإفاضة النعم وإنزال الخير لمن يستحقه. ولازم كتابة الرحمة على نفسه أن يتم نعمته عليهم بجمعهم ليوم القيامة ليجزيهم بأقوالهم

وأعمالهم، فيفوز به المؤمنون ويخسر غيرهم.

(١٩١/١)

---

١٣ . (وله ما سكن في اللّيل...) السكون في الليل والنهار: الوقوع في ظرف هذا العالم الطبيعي الذي يدبر أمره بالليل والنهار.

١٤ . (قل أغير الله أتخذُ...) أمر سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله أن يبين لهم في صورة الاستفهام والسؤال أن الله سبحانه وحده هو الولي للنعمة التي يتنعم بها الانسان وغيره، لأنه هو الرزاق الّذي لا يحتاج إلى أن يرزقه غيره، يُطعم ولا يطعم. والدليل عليه: أنه تعالى هو الذي فطر السّماوات والأرض وأخرجها من ظلمة العدم إلى نور الوجود.

١٥ . (قل إنّي أخاف...) ظاهر الآية بحسب النظر البسيط إقامة النبيّ صلى الله عليه وآله الحجة في وجوب التوحيد على نفسه بأن الله نهاه عن الشرك، فيجب عليه توحيده ليؤمن من عذاب الآخرة.

١٦ . (من يصرف عنه...) إن عذابه مشرف على الجميع محيط بالكل لا مخلص عنه إلاّ برحمته،

فعلى كل إنسان أن يخاف من عذاب يومئذ على نفسه ما يخافه النبيّ صلى الله عليه وآله على نفسه.

١٧ . (وإن يمسسك الله...) الآية توضح بالتصريح أن هناك من الضر ما هو غير عذاب يوم القيامة، يمس اللهُ سبحانه به الانسان، [فيجب على الإنسان] أن يتوجه إليه تعالى في كشفه، وأن من الخير ما يمس الله به الإنسان ولا راد لفضله، ورجاء الخير يوجب على الإنسان أن يتخذه سبحانه إلهاً معبوداً.

١٨ . (وهو القاهر فوق...) القهر: نوع من الغلبة. والله سبحانه قاهر فوق عباده يمسهم بالضر والخير ويذللهم لمطاوعته.

(١٩٢/١)

---

١٩ . (قل أي شيء أكبر...) أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يسألهم عن أكبر الأشياء من حيث الشهادة. والشهادة هي تحمّل الخبر عن نوع من العيان كالإبصار، وأداء ما تحمل كذلك بالأخبار. (قل الله شهيد...) المراد بشهادته تعالى بينه وبينهم: شهادته بنبوّته. (وأُوحي إليّ هذا القرآن...) تدل الآية على كون القرآن الكريم حجة من الله وكتاباً له ينطق بالحق على أهل الدّنيا من لدن نزوله إلى يوم القيامة. (أئِنّكم لتشهدون أن...) أمر نبيّه صلى الله عليه وآله أن يسألهم سؤال متعجب منكر: هل يشهدون بتعدد الآلهة. ثمّ أمره أن يخالفهم في الشهادة فينفي عن نفسه الشهادة بما شهدوا به فقال: (قل لا أشهد) أي بما شهدتهم به. ثمّ قال: (قل إنّما هو إله واحد...) شهادة على وحدانيته والبراءة ممّا يدعون له من شركاء.

٢٠ . (الّذين آتيناهم الكتاب...) إخبار عمّا شهد به الله سبحانه في الكتب المنزلة على أهل الكتاب، وعَلِمَه علماء أهل الكتاب مما عندهم من كتب الأنبياء من البشارة بعد البشارة بالنبيّ صلى الله عليه وآله ووصفه بما لا يعتريه شك ولا يطرأ عليه ريب.

٢١ . (ومن أظلم ممّن افترى...) افتراء الكذب عليه تعالى: إثبات الشريك له ولا شريك له، أو دعوى النبوة، أو نسبة حكم إليه كذباً وابتداعاً. وتكذيب آياته الدالة عليه: فكتكذيب النبيّ الصّادق في دعواه، أو إنكار الدين الحق.

٢٢ . (ويوم نحشرهم جميعاً...) الله سيحشرهم ويسألهم عن شركائهم.

٢٣ . (ثمّ لم تكن فتنتهم...) المراد بالفتنة: الجواب، أي لم يكن جوابهم إلاّ أن أقسموا بالله على أنهم ما كانوا مشركين.

٢٤ . (انظر كيف كذبوا على أنفسهم...) إنهم سيكذبون على انفسهم ويفقدون ما افتروا به، ولو أفلحوا في ظلمهم وسعدوا فيما طلبوا لم ينجر أمرهم إلى فقد ذلك وإنكاره على أنفسهم.

٢٥ . (ومنهم من يستمع...) الأكنة: جمع كِن وهو الغطاء الذي يكن فيه الشيء ويغطى. والوقر: الثقل في السمع. والأساطير: جمع اسطورة بمعنى الكذب.

٢٦ . (وهم ينهون عنه...) ينهون عن اتباعه. (وإن يهلكون إلاّ أنفسهم) إنهم كانوا يحسبون أن النهي عن

[١٣٠]

اتباعه والنأي عنه [الابتعاد عنه] إهلاك له وإبطال للدعوة الإلهية، ويأبى الله إلاّ أن يتم نوره، فهم الهالكون من حيث لا يشعرون.

٢٧ . (ولو ترى إذ وقفوا) بيان لعاقبة جحودهم وإصرارهم على الكفر والاعراض عن آياته تعالى. (يا ليتنا نرد ولا نكذب...) تمنّ منهم للرجوع إلى الدّنيا والانسلاك في سلك المؤمنين ليخلصوا من عذاب النار يوم القيامة.

٢٨ . (بل بدا لهم ما كانوا...) ظهر لهؤلاء المشركين حين وقفوا على النار ما كانوا هم أنفسهم يخفونه في الدنيا، (ولو ردُوا لعادوا...) عادوا إلى سابق شركهم وعنادهم مع الحق.

٢٩ . (وقالوا إن هي إلاّ حياتنا...) ما الحياة إلاّ حياتنا الدنيا لا حياة بعدها وما نحن بمبعوثين بعد الممات.

٣٠ . (ولو ترى إذ وقفوا على...) إنهم سيصدقون بما جحدوا، إذ يوقفون على ربهم فيشاهدون عياناً هذا الموقف الذي اخبروا به في الدنيا، وهو أنهم مبعوثون بعد الموت فيعترفون بذلك بعد ما أنكروه في الدنيا. (أليس هذا) البعث الذي أنكرتموه في الدّنيا وهو لقاء الله (بالحقّ قالوا بلى...).

٣١ . (قد خسر الّذين كذّبوا...) الآية تبين تبعة اخرى من تبعات إنكارهم البعث وهو أن السّاعة ستفاجئهم فينادون بالحسرة على تفريطهم فيها، وتتمثل لهم أوزارهم وذنوبهم وهم يحملونها على ظهورهم وهو أشق أحوال الإنسان وأردأها (ألا ساء ما يزرون) ويحملون من الثقل أو من الذنب أو من وبال الذنب.

٣٢ . (وما الحياة الدّنيا...) بيان حال الحياتين الدّنيا والآخرة [والمقارنة] بينهما.

٣٣ . (قد نعلم انه ليحزنك...) قد نعلم إن قولهم ليحزنك، لكن لا ينبغي أن يحزنك ذلك، فإنه ليس يعود تكذيبهم إليك، لأنك لا تدعو إلاّ إلينا، وليس لك فيه إلاّ الرّسالة، بل هم يظلمون بذلك آياتنا

ويجحدونها.

٣٤ . (ولقد كُذبت رسل...) هداية له صلى الله عليه وآله إلى سبيل من تقدمه من الأنبياء، وهو سبيل الصبر في ذات الله. (حتّى أتاهم نصرنا) بيان غاية حسنة لصبرهم، وإشارة إلى الوعد الإلهي بالنصر. وفي قوله: (ولا مبدل لكلمات الله) تأكيد لما يشير إليه الكلام السّابق من الوعد وحتم له.

٣٥ . (وإن كان كبر عليك...) لا ينبغي أن يكبر عليك ويشق اعراضهم، فإن الدار دار الإختيار، والدعوة إلى الحق وقبولها جاريان مجرى الاختيار، وإنك لا تقدر على الحصول على آية توجب عليهم الإيمان وتلزمهم على ذلك، فإن الله سبحانه لم يرد منهم الإيمان إلاّ على اختيار منهم، ولو شاء الله لآمن النّاس جميعاً، فلا تبتئس ولا تجزع باعراضهم فتكون من الجاهلين بالمعارف الإلهية.

٣٦ . (إنّما يستجيب الّذين...) المراد بالّذين يسمعون: المؤمنون. وبالموتى: المعرضون عن استجابة الدعوة.

٣٧ . (وقالوا لولا نزّل...) الآية الّتي كانوا يقترحونها هي آية غير القرآن، فذكر أن الله قادر على أن ينزّل أي آية شاء، وكيف يمكن أن يفرض من هو مسمّى باسم الله ولا تكون له القدرة المطلقة.

٣٨ . (وما من دابة في الأرض...) الخطاب في الآية للناس، وقد ذكر فيها أن الحيوانات هي أمم أمثال النّاس. (ما فرطنا في الكتاب من شيء) لا يوجد أمر يجب رعاية حاله والقيام بواجب حقه وبيان نعته في الكتاب، إلاّ وقد فعل من غير تفريط، فالكتاب تام كامل.

٣٩ . (والّذين كذّبوا بآياتنا...) يريد تعالى ان المكذبين لآياته محرومون من نعمة السمع والتكلّم والبصر، فهم

لصممهم لا يقدرون على أن يسمعوا الكلام الحق وأن يستجيبوا له، ولبكمهم لا يستطيعون أن يتكلموا بالقول الحق ويشهدوا بالتوحيد والرّسالة، ولإحاطة الظلمات بهم لا يسعهم أن يبصروا طريق الحق فيتخذوه طريقاً. (من يشأ الله يضلله) المراد بهم: الّذين كذبوا بآياته.

٤٠ . (قل أرأيتكم إن أتاكم...) في الآية تجديد احتجاج على المشركين وإقامة حجة على بطلان شركهم من وجه، وهو انها تفرض عذاباً آتياً من جانب الله أو إتيان الساعة إليهم، ثمّ تفرض أنهم يدعون في ذلك من يكشف العذاب عنهم، ثمّ تسألهم أنه من الذي تدعونه وتتوجهون إليه بالمسألة إن كنتم صادقين أغير الله تدعون من أصنامكم وأوثانكم أم إياه تدعون؟

٤١ . (بل إيّاه تدعون...) وهيهات أن تدعوا غيره وأنتم تشاهدون حينئذ أنها [الأصنام والأوثان] محكومة بالأحكام الكونية مثلكم لا ينفعكم دعاؤها شيئاً، فتنسون شركاءكم وتدعون من يرفعها من

دونهم وهو الله عز اسمه، فيكشف الله سبحانه ما تدعون كشفه، إن شاء ان يكشفه، وليس هو تعالى بمحكوم على الاستجابة، بل هو القادر على كل شيء في كل حال.

٤٢ . (ولقد أرسلنا إلى أمم...) انّه سبحانه كان يرسل إليهم الرّسل فيذكّرونهم بتوحيد الله سبحانه، ثم يبتليهم بأنواع الشدة والمحن ويأخذهم بالبأساء والضراء، ولكن بمقدار لا يلجئهم إلى التضرع ولا يضطرهم إلى الابتهال، لعلهم يتضرعون إليه بحسن إختيارهم.

٤٣ . (فلو لا إذ جاءهم...) فلم يتضرعوا حين مجيء البأس، ولم يرجعوا إلى ربهم بالتذلل، بل أبت نفوسهم أن تتأثر عنه، وتلهوا باعمالهم الشيطانية الصارفة عن ذكر الله سبحانه.

٤٤ . (فلمّا نسوا ما ذُكروا...) إنهم لمّا نسوا ما ذُكّروا به أو أعرضوا عنه، آتيناهم من كل نعمة استدراجاً، حتى إذا تمّت لهم النعم وفرحوا بما أُوتوا منها أخذناهم فجأة، فانخمدت أنفاسهم ولا حجة لهم لاستحقاقهم ذلك.

(١٩٦/١)

---

٤٥ . (فقُطع دابر القوم...) ان اللوم والسوء في جميع ما حل بهم من عذاب الاستئصال يرجع إليهم لأنهم القوم الّذين ظلموا، ولا يعود إليه تعالى إلاّ الثناء الجميل لأنه لم يأت في تدبير أمرهم إلاّ بما تقتضيه الحكمة البالغة.

٤٦ . (قل أرأيتم إن أخذ...) لو سلب الله عنكم سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم، فعل ذلك ولم يعارض أحد من شركائكم، لأنها شفعاء متوسطة لا أضداد معارضة، ولو فعل ذلك وسلب ما سلب، لم يقدر أحد منها أن يأتيكم به. (انظر كيف نصرّف الآيات ثمّ هم يصدفون) تصريف الآيات: تحويلها إلى افهامهم. والصدوف: الاعراض.

٤٧ . (قل أرأيتم إن اتاكم...) الجهرة: الظهور التام الذي لا يقبل الارتياب. والبغتة: إتيان الشيء فجأة، والمعنى: لو أتاهم من قبل الله سبحانه عذاب لم يهلك به إلاّ الظّالمون.

٤٨، ٤٩ . (وما نرسل المرسلين...) إن إرسالنا الرّسل إنما هو للتبشير والانذار فمن آمن وأصلح فلا خوف عليه، ومن كذب بآياتنا فهو الذي يمسه عذابنا لفسقه وخروجه عن طور العبودية، فلينظروا في أمر أنفسهم من أي الفريقين هم؟

٥٠ . (قل لا أقول لكم...) قل: لم أدّع لكم فيما أدعوكم إليه أمراً وراء ما أنا عليه من متعارف حال الإنسان، حتى تبكتوني بإلزامي بما تقترحونه مني، فلم أدّع أني أملك خزائن الالوهية حتى تقترحوا أن أفجّر أنهاراً أو أخلق جنة أو بيتاً من زخرف، ولا ادعيت أني أعلم الغيب حتى أجيبكم عن كل ما هو مستور تحت أستار الغيوب كقيام السّاعة، ولا ادعيت أني ملك حتى تعيبوني وتبطلوا قولي بأكل الطعام والمشي في الأسواق للكسب.

٥١ . (وأنذر به الّذين...) أن أنذر الناس عامة ولا سيّما الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم. (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) نفي مطلق لولاية غير الله وشفاعته.

٥٢ . (ولا تطرد الّذين يدعون...) إن المشركين من قومه صلى الله عليه وآله اقترحوا عليه أن يطرد عن نفسه الضعفاء المؤمنين

[١٣٢]

به، فنهاه الله تعالى في هذه الآية عن ذلك. (وما عليك من حسابهم...) المراد من نفي كون حسابهم عليه أو حسابه عليهم: نفي أن يكون هو الّذي يحاسب أعمالهم ليجازيهم، حتى إذا لم يرتض أمرهم وكره مجاورتهم طردهم عن نفسه، أو يكونوا هم الّذين يحاسبون أعماله حتى إذا خاف مناقشتهم أو سوء مجازاتهم أو كرههم استكباراً واستعلاء عليهم طردهم.

٥٣ . (وكذلك فتنا بعضهم...) السياق يدل على ان الاستفهام في قوله: (أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا) للتهكم والاستهزاء، ومعلوم أنهم لا يسخرون إلاّ ممن يستحقرون أمره ويستهينون موقعه من المجتمع، ولم يكن ذلك إلاّ لفقرهم ومسكنتهم وانحطاط قدرهم عند الأقوياء. فالله سبحانه يخبر نبيّه صلى الله عليه وآله أن هذا التفاوت والاختلاف إنما هو محنة إلهية يمتحن بها الناس ليميز به الكافرون من الشاكرين.

٥٤ . (وإذ جاءك الّذين...) يأمر الله سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله بعد ما نهاه عن طرد المؤمنين عن نفسه . ان يتلطف بهم ويسلم عليهم ويبشر من تاب منهم عن سيئة توبة نصوحاً، بمغفرة من الله ورحمته، فتطيب بذلك نفوسهم ويسكن طيش قلوبهم.

٥٥ . (وكذلك نفصل الآيات...) وكذلك نشرح ونميز المعارف الإلهية بعضها مع بعض ونزيل ما يطرأ عليها من الابهام لأغراض هامة، منها أن تستبين سبيل المجرمين فيتجنبها الّذين يؤمنون بآياتنا.

٥٦ . (قل انّي نهيتُ...) بيان تام معلل للنهي أو الانتهاء عن عبادة أصنامهم، وهو أن في عبادتها اتباع للهوى، وفي اتباع الهوى الضلال والخروج عن وصف المهتدين بالهداية الإلهية.

٥٧ . (قل إنّي على بينة...) إن الذي أيد الله به رسالتي من البينات وهو القرآن تكذبون به، والّذي تقترحونه عليَّ وتستعجلون به من الآيات ليس في اختياري ولا مفوضاً أمره إليّ، فليس بيننا ما نتوافق فيه لما أني أُوتيت ما لا تريدون وأنتم تريدون ما لم أوت.

٥٨ . (قل لو أن عندي...) لو قدرتُ على ما تقترحونه عليّ من الآية، والحال انها بحيث إذا نزلت على رسول لم تنفك عن الحكم الفصل بينه وبين أمته، لقضي الأمر بيني وبينكم، ونجى بذلك أحد المتخاصمين المختلفين وعذب الآخر وأهلك، ولم يعذّب بذلك ولم يهلك إلاّ أنتم لأنكم ظالمون، والعذاب الإلهي انما يأخذ الظالمين بظلمهم، والله سبحانه أنزه ساحة من أن يشتبه عليه الأمر ولا يميز الظالمين من غيرهم فيعذبني دونكم.

٥٩ . (وعنده مفاتح الغيب...) المفاتح: جمع مُفتح وهو الخزينة. (ويعلم ما في البرّ والبحر) تعميم لعلمه. (وما تسقط من ورقة...) إختص بالذكر لأنه مما يستصعب الإنسان حصول العلم به. (ولا حبّة في ظلمات...) ولا تسقط من حبة في بطون الأرض المظلمة ولا يسقط من رطب ولا من يابس أياً ما كانا إلاّ يعلمها. (إلاّ في كتاب مبين) إلاّ وهو واقع مكتوب في كتاب مبين.

٦٠ . (وهو الّذي يتوفّاكم...) إن الله يتوفاكم بالليل، والحال انه يعلم ما كسبتم في النهار من السيئات وغيرها، لكن لا يمسك أرواحكم ليديم عليها الموت، بل يبعثكم في النهار بعد التوفي لتقضي آجالكم المسماة ثم إليه مرجعكم بنزول الموت والحشر فينبئكم بما كنتم تعملون.

٦١ . (وهو القاهر فوق عباده...) تقدم الكلام في تفسير الآية ١٧ من السورة. (ويرسل عليكم حفظة...) هؤلاء الحفظة المرسلون شأنهم حفظ الإنسان من كل بلية تتوجه إليه ومصيبة تتوخاه، ولا يزالون يحفظونه من الهلاك حتى إذا جاء أجله خلوا بينه وبين البلية فاهلكته، على ما في الروايات.

٦٢ . (ثمّ ردوا إلى الله...) إشارة إلى رجوعهم إلى الله سبحانه بالبعث بعد الموت. (ألا له الحكم) إن الحكم إليه لا

[١٣٣]

إلى غيره. (وهو اسرع الحاسبين) انه تعالى لا يؤخر حساب أعمال الناس عن الوقت الصالح له، وإنما يتأخر ما يتأخر ليدرك الأجل الذي أُجل له.

٦٣، ٦٤ . (قل من ينجيكم...) انكم في الشدائد النازلة بكم في ظلمات البر والبحر وغيرها إذا انقطعتم عن الأسباب الظاهرة وأعيت بكم الحيل، تشاهدون بالرجوع إلى فطرتكم الإنسانية ان الله سبحانه هو ربكم لا رب سواه، وتجزمون أن عبادتكم لغيره ظلم وإثم. والشاهد على ذلك انكم تدعونه حينئذ تضرعاً وخفية، وتعدونه أن تشكروه بعد ذلك ولا تكفروا به إن أنجاكم، لكنكم بعد الإنجاء تنقضون ميثاقكم الّذي واثقتموه به وتستمرون على سابق كفركم. ففي الآيتين احتجاج على المشركين

وتوبيخ لهم على حنث اليمين وخلف الوعد.

٦٥ . (قل هو القادر على أن...) قل يا رسول الله مخاطباً لهم منذراً لهم عاقبة استنكافهم عن الإجتماع تحت لواء التوحيد واستماع دعوة الحق: إن لشأنكم هذا عاقبة سيئة في قدرة الله سبحانه أن يأخذكم بها، وهو أن يبعث عليكم عذاباً لا مفر لكم منه ولا ملاذ تلوذون به، وهو العذاب من فوقكم أو من تحت أرجلكم، أو أن يضرب بعضكم ببعض فتكونوا شيعاً وفرقاً مختلفين متنازعين ومتحاربين فيذيق بعضكم بأس بعض.

٦٦ . (وكذّب به قومك...) إن قومك كذبوا بذلك فليستعدوا لعذاب بئيس أو بأس شديد يذوقونه.

٦٧ . (لكل نبأ مستقر...) تصريح بالتهديد وإنباء عن الوقوع الحتمي.

٦٨ . (وإذا رأيت الّذين يخوضون...) وإذا رأيت أهل الخوض والاستهزاء بآيات الله يجرون على خوضهم واستهزائهم بالآيات الإلهية، فأعرض عنهم ولا تدخل في حلقهم، حتى يخوضوا في حديث غيره، فإذا دخلوا في حديث غيره فلا مانع يمنعك من مجالستهم. (وإمّا ينسينك الشيطان...) حتى لو غفلت عن نهينا بما أنساكه الشيطان، ثم ذكرت فلا تتهاون في القيام عنهم ولا تلبث دون ان تقوم عنهم، فإن الذين يتقون ليس لهم أي مشاركة للخائضين اللاّعبين بآيات الله المستهزئين بها.

---

٦٩ . (وما على الّذين يتقون...) يريد أن الذي يكتسبه هؤلاء الخائضون من الاثم لا يحمل إلاّ على انفسهم ولا يتعداهم إلى غيرهم، إلاّ أن يماثلوهم ويشاركوهم في العمل أو يرضوا بعملهم، فلا يحاسب بعمل إلاّ عامله، ولكن نذكرهم ذكرى لعلهم يتقون [ليستمروا على تقواهم وليتم لهم الورع عن محارم الله سبحانه].

٧٠ . (وذر الّذين اتّخذوا...) واترك الّذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً يقلبونه كيف شاءوا من حال إلى حال ويحولونه حسب ما يأمرهم به هوى أنفسهم من صورة إلى صورة. (وذكّر به) بالقرآن حذر أن (تُبسل نفس) تُمنع نفس بسبب ما كسبت من السيئات أو تسلم نفس مع ما كسبت للمؤاخذة والعقاب، وتلك نفس ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع، وإن تعدل كل العدل وتفد كل فدية لا يؤخذ منها لأن اليوم يوم الجزاء بالأعمال لا يوم البيع والشرى، أولئك الذين أُبسلوا ومنعوا من ثواب الله أو أسلموا لعقابه، لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون.

٧١ . (قل أندعو من دون...) احتجاج على المشركين بنحو الاستفهام الانكاري. (ونُرد على اعقابنا...) الرد على الاعقاب: كناية عن الضلال وترك الهدى. (كالّذي استهوته الشّياطين...) تمثيل مُثّل به حال الإنسان المتحير الّذي لم يؤت بصيرة في أمره، فترك أحسن طريق وأقومه، وقد ركبه قبله أصحاب له مهتدون به، وبقي متحيراً بين شياطين يدعونه إلى الهلاك، وأصحاب له

مهتدين نزلوا في منازلهم أو أشرفوا على الوصول، يدعونه إلى الهدى أن إئتنا، فلا يدري ما يفعل. (قل إنّ هدى الله هو الهدى) إن كان الأمر دائراً بين دعوة الله سبحانه وبين دعوة الشياطين، فهدى الله هو الهدى الحقيقي دون غيره، (وأمرنا لنسلم لربّ العالمين) أمرنا من ناحية الغيب أن نسلم لِلّه لأنه ربّ العالمين جميعاً.

---

٧٢ . (وأن أقيموا الصّلاة...) كأنه قيل: وقيل لنا: أن اسلموا لرب العالمين وأن أقيموا الصّلاة واتقوه. (وهو الّذي إليه تحشرون) فمن الواجب أن يسلم له ويتقى لأن الرجوع إليه والحساب والجزاء بيده. [١٣٤]

٧٣ . (وهو الّذي خلق...) يريد به: الخلقة جميعاً فعله، وإنما أتى به بالحق لا بالباطل. (يوم يقول كن فيكون) يوم يقول ليوم القيامة: كن فيكون. (قوله الحق) فقوله تعالى هو نفس الحق فلا مردّ له ولا مبدل لكلماته. (وله الملك يوم ينفخ في الصّور) يريد به: يوم القيامة.

٧٤ . (وإذ قال إبراهيم...) آزر الذي يذكره القرآن ليس أباً لإبراهيم حقيقة، وإنما كان معنوناً ببعض الأوصاف والعناوين التي [يمكن معها] اطلاق الأب عليه. (أتتّخذ أصناماً آلهة...) أتتخذ أصناماً لا خطر في أمرها آلهة.

٧٥ . (وكذلك نري إبراهيم...) إنّا أرينا إبراهيم ملكوت السماوات والأرض فبعثه ذلك أن حاج أباه وقومه في أمر الأصنام وكشف له ضلالهم، وكنا نمده بهذه العناية والموهبة وهي إراءة الملكوت، وكان على هذه الحال حتى جنّ عليه الليل ورأى كوكباً.

٧٦ . (فلمّا جنّ عليه اللّيل...) ورد في بعض الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام أن الكوكب هو الزهرة. (قال هذا ربّي) [هذا القول من إبراهيم عليه السلام جرى فيه] مجرى التسليم بعدّ نفسه كاحدهم ومجاراتهم وتسليم ما سلموه، ثمّ بيان ما يظهر به فساد رأيهم، وهذا الطريق من الاحتجاج أجلب لإنصاف الخصم وأصلح لإسماع الحجّة. (فلمّا أفل قال لا أحب الآفلين) الأفول: الغروب. وفيه إبطال ربوبيّة الكوكب بعروض صفة الأفول له.

٧٧ . (فلمّا رأى القمر بازغاً...) البزوغ: الطلوع. والكلام نظير ما تقدّم في الآية السّابقة. (لئن لم يهدني ربّي...) إشارة إلى أن الوضع الّذي ذكره في القمر بقوله: (هذا ربّي) كان ضلالاً، لو دام عليه كان أحد أولئك الضالين.

---

٧٨ . (فلمّا رأى الشّمس بازغة...) [عاد عليه السّلام إلى مجاراتهم في ربوبيّة الشمس]، لكنه اتخذ كونها أكبر، عذراً يعتذر به فيما يفترضه أو يسلمه من ربوبيّتها، وأخذ ينتظر مستقبل الأمر حتى أفلت فتبرأ من ربوبيّتها وشرك قومه فقال: (إنّي بريء ممّا تشركون).

٧٩ . (إنّي وجهت وجهي...) أثبت عليه السلام الرّبوبية لله سبحانه. (حنيفاً) غير منحرف من حاق الوسط إلى يمين أو يسار. (وما أنا من المشركين) باشراك شيء من خلقه ومفطوراته له تعالى في العبادة والإسلام.

٨٠ . (...أتحاجوني في الله وقد هدان...) إن الله هداني بما علمني من الحجة على نفي ربوبية غيره وإثبات ربوبيّته، ونفس هدايته دليل على أنه رب ولا رب غيره. (ولا أخاف ما تشركون به) إنكم تدعونني إلى القول بربوبيّة شركائكم ورفض القول بربوبيّة ربّي بما تخوفونني من أن يمسني شركاؤكم بسوء، وإني لا أخاف ما تشركون به لأنها جميعاً مخلوقات مدبَّرة لا تملك نفعاً ولا ضراً، وإذ لم أخفها سقطت حجتكم وارتفعت شبهتكم.

٨١ . (وكيف أخاف ما أشركتم...) إنكم تأمرونني أن أخاف ما لا يجب أن يخاف منه، وأنتم أنفسكم لا تخافون من يجب أن يخاف منه، فأنا أولى بالأمن منكم إن عصيتكم ولم أأتمر بأمركم.

٨٢ . (الّذين آمنوا ولم يلبسوا...) الآية من كلام إبراهيم عليه السلام ومقولة قوله. والمراد بالإيمان: الإيمان بالرّبوبية دون الإيمان بوجود صانع العالم. والظلم في الآية: مطلق ما يضر الإيمان ويفسده من المعاصي. وكذا المراد بالأمن: مطلق الأمن من شقاء المعاصي والذنوب. وبالاهتداء: مطلق التخلص من ضلالها.

٨٣ . (وتلك حجّتنا آتيناها...) في الإشارة بلفظ البعيد إلى الحجة تفخيم وتعظيم لأمرها. والدرجات: درجات العلم والهداية، فقد رفع الله إبراهيم عليه السلام بهدايته وإراءته ملكوت السّماوات والأرض وإيتائه اليقين والحجة القاطعة.

---

٨٤ . (ووهبنا له إسحاق ويعقوب...) إسحاق هو ابن إبراهيم، ويعقوب هو ابن إسحاق عليهم السّلام. (ونوحاً

[١٣٥]

هدينا من قبل) فيه أشعار بأن سلسلة الهداية غير منقطعة ولا مبتدئة من إبراهيم عليه السلام، بل كانت الرحمة قبله شاملة لنوح عليه السلام. (وكذلك نجزي المحسنين) الظاهر ان المراد بهذا الجزاء هو الهداية الإلهية المذكورة، والمعنى: نجزي المحسنين على هذا المثال.

(وزكريّا ويحيى وعيسى...) في ذكر عيسى بين المذكورين من ذرية نوح عليهما السّلام وهو إنما

يتصل به من جهة أُمه مريم، دلالة واضحة على ان القرآن الكريم يعتبر أولاد البنات وذريتهن أولاداً وذرية حقيقية.

٨٦ . (وإسماعيل واليسع ويونس...) اليسع أحد أنبياء بني إسرائيل. (وكلاً فضلنا على العالمين) معنى تفضيلهم على العالمين تقديمهم بحسب المنزلة على عالمي زمانهم، ويمكن أن يكون المراد تفضيلهم بما أنهم طائفة مهدية بالهداية الفطرية الإلهية من غير واسطة على جميع العالمين من الناس سواء عاصروهم أو لم يعاصروهم.

٨٧ . (ومن آبائهم وذرياتهم...) المراد بيان اتصال سلسلة الهداية، حيث أضاف الباقين إلى المذكورين بأنهم متصلون بهم بابوة أو بنوة أو أخوة.

٨٨ . (ذلك هدى الله...) يبين تعالى أن الّذي ذكره من صفة الهداية التي هدى بها المذكورين من أنبيائه، هو المعرّف لهداه الخاص به الّذي يهدي به من يشاء من عباده.

٨٩ . (أولئك الّذين آتيناهم...) المراد من إيتاء الكتاب والحكم: إعطاء شرائع الدين والقضاء بحسبها بين الناس. (فان يكفر بها هؤلاء...) فإن يكفر بالكتاب والحكم والنبوّة مشركو مكّة، فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين.

٩٠ . (أولئك الّذين هدى الله...) كأنه قيل: إهتد بالهدى الإلهي الّذي اهتدى به الأنبياء قبلك، وذكر به العالمين من غير أن تسألهم أجراً على ذلك، وقل لهم ذلك لتطيب به نفوسهم، ويكون أنجح للدعوة وأبعد من التهمة.

(٢٠٤/١)

---

٩١ . (وما قدروا الله حقّ قدره...) ما عظموه بما يليق بساحته من العظمة، حيث نفوا إنزال الوحي والكتاب منه تعالى على البشر. (قل من أنزل الكتاب...) جواب عن قولهم، والآية وإن لم تعين القائلين بهذا القول، إلاّ ان الجواب بما فيه من الخصوصية لا يدع ريباً في أن المخاطبين بهذا الجواب هم اليهود، وذلك ان الآية تحتج على هؤلاء القائلين بكتاب موسى عليه السلام، وأيضاً الآية تذمهم بأنهم يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً، وهذا من خصائص اليهود على ما نسبه القرآن إليهم دون المشركين. (وعلمتم ما لم تعلموا...) احتجاج على اليهود، بأن عندكم من العلم النافع مالم تنالوه من أنفسكم، ولا ورّثه آباؤكم، بل إنما علمتم به من غير هذا الطريق وهو طريق إنزال الكتاب والوحي من قبل الله على بعض البشر. (قل الله ثمّ ذرهم...) أمر تعالى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يتصدى هو للجواب فقال: قل إن الّذي أنزل الكتاب على موسى والّذي علمكم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم هو الله، ثمّ أمره أن يدعهم وشأنهم.

٩٢ . (وهذا كتاب أنزلناه...) ذكر ان هذا القرآن أيضاً كتاب إلهي منزل من عنده على حد ما نزّل

سائر الكتب السماوية، ومن الدليل على ذلك اشتماله على ما هو شأن كتاب سماوي نازل من عند الله سبحانه. (والّذين يؤمنون...) المؤمنون بالآخرة يؤمنون [بهذا الكتاب] لأنه يدعو إلى أمن أخروي دائم ويحذرهم من عذاب خالد.

(٢٠٥/١)

---

٩٣ . (ومن أظلم ممّن افترى...) كأنه يقول: قل لهم: يجب عليّ وعليكم أن لا نستكبر عن الحق ولا نستعلي على الله سبحانه بارتكاب ما هو أشد الظلم واشنعه، وهو الظلم في جنب الله، فكيف يصح لكم أن تفتروا على الله كذباً وتدعوا له شركاء تتخذونها شفعاء وكيف يسوغ لي أن أدعي النبوة وأقول: أُوحي إليّ إن كنت لست بنبي يوحى إليه وكيف يجوز لقائل ان يقول: سأنزل مثل ما انزل الله، فيسخر بحكم الله ويستهزئ بآياته. وأمّا قوله: (ومن قال سأنزل...) يحكي قولاً قاله بعض المشركين استكباراً على آيات الله. (ولو ترى إذ الظّالمون...) وليتك ترى حين يقع هؤلاء الظّالمون في شدائد الموت وسكراته، والملائكة آخذون في تعذيبهم بالقبض الشديد لأرواحهم، وإنبائهم بأنهم واقعون في عالم الموت معذبون فيه بعذاب الهون والذلة جزاءً لقولهم على الله غير الحق واستكبارهم عن آياته.

٩٤ . (ولقد جئتمونا فرادى...)

[١٣٦]

الفرادى: جمع فرد. والتخويل: إعطاء الخول أي المال ونحوه. والآية تنبئ عن حقيقة الحياة الإنسانية الّتي ستظهر له حينما يقدم على ربه بالتوفي فيشاهد حقيقة أمر نفسه وأنه مُدَبر بالتدبير الإلهي لا غير، كما كان كذلك في أول مرة كونته الخلقة. (وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم...) بيان لبطلان الاسباب الملهية له عن ربّه، المتخللة بين أول خلقة وبين يوم يقبض فيه إلى ربه. وقوله: (لقد تقطع بينكم...) بيان لسبب انقطاعه من الأسباب وظهورها عن الاستقلال والتأثير، وان السبب في ذلك انكشاف بطلان المزاعم الّتي كان الإنسان يلعب بها طول حياته الدنيا.

٩٥ . (إنّ الله فالق...) الله سبحانه يشقّ الحب والنوى فينبت منهما النبات والشجر اللذين يرتزق الناس من حبه وثمره، وهو يخرج الحي من الميت والميت من الحي، ذلكم الله لا غير فأنى تؤفكون وإلى متى تصرفون من الحق إلى الباطل.

(٢٠٦/١)

---

٩٦ . (فالق الإصباح وجعل اللّيل...) الإصباح: الصبح. والسكن: ما يسكن إليه. والحسبان: جمع حساب. (ذلك تقدير العزيز الحكيم) فهو العزيز الذي لا يقهره قاهر والعليم الذي لا يجهل بشيء من مصالح مملكته.

٩٧ . (وهو الّذي جعل...) المعنى واضح. والمراد بتفصيل الآيات: إما تفصيلها بحسب الجعل التكويني أو تفصيلها بحسب البيان اللفظي.

٩٨ . (وهو الّذي أنشأكم...) الظاهر ان المراد: انتهاء الذرية الإنسانية إلى آدم عليه السلام. والمراد بالمستقر: البعض الذي تلبس بالولادة من أفراد الإنسان فاستقر بالأرض. والمراد بالمستودع: من استودع في الاصلاب والارحام ولم يولد بعد.

والمعنى: وهو الذي أوجدكم من نفس واحدة وعمّر بكم الأرض إلى حين، فهي مشغولة بكم ما لم تنقرضوا فلا يزال بعضكم مستقرّاً فيها، وبعضكم مستودع في الأصلاب والأرحام أو في الأصلاب فقط في طريق الاستقرار فيها.

٩٩ . (وهو الّذي أنزل...) السّماء: جهة العلو فكل ما علاك واظلك فهو سماء. والخضر: الأخضر. وتراكب الحب: انعقاد بعضه فوق بعض كما في السنبلة. والطلع: أول ما يبدو من ثمر النخل. والقنوان: جمع قنو وهو العِذق وهو التمر كالعنقود من العنب. والدانية: القريبة. والمشتبه وغير المتشابه: المشاكل وغير المشاكل في النوع والشكل وغيرهما. وينع الثمر: نضجه.

١٠٠ . (وجعلوا لله شركاء...) وجعلوا له شركاء الجن وهو خلقهم، والمخلوق لا يجوز أن يشارك خالقه في مقامه.

---

١٠١ . (بديع السّماوات والأرض...) جواب عن قولهم بالبنين والبنات، ومحصله: أن لا سبيل لتحقق حقيقة الولد إلاّ اتخاذ الصاحبة، ولم يكن له تعالى صاحبة فأنّى يكون له ولد وأيضاً هو تعالى الخالق لكل شيء وفاطره، والولد هو الجزء من الشيء يربيه بنوع من اللقاح، وجزء الشيء والمماثل له لا يكون مخلوقاً له، ويجمع الجميع انه تعالى بديع السّماوات والأرض الّذي لا يماثله شيء من أجزائها بوجه من الوجوه، فكيف يكون له صاحبة يتزوج بها أو بنون وبنات يماثلونه في النوع.

١٠٢ . (ذلكم الله ربّكم...) إذا كان الأمر على ما ذكر فالله الذي وصفناه هو ربّكم لا غير. (لا إله إلاّ هو) هو الرّب ليس دونه رب لأنه الله الذي ليس دونه إله. (خالق كل شيء) إنما انحصرت الإلوهية فيه لأنه خالق كل شيء من غير استثناء. (وهو على كل شيء وكيل) القائم على كل شيء، المدبر لأمره، الناظم نظام وجوده وحياته.

١٠٣ . (لا تدركه الأبصار...) لا تدركه الأبصار لتعاليه عن الجسمية ولوازمها.

١٠٤ . (قد جاءكم بصائر...) إن هذه الحجج بصائر قد جاءتكم من جانب الله بالوحي إليّ، والخطاب من قبل النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ ذكر للمخاطبين وهم المشركون أنهم على خيرة من أمر أنفسهم إن شاؤوا أبصروا بها، وإن شاؤوا عَموا عنها، غير
[١٣٧]
أن الإبصار لأنفسهم والعمى عليها.
١٠٥ . (وكذلك نصرف الآيات...) على هذا المثال نصرف الآيات ونحولها بياناً لغايات كثيرة، ومنها أن يستكمل هؤلاء الأشقياء شقوتهم، فيتهموك يا محمّد بأنك تعلمتها من بعض أهل الكتاب، أو يقولوا: إندرست هذه الأقاويل وانقرض عهدها ولا نفع فيها اليوم، ولنبينه لقوم يعلمون، بتطهير قلوبهم وشرح صدورهم به.

(٢٠٨/١)

١٠٦، ١٠٧ . (اتّبع ما يوحى إليك...) اتبع ما أوحي إليك من ربّك الّذي له العناية البالغة بك والرحمة المشتملة عليك. وأعرض عن هؤلاء المشركين، لا بأن تدعهم وما يعبدون، بل ان تعرض عنهم فلا تجهد نفسك في حملهم على التوحيد ولا تتحمل شقاً فوق طاقتك، فانما عليك البلاغ، ولست عليهم بحفيظ ولا وكيل، وإنما الحفيظ والوكيل هو الله ولم يشأ لهم التوحيد، ولو شاء ما اشركوا، لكنه تركهم وضلالهم لأنهم أعرضوا عن الحق واستنكفوا عن الخضوع له.
١٠٨ . (ولا تسبوا الّذين يدعون...) الآية تذكر أدباً دينياً تصان به كرامة مقدسات المجتمع الديني، فلو سب المؤمنون آلهة المشركين، حملتهم عصبية الجاهلية أن يعارضوا المؤمنين بسب ما له عندهم كرامة الإلوهية وهو الله عز اسمه. (كذلك زيّنّا لكلّ أمة...) إن الإنسان إنما يقصد هذه الأعمال ويوقعها لأجل ما يرغب فيه من زينته غافلاً عن الحقائق المستورة تحت هذه الزينات المضروب عليها بحجاب الغفلة، ثمّ إذا رجعوا إلى ربهم نبأهم بحقيقة ما كانوا يعملونه.
١٠٩ . (واقسموا بالله جهد...) وأقسموا بالله وبالغوا فيه لئن جاءتهم آية تدل على صدق النبيّ صلى الله عليه وآله فيما يدعو إليه، ليؤمنن بتلك الآية . وهذا اقتراح منهم للآية كناية . قل إنما الآيات عند الله وهو الّذي يملكها ويحيط بها، وليس إليّ من أمرها شيء حتى أُجيبكم إليها من تلقاء نفسي.
١١٠ . (ونقلّب أفئدتهم وأبصارهم...) إنهم لا يؤمنون لو نزلت عليهم الآيات، وذلك أنّا نقلّب أفئدتهم فلا يعقلون بها كما ينبغي أن يعقلوه، وأبصارهم فلا يبصرون بها ما من حقهم أن يبصروه، فلا يؤمنوا كما لم يؤمنوا بالقرآن أوّل مرّة من الدعوة قبل نزول هذه الآيات المفروضة، ونذرهم في طغيانهم يتردّدون ويتحيّرون.

١١١ . (ولو أنّنا نزّلنا إليهم...) ولو أننا أجبناهم في مسألتهم وآتيناهم أعاجيب الآيات، فنزلنا إليهم الملائكة فعاينوهم، وأحيينا لهم الموتى فواجهوهم وكلّموهم وأخبروهم بصدق ما يدعون إليه، وحشرنا وجمعنا عليهم كل شيء قبيلاً قبيلاً وصنفاً صنفاً، أو حشرنا عليهم كل شيء قبلاً ومواجهة فشهدوا لهم بلسان الحال أو القال، ما كانوا ليؤمنوا ولم يؤثر شيء من ذلك في استجابتهم للإيمان إلاّ أن يشاء الله إيمانهم.

١١٢ . (وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ...) ومثل ما جعلنا لك، جعلنا لكل نبيّ عدواً هم شياطين الانس والجن، يشير بعضهم إلى بعض بأقوال مزوّقة وكلمات مموّهة يغرونهم بذلك غروراً، أو لغرورهم وإضلالهم بذلك. (فذرهم وما يفترون) اتركهم وما يفترونه على الله من دعوى الشريك ونحوها.

١١٣ . (ولتصغي إليه أفئدة...) فعلنا ما فعلنا وشئنا ما شئنا ولم نمنع عن وحي بعضهم لبعض زخرف القول غروراً، لغايات مستورة، ولتصغى وتجيب إليه افئدة الّذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليكتسبوا ما هم مكتسبون، لينالوا بذلك جميعاً ما يسألونه بلسان استعدادهم من شقاء الآخرة، فإن الله سبحانه يمد كلاً من أهل السّعادة وأهل الشقاء بما يتم به سيرهم إلى منازلهم ويرزقهم ما يقترحونه بلسان استعدادهم.

١١٤ . (أفغير الله ابتغي حكماً...) أفغير الله من سائر ما تدعون من الآلهة أو من ينتمي إليهم، أطلب حكماً يتبع حكمه، وهو الّذي أنزل عليكم هذا الكتاب، وهو القرآن مفصلاً متميزاً بعض معارفه من بعض غير مختلط بعض احكامه ببعض. (والّذين آتيناهم الكتاب...) رجوع إلى خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله بما يتأكد به يقينه ويزيد في ثبوت قدمه فيما ألقاه إلى المشركين من الخطاب المشعر بأن الكتاب النازل إليه منزل إليه بالحق.

[١٣٨]

١١٥ . (وتمّت كلمة ربّك...) المراد بتمام الكلمة . والله أعلم . بلوغ هذه الكلمة أعني: الدعوة الإسلامية بنبوة محمّد صلى الله عليه وآله ونزول الكتاب المهيمن على جميع الكتب، مرتبة الثبوت واستقرارها في مستقر التحقق، بعد ما كانت تسير دهراً طويلاً في مدارج التدريج بنبوة بعد نبوة وشريعة بعد شريعة.

١١٦ . (وإن تطع أكثر...) الخرص: الكذب والتخمين. واتباع الظن والقول بالخرص والتخمين سببان

للضلال في الأمور الّتي لا يسوغ الاعتماد فيها إلاّ على العلم واليقين، كالمعارف الراجعة إليه تعالى والشرائع المأخوذة من قبله.

١١٧ . (إنّ ربّك هو أعلم...) التقدير: أعلم بمن يضل.

١١٨ . (فكلوا ممّا ذكر اسم...) فرّقوا بين المذكى والميتة، فكلوا من هذا ولا تأكلوا من ذاك.

١١٩ . (وما لكم ألا تأكلوا...) إن الله فصّل لكم ما حرم عليكم واستثنى صورة الاضطرار، وليس فيما فصّل لكم ما ذكر اسم الله عليه، فلا بأس بأكله، وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين المتجاوزين عن حدوده، وهؤلاء هم المشركون القائلون: لا فرق بين ما قتلتموه أنتم وما قتله الله فكلوا الجميع أو دعوا الجميع.

١٢٠ . (وذروا ظاهر الإثم...) المراد بظاهر الإثم: المعصية التي لا ستر على شؤم عاقبتها ولا خفاء في شناعة نتيجتها كالشرك والفساد في الأرض والظلم. والمراد بباطن الإثم: ما لا يعرف منه ذلك في بادئ النظر كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير.

١٢١ . (ولا تأكلوا ممّا لم يذكر...) الأكل ممّا لم يذكر اسم الله عليه واجب الاجتناب، وإنه لفسق وكل فسق يجب اجتنابه.(وإنّ الشّياطين...) إن ما يجادلكم به المشركون وهو قولهم: إنكم تأكلون ممّا قتلتم ولا تأكلون ممّا قتل الله . يعنون الميتة، هو ممّا أوحاه إليهم الشياطين من باطل القول، وإن اطعتم المشركين في أكل الميتة صرتم مشركين مثلهم.

---

١٢٢ . (أو من كان ميتاً...) ضالاً من حيث نفسه أو ضالاً كافراً قبل ان يؤمن بربه وهو نوع من الموت، فأحييناه بحياة الإيمان أو الهداية، (وجعلنا له نوراً) علماً متولداً من إيمانه. (يمشي به بين النّاس) يتبصر به في مسير حياته الإجتماعية المظلمة ليأخذ من الأعمال ما ينفعه في سعادة حياته ويترك ما يضره. فهذا هو حال المؤمن في حياته ونوره فهل هو (كمن مثله في الظّلمات) ظلمات الضلال وفقدان نور الإيمان (ليس بخارج منها) لأن الموت لا يستتبع آثار الحياة، فلا مطمع في أن يهتدي الكافر إلى أعمال تنفعه في أُخراه وتسعده في عقباه.

١٢٣ . (وكذلك جعلنا في كل...) وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها بالدعوة الدينية والنبيّ والمؤمنين، لكنه لا ينفعهم فإنهم في ظلمات لا يبصرون، بل إنما يمكرون بأنفسهم ولا يشعرون.

١٢٤ . (وإذا جاءتهم آية...) مرادهم: أنّا لا نؤمن حتى نؤتى الرّسالة كما أُوتيها الرّسل، وفيه شيء من الاستهزاء. والصغار: الهوان والذلّة.

١٢٥ . (فمن يُرد الله...) فمن يرد الله أن يهديه يوسع صدره لأن يسلم لربه ولا يستنكف عن عبادته،

(ومن يرد ان يضله...) الحرج على ما في المجمع: أضيق الضيق.

١٢٦ . (وهذا صراط ربّك...) [تقدّم الكلام عن الصراط المستقيم في سورة الفاتحة]. (قد فصّلنا الآيات لقوم

[١٣٩]

يذّكرون) إن القول حقّ بيّن عند من تذكر ورجع إلى ما أودعه الله في نفسه من المعارف الفطرية والعقائد الأولية التي بتذكرها يهتدي الانسان إلى معرفة كل حق وتمييزه من الباطل، والبيان مع ذلك لله سبحانه، فإنه هو الذي يهدي الانسان إلى النتيجة بعد هدايته إلى الحجّة.

١٢٧ . (لهم دار السّلام...) دار السّلام: الجنّة الموعودة.

---

١٢٨ . (ويوم يحشرهم جميعاً...) ويوم يحشرهم جميعاً ليتم أمر الحجاج عليهم فيقول للجن: يا معشر الجن قد استكثرتم [أكثرتم] من ولاية الإنس وإغوائهم، وقال أولياؤهم من الإنس في الاعتراف بحقيقة الأمر: ربّنا استمتع بعضنا ببعض فاستمتعنا معشر الإنس من الجن بأن تمتعنا بزخارف الدنيا وما تهواه أنفسنا بتسويلاتهم، وتمتع الجن منا باتباع ما كانوا يلقون إلينا من الوساوس، وكنا على ذلك حتى بلغنا آخر ما بلغنا من فعلية الحياة الشقية ودرجة العمل. (قال النّار مثواكم...) مقامكم الّذي تستقرون فيه من غير خروج.

١٢٩ . (وكذلك نولي بعض...) فيه بيان أن جعله تعالى الظالمين أولياء يجري على الحقيقة المبينة في الآية السابقة، وهو أن التابع يستمتع المتبوع من طريق تسويله واغوائه فيكسب بذلك الذنوب والآثام حتى يجعل الله المتبوع ولياً عليه ويدخل التابع في ولايته.

١٣٠ . (يا معشر الجنّ والإنس...) إنّا نخاطبهم جميعاً فنقول: يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم أرسلناهم إليكم يقصون عليكم آياتي التي تدل على الدين الحق، وينذرونكم لقاء يومكم هذا وهو يوم القيامة، وأن الله سيوقفكم موقف المسألة فيحاسبكم على أعمالكم، ثم يجازيكم بما عملتم. فإذا سألناهم عن ذلك أجابونا وقالوا: شهدنا على أنفسنا ان الرّسل أتونا وقصوا علينا آياتك وانذرونا لقاء يومنا هذا. وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بما جاء به الرّسل رادِّين عليهم عن علم وما كانوا غافلين.

١٣١ . (ذلك أن لم يكن ربّك...) إن الّذي بيناه من إرسال الرّسل والتذكير بالآيات والانذار بيوم القيامة، إنما هو لأن الله سبحانه ليس من سنته أن يهلك أهل القرى ويوردهم مورد السخط والعذاب وهم غافلون عمّا يريده منهم من الطاعة، ويفعله بهم على تقدير المخالفة، ولم يهلكهم الله وهم غافلون حتى يكون يظلمهم، فهو الحكم العدل تبارك إسمه.

١٣٢ . (ولكل درجات ممّا عملوا...) ولكل طائفة من طائفتي الجن والإنس درجات من أعمالهم، فان الأعمال مختلفة وباختلافها يختلف ما توجبه من الدرجات، وما ربك بغافل عن أعمالهم.

١٣٣ . (وربّك الغني ذو الرّحمة...) بيان عام لنفي الظلم عنه تعالى في الخلقة. فهو الغني الذي لا تمسّه حاجة ولا يعرضه فقر، وذو الرحمة المطلقة التي ينعم بها على كل شيء بما يليق بحاله، فلا يظلم سبحانه أحداً.

ومعنى الآية: وربّك هو الذي يوصف بالغنى المطلق الذي لا فقر معه ولا حاجة، وبالرحمة المطلقة التي وسعت كل شيء، ومقتضى ذلك أنه قادر على أن يذهبكم بغناه ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق برحمته، والشاهد عليه أنه أنشأكم برحمته من ذريّة قوم آخرين أذهبهم بغناه عنهم.

١٣٤ . (إن ما توعدون...) الأمر الإلهي من البعث والجزاء وهو الّذي توعدون من طريق الوحي لآت، وما أنتم بمعجزين لله حتى تمنعوا شيئاً من ذلك ان يتحقق.

١٣٥ . (قل يا قوم اعملوا...) قل للمشركين: يا قوم اعملوا على منزلتكم وحالتكم التي أنتم عليها من الشرك والكفر . وفيه تهديد بالأمر . ودوموا على ما أنتم عليه من الظلم، إني عامل ومقيم على ما أنا عليه من الإيمان والدعوة إلى التوحيد، فسوف تعلمون من يسعد وينجح في عمله، وأنا الناجح دونكم، فإنكم ظالمون بشرككم والظالمون لا يفلحون في ظلمهم.

[١٤٠]

١٣٦ . (وجعلوا لله ممّا ذرأ...) الذرء: الايجاد على وجه الاختراع. والحرث: الزرع. قوله: (فقالوا هذا لله...) من تفريع التفصيل على الإجمال يفسر به جعلهم لله نصيباً من خلقه، وفيه توطئة وتمهيد لتفريع حكم آخر عليه وهو الذي يذكره في قوله: (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) وإذ كان هذا الحكم على بطلانه من أصله وكونه افتراءً على الله لا يخلو عن إزراء بساحته تعالى بتغليب جانب الأصنام على جانبه، قبّحه بقوله: (ساء ما يحكمون).

١٣٧ . (وكذلك زين لكثير...) إن الأصنام بما لها من الوقع في قلوب المشركين والحب الوهمي في نفوسهم، زينت لكثير من المشركين أن يقتلوا أولادهم ويجعلوهم قرابين يتقربون بذلك إلى الآلهة.

(ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم) الإرداء: الإهلاك. والمراد به اهلاك المشركين بالكفر بنعمة الله والبغي على خلقه، وخلط دينهم عليهم باظهار الباطل في صورة الحق.

١٣٨ . (وقالوا هذه أنعام...) الحِجر: المنع، ويفسره قوله بعد: (لا يطعمها إلاّ من نشاء) أي هذه الانعام والحرث حرام إلاّ على من نشاء أن نأذن لهم. (وأنعام حرمت ظهورها) وقالوا: هذه أنعام حرمت ظهورها، أو ولهم أنعام حرمت ظهورها. (وانعام لا يذكرون...) وهي الأنعام التي كانوا يهلون عليها بأصنامهم لا باسم الله. وقيل: هي التي كانوا لا يركبونها في الحج. وقيل: أنعام لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شأن من شؤونها.

١٣٩ . (وقالوا ما في بطون...) المراد بما في البطون: أجنة البحائر والسيب، وكانوا يحلونها إذا ولدت حية للرّجال دون النساء، وإن ولدت ميتة أكله الرّجال والنساء. وقيل: المراد بها الألبان. وقيل: الأجنة والألبان جميعاً.

١٤٠ . (قد خسر الّذين قتلوا...) كأنه قيل: خسروا في قتلهم أولادهم لأنهم سفهوا به سفهاً بغير علم، وخسروا في تحريمهم أصنافاً من الأنعام والحرث افتراءً على الله لأنها من رزق الله، وحاشاه تعالى أن يرزقهم شيئاً ثمّ يحرمه عليهم.

(٢١٥/١)

---

١٤١ . (وهو الّذي أنشأ...) الشجرة المعروشة: هي التي ترفع اغصانها بعضاً على بعض بدعائم كالكرم. (والزّرع مختلفاً أُكله) ما يؤكل منه من الحبات كالحنطة والشعير والعدس والحمص. (كلوا من ثمره...) الأمر للاباحة. (وآتوا حقه يوم حصاده) الحق الثابت فيه المتعلق به، وهذا إشارة إلى جعل حق ما للفقراء في الثمر من الحبوب والفواكه يؤدى إليهم، وليس هو الزكاة المشرعة في الإسلام، إذ ليست في بعض ما ذكر في الآية زكاة، على ان الآية مكية وحكم الزكاة مدني. (ولا تسرفوا...) لا تتجاوزوا الحد الّذي يصلح به معاشكم بالتصرّف فيه. فلا يتصرّف صاحب المال منكم بالإسراف في أكله أو التبذير في بذله أو وضعه في غير موضعه من معاصي الله وهكذا، ولا يسرف الفقير الأخذ بتضييعه ونحو ذلك، ففي الكلام إطلاق، والخطاب فيه لجميع الناس.

١٤٢ . (ومن الأنعام حمولة...) الحمولة: أكابر الأنعام لإطاقتها الحمل. والفرش: أصاغرها لأنها كأنها تفترش الأرض، أو لأنها توطأ كما يوطأ الفرش. (كلوا ممّا رزقكم الله) إباحة للأكل وإمضاء لما يدل عليه العقل. (ولا تتبعوا خطوات...) لا تسيروا في هذا الأمر المشروع إباحته باتباع الشيطان بوضع قدمكم موضع قدمه بأن تحرموا ما أحله الله.

١٤٣ . (ثمانية أزواج من الضأن...) تفصيل للأنعام بعد الاجمال، والمراد به تشديد اللوم والتوبيخ عليهم. والمعنى: أنشأ ثمانية أزواج من الضأن زوجين اثنين هما الذكر والانثى ومن المعز زوجين اثنين كالضأن، قل: أ ألذكرين من الضأن والمعز حرم الله أم الأنثيين منهما، أم حرّم ما اشتملت عليه أرحام الانثيين من الضأن والمعز، نبئوني ذلك بعلم إن كنتم

[١٤١]
صادقين.

(٢١٦/١)

وهناك أخبار مرويّة عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليه السلام: إنما الحرام ما حرّمه الله في كتابه، ولكنهم كانوا يعافون أشياء فنحن نعافها. وهناك روايات كثيرة تنهى عن أكل كثير من الحيوان كذوات الأنياب من الوحش وذوات المخالب من الطير وغير ذلك، والمسألة فقهيّة مرجعها الفقه. وإذا تمّت حرمة ما عدا المذكورات في الآية، فإنما هي ممّا حرّمها النبيّ صلى الله عليه وآله.

١٤٤ . (ومن الإبل اثنين...) معناه ظاهر ممّا مرّ. (أم كنتم شهداء...) أعلمتم ذلك من طريق الفكر كعقل أو سمع، أم شاهدتم تحريم الله ذلك وشافهتموه فادعيتم ذلك. (فمن أظلم ممّن افترى...) لا أظلم منكم لأنكم افتريتم على الله كذباً لتضلوا الناس بغير علم، وإذ ظلمتم فإنكم لا تهتدون إن الله لا يهدي القوم الظّالمين.

١٤٥ . (قل لا أجد في ما أُوحي...) معنى الآية ظاهر. [يُراجع تفسير الآية ٣ من سورة المائدة، والآية ١٧٣ من سورة البقرة].

١٤٦ . (وعلى الّذين هادوا...) الظفر: واحد الأظافر، وهو العظم النابت على رؤوس الأصابع. والحوايا: المباعر. قال في المجمع: موضع الحوايا يحتمل أن يكون رفعاً عطفاً على الظهور وتقديره: أو ما حملت الحوايا، ويحتمل أن يكون نصباً عطفاً على ما في قوله: (إلاّ ما حملت) انتهى. والوجه الأوّل أقرب.

والآية كأنها في مقام الاستدراك، ببيان أن ما حرّم الله على بني إسرائيل من طيبات ما رزقهم، إنما حرّمه جزاء لبغيهم. فلا ينافي ذلك كونه حلاًّ بحسب طبعه الأوّليّ كما يشير إلى ذلك قوله: (فبظلم من الّذين هادوا حرمنا عليهم طيّبات أُحلّت لهم وبصدِّهم عن سبيل الله كثيراً) النّساء . ١٦٠.

١٤٧ . (فإن كذّبوك فقل...) معنى الآية ظاهر، وفيها أمر بانذارهم وتهديدهم إن كذّبوا بالبأس الإلهي الذي لا مردّ له.

١٤٨ . (سيقول الّذين أشركوا...) الآية تذكر احتجاجهم بهذه الحجة ثم ترد عليهم بأنهم جاهلون بها، وإنما يركنون فيها إلى الظن والتخمين.

(٢١٧/١)

---

١٤٩ . (قل فللّه الحجّة...) إن نتيجة الحجّة قد التبست عليكم بجهلكم واتباعكم الظن وخرصكم في المعارف الإلهية، فحجّتكم تدل على أن لا حجّة لكم في دعوته إيّاكم إلى رفض الشرك وترك الافتراء عليه، وإن الحجّة إنما هي لله عليكم، فإنه لو شاء لهداكم أجمعين وأجبركم على الإيمان وترك الشرك والتحريم، وإذ لم يجبركم على ذلك وأبقاكم على الاختيار، فله أن يدعوكم إلى ترك الشرك والتحريم.

١٥٠ . (قل هلم شهداءكم...) الخطاب خطاب تعجيزي أمر به الله سبحانه ليكشف به أنهم مفترون في دعواهم أن الله حرّم ذلك، فهو كناية عن عدم التحريم. (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) لا شاهد فيهم يشهد بذلك فلا تحريم، حتى أنهم لو شهدوا بالتحريم فلا تشهد معهم، إذ لا تحريم ولا يعبأ بشهادتهم فانهم قوم يتبعون أهواءهم.

وقوله: (ولا تتّبع أهواء الذين كذّبوا بآياتنا...) عطف تفسير لقوله: (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) أي أن شهادتك إتباع لأهوائهم كما أن شهادتهم من اتباع الأهواء، وكيف لا، وهم قوم كذّبوا بآيات الله الباهرة، ولا يؤمنون

[١٤٢]

بالآخرة، ويعدلون بربّهم غيره من خلقه كالأوثان، ولا يجترئ على ذلك مع كمال البيان وسطوع البرهان إلاّ الذين يتّبعون الأهواء.

(٢١٨/١)

---

١٥١ . (قل تعالوا أتلُ...) التلاوة: قريبة المعنى من القراءة. (أن لا تشركوا) عليكم أن لا تشركوا به شيئاً. (وبالوالدين احساناً) أحسنوا بالوالدين احساناً. (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق...) الإملاق: الإفلاس من المال والزاد. وقد علل النهي بقوله: (نحن نرزقكم وإياهم) إنما تقتلونهم مخافة أن لا تقدروا على القيام بأمر رزقهم ولستم برازقين لهم، بل الله يرزقكم وإياهم جميعاً فلا تقتلوهم. (ولا تقربوا الفواحش...) الفواحش: جمع فاحشة وهي الأمر الشنيع المستقبح، والظاهر ان المراد ممّا ظهر وممّا بطن: العلانية والسر. (ولا تقتلوا النّفس...) حرم الله قتلها أو حرمها بالحرمة المشرعة لها التي تقيها وتحميها من الضيعة في دم أو حق.

١٥٢ . (ولا تقربوا مال اليتيم...) النهي عن القرب للدّلالة على التعميم فلا يحل أكل ماله ولا استعماله ولا أي تصرف فيه إلاّ بالطريقة الّتي هي أحسن الطرق المتصوّرة لحفظه، ويمتد هذا النهي وتدوم الحرمة إلى أن يبلغ أشده وهو البلوغ والرشد. (وأوفوا الكيل والميزان...) كأنه قيل: إن الإيفاء بالقسط والوقوع في العدل الحقيقي الواقعي لا يمكن للنفس الإنسانية التي لا مناص لها عن أن تلتجئ في أمثال هذه الأمور إلى التقريب، فأجيب بانّا لا نكلف نفساً إلاّ وسعها. (وإذا قلتم فاعدلوا...) وراقبوا أقوالكم الّتي فيها نفع أو ضرر للناس وأعدلوا فيها، ولا تحملنكم رحمة أو رأفة أو

أي عاطفة على أن تراعوا جانب أحد فتحرّفوا الكلام وتجاوزوا الحق، فتشهدوا أو تقضوا بما فيه رعاية لجانب من تحبونه وإبطال حق من تكرهونه. (وبعهد الله أوفوا) المراد: التكاليف الدّينية الإلهية، وإن كان من الممكن أن يكون المراد بالعهد: الميثاق المعقود بمثل قولنا: عاهدت الله على كذا وكذا.

---

١٥٣ . (وإن هذا صراطي...) وممّا حرم ربّكم عليكم ووصاكم به أن لا تتبعوا السبل الّتي دون هذا الصراط المستقيم الذي لا يقبل التخلف والاختلاف وهي غير سبيل الله، فإن اتباع السبل دونه يفرقكم عن سبيله فتختلفون فيه فتخرجون من الصراط المستقيم، إذ الصراط المستقيم لا اختلاف بين اجزائه ولا بين سالكيه.

١٥٤ . (ثمّ آتينا موسى الكتاب...) إنّا بعدما شرعنا من إجمال الشرائع الدينية، آتينا موسى الكتاب تماماً تتم به نقيصة من أحسن منهم من حيث الشرع الاجمالي وتفصيلاً يفصل به كل شيء من فروع هذه الشرائع الإجمالية، ممّا يحتاج إليه بنو إسرائيل، وهدىً ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون.

١٥٥ . (وهذا كتاب أنزلناه...) وهذا كتاب مبارك يشارك كتاب موسى فيما ذكرناه من الخصيصية فاتبعوه واتقوا لعلّكم ترحمون.

١٥٦ . (أن تقولوا إنّما أُنزل...) إنا أنزلنا القرآن كراهة أن تقولوا: إن الكتاب الإلهي المفصل لشرائعه إنما أُنزل على طائفتين من قبلنا هما اليهود والنصارى، وإنا كنا غافلين عن دراستهم وتلاوتهم ولا بأس علينا مع الغفلة.

١٥٧ . (أو تقولوا لو أنّا...) الصدف: الإعراض. ومعنى الآية ظاهر.

١٥٨ . (هل ينظرون إلاّ أن...) استفهام انكاري في مقام لا تنفع فيه عظة ولا تنجح فيه دعوة، فالأمور المذكورة في الآية وهي: إتيان الملائكة أو إتيان الرّب أو إتيان بعض آياته، امور تصاحب القضاء بينهم بالقسط، وهم لكونهم لا تؤثر

[١٤٣]

فيهم حجّة ولا تنفعهم موعظة لا ينظرون إلاّ ذلك وإن ذهلوا عنه فإن الواقع أمامهم علموا أو جهلوا.

١٥٩ . (إنّ الّذين فرقوا...) إن الّذين فرقوا دينهم بالاختلافات التي هي لا محالة ناشئة عن العلم والإنشعابات المذهبية، ليسوا على طريقتك الّتي بنيت على وحدة الكلمة ونفي الفرقة، إنما أمرهم في هذا التفريق إلى ربهم لا يماسّك منهم شيء فينبئهم يوم القيامة بما كانوا يفعلون ويكشف لهم حقيقة أعمالهم الّتي هم رهناؤها.

١٦٠ . (من جاء بالحسنة...) الجزاء يماثل العمل، فمن جاء بالحسنة فله مثلها ويضاعف له، ومن جاء بالسيئة وهي الاختلاف المنهي عنه فلا يجزى إلاّ سيئة مثلها.

١٦١ . (قل إنّني هداني ربّي...) يأمر الله سبحانه [نبيّه صلى الله عليه وآله] أن يخبرهم بأن ربه الذي يدعو إليه هداه بهداية إلهية إلى صراط مستقيم وسبيل واضح قيّم على سالكيه، لا تخلف فيه ولا اختلاف، ديناً قائماً على مصالح الدّنيا والآخرة أحسن القيام، ملّة إبراهيم حنيفاً مائلاً عن التطرف بالشرك إلى اعتدال التوحيد وما كان من المشركين.

١٦٢، ١٦٣ . (قل إنّ صلاتي...) أمره صلى الله عليه وآله ثانياً أن يخبرهم بانه عامل بما هداه الله إليه متلبس به، كما انه مأمور بذلك، ليكون أبعد من التهمة عندهم وأقرب إلى تلقيهم بالقبول، فإن من إمارة الصدق أن يعمل الانسان بما يندب إليه ويطابق فعله قوله.

١٦٤ . (قل أغير الله أبغي...) إذا كان ربّ كل شيء، كان كل شيء مربوباً له، فلا ربّ غيره على الاطلاق يصلح أن يعبد. (ولا تكسب كلّ نفس إلاّ عليها...) كل نفس لا تعمل عملاً ولا تكسب شيئاً إلاّ حمل عليها، ولا تزر وازرة وزر أخرى حتى يحمل ما اكتسبته نفس على غيرها، ثم المرجع إلى الله وإليه الجزاء بالكشف عن حقائق أعمال العباد.

١٦٥ . (وهو الّذي جعلكم...) هذا النظام العجيب الذي يحكم في معاشكم في الحياة الدّنيا وهو مبني على خلافتكم في الأرض واختلاف شؤونكم بالقوّة والضعف والغنى والفقر، ناشئ من عمل التكوين منته إليه، فالله سبحانه هو ناظمه، وإنما فعل ذلك لامتحانكم وابتلائكم، فهو الربّ الذي يدبر أمر سعادتكم، ويوصل من أطاعه إلى سعادته المقدرة له. وقد ختمت السورة بالمغفرة والرّحمة.

«سورة الأعراف»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١، ٢ . (المص. كتاب أُنزل إليك...) كأنه قيل: هذا كتاب مبارك يقص آيات الله، أنزله إليك ربّك، فلا يكن في صدرك حرج منه لما في تبليغه ودعوة الناس إلى ما يشتمل عليه من الهدى من المشاق والمحن. (وذكرى للمؤمنين) تخصيص الذكرى بالمؤمنين دليل على أن الانذار يعمهم وغيرهم.

٣ . (...ولا تتّبعوا من دونه أولياء...) ولا تتبعوا غيره تعالى . وهم كثيرون . فيكونوا لكم أولياء من دون الله، قليلاً ما تذكّرون، ولو تذكرتم لدريتم أن الله تعالى هو ربكم لا ربّ لكم سواه، فليس لكم من دونه أولياء.

٤ . (وكم من قرية أهلكناها...) تذكير لهم بسنة الله الجارية في المشركين من الأمم الماضية، إذ اتخذوا من دون الله أولياء، فأهلكهم الله بعذاب أنزله إليهم ليلاً أو نهاراً فاعترفوا بظلمهم. والبيات: قصد العدو ليلاً. و (القائلون): من القيلولة وهي النوم نصف النّهار.

٥ . (فما كان دعواهم...) تتميم للتذكير يبين أن الإنسان بوجدانه وسره يشاهد الظلم من نفسه إن اتخذ من دون الله أولياء بالشرك، وأن السنّة الإلهية أن يؤخذ منه الإعتراف بذلك ببأس العذاب إن لم يعترف به طوعاً ولم يخضع لمقام الرّبوبية، فليعترف اختياراً وإلاّ فسيعترف اضطراراً.

٦ . (فلنسألنّ الّذين أُرسل...) المراد بالذين أُرسل إليهم: الناس. وبالمرسلين: الأنبياء والرّسل عليهم السّلام.

٧ . (فلنقصنّ عليهم بعلم...) نكّر العلم للاعتناء بشأنه وأنه علم لا يخطئ ولا يغلط، ولذلك أكده بعطف قوله: (وما كنّا غائبين) عليه، للدّلالة على أنه كان شاهداً غير غائب.

٨، ٩ . (والوزن يومئذ الحق...) الآيتان تخبران عن الوزن وهو توزين الأعمال أو الناس العاملين من حيث عملهم. وأن الوزن يوم القيامة هو تطبيق الأعمال على ما هو الحق فيها.

---

١٠ . (ولقد مكّنّاكم في الأرض...) جعلنا مكانكم الأرض. والآية في مقام الامتنان عليهم بما أنعم الله عليهم من نعمة سكنى الأرض أو التسلط والاستيلاء عليها، وجعل لهم فيها من أنواع ما يعيشون به.

١١ . (ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم...) الانتقال في الخطاب من العموم إلى الخصوص، أعني: قوله: (ثمّ قلنا للملائكة...) بعد قوله: (ولقد خلقناكم...) يفيد بيان حقيقتين: الأولى: ان السجدة كانت من الملائكة لجميع بني آدم أي للنشأة الإنسانية، فآدم عليه السلام كان مثالاً تمثل به الإنسانية.

والحقيقة الثانية: أن خلق آدم عليه السّلام كان خلقاً للجميع.

١٢ . (قال ما منعك ألا تسجد...) ما حملك على أن لا تسجد. (قال أنا خير منه...) يحكي عما أجاب به لعنه الله، وهو أول معصيته، وأول معصية عُصي بها الله سبحانه.

١٣ . (قال فاهبط منها...) قال الله تعالى: فتنزّل عن منزلتك حيث لم تسجد لما أمرتك، فإن هذه المنزلة منزلة التذلل والإنقياد لي، فما يحق لك أن تتكبر فيها، فاخرج إنك من الصاغرين أهل الهوان.

١٤، ١٥ . (قال أنظرني إلى...) استمهال وإمهال. وفي قوله: (إنّك من المنظرين) دلالة على أن هناك مُنظرين غيره.

١٦ . (قال فبما أغويتني...) الإغواء: الإلقاء في الغي وهو الضلال. والمعنى: فبسبب اغوائك إياي

أو في مقابلة إغوائك إياي لأجلسن لأجلهم على صراطك المستقيم، وهو كناية عن التزامه والترصد لعابريه ليخرجهم منه.

١٧ . (ثمّ لآتينهم من بين...) بيان لما يصنعه بهم، وهو أن يأتيهم من كل جانب من جوانبهم الأربعة.

[١٥٢]

١٨ . (قال اخرج منها...) المذؤوم: من ذامه يذامه إذا عابه وذمه. والمدحور: من دحره إذا طرده ودفعه بهوان.

(٢٢٣/١)

---

١٩ . (ويا آدم اسكن أنت...) خص بالخطاب آدم عليه السلام وأُلحقت به في الحكم زوجته. (فكلا من حيث شئتما) توسعة في إباحة التصرّف إلاّ ما استثناه بقوله: (ولا تقربا هذه الشجرة). والظلم: هو الظلم على النفس دون معصية الأمر المولوي، فان الأمر إرشادي.

٢٠ . (فوسوس لهما الشّيطان...) الوسوسة: الدعاء إلى أمر بصوت خفي. والمواراة: ستر الشيء. والسوآت: جمع سوءة وهي العضو الّذي يسوء الإنسان إظهاره. (إلاّ ان تكونا ملكين...) إلاّ كراهة أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين.

٢١ . (وقاسمهما انّي لكما...) المقاسمة: المبالغة في القسم. أي حلف لهما وأغلظ في حلفه أنه لهما لمن الناصحين.

٢٢ . (فدلاهما بغرور...) التدلية: التقريب والإيصال. والخصف: الضم والجمع.

٢٣ . (قالا ربّنا ظلمنا...) هذا منهما نهاية التذلل والابتهال، ولذلك لم يسألا شيئاً وإنما ذكرا حاجتهما إلى المغفرة والرحمة وتهديد الخسران الدائم المطلق لهما حتى يشاء الله ما يشاء.

٢٤ . (قال اهبطوا بعضكم...) كأن الخطاب لآدم وزوجته وإبليس. وعداوة بعضهم لبعض: هو ما يشاهد من اختلاف طبائعهم. (إلى حين) إلى آخر الحياة الدّنيوية.

٢٥ . (قال فيها تحيون...) قضاءٌ يوجب تعلقهم بالأرض إلى حين البعث.

٢٦ . (يا بني آدم قد أنزلنا...) اللباس: كل ما يصلح للبس وستر البدن وغيره. والريش: ما فيه الجمال. (ولباس التّقوى ذلك خير) انتقل سبحانه من ذكر لباس الظاهر إلى لباس الباطن، وهذا اللباس هو التقوى الذي أمر الله به.

٢٧ . (يا بني آدم لا يفتننكم...) إياكم أن يفتنكم الشيطان فينزع عنكم لباس التقوى كما نزع لباس أبويكم في الجنّة ليريهما سوآتهما، فإنا جعلنا الشياطين أولياء لمن تبعهم ولم يؤمن بآياتنا. وقوله:

(انه يراكم هو وقبيله...) تأكيد للنهي، وبيان لدقة مسلكه وخفاء سربه دقة لا يميزه حس الإنسان، وخفاء لا يقع عليه شعوره.

(٢٢٤/١)

---

٢٨ . (وإذا فعلوا فاحشة...) ذكر إتيان المشركين بالفحشاء واستنادهم في ذلك إلى عمل آبائهم وإلى أمر الله سبحانه بها، فأمر رسوله صلى الله عليه وآله أن يرد عليهم بأن الله لا يأمر بالفحشاء، ويذكرهم أن ذلك من القول على الله بغير علم والافتراء عليه.

٢٩ . (قل أمر ربّي بالقسط...) قل: أمر ربي بالنصيب العدل ولزوم وسط الاعتدال في الأمور كلها، فأقسطوا وأنيبوا وأقروا نفوسكم عند كل معبد تعبدون الله فيه، وادعوه باخلاص الدين له من غير أن تشركوا بعبادته صنماً أو أحداً من آبائكم وكبرائكم بالتقليد لهم، وهذا هو القسط في العبادة.

٣٠ . (فريقاً هدى وفريقاً...) من الممكن أن يكون قوله: (كما بدأكم تعودون. فريقاً هدى...) في مقام التعليل لمضمون الكلام السابق، والمعنى: أقسطوا في أعمالكم وأخلصوا لله سبحانه، فان الله سبحانه إذ بدأ خلقكم قضى فيكم أن تتفرّقوا فريقين، فريقاً يهديهم وفريقاً يضلون عن الطريق، وستعودون إليه كما بدأكم فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة بتولّي الشياطين، فأقسطوا واخلصوا حتى تكونوا من المهتدين بهداية الله لا الضالين بولاية الشياطين.

[١٥٣]

٣١ . (يا بني آدم خذوا...) أخذ الزينة عند كل مسجد: هو التزين الجميل عند الحضور في المسجد، ويشمل باطلاقه صلوات الأعياد والجماعات اليومية وسائر وجوه العبادة والذكر. (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا...) أمران إباحيّان ونهي تحريمي معلّل بقوله: (إنّه لا يحبّ المسرفين).

٣٢ . (قل من حرم زينة...) يذكر بالاستفهام الانكاري أن إباحة زينة الله والطيبات من الرزق ممّا لا ينبغي أن يُرتاب فيها، فهو من إمضاء الشرع لحكم العقل والقضاء الفطري. (قل هي للّذين آمنوا...) قل: هي للمؤمنين يوم القيامة وهي خالصة لهم لا يشاركهم فيها غيرهم، كما شاركوهم في الدنيا، فمن آمن في الدنيا ملك نعمها يوم القيامة.

(٢٢٥/١)

في قرب الإسناد للحميري، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الرضا عليه السلام في حديث طويل، قال عليه السلام لي: ما تقول في اللِّباس الخشن؟ فقلت: بلغني أن الحسن كان يلبس، وأن

جعفر بن محمد كان يأخذ الثوب الجديد فيأمر به فيغمس في الماء. فقال لي: إلبس وجمِّل، فإن علي بن الحسين كان يلبس الجبّة الخزّ بخمسمائة درهم، والمطرف الخزّ بخمسين ديناراً، فيشتو فيه فإذا خرج الشتاء باعه وتصدّق بثمنه. وتلا هذه الآية: (قل من حرّم زينة الله التي أخرج...).

٣٣ . (قل إنّما حرّم ربّي...) [تقدّم الكلام في مفردات الآية]. وكان إلقاء الخطاب بإباحة الزينة وطيبات الرّزق داعياً لنفس السامع إلى ان يحصل على ما حرمه الله، فألقى الله سبحانه في هذه الآية جماع القول في ذلك، ولا يشذ عما ذكره شيء من المحرّمات الدّينية.

٣٤ . (ولكل أُمّة أجل...) إن الأمم والمجتمعات لها أعمار وآجال نظير ما للأفراد من الأعمار والآجال.

٣٥، ٣٦ . (يا بني آدم إما يأتينكم...) المراد بقص الآيات: بيانها وتفصيلها. والآية إحدى الخطابات المستخرجة من قصة الجنة المذكورة هنا، تبين للناس التشريع الالهي العام للدين باتباع الرسالة وطريق الوحي.

٣٧ . (فمن أظلم ممّن افترى...) أولئك الذين كذبوا على الله بالشرك أو كذبوا بآياته بالرد لجميع الدين أو شطر منه، ينالهم نصيبهم من الكتاب، ونصيبهم ما قضي في حقهم من الخير والشر في الحياة الدنيا، حتى إذا قضوا أجلهم وجاءتهم رسلنا من الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه، نزلوا عليهم وهم يتوفونهم ويأخذون أرواحهم ونفوسهم من أبدانهم، سألوهم وقالوا: أين ما كنتم تدعون من دون الله من الشركاء الذين كنتم تدعون أنهم شركاء الله فيكم وشفعاؤكم عنده؟، قالوا: ضلّوا عنّا، وإنما ضلت أوصافهم ونعوتهم، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين.

---

٣٨ . (قال ادخلوا في أمم...) المخاطبون بحسب سياق اللفظ هم بعض الكفار وهم الذين توفيت قبلهم أمم من الجنّ والإنس. (حتّى إذا اداركوا...) اجتمعوا بلحوق أُخراهم لأولاهم في النار، تخاصموا و (قالت أُخراهم) وهم اللاّحقون مرتبة أو زماناً من التابعين (لأولاهم) وهم الملحقون المتبوعون من رؤسائهم ومن آبائهم والأجيال السابقة عليهم زماناً: أنتم أضللتمونا باعانتكم عليه فلتعذبوا بأشد من عذابنا، فسألوا ربهم ذلك وقالوا: ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً يكون ضعف عذابنا، قال الله سبحانه: لكل من الأُولى والآخرة ضعف من العذاب، ولكن احاطة العذاب شغلكم عن العلم بذلك.

٣٩ . (وقالت أولاهم لأخراهم...) تعود أولاهم لأخراهم بالتهكم وتقول كما حكى الله: (فما كان لكم علينا من فضل) بخفة العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم...).

٤٠ . (إن الّذين كذّبوا...) السم: الثقب. والخياط: الإبرة. وقوله: (حتّى يلج الجمل...) من التعليق

بالمحال وإنما يعلق الأمر بالمحال كناية عن عدم تحققه وإياساً من وجوده.
[١٥٤]
٤١ . (لهم من جهنّم مهاد...) المهاد: الوطاء الذي يفترش. والغواشي: جمع غاشية وهي ما يغشي الشيء ويستره. فهم محاطون بالعذاب من تحتهم ومن فوقهم.
٤٢ . (والّذين آمنوا وعملوا...) ذكر الله سبحانه ان التكليف على قدر الوسع فمن عمل من الصّالحات ما وسعه أن يعمله من غير أن يشق على نفسه ويتحمل ما لا طاقة له به بعد الإيمان بالله، فهو من أهل هذه الآية، ومن أصحاب الجنّة هم فيها خالدون.
٤٣ . (ونزعنا ما في صدورهم...) الغل: الحقد وضغن القلوب وعداوتها. (تجري من تحتها الأنهار) إشارة إلى أنهم ساكنون في قصورها العالية. (لقد جاءت رسل...) اعتراف بحقية ما وعدهم الله تعالى بلسان أنبيائه. (ونودوا أن تلكم الجنّة...) في الاشارة بلفظ البعيد . تلكم . إشارة إلى رفعة قدر الجنة وعلو مكانها. وقد جعلت الجنّة إرثاً لهم في قبال عملهم.

---

٤٤ . (ونادى أصحاب الجنّة...) هذا في نفسه أخذ اعتراف من أصحاب النار [بواسطة] أصحاب الجنّة. والظاهر ان المراد بما وعد الله: جميع ما وعده من الثواب والعقاب لعامة الناس. (فأذن مؤذّن بينهم...) [ورد في الروايات ان المؤذّن هو الإمام عليّ عليه السّلام].
٤٥ . (الّذين يصدون عن...) فسّر الظّالمين [المذكورين بالآية السّابقة]، فهم الكافرون المنكرون للآخرة الذين يصدون عن سبيل الله، ويصرفون غيرهم عن سلوك الصراط المستقيم.
٤٦ . (وبينهما حجاب وعلى الاعراف...) الأعراف: أعالي الحجاب، والتلال من الرمل. والمراد: أعالي الحجاب الذي بين الجنّة والنار وهو المحل المشرف على الفريقين. (وعلى الاعراف رجال) جمع من العباد المخلصين من غير الملائكة، هم أرفع مقاماً وأعلى منزلة من سائر أهل الجمع يعرفون عامة الفريقين، لهم أن يتكلموا بالحق يوم القيامة ولهم أن يشهدوا، ولهم أن يشفعوا، ولهم أن يأمروا ويقضوا. (ونادوا أصحاب الجنّة...) أن أصحاب الجنة نودوا وهم في حال لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يطمعون في أن يدخلوها.
٤٧ . (وإذا صرفت أبصارهم...) الظاهر ان قوله: (أبصارهم) وقوله: (قالوا) راجعان إلى أصحاب الجنّة. والجملة إخبار عن دعائهم إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النّار.
٤٨ . (...قالوا ما أغنى عنكم...) تقريع لهم وشماتة، وكشف عن تقطع الأسباب الدنيوية عنهم فقد كانوا يستكبرون عن الحق ويستذلونه ويغترون بجمعهم.
٤٩ . (أهؤلاء الّذين أقسمتم...) الإشارة إلى أصحاب الجنّة، والاستفهام للتقرير. أي هؤلاء هم الذين

كنتم تجزمون قولاً أنهم لا يصيبهم خير. وقد كانوا ينفون عن المؤمنين كل خير. (أدخلوا الجنّة لا خوف...) أمر من أصحاب الأعراف للمؤمنين أن يدخلوا الجنّة.

٥٠ . (ونادى أصحاب النّار...) في الآية اشعار بعلو مكانة أهل الجنّة بالنسبة إلى مكانة أهل النّار.

---

٥١ . (الّذين اتخذوا دينهم...) الآية مسوقة لتفسير الكافرين. (فاليوم ننساهم كما نسوا...) اليوم نتركهم ولا

[١٥٥]

نقوم بلوازم حياتهم السعيدة، كما تركوا يومهم هذا فلم يقوموا بما يجب أن يعملوا له وبما كانوا بآياتنا يجحدون.

٥٢ . (ولقد جئناهم بكتاب...) مَن أعظم من هؤلاء ظلماً ولقد أتممنا عليهم الحجّة وأقمنا لهم البيان فجئناهم بكتاب فصلناه وأنزلناه على علم منا بما يشتمل عليه من المطالب. (هدىً ورحمة لقوم يؤمنون) هدى وإراءة طريق للجميع ورحمة للمؤمنين به خاصة.

٥٣ . (هل ينظرون إلاّ تأويله...) هل ينتظر هؤلاء إلاّ حقيقة الأمر الّتي كانت هي الباعثة على سوق بياناته وتشريع أحكامه والإنذار والتبشير اللذين فيه؟ فلو لم ينتظروه لم يتركوا الأخذ بما فيه. (يوم يأتي تأويله...) إذا انكشفت حقيقة الأمر يوم القيامة يعترف التاركون له بحقية ما جاءت به الرسل من الشرائع الّتي أوجبوا العمل بها، وأخبروا أن الله سيبعثهم ويجازيهم عليها، وإذا شاهدوا عند ذلك أنهم هالكون بفساد أعمالهم، سألوا أحد أمرين: إما شفعاء ينجونهم من الهلاك، أو يُردّوا إلى الدّنيا فيعملوا صالحاً.

٥٤ . (إنّ ربّكم الله...) إن رب الجميع واحد وهو الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض ثمّ دبر أمرها بالنظام الأحسن. (ثمّ استوى على العرش) كناية عن استيلائه على ملكه وقيامه بتدبير الأمر قياماً ينبسط على كل ما دق وجل. (يغشي اللّيل النّهار) يستره به. (يطلبه حثيثاً) يطلب الليل النهار ليستره طلباً حثيثاً سريعاً. (والشّمس والقمر والنّجوم...) خلقهن مسخرات بأمره يجرين على ما يشاء ولما يشاء. (ألا له الخلق والأمر) كأن المراد بالخلق: ما يتعلق من الايجاد بذوات الأشياء. وبالأمر: ما يتعلق بآثارها والاوضاع الحاصلة فيها والنظام الجاري بينها. (تبارك الله ربّ العالمين) كان ذا بركات ينزلها على مربوبيه من جميع مَن في العالمين فهو ربهم.

٥٥ . (ادعوا ربّكم تضرعاً...) التضرّع: التذلل، من الضراعة وهي الضعف والذلة. والخفية: الاستتار. وقد أمر أن يدعوه بالتضرع والتذلل فإن ذلك هو لازم العبودية، ومن عدا ذلك فقد اعتدى عن طور العبودية وإن الله لا يحب المعتدين.

٥٦ . (ولا تفسدوا في الأرض...) ليس حقيقة الدين فيما يرجع إلى حقوق الناس إلاّ أن يصلح شأنهم بارتفاع المظالم من بينهم ومعاملتهم بما يعينهم على التقوى ويقربهم من سعادة الحياة في الدّنيا والآخرة. (وادعوه خوفاً وطمعاً) ثمّ كرر الدعوة إليه بالجمع بين الطريقين طريق الخوف وطريق الرّجاء.

٥٧ . (وهو الّذي يرسل...) في الآية بيان لربوبيّته تعالى. وبُشراً: جمع بشير. والمراد بالرّحمة: المطر. والإقلال: الحمل. (لبلد ميت) لأجل بلد ميت أو إلى بلد ميت.

٥٨ . (والبلد الطيب يخرج...) النكد: القليل. والآية بالنظر إلى نفسها كالمثل العام المضروب لترتيب الأعمال الصالحة والآثار الحسنة على الذوات الطيبة الكريمة. لكنها بانضمامها إلى الآية السّابقة تفيد أن الناس وإن اختلفوا في قبول الرّحمة فالاختلاف من قبلهم والرّحمة الإلهية عامة مطلقة.

٥٩ . (لقد أرسلنا نوحاً...) دعاهم إلى عبادة الله وحده من غير أن يُشرك به في عبادته غيره وهو التوحيد، ثمّ أنذرهم بقوله: (إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وظاهره يوم القيامة، فيكون في ذلك دعوة إلى أصلين من أصول الدّين وهما التوحيد والمعاد.

٦٠ . (قال الملأ من قومه...) الملأ: أشراف القوم وخواصهم.

٦١ . (قال يا قوم ليس بي...) أجابهم بنفي الضلال عن نفسه والاستدراك بكونه رسولاً من الله سبحانه، وذكره

بوصفه (ربّ العالمين) ليجمع له الرّبوبية كلها.

٦٢ . (أُبلغكم رسالات ربّي...) أخبرهم بأوصاف نفسه فبين أنه يبلغهم رسالات ربه فهو نبي رسول من أولي العزم صاحب كتاب وشريعة. ثمّ ذكر انه ينصح لهم وهو عظاته بالانذار والتبشير ليقربهم من طاعة ربهم ويبعدهم عن الاستكبار والاستنكاف عن عبوديته. وذكر ثالثاً انه يعلم من الله ما لا يعلمون كوقائع يوم القيامة من الثواب والعقاب وغير ذلك.

٦٣ . (أوَ عجبتم أن جاءكم...) استفهام انكاري ينكر تعجبهم من دعواه الرّسالة ودعوته إياهم إلى

الدين الحق. والمراد بالذكر: ما يذكر به الله وهو المعارف الحقة التي أُوحيت إليه. (لينذركم ولتتّقوا...) لغرض أن ينذركم الرّسول ولتتّقوا أنتم ويؤدي ذلك إلى رجاء أن تشملكم الرحمة الالهية.

٦٤ . (فكذّبوه فانجيناه والّذين...) الفلك: السفينة. وعمين: جمع عمي. ومعنى الآية ظاهر.

٦٥ . (وإلى عاد أخاهم...) الأخ: المشارك غيره في الولادة، ثم استعير لكل من ينتسب إلى قوم أو بلدة أو صنعة أو سجية ونحو ذلك.

٦٦ . (قال الملأ الّذين...) استقرت الوثنية بينهم استقراراً لا يجترئ معه أحد على أن يعترض عليها، فتعجبوا من مقاله فردوه رداً عن تعجب، فجبهوه أولاً بأن فيه سفاهة وهي خفة العقل، وثانياً بأنهم يظنون بظن قوي جداً أنه من الكاذبين، وكأنهم يشيرون بالكاذبين إلى أنبيائهم لأن الوثنيين ما كانوا ليذعنوا بالنّبوة.

٦٧ . (قال يا قوم ليس بي...) جرى على تجريد الكلام من كل تأكيد واكتفى بمجرد رد تهمتهم وإثبات ما كان يدعيه من الرّسالة للدلالة على ظهوره.

٦٨ . (أبلّغكم رسالات ربّي...) لا شأن لي بما أني رسول إلاّ تبليغ رسالات ربي خالصاً من شوب ما تظنون بي، فما أُريده منكم من التدين بدين التوحيد هو الذي أراه حقاً، وهو الذي فيه نفعكم وخيركم.

(٢٣١/١)

---

٦٩ . (أوعجبتم أن جاءكم...) أنكر عليه السلام تعجبهم من رسالته اليهم وذكّرهم نعم الله عليهم وخصّ من بينها نعمتين ظاهرتين هما أن الله جعلهم خلفاء في الأرض بعد نوح، وأن الله خصهم من بين الأقوام ببسطة الخلق وعظم الهيكل البدني المستلزم لزيادة الشدة والقوة.

٧٠ . (قالوا أجئتنا لنعبد...) فيه تعلق منهم بتقليد الآباء وتعجيز هود مشوباً بنوع من الإستهزاء بما أنذرهم به من العذاب.

٧١ . (قال قد وقع عليكم...) أجابهم بأن اصرارهم على عبادة الأوثان بتقليد آبائهم أوجب أن يحق عليهم البعد عن الله بالرجس والغضب. والرجس والرجز: الأمر الّذي إذا وقع على الشيء أوجب ابتعاده أو الابتعاد عنه. (أتجادلونني في أسماء سميتموها...) إنكم وآباءكم سواء، في أنكم أتيتم بأشياء، ليس لكم على ما ادعيتم من صفتها . وهي الألوهية . من سلطان، وهو البرهان والحجة القاطعة، فلا يبقى لها من الألوهية إلاّ الأسماء التي سميتموها بها إذ قلتم: إله الخصب وإله الحرب وإله البحر، وليس لهذه الأسماء مصاديق إلاّ في أوهامكم، فهل تجادلونني في الأسماء، وللإنسان أن يسمي كل ما يشاء بما يشاء إذا لم يعتبر تحقق المعنى في الخارج.

٧٢ . (فأنجيناه والّذين معه...) تنكير الرّحمة للدلالة على النوع، أي بنوع من الرّحمة وهي الرّحمة

الّتي تختص بالمؤمنين من النصرة الموعودة لهم. (وقطعنا دابر الّذين...) كناية عن اهلاكهم وقطع نسلهم.

٧٣ . (وإلى ثمود أخاهم...) ثمود: أمة قديمة من العرب سكنوا أرض اليمن بالأحقاف، بعث الله إليهم (أخاهم

[١٥٧]

(٢٣٢/١)

صالحاً) وهو منهم (قال يا قوم اعبدوا الله...) دعاهم إلى التوحيد وقد كانوا مشركين يعبدون الأصنام. (قد جاءتكم بينة من ربّكم) شاهد قاطع في شهادته وهي الناقة التي أخرجها الله لهم من الجبل، آية لنبوته. (فذروها تأكل في أرض الله) في الآية تلويح إلى أن تخليتهم الناقة وشأنها في الأكل والسير في الأرض كانت ممّا يشق عليهم فكانوا يتحرجون من ذلك فوصّاهم وحذّرهم أن يمنعوها من إطلاقها ويمسوها بسوء كالعقر والنحر، فإن وبال ذلك عذاب أليم يأخذهم.

٧٤ . (واذكروا إذ جعلكم...) دعاهم إلى أن يذكروا نعم الله عليهم كما دعا هود عاداً إلى ذلك، وذكّرهم أن الله جعلهم خلفاء يخلفون أمماً من قبلهم كعاد. (وبوّأكم في الأرض...) مكّنهم في منازلهم منها يتخذون من سهولها قصوراً وينحتون الجبال بيوتاً يأوون إليها ويسكنونها.

ثم جمع الجميع ولخّصها في قوله: (فاذكروا آلاء الله) كأنه قيل: فإذا كان لله فيكم آلاء ونعم عظيمة أمثال التي ذكرت فاذكروا آلاء الله (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) وقد فسّر العثي بالفساد وفسّر بالاضطراب والمبالغة.

٧٥، ٧٦ . (قال الملأ الّذين استكبروا...) [في الآية دلالة] على أن المستضعفين هم المؤمنون، وأن المؤمنين إنما كانوا مستضعفين، ولم يكن ليؤمن به عليه السّلام أحد من المستكبرين، والباقي ظاهر.

٧٧ . (فعقروا الناقة وعتوا...) عقر الناقة: نحرها، وأيضاً: قطع قوائمها. والعتو: التمرد والامتناع، [ويتضمن هنا معنى الاستكبار]. والباقي ظاهر.

(٢٣٣/١)

٧٨، ٧٩ . (فأخذتهم الرّجفة فاصبحوا...) الرجفة: الاضطراب والاهتزاز الشديد كما في زلزلة الأرض وتلاطم البحر. والجثوم في الانسان والطير: كالبروك في البعير. والظاهر أن عذابهم إنما كان بصاعقة سماوية اقترنت بصيحة هائلة ورجفة في الأرض أو في قلوبهم، فأصبحوا في بلدهم جاثمين

ساقطين على وجوههم وركبهم. والآية تدل على أن ذلك كان مرتبطاً بما كفروا وظلموا آية من آيات الله مقصوداً بها عذابهم عذاب الاستئصال.

٨٠ . (ولوطاً إذ قال لقومه...) كان لوط مرسلاً إلى أهل سدوم [وغيرهم] يدعوهم إلى دين التوحيد وكانوا مشركين عبدة أصنام. (أتأتون الفاحشة) يريد بالفاحشة اللواط بدليل قوله: (إنّكم لتأتون الرّجال شهوة). وفي قوله: (ما سبقكم بها أحد من العالمين) دلالة على أن ظهور هذه الفاحشة الشنيعة تنتهي إلى قوم لوط.

٨١ . (إنّكم لتأتون الرّجال...) إتيان الرّجال: كناية عن العمل بهم بذلك، وقوله: (شهوة) قرينة عليه، وقوله: (من دون النّساء) قرينة اخرى، ويفيد مضافاً إلى ذلك أنهم كانوا قد تركوا سبيل النّساء واكتفوا بالرّجال، ولتعديهم سبيل الفطرة والخلقة إلى غيره، عدهم متجاوزين مسرفين فقال: (بل أنتم قوم مسرفون).

٨٢ . (وما كان جواب قومه...) لم يكن عندهم جواب فهددوه بالاخراج من البلد. وقد استهانوا أمر لوط إذ قالوا: (أخرجوهم من قريتكم...) أي أن البلدة لكم وهم نزلاء ليسوا منها وهم يتنزهون عمّا تأتونه ويتطهرون، ولا يهمنكم أمرهم فليسوا إلاّ أُناساً لا عدة لهم ولا شدة.

٨٣ . (فأنجيناه وأهله إلاّ امرأته...) فيه دلالة على أنه لم يكن آمن به إلاّ أهله. (كانت من الغابرين) الماضين

[١٥٨]

من القوم، وهو استعارة بالكناية عن الهلاك.

---

٨٤ . (وأمطرنا عليهم مطراً...) ذكر الإمطار في مورد ترقب ذكر العذاب يدل على أن العذاب كان به، وقد نكّر المطر للدلالة على غرابة أمره وغزارة أثره. (فانظر كيف كان...) توجيه الخطاب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ليعتبر به هو وأمته.

٨٥ . (وإلى مدين أخاهم...) بنى شعيب عليه السلام دعوته على أساس التوحيد كما بناها عليه من قبله من الرّسل المذكورين في القصص المتقدمة. وقد دعاهم أولاً بعد التوحيد إلى إيفاء الكيل والميزان وان لا يبخسوا الناس أشياءهم، فقد كان الافساد في المعاملات رائجاً فيهم شائعاً بينهم. ثمّ دعاهم ثانياً بقوله: (ولا تفسدوا في الأرض...) إلى الكف عن الافساد في الأرض بعدما أصلحها الله. ثمّ علل دعوته إلى الأمرين بقوله: (ذلكم خير لكم...) إن كنتم مصدقين لقولي مؤمنين بي، أو: ذلكم خير لكم تعلمون أنه خير إن كنتم ذوي إيمان بالحق.

٨٦ . (ولا تقعدوا بكل صراط...) كانوا يقطعون الطريق على الايمان بكل ما يستطيعون من قوة

واحتيال، فنهاهم عن ذلك، ووصاهم أن يذكروا نعمة الله عليهم ويعتبروا بالنظر إلى ما يعلمونه من تاريخ الأمم الغابرة وما آل إليه أمر المفسدين من عاقبة السوء.

٨٧ . (وإن كانت طائفة...) إنه عليه السّلام كان يوصيهم جميعاً قبل هذه الوصية بالإجتماع على الإيمان بالله والعمل الصالح، وكأنه أحس منهم أن الاختلاف كائن لا محالة وأن الملأ المستكبرين من قومه سيأخذون في إفساد الأرض وإيذاء المؤمنين، ويوجب ذلك في المؤمنين وهن عزيمتهم، وتسلّط النّاس على قلوبهم، فأمرهم جميعاً بالصبر وانتظار أمر الله فيهم ليحكم بينهم وهو خير الحاكمين.

٨٨ . (قال الملأ الّذين استكبروا...) لم يسترشد الملأ المستكبرون من قومه بما أرشدهم إليه، بل بادروه بتهديده وتهديد المؤمنين بإخراجهم من أرضهم إلاّ أن يرجعوا إلى ملتهم بالارتداد عن دين التوحيد.

---

٨٩ . (قد افترينا على الله...) أجاب عليه السّلام عن نفسه وعن المؤمنين به من قومه، وذكر أنه والمؤمنين به جميعاً كارهون العود إلى ملتهم، فإن في ذلك افتراء للكذب على الله سبحانه بنسبة الشركاء إليه. (وما يكون لنا أن نعود...) أخبرهم شعيب عليه السّلام بالعزم القاطع على عدم العود إلى ملتهم. (ربّنا افتح بيننا...) يسأل ربّه أن يفتح بينهم وبين المشركين من قومه، وهو الحكم الفصل وهو الهلاك أو هو بمنزلته.

٩٠ . (وقال الملأ الّذين كفروا...) هذا تهديد منهم لمن آمن بشعيب أو أراد أن يؤمن به. ويحتمل أن يكون الإتباع بمعناه الظاهر العرفي وهو إقتفاء أثر الماشي، فهددوهم بالخسران إن تبعوه في الخروج من أرضهم ليخرج شعيب وحده.

٩١ . (فأخذتهم الرّجفة...) تقدم معنى الآية في نظيرتها من قصة صالح.

٩٢ . (الّذين كذبوا شعيباً...) فيه تشبيه حال المكذبين من قومه، بمن لم يطيلوا الإقامة في أرضهم، فإن الحكم الإلهي والهلاك والخسران كان لشعيب ومن تبعه على الّذين كذّبوه من قومه فكانوا هم الخاسرين الممكور بهم.

٩٣ . (فتولّى عنهم وقال...) ظاهر السّياق أنه إنما تولى بعد نزول العذاب عليهم وهلاكهم، وأن الخطاب خطاب اعتبار. (فكيف آسى) من الأسى أي: كيف أحزن.

٩٤ . (وما أرسلنا في قرية...) يذكر سبحانه أن السنّة الإلهية جرت على انه كلما أرسل نبياً من الأنبياء إلى قرية

من القرى، إبتلاهم بشيء من الشدائد في النفوس والأموال، رجاء أن يبعثهم ذلك إلى التضرع إليه سبحانه، ليتم بذلك أمر دعوتهم إلى الايمان بالله والعمل الصّالح.

(٢٣٦/١)

---

٩٥ . (ثمّ بدّلنا مكان السيّئة...) ثمّ آتيناهم النعم مكان النقم فاستقروا فيها إلى أن نسوا ما كانوا عليه في حال الشدة، وقالوا: إن هذه الحسنات وتلك السيّئات من عادة الدهر، وكان ينبغي لهم أن يتذكروا عند ذلك ويهتدوا إلى مزيد الشكر بعد التضرع، لكنهم غيروا الأمر فوضعوا هذه الغاية مكان تلك الغاية الّتي رضيها لهم ربّهم، فطبع الله بذلك على قلوبهم فلا يسمعون كلمة الحق.

٩٦ . (ولو أن أهل القرى...) في الآية دلالة على ان افتتاح أبواب البركات مسبب لإيمان أهل القرى جميعاً وتقواهم، أي أن ذلك من آثار إيمان النوع الإنساني وتقواه، لا إيمان البعض وتقواه، فإن إيمان البعض وتقواه لا ينفك عن كفر البعض الآخر وفسقه.

٩٧ . (أفأمن أهل القرى...) فهل أمنوا أن يأتيهم عذاب الله ليلاً وهم في حال النوم وقد عمتهم الغفلة؟.

٩٨ . (أَوَ أمن أهل القرى...) المراد باللعب: الأعمال التي يشتغلون بها لرفع حوائج الحياة الدّنيا والتمتع من مزايا الشهوات، وهي إذا لم تكن في سبيل سعادة الحياة الحقيقية وطلب الحق، كانت لعباً.

٩٩ . (أفأمنوا مكر الله...) مكر به مكراً: مسه بالضرر أو بما ينتهي إلى الضرر وهو لا يشعر، وهو إنما يصح منه تعالى إذا كان على نحو المجازاة، كأن يأتي الإنسان بالمعصية فيؤاخذه الله بالعذاب من حيث لا يشعر أو يفعل به ما يسوقه إلى العذاب وهو لا يشعر.

١٠٠ . (أو لم يهد للّذين...) أو لم يتبين أخلاف هؤلاء الذين ذكرنا، أنّا أخذناهم بمعاصيهم بعد ما امتحناهم ثمّ طبعنا على قلوبهم فلم يستطيعوا أن يسمعوا مواعظ أنبيائهم، أنّا لو نشاء لأصبناهم بذنوبهم من غير أن يمنعنا منهم مانع أو يتقوا بأسنا بشيء.

(٢٣٧/١)

---

١٠١ . (تلك القرى نقص...) تلخيص [لحال أهل القرى] قبال الدعوة الإلهية. والمعنى: لقد جاءتهم رسلهم بالبيّنات لكنهم لما لم يؤمنوا بالآيات المرسلة إليهم، الداعية لهم إلى التضرع إلى الله والشكر لاحسانه، بل شكوا فيها، بل حملوها على عادة الدهر وتصريف الأيام، فكذبوا بهذه الآيات. فلما

دعاهم الأنبياء إلى الدين الحق لم يؤمنوا بما كانوا يدعون إليه من الحق وبما كانوا يذكرونهم بها من الآيات، لأنهم كذبوا بها من قبل وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل فإن الله عزّ وجلّ طبع على قلوبهم فهم لا يسمعون.

١٠٢ . (وما وجدنا لأكثرهم من عهد...) فما كانوا ليؤمنوا عند دعوة الأنبياء بما كذبوا به، ولم يقبلوه عند أخذ العهد [الذي عهده الله سبحانه إليهم بأن لا يعبدوا إلاّ إياه]، وما وجدنا لأكثرهم من وفاء في الدنيا بالعهد الذي عهدناه هناك، وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين خارجين عن حكم ذلك العهد.

١٠٣ . (ثمّ بعثنا من بعدهم...) من بعد من ذكروا من الأنبياء وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السّلام. (موسى بآياتنا إلى فرعون...) إلى ملك مصر والاشراف الذين حوله. (فظلموا بها) بالآيات التي أُرسل بها.

١٠٤ . (وقال موسى يا فرعون...) شروع في تفصيل قصة الدعوة. وقد عرّف [موسى عليه السلام] نفسه بالرّسالة ليكون تمهيداً لذكر ما أرسل لأجله.

١٠٥ . (حقيق على أن لا أقول...) أنا حري بأن أقول قول الحق ولا أنسب إلى الله في رسالتي منه إليك شيئاً من الباطل لم يأمرني به الله سبحانه.

١٠٦ . (قال إن كنت جئت...) كأنه قال: إن كنت جئت بآية فأت بها وما أظنك تصدق في قولك. [١٦٠]

١٠٧ . (فألقى عصاه...) فأجابه بإلقاء عصاه.

١٠٨ . (ونزع يده فإذا هي...) [إن كون يده عليه السّلام آية معجزة] تدل على إنها كانت تبيض ابيضاضاً لا يشك الناظرون في أنها حالة خارقة للعادة.

---

١٠٩ . (قال الملأ من قوم...) لمّا تشاوروا في أمر موسى وما شاهدوه من آياته قالوا: (إن هذا لساحر عليم).

١١٠ . (يريد أن يخرجكم...) يريد أن يتأيد ببني إسرائيل فيمتلك مصر، ويبطل استقلالكم ويخرجكم من أرضكم.

١١١، ١١٢ . (قالوا أرجه وأخاه...) أخّره وأخاه ولا تعجل لهما بشر، وابعث في المدائن من جنودك حاشرين يجمعون السحرة فيأتوك بهم، ثمّ عارض سحر موسى بسحر السحرة.

١١٣ . (وجاء السّحرة فرعون...) [وجاء السّحرة إلى فرعون وسألوه الأجر].

١١٤ . (قال نعم وإنّكم...) إجابة لمسؤولهم مع زيادة وعدهم بالتقريب.

١١٥ . (قالوا يا موسى إما أن...) خيروه بين أن يكون هو الملقي بعصاه، وبين أن يكونوا هم

الملقين لما أعدوه من الحبال والعصي.

١١٦ . (قال ألقوا فلمّا...) معنى الآية ظاهر. وقد عدّ الله فيها سحرهم عظيماً.

١١٧ . (وأوحينا إلى موسى...) وأوحينا إلى موسى بعد ما ألقوا أن الق عصاك فألقاها، فإذا هي حية وإذا هي تلقف ما يأفكون.

١١٨ . (فوقع الحق...) فوقع واستقر [الحق] وبطل ما كانوا يعملون من السّحر.

١١٩ . (فغلبوا هنالك...) غُلب فرعون وأصحابه في ذلك المجمع العظيم، (وانقلبوا صاغرين) عادوا وصاروا أذلاّء مهانين.

١٢٠ . (وأُلقيَ السّحرة ساجدين) إشارة إلى كمال تأثير آية موسى فيهم، فلم يشعروا بأنفسهم إلاّ وهم مُلقَون ساجدين.

١٢١، ١٢٢ . (قالوا أمنّا بربّ...) اضطرتهم الآية إلى الخرور على الأرض ساجدين والإيمان بربّ العالمين الذي اتخذه موسى وهارون.

١٢٣ . (قال فرعون آمنتم...) خاطبهم فرعون تأنفاً واستكباراً وهو إخبار يفيد بحسب المقام الإنكار والتوبيخ. (إن هذا لمكر...) يريد [فرعون] أنهم لما اجتمعوا في مدينته ولقوا موسى، أجمعوا على أن يمكروا بفرعون وأصحابه فيتسلطوا على المدينة فيخرجوا منها أهلها. ثمّ هددهم بقوله: (فسوق تعلمون).

---

١٢٤ . (لأقطعن أيديكم وأرجلكم...) هددهم تهديداً أكيداً أولاً أن يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى أو اليد اليسرى مع الرّجل اليمنى، وثانياً بالصلب.

١٢٥، ١٢٦ . (قالوا إنّا إلى ربّنا...) جواب السّحرة وهم القائلون هذا المقال، وهو أنك تهددنا بالعذاب قبال ما تنقم منّا من الإيمان بربنا ظناً منك أن ذلك شرّ لنا، وليس ذلك شراً فإنا نرجع إلى ربّنا ونحيا عنده حياة القرب السعيدة. ثمّ أخذتهم الجذبة الإلهية من غير أن يذعروا ممّا هددهم به، واستغاثوا بربهم على ما عزم به [فرعون] من تعذيبهم وقتلهم فسألوه: (ربّنا أفرغ علينا صبراً) على ما يريد أن يوقع بنا من العذاب الشديد. (وتوفنا مسلمين) إن قتلنا.

١٢٧ . (وقال الملأ من قوم...) هذا إغراء منهم لفرعون وتحريض له أن يقتل موسى وقومه، ولذلك رد فرعون

[١٦١]

قولهم بأنه لا يهمنا قتلهم فإنا فوقهم قاهرون على أي حال، بل سنعيد عليهم سابق عذابنا فنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم [نستبقيهن أحياء للخدمة].

١٢٨ . (قال موسى لقومه...) إن استعنتم بالله وصبرتم في ذات الله على ما يهددكم من الشدائد، أورثكم الأرض التي ترونها في أيدي آل فرعون.

١٢٩ . (قالوا أوذينا من قبل...) غرضهم إظهار أن مجيء موسى وقد وُعدوا أن الله ينجيهم بيده من مصيبة الإسارة وهاوية المذلة، لم يؤثر أثره فإن الأذى على حاله. وهذا الكلام شكوى منهم يبثونها إلى موسى عليه السلام. (قال عسى ربّكم...) هذا جواب من موسى يسليهم ويعزيهم بالرجاء.

١٣٠ . (ولقد أخذنا آل...) الله سبحانه يذكر في الآية . ويقسم . أنه أخذ آل فرعون وهم قومه المختصون به من القبطيين بالقحوط المتعددة ونقص الثمرات لعلهم يتذكرون.

---

١٣١ . (فإذا جاءتهم الحسنة...) كانوا إذا جاءهم الخصب ووفور النعمة وسعة الرزق بعد إرتفاع السنة [القحط] ونقص الثمرات قالوا: (لنا هذه) يريدون به الاختصاص. (ألا إنّما طائرهم...) أن نصيبهم [آل فرعون] من الشر والشؤم الذي يحق به أن يسمى نصيب الشر وهو العذاب، هو عند الله، ولكن أكثرهم لا يعلمون لظنهم أن ما تجنيه أيديهم يفوت ويزول ولا يحفظ عليهم.

١٣٢ . (وقالوا مهما تأتنا...) قولهم هذا إياس منهم لموسى من أن يؤمنوا به، وإن أتى بأي آية. وفي قولهم: (من آية لتسحرنا بها) استهزاء به حيث سموها آية وجعلوا غرضه منها أن يسحرهم، أي أنك تأتينا بالسحر وتسميها آية.

١٣٣ . (فأرسلنا عليهم الطوفان...) الطوفان: في المجمع: انه السيل الّذي يعم بتغريقه الأرض. والقُمّل: كبار القردان، وقيل: صغار الذباب. وقوله: (آيات مفصّلات) يدل على انها أُرسلت إليهم متفرقة منفصلة بعضها عن بعض.

١٣٤ . (ولمّا وقع عليهم الرّجز...) الرّجز: العذاب، ويعني به العذاب الّذي كانت تشتمل عليه كل واحدة من الآيات المفصلات فإنها آيات عذاب ونكال. (بما عهد عندك) إدع لنا ربّك بالعهد الّذي له عندك. (لئن كشفت عنّا الرّجز...) ما عاهدوا به موسى لكشف الرّجز عنهم.

١٣٥ . (فلمّا كشفنا عنهم...) فلما كشف العذاب عنهم وحل الأجل المضروب، نكثوا ونقضوا عهدهم الّذي عاهدوا الله وعاهدوا موسى عليه.

١٣٦ . (فانتقمنا منهم فاغرقناهم...) اليم: البحر. والباقي ظاهر.

---

١٣٧ . (وأورثنا القوم الّذين...) أورثنا بني إسرائيل الأرض المقدسة بمشارقها ومغاربها. والظاهر أن المراد بالأرض، الشام وفلسطين. (وتمّت كلمة ربّك...) يريد به ما قضاه في حقهم أنه سيورثهم الأرض ويهلك عدوهم، وإليه اشارة موسى عليه السّلام في قوله لهم وهو يسليهم: (عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض). (ودمّرنا ما كان يصنع فرعون) أهلكنا ما كانوا يصنعونه وما كانوا يسقفونه من القصور والأبنية وما كانوا يعرشونه من الكرم وغيره.

[١٦٢]

١٣٨ . (وجاوزنا ببني إسرائيل...) كان [جُل بني إسرائيل] لا يتصورون من الله سبحانه إلاّ انه جسم من الأجسام، وكان موسى عليه السلام كلّما يقرب الحق من أذهانهم حولوه إلى أشكال وتماثيل يتوهمون له تعالى. لهذه العلة لما شاهدوا في مسيرهم قوماً يعكفون على أصنام لهم استحسنوا مثل ذلك لأنفسهم فسألوا موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهاً كما لهم آلهة.

١٣٩ . (إن هؤلاء متبّر...) المتبّر: من التبار وهو الهلاك. والمعنى: ان هؤلاء الوثنية طريقتهم هالكة وأعمالهم باطلة فلا يحق أن يميل إليها انسان عاقل لأن الغرض من عبادة الله سبحانه أن يهتدي به الإنسان إلى سعادة دائمة وخير باق.

١٤٠ . (قال أغير الله...) كيف ألتمس رباً مصنوعاً وهو غير الله ربّكم، وإذا كان غيره فعبادته متبرة، اعبدوا ربّكم بما تعرفونه من صفته فإنه فضلكم على سائر الأمم بآياته الباهرة ودينه الحق وإنجائكم من فرعون وعمله.

١٤١ . (وإذ أنجيناكم من...) سامه العذاب يسومه: حمله ذلك على طريق الإذلال. والتقتيل: الإكثار في القتل. والإستحياء: الإستبقاء للخدمة.

---

١٤٢ . (وواعدنا موسى ثلاثين...) الميقات: قريب المعنى من الوقت. والله تعالى وعده ثلاثين ليلة للتقريب والتكلم، ثمّ وعده عشراً أخر لإتمام ذلك، فتم ميقات ربّه أربعين ليلة، (وقال موسى لأخيه...) قاله حين ما كان يفارقهم للميقات. (وأصلح ولا تتبع...) أمر له بالاصلاح وأن لا يتبع سبيل أهل الفساد، وهارون نبي مرسل معصوم لا تصدر عنه المعصية، فليس مراده نهيه عن الكفر والمعصية، بل أن لا يتبع في ادارة أمور قومه ما يشير إليه ويستصوبه المفسدون من القوم أيام خلافته مادام موسى غائباً.

١٤٣ . (ولمّا جاء موسى...) سؤال منه عليه السلام بمعنى العلم الضروري دون الرؤية بمعنى الإبصار بالتحديق. (قال لن تراني) إنك لن تقدر على رؤيتي والعلم الضروري بي في الدّنيا حتّى تلاقيني فتعلم بي علماً اضطرارياً تريده. (ولكن انظر إلى الجّبل...) ان ظهوري وتجليي للجبل مثل

ظهوري لك فإن استقر الجبل مكانه أي بقي على ما هو عليه وهو جبل عظيم في الخلقة، فانك أيضاً يرجى أن تطيق تجلي ربك وظهوره. (فلمّا تجلّى ربّه للجبل جعله دكاً) مدكوكاً متحولاً إلى ذرات ترابية. (وخر موسى صعقاً) ان الّذي أصعقه إنما هو ما تمثّل له من معنى ما سأله وعظمة القهر الإلهي الذي أشرف أن يشاهده. (فلمّا أفاق قال سبحانك...) توبة ورجوع منه عليه السلام بعد الإفاقة. (وأنا أوّل المؤمنين) أول المؤمنين من قومي بأنك لا تُرى.

١٤٤ . (قال يا موسى إنّي...) وارد مورد الامتنان وموعظة لموسى عليه السلام أن يكتفي بما اصطفاه الله به من رسالاته وكلامه ويشكره ولا يستزيد.

---

١٤٥ . (وكتبنا له في الألواح...) وكتبنا لموسى في الألواح وهي التوراة النازلة مختارات من كل شيء ونعني بذلك أنا كتبنا له موعظة وتفصيلاً لكل شيء حسب ما يحتاج إليها قومه في الاعتقاد والعمل. (فخذها بقوة) الأخذ بالقوّة: كناية عند الأخذ بالجد والحزم. (وأمر قومك...) وأمر قومك يجتنبوا السيئات ويلازموا ما تهدي إليه التوراة من الحسنات. (سأريكم دار الفاسقين) ظاهر السّياق أن المراد بهؤلاء الفاسقين: هم الّذين يفسقون بعدم إئتمار قوله: (وأمر قومك...).

١٤٦ . (سأصرف عن آياتي...) تقييد التكبر في الأرض بغير الحق مع أن التكبر فيها لايكون إلاّ بغير الحق، للتوضيح ويراد به الدلالة على وجه الذم في العمل لكونه بغير الحق. (وإن يروا كل آية...) بيان لأحد أوصافهم وهو الاصرار على الكفر والتكذيب. (وإن يروا سبيل الرّشد...) تكرار الجملتين المثبتة والمنفية للدّلالة على اعتنائهم

[١٦٣]

الشديد ومراقبتهم الدقيقة على مخالفة سبيل الرّشد واتباع سبيل الغي بحيث لا يعذرون بخطأ ولا يحتمل في حقهم جهل أو اشتباه. (ذلك بانّهم كذبوا بآياتنا) إنما جروا على ما جروا بسبب تكذيبهم لآياتنا وغفلتهم عنها، ومن المحتمل أن يكون تعليلاً لقوله تعالى: (سأصرف عن آياتي...).

١٤٧ . (والّذين كذّبوا بآياتنا...) معنى الآية ظاهر. ويتحصل منها أولاً: أن الجزاء هو نفس العمل. وثانياً: أن الحبط من الجزاء.

١٤٨ . (واتخذ قوم موسى...) اتخذ قوم موسى من بعد ذهابه لميقات ربّه، عجلاً فعبدوه، وكان هذا العجل (جسداً له خوار)، ثمّ ذمهم الله سبحانه بأنهم لم يعبأوا بما هو ظاهر جلي بين عند العقل في أول نظرته أنه لو كان هو الله سبحانه لكلمهم ولهداهم السّبيل.

١٤٩ . (ولمّا سقط في أيديهم...) الجملة تفيد معنى التنبّه لما ذهلوا عنه والتبصر بما أغفلوه كأنهم عملوا شيئاً فقدّموه إلى [من] عملوا له فردّه إليهم ورمى به نحوهم فتناولوه بأيديهم فسقط فيها فرأوا من قريب أنهم ضلوا فيما زعموا، وأهملوا فيه أمراً ما كان لهم أن يهملوه وفات منهم ما فسد بفوته ما عملوه.

١٥٠ . (ولمّا رجع موسى...) ولمّا رجع موسى إلى قومه وهو في حال غضب وأسف لمّا أخبره الله تعالى لدى الرجوع بأن قومه ضلوا بعبادة العجل بعده، فوبخهم وذمهم بما صنعوا وقال: (بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربّكم) وطلبتموه قبل بلوغ أجله، والظاهر ان المراد بأمر ربّهم: نزول التوراة. (وألقى الألواح) ألواح التوراة. (وأخذ برأس أخيه) قابضاً بشعره يجره إليه. قال هارون: (يا ابن أم انّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني) لمّا خالفتهم في أمر العجل ومنعتهم عن عبادته (فلا تشمت بي الأعداء...) بحسباني كأحدهم في مخالفتك.

١٥١ . (قال ربّ اغفر لي...) دعاء منه عليه السّلام.

١٥٢ . (إن الّذين اتخذوا...) ذيل الآية: (وكذلك نجزي المفترين) بظاهره يدل على أن نيل غضب الرّب سبحانه وذلة الحياة الدّنيا سنة جارية الهية في المفترين على الله.

١٥٣ . (والّذين عملوا السيّئات...) الآية وإن كانت في نفسها عامة، لكنها بالنظر إلى المورد بمنزلة الإستثناء من الّذين اتخذوا العجل المذكورين في الآية السابقة، فالتوبة إذا تحققت بحقيقة معناها في أية سيئة كانت، لم يمنع من قبولها مانع.

١٥٤ . (ولمّا سكت عن موسى...) الرهبة: خوف مع تحرز. والباقي ظاهر.

١٥٥ . (واختار موسى قومه...) اختار من قومه. والآية تدل على أن الله سبحانه عين لهم ميقاتاً فحضره منهم سبعون رجلاً اختارهم موسى من القوم، ولا يكون ذلك إلاّ لأمر عظيم، لكن الله سبحانه لم يبين هاهنا ما هي الغاية المقصودة من حضورهم، غير انه ذكر أنهم أخذتهم الرّجفة ولم تأخذهم إلاّ لظلم عظيم ارتكبوه حتى أدى بهم إلى الهلاك. (قال ربّ لو شئت...) يريد عليه السّلام بذلك أن يسأل ربه أن يحييهم خوفاً من أن يتهمه بنو إسرائيل فيخرجوا به عن الدين، غير ان المقام والحال يمنعانه من ذلك فها هو عليه السّلام واقع أمام معصية موبقة من قومه صرعتهم، وغضب إلهي شديد أحاط بهم حتى أهلكهم. ولذلك أخذ يمهد الكلام رويداً ويسترحم ربّه، انت الذي سبقت رحمتك غضبك ليس من دأبك أن تستعجل المسيئين من عبادك بالعقوبة أو تعاقبهم بما فعل سفهاؤهم، وأنت

الّذي أرسلتني إلى قومي ووعدتني أن تنصرني في نجاح دعوتي. وهلاك هؤلاء المصعوقين يجلب عليَّ التهمة من قومي.

[١٦٤]

١٥٦ . (واكتب لنا في هذه...) هدنا إليك: رجعنا إليك. وقوله: (هدنا إليك) تعليل لهذا الفصل من الدعاء، سأل فيه أن يكتب الله أي يقضي لهم بحسنة في الدنيا وحسنة في الآخرة. والمراد بالحسنة: الحياة والعيشة الحسنة. (قال عذابي أُصيب به...) بيان لخصوص العذاب وعموم الرحمة (فسأكتبها للّذين يتقون...) ذكر الله سبحانه الذين تنالهم الرحمة بأوصاف عامة وهي التقوى وإيتاء الزكاة والإيمان بآيات الله. والآية تتضمّن استجابته تعالى لدعاء موسى.

---

١٥٧ . (الّذين يتّبعون الرّسول...) كأنه قيل: فإذا كان المكتوب من رحمة الله لبني إسرائيل قد كتب للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، فمصداقه اليوم . يوم بعث محمّد صلى الله عليه وآله هم الذين يتبعونه من بني إسرائيل، لأنهم الّذين اتقوا وآتوا الزكاة وهم الذين آمنوا بآياتنا فإنهم آمنوا بموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وهم آياتنا. (يأمرهم بالمعروف...) الأمور الّتي وصفه صلى الله عليه وآله بها في الآية من علائمه المذكورة في الكتابين. (فالّذين آمنوا به وعزّروه...) التعزير: النصرة مع التعظيم. والمراد بالنور النازل معه: القرآن الكريم.

١٥٨ . (قل يا أيّها النّاس...) أمر نبيّهم صلى الله عليه وآله أن يعلن بنبوته للنّاس جميعاً من غير أن تختص بقوم دون قوم. (الّذي له ملك السّماوات...) ان الله الذي اتخذه رسولاً هو الذي له ملك السماوات والأرض والسلطنة العامة عليها ولا إله غيره حتى يملك شيئاً منها فله أن يتخذ رسولاً إلى عباده وأن يرسل رسوله إلى بعض عباده أو إلى جميعهم كيف شاء. (فآمنوا بالله ورسوله...) إذا كان الحال هذا الحال فآمنوا بي فإني ذاك الرّسول النبيّ الأمي الذي بُشر به في التوراة والإنجيل، وأنا أؤمن بالله ولا أكفر به وأؤمن بكلماته وهي ما قضى به من الشرائع النازلة عليّ وعلى الأنبياء السالفين، واتبعوني لعلكم تفلحون. والمراد بالاهتداء في قوله: (لعلّكم تهتدون) الاهتداء إلى السّعادة الآخرة الّتي هي رضوان الله والجنّة، فيرجع معنى قوله: (لعلّكم تهتدون) إلى معنى قوله في الآية السّابقة في نتيجة الإيمان والاتباع: (أولئك هم المفلحون).

١٥٩ . (ومن قوم موسى...) لا يبعد ان يكون المراد بهذه الأمة من قوم موسى عليه السلام: الأنبياء والأئمة الذين فيهم بعد موسى.

١٦٠ . (وقطّعناهم اثنتي عشرة...) السبط عند بني إسرائيل بمنزلة القبيلة عند العرب. (وأوحينا إلى موسى...) الانبجاس: الإنفجار، وقيل: خروج الماء بقلة. والعيون كانت بعدد الاسباط وأن كل سبط اختصوا بعين من العيون، وأن ذلك كان عن مشاجرة بينهم ومنافسة.

وقد عدّ الله سبحانه في هذه الآيات من معجزات موسى عليه السلام وآياته: الثعبان واليد البيضاء، وسني آل فرعون ونقص ثمراتهم، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، وفلق البحر، وإهلاك السبعين، وإحياءهم، وانبجاس العيون من الحجر بضرب العصا، والتظليل بالغمام، وإنزال المنّ والسلوى، ونتق الجبل من فوقهم كأنه ظلّة.

١٦١، ١٦٢ . (وإذ قيل لهم اسكنوا...) القرية هي التي كانت في الأرض المقدسة، أُمروا بدخولها وقتال أهلها من العمالقة وإخراجهم منها، فتمردوا عن الأمر، وردّوا على موسى فابتلوا بالتيه. (وقولوا حطة وادخلوا...) تقدم الكلام في

[١٦٥]

نظيرها من سورة البقرة: ٥٨، ٥٩. وقوله: (سنزيد المحسنين) في موضع الجواب عن سؤال مُقدّر، كأنه لمّا قال: (يغفر لكم خطاياكم) قيل: ثمّ ماذا؟ فقال: (سنزيد المحسنين).

١٦٣ . (واسألهم عن القرية...) اسأل بني إسرائيل عن حال أهل القرية (الّتي كانت حاضرة البحر) قريبة منه مشرفة عليه، (إذ يعدون) ويتجاوزون حدود ما أمر الله به في أمر السبت وتعظيمه وترك الصيد فيه. (إذ تأتيهم حيتانهم) والسمك الّذي في ناحيتهم (يوم سبتهم شرعاً) جمع شارع: وهو الظاهر البيّن. (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) إن تجاوزهم عن حدود ما أمر به الله كان [عندما] كانت الحيتان تأتيهم شرّعاً يوم منعوا من الصيد وأُمروا بالسبت. وأما إذا مضى اليوم وأُبيح لهم الصيد وذلك غير يوم السبت فكان لا تأتيهم الحيتان وكان ذلك من بلاء الله وامتحانه، ابتلاهم بذلك لشيوع الفسق بينهم فبعثهم الحرص على صيدها، على مخالفة أمر الله سبحانه، ولم تمنعهم تقوى عن التعدِّي، ولذلك قال: (كذلك نبلوهم) نمتحنهم (بما كانوا يفسقون).

١٦٤ . (وإذ قالت أمة...) إنما قالت هذه الأمة ما قالت، لأمة اخرى منهم كانت تعظهم وتنهاهم عن مخالفة أمر الله في السبت. وظاهر كلامهم: (لم تعظون قوماً الله مهلكهم...) انهم كانوا أهل تقوى يجتنبون مخالفة الأمر، إلاّ انّهم تركوا نهيهم عن المنكر، فخالطوهم وعاشروهم. ولو كان هؤلاء اللائمون من المتعدين الفاسقين لوعظهم أولئك الملومون، ولم يجيبوهم بمثل قولهم: (معذرة إلى ربّكم)

أي إنما نعظهم ليكون ذلك عذراً إلى ربّكم، ولأنّا نرجو منهم أن يتقوا هذا العمل.
١٦٥ . (فلمّا نسوا ما ذكّروا...) زال أثره كأنه منسي زائل. وفي الآية دلالة على أن الناجين كانوا هم الناهين عن السوء فقط، وقد أخذ الله الباقين وهم الذين يعدون في السبت والذين قالوا: (لم تعظون). وفيها دلالة على ان اللائمين كانوا مشاركين للعادين في ظلمهم وفسقهم حيث تركوا عظتهم ولم يهجروهم.
١٦٦ . (فلمّا عتوا عن...) العتو: المبالغة في المعصية. والخاسئ: الطريد البعيد.

---

١٦٧ . (وإذ تأذّن ربّك...) تأذّن: أعلم. والمعنى: واذكر إذ أعلم ربك أنه قد أقسم ليبعثن على هؤلاء الظالمين بعثاً يدوم عليهم ما دامت الدّنيا، من يذيقهم ويولّيهم سوء العذاب. (إن ربّك لسريع العقاب...) انه تعالى غفور للذنوب رحيم بعباده، لكنه إذا قضى لبعض عباده بالعقاب فسرعان ما يتبعهم.
١٦٨ . (وقطعناهم في الأرض...) المراد بالحسنات والسيئات: نعماء الدنيا وضراءها.
١٦٩ . (فخلف من بعدهم...) العرض: ما لا ثبات له. والمراد بعرض هذا الأدنى: عرض هذه الحياة الدّنيا. (ويقولون سيغفر لنا) قول جزافي قالوه، ولا معوّل لهم فيه إلاّ الاغترار بشعبهم الّذي سمّوه شعب الله كما سموا أنفسهم أبناء الله وأحباءه. (وإن يأتهم عرض مثله...) كلّما وجدوا شيئاً من عرض الدّنيا أخذوه ولا يتناهون عمّا اقترفوه من المعصية. (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) وهو الميثاق المأخوذ عليهم عند حملهم إيّاه (أن لا يقولوا على الله إلاّ الحق) والحال أنهم درسوا ما فيه وعلموا بذلك أن قولهم: (سيغفر لنا) قول بغير الحق، والحال أن (الدار الأخرة للّذين يتقون) لدوام ثوابها وأمنها من كل مكروه (أفلا تعقلون).
[١٦٦]
١٧٠ . (والّذين يُمسّكون بالكتاب...) قال في المجمع: أمسك ومسّك بالشيء: اعتصم به.
وتخصيص اقامة الصّلاة بالذكر من بين سائر أجزاء الدين لشرفها وكونها ركناً من الدين يحفظ بها ذكر الله والخضوع إلى مقامه.
١٧١ . (وإذ نتقنا الجّبل...) النتق: قلع الشيء من أصله، والظلة: الغمامة وما يستظل بها. والباقي ظاهر.

---

١٧٢ . (وإذ أخذ ربّك...) اذكر لهم موطناً قبل الدّنيا أخذ فيه ربّك (من بني آدم من ظهورهم ذريتهم) فما من أحد منهم إلاّ استقل من غيره وتميز منه فاجتمعوا هناك وهم فرادى فأراهم ذواتهم المتعلقة بربهم (واشهدهم على أنفسهم) فلم يحتجبوا عنه وعاينوه انه ربهم كما ان كل شيء بفطرته يجد ربّه من نفسه من غير ان يحتجب عنه. (ألست بربّكم) خطاب حقيقي لهم لا بيان حال وتكليم إلهي لهم، فانهم يفهمون ممّا يشاهدون أن الله سبحانه يريد به منهم الاعتراف وإعطاء الموثق. وقوله: (أن تقولوا يوم القيامة...) فهم هناك يعاينون الاشهاد والتكليم من الله والتكلم بالاعتراف من أنفسهم، وإن كانوا في نشأة الدّنيا على غفلة مما عدا المعرفة بالاستدلال، ثمّ إذا كان يوم البعث وانطوى بساط الدّنيا، وانمحت هذه الشواغل والحجب عادوا إلى مشاهدتهم ومعاينتهم وذكروا ما جرى بينهم وبين ربّهم.

١٧٣ . (أو تقولوا إنّما...) هذه حجة النّاس إن فرض الاشهاد وأخذ الميثاق من الآباء خاصة دون الذرية.

١٧٤ . (وكذلك نفصّل الآيات...) تفصيل الآيات: تفريق بعضها وتمييزه من بعض ليتبين بذلك مدلول كل منها ولا تختلط وجوه دلالتها. (ولعلّهم يرجعون) عطف على مقدر، والتقدير: لغايات عالية كذا وكذا ولعلهم يرجعون من الباطل إلى الحق.

١٧٥ . (واتل عليهم نبأ...) واتل على بني إسرائيل أو على الناس، خبراً عن أمر عظيم وهو نبأ الرّجل (الّذي آتيناه آياتنا) وكشفنا لباطنه عن علائم وآثار الهية عظام يتنور له بها حق الأمر (فانسلخ منها) ورفضها بعد لزومها (فاتبعه الشّيطان فكان من الغاوين) فلم يقو على إنجاء نفسه من الهلاك.

(٢٥١/١)

---

١٧٦ . (ولو شئنا لرفعناه...) لو شئنا لرفعناه بتلك الآيات وقربناه إلينا، لكنا لم نشأ ذلك لأنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه. (فمثله كمثل الكلب...) إنه ذو هذه السجية لا يتركها سواء زجرته أو تركته. (ذلك مثل الّذين...) فالتكذيب منهم سجية نفسانية خبيثة لازمة، فلا تزال آياتنا تتكرر على حواسهم ويتكرر التكذيب بها منهم. (فاقصص القصص...) قص القصة لعلهم يتفكرون فينقادوا للحق وينتزعوا عن الباطل.

١٧٧ . (ساء مثلاً القوم...) ذمّ لهم من حيث وصفهم، وإعلام لهم أنهم لا يضرون شيئاً في تكذيب آياته.

١٧٨ . (من يهد الله...) مفاد الآية أن مجرد الاهتداء إلى شيء لا ينفع شيئاً ولا يؤثر أثر الاهتداء إلاّ إذا كانت معه هداية الله سبحانه فهي الّتي يكمل بها الاهتداء. وكذلك مجرّد الضلال لا يضر

ضرراً قطعيّاً إلاّ بانضمام إضلال الله سبحانه إليه فعند ذلك يتم أثره ويحتم الخسران.

١٧٩ . (ولقد ذرأنا لجهنّم...) الذرء: الخلق. وقد عرّف الله سبحانه جهنّم غاية لخلق كثير من الجن والإنس. (لهم قلوب لا يفقهون...) إشارة إلى بطلان استعدادهم للوقوع في مجرى الرحمة الإلهية. (أولئك كالأنعام...) نتيجة ما تقدّم وبيان لحالهم فانهم فقدوا ما يتميز به الإنسان من سائر الحيوان.

١٨٠ . (ولله الأسماء الحسنى...) ولله جميع الأسماء التي هي أحسن، فاعبدوه وتوجهوا إليه بها. (وذروا الّذين يلحدون...) اللحد والالحاد: بمعنى واحد وهو التطرف والميل عن الوسط إلى أحد الجانبين.

١٨١ . (وممّن خلقنا أمة...) إنّا لا نأمركم بأمر غير واقع أو خارج عن طوق البشر، فإن ممن خلقنا أمة متلبسة بالاهتداء الحقيقي هادين بالحق، لأن الله كرّمهم بهدايته الخاصة.

١٨٢ . (والّذين كذّبوا بآياتنا...) الاستدراج: الاستصعاد أو الاستنزال درجةً فدرجة. وتقييد الاستدراج بكونه من حيث لا يعلمون للدّلالة على أن هذا التقريب خفي غير ظاهر عليهم، بل مستبطن فيما يتلهّون فيه من مظاهر الحياة

[١٦٧]

المادية.

١٨٣ . (وأُملي لهم إن...) الاملاء: الامهال. وفي قوله: (وأُملي) بعد قوله: (سنستدرجهم) التفات من التكلم مع الغير إلى التكلّم وحده للدلالة على مزيد العناية بتحريمهم من الرّحمة الالهية وإيرادهم مورد الهلكة.

١٨٤ . (أولم يتفكروا...) انّه صلى الله عليه وآله كان يصحبهم ويصحبونه طول حياته بينهم، فلو كان به شيء من جنّة لبان لهم ذلك، فهو فيما جاء به نذير لا مجنون. والجنّة: نوع من الجنون على ما قيل.

١٨٥ . (أولم ينظروا...) المراد: توبيخهم في الاعراض عن الوجه الملكوتي للأشياء، لِمَ نسوه ولم ينظروا فيه حتى يتبين لهم أن ما يدعوهم إليه هو الحق (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) التقدير: أولم ينظروا في انه عسى ان يكون قد اقترب أجلهم فإن النظر في هذا الاحتمال ربّما صرفهم عن التمادي في ضلالهم. (فبأي حديث بعده يؤمنون) إن لم يؤمنوا بالقرآن فلا يؤمنون بشيء آخر.

١٨٦ . (من يضلل الله...) العمه: الحيرة والتردد في الضلال، أو عدم معرفة الحجّة.

١٨٧ . (يسألونك عن السّاعة...) السّاعة: ساعة البعث. (أيان مرساها) متى وقوعها وثبوتها. (لا

يُجلّيها لوقتها إلاّ هو) لا يظهرها ويكشف عن وقوعها إلاّ الله سبحانه. (ثقلت في السّماوات والأرض) ثقل علمها في السّماوات والأرض، أو المراد ثقل صفتها على أهل السّماوات والأرض لما فيها من الشدائد والعقاب والحساب والجزاء، أو ثقل وقوعها عليهم، أو ان السمّاوات والأرض لا تطيق حملها لعظمتها وشدتها. (يسألونك كأنّك فيٌّ عنها) عالم بها.

١٨٨ . (قل لا أملك لنفسي...) لمّا كان في سؤالهم الغيب عنه صلى الله عليه وآله إيهام أن دعواه النبوّة دعوى لعلم الغيب، أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يتبرأ من دعوى العلم بالغيب. (إن أنا إلاّ نذير) بيان حقيقة حاله فيما يدعيه من الرّسالة من غير أن يكون معها دعوى أخرى.

(٢٥٣/١)

---

١٨٩ . (هو الّذي خلقكم...) هو الّذي خلقكم يا معشر بني آدم (من نفس واحدة) هو أبوكم (وجعل منها) من نوعها (زوجها ليسكن) الرّجل (إليها) امرأته (فلمّا تغشاها) التغشي: الجماع (حملت حملاً خفيفاً) النطفة (فمرت به...) استمرت بحملها حتى نمت النطفة وصارت جنيناً ثقيلاً (دعوا الله ربّهما) وعاهداه وواثقاه (لئن آتيتنا) ورزقتنا ولداً (صالحاً لنكوننّ من الشاكرين) لك باظهار نعمتك، والانقطاع إليك.

١٩٠ . (فلمّا آتاهما صالحاً...) فلمّا آتاهما صالحاً كما سألاه، وجعله انساناً سوياً صالحاً للبقاء (جعلا له شركاء فيما آتاهما) من الولد الصّالح حيث بعثتهما المحبة والشفقة عليه أن يتعلقا بكل سبب سواه، مع انّهما كانا قد اشترطا له أن يكونا شاكرين له، فنقضا عهدهما وشرطهما.

١٩١ . ١٩٣ . (أيشركون ما لا يخلق...) المراد هو الشرك بالأصنام المتخذة آلهة، وهي جماد لا تستطيع نصر من يعبدها ولا نصر أنفسها، ولا تشعر بشيء من الدعاء وعدمه.

١٩٤ . (إن الّذين تدعون...) إنما قلنا إنهم مخلوقون لا يقدرون على شيء لأنهم عباد أمثالكم، فكما أنكم مخلوقون مدبرون كذلك هم. والحجة عليه انهم لا يستجيبون لكم إن دعوتموهم، فادعوهم إن كنتم صادقين في دعواكم أن لهم علماً وقدرة.

١٩٥ . (ألهم أرجل يمشون...) وكيف يستجيبون لكم وليست ما عبأتم لهم من الأرجل والأيدي ماشيه وباطشة، ولا ما صورتم لهم من الأعين والآذان مبصرة وسامعة لأنهم جمادات. (قل ادعوا شركاءكم...) قل لهم: ادعوا شركاءكم لنصركم عليّ ثمّ كيدوني فلا تنظروني ولا تمهلوني.

[١٦٨]

١٩٦ . (إنّ وليّي الله...) إن ربّي ينصرني ويدفع عني كيدكم فانه الّذي نزل الكتاب ليهدي به الناس وهو يتولى الصّالحين من عباده فينصرهم.

١٩٧، ١٩٨ . (والّذين تدعون من...) وأما أربابكم الّذين تدعون من دونه فلا يستطيعون نصركم ولا نصر أنفسهم ولا يسمعون ولا يبصرون فلا قدرة لهم ولا علم.

(٢٥٤/١)

---

١٩٩ . (خذ العفو وأمر...) عن الصّادق عليه السلام أن المراد [بالعفو]: الوسط. (وأمر بالعرف) يأمر بكل معروف. (وأعرض عن الجاهلين) أمر آخر بالمداراة معهم.

٢٠٠ . (وإما ينزغنّك من...) قال الرّاغب: النزغ: دخول في أمر لأجل إفساده. والمعنى: لو نزغ الشّيطان بأعمالهم المبنية على الجهالة وإساءتهم إليك ليسوقك بذلك إلى الغضب والانتقام، فاستعذ بالله إنه سميع عليم. والآية خوطب بها النبيّ صلى الله عليه وآله وقصد بها أمته لعصمته.

٢٠١ . (إن الّذين اتّقوا...) الطائف من الشّيطان: هو الّذي يطوف حول القلب ليلقي إليه الوسوسة. والمعنى: استعذ بالله عند نزغة الشيطان، فإن هذا طريق المتقين، فهم إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ان الله هو ربّهم الذي يملكهم ويربيهم يرجع إليه أمرهم، فأرجعوا إليه الأمر فكفاهم مؤونته ودفع عنهم كيده ورفع عنهم حجاب الغفلة فإذا هم مبصرون.

٢٠٢ . (وإخوانهم يمدونهم...) المراد باخوانهم: إخوان المشركين وهم الشياطين. والإقصار: الكف والانتهاء.

٢٠٣ . (وإذا لم تأتهم...) إنك إذا أتيتهم بآية كذبوا بها، وإذا لم تأتهم بآية كما لو أبطأت فيها قالوا: لولا اجتبيت ما تسميه آية وجمعتها من هنا وهناك فأتيت بها. قل: ليس لي من الأمر شيء (وإنّما اتّبع ما يوحى إليّ من ربّي هذا) القرآن (بصائر من ربّكم) يريد أن يبصركم بها (وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون).

٢٠٤ . (وإذا قرئ القرآن...) استمعوا للقرآن واسكتوا.

٢٠٥ . (واذكر ربّك في نفسك...) الأمر بالاستمرار على ذكر الله في النفس تضرعاً وخفية حيناً بعد حين، وذكره بالقول دون الجهر بالغدو والآصال.

٢٠٦ . (إن الّذين عند...) المراد بالّذين عند ربّك: مطلق المقربين عنده تعالى. ويظهر من الآية ان القرب من الله إنما هو بذكره، فبه يرتفع الحجاب بينه وبين عبده.

«سورة الأنفال»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

(٢٥٥/١)

---

١ . (يسألونك عن الأنفال...) الأنفال: جمع نفل وهو الزيادة على الشيء. انهم سألوا النبيّ صلى الله عليه وآله عن حكم غنائم
[١٦٩]
الحرب واختلفوا فيمن يملكها. (قل الأنفال لله والرّسول) جواب عن مسألتهم وفيه بيان انهم لا يملكونها وإنما هي أنفال يملكها الله ورسوله. وهو حكم عام يشمل بعمومه الغنيمة وسائر الأموال الزائدة في المجتمع.
٢، ٣ . (إنما المؤمنون الّذين...) بيان ما يتميز به المؤمنون بحقيقة الإيمان ويختصون به من الأوصاف الكريمة والثواب الجزيل. وقد ذكر الله تعالى لهم خمس صفات اختارها من بين جميع صفاتهم لكونها مستلزمة لكرائم صفاتهم على كثرتها، وملازمة لحق الإيمان، وهي بحيث إذا تنبهوا لها وتأملوها كان ذلك ممّا يسهّل لهم توطين النفس على التقوى وإصلاح ذات بينهم وإطاعة الله ورسوله.
٤ . (أولئك هم المؤمنون...) قضاء منه تعالى بثبوت الإيمان حقاً فيمن اتصف بما عدّه تعالى من الصفات الخمس. (لهم درجات عند ربّهم) مراتب القرب والزلفى ودرجات الكرامة المعنوية. (ورزق كريم) ما يرتزقون به من نعم الجّنة.
٥، ٦ . (كما أخرجك ربّك...) إن الله تعالى حكم في أمر الأنفال بالحق مع كراهتهم لحكمه كما أخرجك من بيتك بالمدينة إخراجاً يصاحب الحق، والحال أن فريقاً من المؤمنين لكارهون ذلك، ينازعونك في الحق بعدما تبين لهم إجمالاً، والحال انّهم يشبهون جماعة يساقون إلى الموت، وهم ينظرون إلى ما أعدّ لهم من أسبابه وأدواته.

---

٧ . (وإذ يعدكم الله...) [الآية تشير إلى غزوة بدر]. والمراد بالطائفتين: العير وهي قافلة قريش، والنفير وهو جيش قريش. والمعنى: واذكروا إذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم تستعلون عليها بنصر الله إما العير وإما النفير، وانتم تودون ان تكون تلك الطائفة هي العير لما تعلمون من شوكة النفير، وقوتهم وشدتهم، مع ما لكم من الضعف والهوان. والحال ان الله يريد خلاف ذلك وهو أن تلاقوا النفير فيظهركم عليهم ويظهر ما قضى ظهوره من الحق ويستأصل الكافرين ويقطع دابرهم.
٨ . (ليحق الحق ويبطل...) إنما وعدكم الله ذلك وهو لا يخلف الميعاد، ليحق بذلك الحق ويبطل الباطل ولو كان المجرمون يكرهونه ولا يريدونه.
٩ . (إذ تستغيثون ربّكم...) الاستغاثة: طلب الغوث وهو النصرة. وقوله: (مردفين): من الإرداف وهو ان يجعل الراكب غيره ردفاً له، والردف: التابع.

١٠ . (وما جعله الله إلاّ...) إن الامداد بالملائكة إنّما كان لغرض البشرى واطمئنان نفوسكم، لا ليهلك بأيديهم الكفار. (وما النصر إلاّ من عند الله...) فبعزته نصرهم وأمدهم، وبحكمته جعل نصره على هذه الشاكلة.

١١ . (إذ يغشيكم النّعاس...) ان النصر والامداد بالبشرى واطمئنان القلوب كان في وقت يأخذكم النعاس، للأمن الّذي أفاضه الله على قلوبكم، فنمتم ولو كنتم خائفين مرتاعين لم يأخذكم نعاس ولا نوم، وينزّل عليكم المطر ليطهِّركم به ويذهب عنكم وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم ويشد عليها . وهو كناية عن التشجيع . وليثبت بالمطر اقدامكم في الحرب بتلبّد الرمل أو بثبات القلوب.

والآية تؤيِّد ما ورد أن المسلمين سبقهم المشركون الى الماء، فنزلوا على كثيب رمل، وأصبحوا محدثين ومجنبين، وأصابهم الظمأ، ووسوس لهم الشيطان فقال: إن عدوّكم قد سبقكم الى الماء، وأنتم تصلّون مع الجنابة والحدث وتسوخ أقدامكم في الرمل. فأمطر عليهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة، وتطهّروا به من الحدث، وتلبّدت أرض عدوّهم.

(٢٥٧/١)

---

١٢ . (...فاضربوا فوق الأعناق...) الظاهر ان يكون المراد بفوق الاعناق: الرؤوس. وبكل بنان: جميع الأطراف من اليدين والرجلين.

١٣ . (ذلك بأنهم شاقّوا...) ان هذا العقاب للمشركين بما أوقع الله بهم، لأنهم خالفوا الله ورسوله وألحوا وأصرّوا

[١٧٠]

على ذلك، ومن يشاقق [يخالف] الله ورسوله فإن الله شديد العقاب.

١٤ . (ذلكم فذوقوه...) خطاب تشديدي للكفّار يشير إلى ما نزل بهم من الخزي ويأمرهم بأن يذوقوه، ويذكر لهم أن وراء ذلك عذاب النّار.

١٥ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) تولية الأعداء الادبار: استدبار العدو واستقبال جهة الهزيمة. وخطاب الآية عام غير خاص بوقت دون وقت ولا غزوة دون غزوة.

١٦ . (ومن يُولّهم يومئذ...) ومن يفر منهم [من الأعداء] وقتئذ فقد رجع ومعه غضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير، إلاّ أن يكون فراره للتحرف لقتال [ينحرف من جهة إلى اخرى] أو التحيز إلى فئة [يلحق بفئة من قومه ويقاتل معهم].

١٧ . (فَلَم تقتلوهم ولكن...) نفي أن تكون وقعة بدر وما ظهر فيها من استئصال المشركين والظهور عليهم والظفر بهم، جارية مجرى العادة. وكيف يسع لقوم هم شرذمة قليلون أن يستأصلوا جيشاً مجهزاً. إلاّ أن الله سبحانه بما أنزل من الملائكة ثبت أقدام المؤمنين وأرعب قلوب المشركين وألقى

الهزيمة بما رماه النبيّ صلى الله عليه وآله من الحصاة عليهم فشملهم المؤمنون قتلاً وأسراً.
١٨ . (ذلكم وأن الله...) الأمر ذلكم الّذي ذكرناه، والأمر أن الله موهن كيد الكافرين.

(٢٥٨/١)

---

١٩ . (إن تستفتحوا فقد جاءكم...) إن طلبتم الفتح وسألتم الله أيها المشركون أن يفتح بينكم وبين المؤمنين، فقد جاءكم الفتح بما أظهر الله من الحق يوم بدر، فكانت الدائرة للمؤمنين عليكم. وإن تنتهوا عن المكيدة على الله ورسوله فهو خير لكم، وان تعودوا إلى مثل ما كدتم نعد إلى مثل ما أوهنا به كيدكم، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئاً ولو كثرت، كما لم تغنِ في هذه المرة وإن الله مع المؤمنين ولن يُغلب من هو معه.
٢٠ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) ولا تولوا عن الرّسول وانتم تسمعون ما يلقيه إليكم من الدعوة الحقة، وما يأمركم به وينهاكم عنه ممّا فيه صلاح دينكم ودنياكم.
٢١ . (ولا تكونوا كالّذين...) المعنى ظاهر، وفيه نوع تعريض للمشركين إذ قالوا: سمعنا، وهم لا يسمعون.
٢٢، ٢٣ . (إن شر الدواب...) إن شر جميع ما يدب على الأرض من أجناس الحيوان وأنواعها، هؤلاء الصم البكم الّذين لا يعقلون، لأنه لا طريق لهم إلى تلقي الحق لفقدهم السمع والنطق فلا يسمعون ولا ينطقون. ثمّ ذكر تعالى أن الله حرمهم نعمة السمع والقبول لأنه تعالى لم يجد عندهم خيراً، ولو كان لَعَلِم، لكن لم يعلم فلم يوفقهم للسمع والقبول، ولو انه تعالى رزقهم السمع والحال هذه لم يثبت السمع والقبول فيهم، بل تولوا عن الحق وهم معرضون.
٢٤ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) إن هذه الدعوة دعوة إلى ما يحيي الانسان باخراجه من مهبط الفناء والبوار، وموقفه في الوجود أن الله سبحانه أقرب إليه من قلبه، وانه سيُحشر إليه، فليأخذ حذره وليجمع همّه ويعزم عزمه.

(٢٥٩/١)

---

٢٥ . (واتقوا فتنةً...) تحذير عامة المسلمين عن المساهلة في أمر الاختلافات الدّاخلية التي تهدد وحدتهم وتوجب شق عصاهم واختلاف كلمتهم، ولا تلبث دون ان تحزّبهم أحزاباً، ويكون الملك لمن غلب، والغلبة لكلمة الفساد، لا لكلمة الحق. فهذه فتنة تقوم بالبعض منهم خاصة وهم الظالمون، غير ان سيّئ أثرها يشمل الجميع، فتستوعبهم الذلة والمسكنة، وهم جميعاً مسؤولون عند الله، والله

شديد العقاب.

٢٦ . (واذكروا إذ أنتم...) كان المسلمون محصورين بمكة قبل الهجرة وهم قليل مستضعفون. (تخافون ان يتخطّفكم النّاس) مشركو العرب وصناديد قريش. (فآواكم) بالمدينة. (وأيدكم بنصره) ما أسبغ عليهم من نعمة

[١٧١]

النصر ببدر. (ورزقكم من الطّيّبات) ما رزقهم من الغنائم وأحلها.

٢٧، ٢٨ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) كأن بعض أفراد المسلمين كان يفشي أموراً من عزائم النبيّ صلى الله عليه وآله المكتومة إلى المشركين أو يخبرهم ببعض اسراره، فسماه الله تعالى خيانة ونهى عنه، وعدّها خيانة لله والرّسول والمؤمنين. ويؤيد ذلك قوله بعد هذا النهي: (واعلموا إنّما أموالكم...) ويفيد ان موعظتهم في أمر الأموال والأولاد مع النهي عن خيانة الله والرّسول وأماناتهم، إنما هو لإخبار المخبر المشركين باسرار رسول الله، استمالة منهم مخافة أن يتعدوا على أموالهم وأولادهم الّذين تركوهم بمكّة.

٢٩ . (يا أيّها الّذين آمنوا إن...) الفرقان: ما يفرق به بين الشيء والشيء، وهو في الآية بقرينة السّياق: الفرقان بين الحق والباطل.

٣٠ . (وإذ يمكر بك الّذين...) واذكر أو وليذكروا إذ يمكر بك الذين كفروا من قريش لابطال دعوتك ان يوقعوا بك أحد أمور ثلاثة: إما أن يحبسوك وإما أن يقتلوك وإما أن يخرجوك، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

---

٣١ . (وإذا تتلى عليهم...) وإذا تتلى عليهم آياتنا الّتي لا ريب في دلالتها على انّها من عندنا وهي تكشف عن ما نريده منهم من الدّين الحق، لجّوا واعتدوا بها وهونوا أمرها وأزروا برسالتنا وقالوا: قد سمعنا وعقلنا هذا الذي تلي علينا، لا حقيقة له إلاّ انّه من أساطير الأولين، ولو نشاء لقلنا مثله غير أنّا لا نعتني به ولا نهتم بأمثال هذه الأحاديث الخرافية.

٣٢ . (وإذ قالوا اللّهم...) الأقرب ان يكون هذا القول صدر من بعض أهل الكتاب أو بعض من آمن ثمّ ارتد من النّاس.

٣٣ . (وما كان الله ليعذبهم...) المراد بالعذاب [في هذه الآية]: العذاب السماوي المستعقب للاستئصال الشامل للأمّة على نهج عذاب سائر الأمم. والله سبحانه ينفي فيها العذاب عن الأمة مادام النبيّ صلى الله عليه وآله فيهم حياً، وبعده ما داموا يستغفرون الله تعالى.

٣٤ . (وما لهم إلاّ يعذبهم...) وما الّذي يثبت ويحق لهم عدم تعذيب الله إياهم والحال انهم يصدون

عن المسجد الحرام ويمنعون المؤمنين من دخوله. (وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلاّ المتّقون) ليس لهم أن يلوا أمر البيت فيجيزوا ويمنعوا من شاؤوا لأنّ هذا المسجد مبني على تقوى الله، فلا يلي أمره إلاّ المتقون. والآية غير متّصلة ظاهراً بما تقدّمها.

٣٥ . (وما كان صلاتهم عند...) وما كان صلاتهم [المشركين من قريش] عند البيت إلاّ ملعبة من المكاء [الصفير] والتصدية [التصفيق]، فإذا كان كذلك فليذوقوا العذاب بما كانوا يكفرون.

٣٦ . (إن الّذين كفروا...) ان الكفر سيبعثهم إلى ان يسعوا في إبطال الدعوة والصدّ عن سبيل الحق، فسينفقون أموالهم في سبيل هذه الأغراض الفاسدة، فتضيع الأموال في هذا الطريق فتكون ضيعتها موجبة لتحسرهم، ثمّ يغلبون فلا ينتفعون بها، وذلك انّ الكفّار يحشرون إلى جهنّم ويكون ما يأتون به في الدّنيا من التجمع على الشر والخروج إلى محاربة الله ورسوله بحذاء خروجهم محشورين إلى جهنّم يوم القيامة.

(٢٦١/١)

---

٣٧ . (ليميز الله الخبيث من...) ان هذه الأعمال [الّتي اخبرت عنها الآية السّابقة من حال الكفار] تسير على سنّة

[١٧٢]

الهية وتتوجّه إلى غاية تكوينية، وهي انّ الله سبحانه يميز في هذا النظام الجاري الشر من الخير والخبيث من الطيب، ويركم الخبيث بجعل بعضه على بعض، ويجعل ما اجتمع منه وتراكم في جهنم، وهي الغاية التي تسير إليها قافلة الشر والخبيث، يحلّها الجميع، وهي دار البوار. كما انّ الخير والطيب إلى الجنّة، والأوّلون هم الخاسرون كما ان الآخرين هم الرابحون المفلحون.

٣٨ . (قل للّذين كفروا...) أمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن يبلغهم ذلك، وفي معناه تطميع وتخويف، وحقيقته دعوة إلى ترك القتال والفتنة، ليغفر الله بذلك ما تقدّم من قتلهم وإيذائهم للمؤمنين، فإن لم ينتهوا عمّا نهوا عنه فقد مضت سنّة الله في الأوّلين منهم بالإهلاك والإبادة وخسران السعي.

٣٩ . (وقاتلوهم حتّى لا تكون...) وقاتلوهم حتى تنتهي هذه الفتن التي تفاجئكم كل يوم ولا تكون فتنة بعد، فإن انتهوا فإن الله يجازيهم بما يرى من أعمالهم.

٤٠ . (وإن تولوا فاعلموا...) وإن تولّوا عن الانتهاء فأديموا القتال والله مولاكم، فاعلموا ذلك ولا تهنوا ولا تخافوا.

٤١ . (واعلموا أنّما غنمتم...) واعلموا أن خُمس ما غنمتم أي شيء كان، هو لله ولرسوله ولذي القربى [قرابة النبيّ صلى الله عليه وآله] واليتامى والمساكين وابن السبيل، فردوه إلى اهله إن كنتم آمنتم بالله وما أنزله على عبده محمّد صلى الله عليه وآله يوم بدر، وهو ان الأنفال وغنائم الحرب لله

ولرسوله لا يشارك الله ورسوله فيها أحد، وقد أجاز الله لكم أن تأكلوا منها وأباح لكم التصرف فيها، فالّذي أباح لكم التصرف فيها يأمركم أن تؤدوا خمسها إلى أهله.

(٢٦٢/١)

---

٤٢ . (إذ أنتم بالعُدوة...) العُدوة: شفير الوادي. والركب: العير الذي كان عليه أبو سفيان كما قيل. والمعنى: يوم الفرقان هو الوقت الّذي أنتم نزول بالعدوة الدّنيا وهم نزول بالعدوة القصوى، وقد توافق نزولكم بها ونزولهم بها، بحيث لو تواعدتم بينكم ان تلتقوا بهذا الميعاد لاختلفتم فيه ولم تتلاقوا على هذه الوتيرة، فلم يكن ذلك منكم ولا منهم، ولكن ذلك كان أمراً مفعولاً والله قاضيه وحاكمه، وإنما قضى ما قضى ليظهر آية بينة فتتم بذلك الحجّة، ولأنه قد استجاب بذلك دعوتكم بما سمع من استغاثتكم وعلم به من حاجة قلوبكم.

٤٣ . (إذ يريكهم الله...) الآية تدل على ان الله سبحانه أرى نبيّه صلى الله عليه وآله رؤيا مبشرة رأى فيها ما وعده الله من إحدى الطائفتين انها لهم، وقد أراهم قليلاً لا يعباً بشأنهم، وأن النبيّ صلى الله عليه وآله ذكر ما رآه للمؤمنين ووعدهم وعد تبشير فعزموا على لقائهم. والدليل على ذلك قوله: (ولو أراكهم كثيراً لفشلتم...) والفشل: الضعف مع الفزع.

٤٤ . (وإذ يريكموهم إذ...) كأن الله سبحانه أرى المؤمنين قليلاً في أعين المشركين في بادئ الالتقاء ليستحقروا جمعهم ويشجعهم ذلك على القتال والنزال حتى إذا زحفوا واختلطوا، كثّر المؤمنين في أعينهم فأوهن بذلك عزمهم وأطار قلوبهم فكانت الهزيمة.

٤٥ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) الثبات: ضد الفرار. وقوله: (فاثبتوا) أمر بمطلق الثبوت أمام العدو وعدم الفرار منه. (واذكروا الله كثيراً) في جنانكم ولسانكم فكل ذلك ذكر.

[١٧٣]

(٢٦٣/١)

---

٤٦ . (وأطيعوا الله ورسوله...) ظاهر السّياق أن المراد: إطاعة ما صدر من ناحيته تعالى وناحية رسوله من التكاليف والدساتير المتعلقة بالجهاد والدفاع عن حومة الدّين وبيضة الاسلام. (ولا تنازعوا فتفشلوا...) ولا تختلفوا بالنزاع فيما بينكم حتى يورث ذلكم ضعف إرادتكم وذهاب عزتكم ودولتكم أو غلبتكم، (واصبروا انّ الله مع الصّابرين) إلزموا الصبر على ما يصيبكم من مكاره القتال، وعلى الاكثار من ذكر الله، وعلى طاعة الله ورسوله، فالله سبحانه مع الصّابرين.

٤٧ . (ولا تكونوا كالّذين...) نهي عن اتخاذ طريقة هؤلاء البطرين المرائين الصادين عن سبيل الله، وهم على ما يفيده سياق الكلام في الآيات كفار قريش.

٤٨ . (وإذ زيّن لهم...) تزيين الشيطان للإنسان عمله: إلقاؤه في قلبه كون العمل حسناً جميلاً يستلذ به. والمعنى: ويوم الفرقان هو الوقت الذي زيّن الشيطان للمشركين ما كانوا يعملونه لمحادة الله ورسوله وقتال المؤمنين، ويتلبسون به للتهيّؤ على إطفاء نور الله، فزيّن ذلك في أنظارهم، وطيّب نفوسهم بقوله: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني مجير لكم أذب عنكم، فلما تراءت الفئتان [ورأت كل واحدة الاخرى] رجع الشيطان القهقرى منهزماً وقال للمشركين إني بريء منكم إني أرى ما لا ترونه من نزول ملائكة النصر للمؤمنين وما عندهم من العذاب الّذي يهددكم، إني أخاف عذاب الله والله شديد العقاب.

٤٩ . (إذ يقول المنافقون...) يقول المنافقون والّذين في قلوبهم مرض وهم الضعفاء في الإيمان . مشيرين إلى المؤمنين إشارة تحقير واستذلال . يقولون: غرّ هؤلاء دينهم إذ لولا غرور دينهم لم يقدموا على هذه المهلكة. (ومن يتوكّل على الله...) في مقام الجواب عن قولهم، فانّ المؤمنين توكّلوا على الله ومن يتوكّل في أمره عليه الله فان الله يكفيه لأنه عزيز ينصر من استنصره، حكيم لا يخطأ في وضع كل أمر موضعه.

---

٥٠ . (ولو ترى إذ يتوفّى...) المراد بهؤلاء: المقتولون ببدر من مشركي قريش. (وذوقوا عذاب الحريق) يقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق.

٥١ . (ذلك بما قدّمت أيديكم...) إنما نذيقكم عذاب الحريق بما قدّمت أيديكم. أو نضرب وجوهكم وأدباركم ونذيقكم عذاب الحريق بما قدّمت أيديكم.

٥٢ . (كدأب آل فرعون...) كفر هؤلاء يشبه كفر آل فرعون والّذين من قبلهم من الأمم الخالية الكافرة، كفروا بآيات الله وأذنبوا بذلك، فأخذهم الله بذنوبهم، إن الله قوي لا يضعف عن أخذهم شديد العقاب إذا أخذ.

٥٣ . (ذلك بأن الله...) إن العقاب الّذي يعاقب به الله سبحانه، إنما يعقب نعمة إلهية سابقة بسلبها واستخلافها، ولا تزول نعمة من النعم الإلهية ولا تتبدل نقمة وعقاباً إلاّ مع تبدل النفوس الإنسانية.

٥٤ . (كدأب آل فرعون...) كرر التنظير السّابق [في الآية ٥٢] لمشابهة الغرض. (وكل كانوا ظالمين) جميع هؤلاء الّذين أخذهم العذاب الإلهي من كفار قريش وآل فرعون والّذين من قبلهم كانوا ظالمين في جنب الله.

٥٥ . (إن شرّ الدواب...) الكلام مسوق لبيان كون هؤلاء شر جميع الموجودات الحية من غير شك

في ذلك.

٥٦ . (الّذين عاهدت منهم...) الذين عاهدتهم من بين الّذين كفروا، ينقضون عهدهم في كل مرة عاهدتهم وهم لا يتقون الله في نقض العهد، أو لا يتقونكم ولا يخافون نقض عهدكم.

٥٧ . (فإما تثقفنهم في الحرب...) قال في المجمع: الثقف: الظفر والإدراك بسرعة. والتشريد: التفريق على اضطراب، انتهى. والمراد بتشديد من خلفهم بهم: أن يفعل بهم من التنكيل والتشديد ما يعتبر به من خلفهم، ويستولي الرعب والخوف على قلوبهم فيتفرقوا وينحل عقد عزيمتهم واتحاد ارادتهم على قتال المؤمنين. والمراد بقوله: (لعلهم

[١٧٤]

يذّكرون) رجاء ان يتذكروا ما لنقض العهد والإفساد في الأرض والمحادّة مع كلمة الحق، من التبعة السيئة والعاقبة المشؤومة.

---

٥٨ . (وإما تخافنّ من قوم...) وإن خفت من قوم بينك وبينهم عهد أن يخونوك وينقضوا عهدهم ولاحت آثار دالة على ذلك، فألق إليهم عهدهم وأعلمهم إلغاء العهد لتكونوا أنتم وهم على استواء من نقض العهد، أو تكون مستوياً على عدل، فإن من العدل المعاملة بالمثل والسواء، لأنك إن قاتلتهم بغير إعلام إلغاء العهد كان ذلك منك خيانة والله لا يحب الخائنين.

٥٩ . (ولا يحسبنّ الّذين كفروا...) يا أيّها النبيّ لا تحسبن ان الذين كفروا سبقونا فلا ندركهم، لأنهم لا يعجزون الله وله القدرة على كل شيء.

٦٠ . (وأعدوا لهم ما استطعتم...) أمر عام بتهيئة المؤمنين مبلغ استطاعتهم من القوى الحربية ما يحتاجون إليه قبال مالهم من الأعداء في الوجود أو في الفرض والاعتبار.

٦١ . (وإن جنحوا للسلم...) وإن مالوا إلى الصلح والمسالمة فمل إليها وتوكل في ذلك على الله ولا تخف من أن تضطهدك أسباب خفية عنك على غفلة منك وعدم تهيؤ لها فإن الله هو السميع العليم.

٦٢ . (وإن يُريدوا أن...) إن من الجائز أن يكون جنوحهم للسلم خديعة منهم يضلون بها المؤمنين ليغيروا عليهم في شرائط وأحوال مناسبة، فأجاب سبحانه بأنّا أمرناك بالتوكل، فإن أرادوا بذلك ان يخدعوك فإن حسبك الله. (هو الّذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) انّه تعالى أيده بنصره وأيده بالمؤمنين وألف بين قلوبهم.

٦٣ . (وأ لّف بين قلوبهم...) أورد سبحانه في جملة ما استشهد على كفايته لمن توكّل عليه انه كفى نبيّه صلى الله عليه وآله بتأليف قلوب المؤمنين بعد ذكر تأييده بهم، والكلام مطلق والملاك المذكور فيه عام يشمل جميع المؤمنين، وإن كانت الآية أظهر انطباقاً على الأنصار.

٦٤ . (يا أيّها النبيّ حسبك...) تطييب لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله، والمراد: يكفيك الله بنصره وبمن اتبعك من المؤمنين.

(٢٦٦/١)

---

٦٥ . (يا أيّها النبيّ حرّض...) التحريض والتحضيض والترغيب والحث بمعنى واحد. (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) من الذين كفروا. (بأنهم قوم لا يفقهون) كل ذلك بسبب أن الكفار قوم لا يفقهون.

٦٦ . (الآن خفف الله...) المراد بالضعف: الضعف في الصفات الروحية. والآية تدل على أن الإسلام كان كلّما زاد في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله عزة وشوكة ظاهراً، زادت نقصاً وخموداً في قوى المسلمين الروحية العامة ودرجة إيمانهم وسجاياهم الجميلة النفسانية المعنوية باطناً.

٦٧ . (ما كان لنبيّ أن يكون...) ما كان لنبيّ ولم يُعهد في سنة الله في انبيائه (أن يكون له اسرى) ويحق له أن يأخذهم ويستدرّ على ذلك شيئاً (حتّى يثخن) يغلظ (في الأرض) ويستقر دينه بين الناس (تريدون) أنتم معاشر أهل بدر (عرض الدّنيا) ومتاعها السريع الزوال (والله يريد الآخرة) بتشريع الدين والأمر بقتال الكفار، (والله عزيز) لا يُغلب (حكيم) لا يلغو في أحكامه المتقنة.

٦٨ . (لو لا كتاب من الله...) لو لا كتاب من الله سبق، يقتضي أن لا يعذبكم ولا يهلككم، (لمسكم فيما أخذتم) في أخذكم الأسرى (عذاب عظيم) يدل على عظم المعصية.

٦٩ . (فكلوا ممّا غنمتم...) فكلوا ممّا غنمتم وتصرّفوا فيما أحرزتم من الفائدة سواء كان مما تسلطتم عليه من أموال المشركين أو ممّا أخذتم منهم من الفداء، (حلالاً طيّباً) بإباحة الله سبحانه. [١٧٥]

٧٠ . (يا أيّها النبيّ قل...) يا أيها النبيّ قل لمن في أيديكم من الأسرى الذين تسلطتم عليهم وأخذت منهم الفداء: إن ثبت في قلوبكم الايمان وعلم الله منكم ذلك، يؤتكم خيراً ممّا أُخذ منكم من الفداء ويغفر لكم والله غفور رحيم.

(٢٦٧/١)

---

٧١ . (وإن يريدوا خيانتك...) وإن أرادوا خيانتك والعود إلى ما كانوا عليه من العناد والفساد، فإنهم خانوا الله من قبل فأمكنك منهم وأقدرك عليهم وهو قادر على أن يفعل بهم ذلك ثانياً، والله عليم بخيانتهم لو خانوا حكيم في إمكانك منهم.

٧٢ . (إن الّذين آمنوا...) المراد بالّذين آمنوا وهاجروا: الطائفة الأولى من المهاجرين قبل نزول السورة. والمراد بالذين آووا ونصروا: الأنصار. وقد جعل الله بينهم ولاية بقوله: (أولئك بعضهم أولياء بعض). (والّذين آمنوا ولم يهاجروا...) معنى الآية واضح وقد نفيت فيها الولاية إلاّ ولاية النصرة إذا استنصروهم بشرط ان يكون الاستنصار على قوم ليس بينهم وبين المؤمنين ميثاق.

٧٣ . (والّذين كفروا بعضهم...) ان ولايتهم بينهم لا تتعداهم إلى المؤمنين، فليس للمؤمنين أن يتولوهم. (إلاّ تفعلوه...) إشارة إلى مصلحة جعل الولاية على النحو الذي جعلت. فان الولاية ممّا لا غنى عنها في مجتمع من المجتمعات البشرية، سيّما المجتمع الاسلامي الذي أُسِّس على اتباع الحق وبسط العدل الالهي، كما أن تولّي الكفّار وهم أعداء هذا المجتمع يوجب الاختلاط بينهم فتسري فيه عقائدهم وأخلاقهم، وتفسَّر سيرة الاسلام المبنية على الحق، بسيرتهم المبنية على اتِّباع الهوى وعبادة الشيطان. وقد صدّق جريان الحوادث في هذه الآونة ما أشارت إليه هذه الآية.

٧٤ . (والّذين آمنوا وهاجروا...) إثبات لحق الإيمان على من اتصف بآثاره إتصافاً حقاً، ووعد لهم بالمغفرة والرزق الكريم.

٧٥ . (والّذين آمنوا من بعد...) خطاب للمهاجرين الأولين والأنصار وإلحاق من آمن وهاجر وجاهد معهم بهم فيشاركونهم في الولاية. (وأولو الأرحام بعضهم...) جعل للولاية بين أولي الأرحام والقرابات، وهي ولاية الإرث فان سائر أقسام الولاية لا ينحصر فيما بينهم. والآية تنسخ ولاية الإرث بالمواخاة التي أجراها النبيّ صلى الله عليه وآله بين المسلمين في أول الهجرة.

«سورة التوبة»

(٢٦٨/١)

---

١ . (براءة من الله...) الآية تتضمن الحكم ببطلان العهد ورفع الأمان عن جماعة من المشركين كانوا قد عاهدوا المسلمين، ثمّ نقضه أكثرهم، ولم يبق إلى من بقى منهم وثوق تطمئن به النفس إلى عهدهم وتعتمد على يمينهم وتأمن شرهم وأنواع مكرهم.

٢ . (فسيحوا في الأرض...) أمرهم بالسياحة [السير في الأرض] أربعة أشهر، كناية عن جعلهم في مأمن في هذه البرهة من الزمان حتى يختاروا ما يرونه أنفع بحالهم من البقاء أو الفناء، وأن الأصلح بحالهم رفض الشرك والاقبال إلى دين التوحيد.

٣ . (وأذان من الله...) الأذان: الاعلام. والمراد بيوم الحج الأكبر: يوم النحر [من السنة التاسعة للهجرة] لأنه كان

يوماً اجتمع فيه المسلمون والمشركون. ثم التفت سبحانه إلى المشركين ثانياً وذكّرهم أنهم غير

معجزين لله ليكونوا على بصيرة من أمرهم. ثم التفت سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه وآله فخاطبه أن يبشر الّذين كفروا بعذاب أليم (وبشّر الّذين كفروا بعذاب أليم).

٤ . (إلاّ الّذين عاهدتم...) استثناء من عموم البراءة من المشركين. والمستثنون هم المشركون الّذين لهم عهد لم ينقضوه [لا مباشرة ولا بصورة غير مباشرة] فمن الواجب الوفاء بميثاقهم وإتمام عهدهم إلى مدتهم.

٥ . (فإذا انسلخ الأشهر...) فإذا انقضت الأربعة أشهر التي أمهلناهم بها، فأفنوا المشركين بأي وسيلة ممكنة رأيتموها أقرب وأوصل إلى إفناء جمعهم وإمحاء رسمهم من قتلهم أينما وجدتموهم من حل أو حرم، ومتى ما ظفرتم بهم في شهر حرام أو غيره، ومِن أخذِهم أو حصرِهم أو القعود لهم في كل مرصد حتى يفنوا عن آخرهم. (فإن تابوا وأقاموا الصّلاة...) إنْ رجعوا من الشرك إلى التوحيد بالإيمان ونصبوا لذلك حجة من أعمالهم وهي الصّلاة والزكاة والتزموا أحكام دينكم الراجعة إلى الخالق فخلوا سبيلهم.

(٢٦٩/١)

---

٦ . (وإن أحد من المشركين...) إن طلب منك بعض هؤلاء المشركين الذين رفع عنهم الأمان أن تأمنه في جوارك ليحضر عندك ويكلمك فيما تدعو إليه من الحق الذي يتضمنه كلام الله فأجره حتى يسمع كلام الله وترتفع عنه غشاوة الجهل، ثمّ أبلغه مأمنه حتى يملك منك أمناً تامّاً كاملاً.

٧ . (كيف يكون للمشركين...) استفهام في مقام الإنكار، وقد بادرت الآية إلى استثناء الّذين عاهدوهم من المشركين عند المسجد الحرام لكونهم لم ينقضوا عهداً ولم يساهلوا فيما واثقوا به.

٨ . (كيف وإن يظهروا...) كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، والحال أنهم إن يظهروا عليكم ويغلبوكم على الأمر، لا يحفظوا ولا يراعوا فيكم قرابة ولا عهداً من العهود، يرضونكم بالكلام المدلّس والقول المزوق، وتأبى ذلك قلوبهم وأكثرهم فاسقون.

٩، ١٠ . (اشتروا بآيات الله...) إذا كان هذا حالهم وهذه أفعالهم فلا تحسبوا أن لو نقضتم عهدهم، اعتديتم عليهم، فأُولئك هم المعتدون عليكم لما اضمروه من العداوة والبغضاء ولما أظهره أكثرهم في مقام العمل من الصد عن سبيل الله وعدم رعاية قرابة ولا عهد في المؤمنين.

١١ . (فإن تابوا وأقاموا...) المراد بالتوبة بدلالة السياق: الرجوع إلى الإيمان بالله وآياته، ولذلك لم يقتصر على التوبة فقط، بل عطف عليها إقامة الصلاة التي هي أظهر مظاهر عبادة الله، وإيتاء الزكاة الذي هو أقوى أركان المجتمع الدينيّ، وقد أشير بها الى نوع الوظائف الدينية التي بإتيانها يتم الإيمان بآيات الله بعد الإيمان بالله عزّ اسمه.

(فإخوانكم في الدِّين) المراد به بيان التساوي بينهم وبين سائر المؤمنين في الحقوق التي يعتبرها الإسلام في المجتمع الإسلامي.

(٢٧٠/١)

---

١٢ . (وإن نكثوا أيمانهم...) هؤلاء قوم آخرون لهم مع ولي الأمر من المسلمين عهود وأيمان ينكثون أيمانهم من بعد عهدهم، أي ينقضون عهودهم من بعد عقدها، فأمر الله سبحانه بقتالهم، وألغى أيمانهم وسمّاهم أئمة الكفر لأنهم السابقون في الكفر بآيات الله يتّبعهم غيرهم ممن يليهم، يُقاتَلون جميعاً لعلهم ينتهون عن نكث الأيمان ونقض العهود.

١٣ . (ألا تقاتلون قوماً...) تحريض للمؤمنين على قتال المشركين ببيان ما أجرموا به في جنب الله وخانوا به الحق

[١٧٧]

والحقيقة، وعدّ خطاياهم من نكث الأيمان والهمّ باخراج الرّسول صلى الله عليه وآله والبدء بالقتال أول مرة. ثمّ بتعريف المؤمنين أن لازم إيمانهم بالله أن لا يخشوا إلاّ إياه إن كانوا مؤمنين به، ففي ذلك تقوية لقلوبهم وتشجيعهم عليهم، وينتهي الى بيان أنهم ممتحنون من عند الله بإخلاص الإيمان له والقطع من المشركين حتى يؤجروا بما يؤجر به المؤمن المتحقّق في إيمانه.

١٤، ١٥ . (قاتلوهم يعذبهم الله...) أعاد الأمر بالقتال لأنه صار من جهة ما تقدم من التحريض أوقع في القبول. على أن ما أُتبع به الأمر من قوله: (يعذبهم الله بأيديكم...) يؤكد الأمر ويُغري المأمورين على امتثاله وإجرائه.

١٦ . (أم حسبتم أن...) بل أظننتم أن تتركوا على ما أنتم عليه، ولمّا يظهر في الخارج جهادكم وعدم اتخاذكم من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة. والوليجة على ما في مفردات الراغب: كل ما يتخذه الإنسان معتمداً عليه وليس من أهله.

١٧ . (ما كان للمشركين...) لا يحق ولا يجوز للمشركين أن يرمّوا [يصلحوا] ما استرمّ من المسجد الحرام كسائر مساجد الله، والحال أنهم معترفون بالكفر بدلالة قولهم أو فعلهم. (أولئك حبطت أعمالهم...) كأنه قيل: أولئك لا تهديهم أعمالهم العبادية إلى الجنة، بل هم في النّار الخالدة.

(٢٧١/١)

---

١٨ . (إنما يُعمّر مساجد...) اشترط الله سبحانه في ثبوت حق العمارة وجوازها أن يتصف العامر بالإيمان بالله واليوم الآخر. (ولم يخش إلاّ الله) ولم يعبد أحداً من دون الله من الآلهة. (فعسى أولئك أن...) أولئك الذين آمنوا بالله واليوم الآخر ولم يعبدوا أحداً غير الله سبحانه، يرجى في حقهم أن يكونوا من المهتدين.

١٩ . (أجعلتم سقاية الحاج...) الآيات نزلت في العبّاس وشيبة وعليّ عليه السلام، حين تفاخروا فذكر العباس سقاية الحاج، وشيبة عمارة المسجد الحرام، وعليّ الإيمان والجهاد في سبيل الله، فنزلت الآيات.

في تفسير القمّي عن أبيه، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت في عليّ والعبّاس وشيبة، قال العبّاس: أنا أفضل لأنّ سقاية الحاج بيدي، وقال شيبة: أنا أفضل لأن حجابة البيت بيدي، وقال عليّ: أنا أفضل لأنّي آمنت قبلكما ثم هاجرت وجاهدت. فرضوا برسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله: (أجعلتم سقاية الحاج . إلى قوله . إنّ الله عنده أجر عظيم).

٢٠ . (الّذين آمنوا وهاجروا...) إن الّذي آمن وهاجر وجاهد في سبيل الله، أعظم درجة عند الله. وقوله: (أولئك أعظم درجة عند الله) بالقياس إلى هؤلاء الّذين لا درجة لهم أصلاً، وهذا نوع من الكناية عن أن لا نسبة حقيقية بين الفريقين، لأن أحدهما ذو قدم رفيع فيما لا قدم للآخر أصلاً.

٢١، ٢٢ . (يبشرهم ربّهم برحمة...). (يبشرهم) هؤلاء المؤمنين (ربّهم برحمة منه) عظيمة لا يقدر قدرها (ورضوان) كذلك (وجنّات لهم فيها) في تلك الجنات (نعيم مقيم) لا يزول ولا ينفد (خالدين فيها أبداً) لا ينقطع خلودهم بأجل ولا أمد.

٢٣ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) نهي عن تولي الكفار ولو كانوا آباءً وإخواناً.

---

٢٤ . (قل إن كان آباؤكم...) عدّ الله سبحانه أصول ما يتعلق به الحب النفساني من زينة الحياة الدّنيا، وهي الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة، والأموال التي اكتسبوها وجمعوها والتجارة الّتي يخشون كسادها والمساكن التي

يرضونها. وذكر تعالى أنهم إن تولوا أعداء الدّين، وقدموا حكم هؤلاء الأمور على حبّ الله ورسوله والجهاد في سبيله، فليتربّصوا ولينتظروا حتى يأتي الله بأمره، ويبعث قوماً لا يحبون إلاّ الله ولا يوالون أعداءه ويقومون بنصرة الدين والجهاد في سبيل الله أفضل قيام، فإنكم إذاً فاسقون لا ينتفع بكم الدّين.

٢٥ . (لقد نصركم الله...) ذِكرٌ لنصرته تعالى لهم في مواطن كثيرة ومواضع متعددة كوقائع بدر وأُحد والخندق وخيبر وغيرها. (إذ أعجبتكم كثرتكم) أسرّتكم الكثرة التي شاهدتموها في انفسكم فانقطعتم عن الاعتماد بالله (فلم تغن عنكم شيئاً) اتخذتموها سبباً مستقلاً دون الله وركنتم إليها فبان لكم ما في وسع هذا السبب الموهوم وهو أن لا غنى عنده حتى يغنيكم، فلم يغن [هذا السبب] عنكم شيئاً. (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت...) فررتم فراراً لا تلوون على شيء.

٢٦ . (ثمّ أنزل الله...) السكينة: حالة قلبية توجب سكون النفس وثبات القلب. والّذي يفهم من السّياق ان الجنود هي الملائكة النازلة إلى المعركة. أو أن يقال: من جملتها الملائكة النازلة.

٢٧ . (ثمّ يتوب الله...) التوبة من الله سبحانه: هي الرجوع إلى عبده بالعناية والتوفيق أولاً ثمّ بالعفو والمغفرة ثانياً. ومن العبد: الرجوع إلى ربّه بالندامة والاستغفار، ولا يتوب الله على من لا يتوب إليه.

---

٢٨ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) أمر المؤمنين بمنع المشركين عن دخول المسجد الحرام. والمراد بقوله: (عامهم هذا): سنة تسع من الهجرة. (وإن خفتم عيلة) وإن خفتم في إجراء هذا الحكم أن ينقطعوا عن الحج وتتعطل أسواقكم وتذهب تجارتكم، فتفتقروا وتعيلوا، فلا تخافوا فسوف يغنيكم الله من فضله ويؤمنكم من الفقر الذي تخافونه.

٢٩ . (قاتلوا الّذين لا يؤمنون...) قاتلوا أهل الكتاب لأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر إيماناً مقبولاً غير منحرف عن الصواب، ولا يحرمون ما حرمه الله ممّا يفسد اقترافه المجتمع الإنساني، ولا يدينون ديناً منطبقاً على الخلقة الإلهية، قاتلوهم ودوموا على قتالهم حتى يصغروا عندكم ويخضعوا لحكومتكم، ويعطوا في ذلك عطية مالية مضروبة عليهم تمثّل صغارهم [خضوعهم] وتصرف في حفظ ذمتهم وحقن دمائهم وحاجة إدارة أمورهم.

٣٠ . (وقالت اليهود...) عزير هو الّذي يسميه اليهود عزرا وهو الذي جدد دين اليهود وجمع أسفار التّوراة. (يضاهئون قول الّذين...) تنبئ الآية عن ان القول بالبنوّة منهم مضاهاة ومشاكلة لقول من تقدمهم من الأمم الكافرة وهم الوثنيون عبدة الأصنام.

٣١ . (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم...) اتخاذهم الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله هو إصغاؤهم لهم وإطاعتهم من غير قيد وشرط، ولا يطاع كذلك إلاّ الله سبحانه. وأما اتخاذهم المسيح بن مريم رباً من دون الله: فهو القول بألوهيته. (سبحانه عمّا يشركون) تنزيه له تعالى عما يتضمنه قولهم بربوبية الأحبار والرهبان، وقولهم بربوبية المسيح عليه السلام، من الشرك.

٣٢ . (يريدون أن يطفئوا...) الآية إشارة إلى حال الدعوة الإسلامية وما يريده منها الكافرون، وفيها وعد جميل بأن الله سيتم نوره.

(٢٧٤/١)

---

٣٣ . (هو الّذي أرسل...) إن الله هو الّذي أرسل رسوله محمّداً صلى الله عليه وآله مع الهداية . أو الآيات والبينات . ودين فطري ليظهره وينصر دينه الّذي هو دين الحق على كل الأديان، ولو كره المشركون ذلك.

وفي الآيتين من تحريض المؤمنين على قتال أهل الكتاب والإشارة إلى وجوب ذلك عليهم ما لا يخفى، فانهما تدلاّن على أن الله أراد إنتشار هذا الدين في العالم البشري، فلا بدّ من السعي والمجاهدة في ذلك، وأن أهل الكتاب يريدون أن يطفئوا هذا النور بأفواههم، فلا بدّ من قتالهم حتى يفنوا أو يستبقوا بالجزية والصغار، وأن الله تعالى يأبى إلاّ أن يتمّ نوره، ويريد أن يظهر هذا الدِّين على غيره، فالدائرة بمشيّة الله لهم على أعدائهم، فلا ينبغي لهم أن يهنوا ويحزنوا وهم الأعلون إن كانوا مؤمنين.

٣٤ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) الظاهر أن الآية إشارة إلى بعض التوضيح لقوله في أول الآيات: (ولا يحرمون ما حرم الله...) وهو بيان ما يفسد من صفاتهم وأعمالهم المجتمع الإنساني ويسدّ طريق الحكومة الدّينية العادلة. (والّذين يكنزون الذّهب...) الآية وإن اتصلت بما قبلها من الآيات الذامّة لأهل الكتاب، إلاّ أنه لا دليل من جهة اللّفظ على نزولها فيهم. والآية توعد الكافرين إيعاداً شديداً وتهددهم بعذاب شديد. والذي يبغضه الله من الكنز ما يلازم الكف عن إنفاقه في سبيل الله إذا كان هناك سبيل.

٣٥ . (يوم يُحمى عليها...) إن ذلك العذاب المبشر به، في يوم يوقد على تلك الكنوز في نار جهنم، فتكون محماة بالنّار فتلصق بجباههم وجنوبهم وظهورهم ويقال لهم: (هذا ما كنزتم لأنفسكم...) فقد عاد عذاباً عليكم تعذبون به.

(٢٧٥/١)

---

٣٦ . (إنّ عدّة الشّهور...) إن عدة الشهور اثنا عشر شهراً تتألف منها السنون، وهذه العدة هي الّتي في علم الله سبحانه، وهي الّتي أثبتها في كتاب التكوين يوم خلق السماوات والأرض، وأجرى الحركات العامة التي منها حركة الشمس وحركة القمر حول الأرض، وهي الأصل الثابت في الكون

لهذه العدّة. (منها أربعة حُرم) الأشهر الأربعة: ذو القعدة وذو الحجّة والمحرّم ورجب. وإنما جعل الله هذه الأشهر الأربعة حرماً ليكف النّاس فيها عن القتال وينبسط عليهم بساط الأمن، ويأخذوا فيها الأهبة للسعادة، ويرجعوا إلى ربهم بالطاعات.

٣٧ . (إنما النسيء زيادة...) النسيء الّذي تذكره الآية عنهم إنما هو تأخير حرمة الشهر الحرام، للتوسل بذلك إلى القتال فيه. فالعرب وهم أصحاب غارات وحروب، ربّما كان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغزون فيها، فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، فيحرمونه ويستحلون المحرم، فيمكثون بذلك زماناً ثمّ يعود التحريم إلى المحرم، ولا يفعلون ذلك أي إنساء حرمة المحرم إلى صفر إلاّ في ذي الحجة.

٣٨ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قال لكم الرّسول صلى الله عليه وآله اخرجوا إلى القتال أبطأتم

[١٨٠]

كأنكم لا تريدون الخروج، أقنعتم بالحياة الدنيا راضين بها من الآخرة، فما متاع الحياة الدّنيا بالنسبة إلى الحياة الآخرة إلاّ قليل.

٣٩ . (إلاّ تنفروا يعذِّبكم...) المراد به: عذاب الدّنيا أو عذاب الدّنيا والآخرة جميعاً. (ويستبدل قوماً غيركم) يستبدل بكم قوماً غيركم لا يتثاقلون في امتثال أوامر الله والنفر في سبيل الله. (ولا تضروه شيئاً) إشارة إلى هوان أمرهم على الله سبحانه لو أراد أن يذهب بهم ويأتي بآخرين.

---

٤٠ . (إلاّ تنصروه فقد نصره...) إنْ لم تنصروه أنتم أيها المؤمنون، فقد أظهر الله نصره إياه في وقت لم يكن له أحد ينصره ويدفع عنه، وقد تظاهرت عليه الأعداء وأحاطوا به من كل جهة، وذلك إذ همّ المشركون به وعزموا على قتله، فاضطر إلى الخروج من مكة في حال لم يكن إلاّ أحد رجلين اثنين، وذلك إذ هما في الغار إذ يقول النبيّ صلى الله عليه وآله لصاحبه وهو أبو بكر: لا تحزن ممّا تشاهده من الحال إن الله معنا بيده النصر، فنصره الله. حيث أنزل سكينته عليه [على رسوله صلى الله عليه وآله] وأيده بجنود غائبة عن أبصاركم، وجعل كلمة الذين كفروا . وهي قضاؤهم بوجوب قتله وعزيمتهم عليه . كلمة مغلوبة غير نافذة ولا مؤثرة. وكلمة الله . وهي الوعد بالنصر وإظهار الدين واتمام النور . هي العليا العالية القاهرة والله عزيز لا يُغلب، حكيم لا يجهل ولا يغلط فيما شاءه وفعله.

٤١ . (انفروا خفافاً وثقالاً...) الأمر بالنفر خفافاً وثقالاً وهما حالان متقابلان، في معنى الأمر بالخروج على أي حال، وعدم اتخاذ شيء من ذلك عذراً يعتذر به لترك الخروج.

٤٢ . (لو كان عرضاً قريباً...) لو كان ما أمرتهم به ودعوتهم إليه عرضاً قريب التناول وغنيمة حاضرة وسفراً قاصداً قريباً هيناً، لاتبعوك يا محمّد وخرجوا معك، ولكن بعدت عليهم الشقة والمسافة فاستصعبوا السير وتثاقلوا فيه. وسيحلفون بالله لو رجعتم إليهم ولمتموهم على تخلفهم: لو استطعنا الخروج لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم بما أخذوه من الطريقة من الخروج إلى القتال طمعاً في عرض الدنيا إذا استيسر القبض عليه، والتخلف عنه إذا شق عليهم ثمّ الاعتذار بالعذر الكاذب على نبيهم والحلف في ذلك بالله كاذبين. أو يهلكون أنفسهم بهذا الحلف الكاذب، والله يعلم انّهم لكاذبون.
والآية تعيير وذم للمنافقين المتخلفين عن الخروج مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الجهاد في غزوة تبوك.

(٢٧٧/١)

---

٤٣ . (عفا الله عنك...) عفا الله عنك لم أذنت لهم في التخلف والقعود ولو شئت لم تأذن لهم حتى يتبين لك الّذين صدقوا وتعلم الكاذبين، فيتميز عندك كذبهم ونفاقهم.
٤٤، ٤٥ . (لا يستأذنك الّذين يؤمنون...) تذكر الآيتان أحد ما يعرف به المنافق ويتميز به من المؤمن، وهو الاستيذان في التخلف عن الجهاد في سبيل الله. فالمؤمن لما كان على تقوى من قبل الإيمان بالله واليوم الآخر كان على بصيرة من وجوب الجهاد في سبيل الله بماله ونفسه. لكن المنافق لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر فَقَدَ صفة التقوى فارتاب قلبه ولا يزال يتردد في ريبه فيحب التطرف ويستأذن في التخلف والقعود عن الجهاد.
[١٨١]
٤٦ . (ولو أرادوا الخروج...) هم كاذبون في دعواهم عدم استطاعتهم الخروج، بل ما كانوا يريدونه، ولو أرادوه لأعدّوا له عدّة. (ولكن كره الله انبعاثهم فثبّطهم) جزاء بنفاقهم وامتناناً عليك وعلى المؤمنين لئلا يفسدوا جمعكم.
٤٧ . (لو خرجوا فيكم...) الخبال: الفساد واضطراب الرأي. والإيضاع: الإسراع في الشر. والخلال: البين. ويبغونكم الفتنة: يطلبون لكم أو فيكم الفتنة، على ما قيل.
٤٨ . (لقد ابتغوا الفتنة...) أُقسم لقد طلبوا المحنة واختلاف الكلمة وتفرّق الجماعة من قبل هذه الغزوة . وهي غزوة تبوك . كما في غزوة أُحد حين رجع عبدالله بن أبي سلول بثلث القوم وخذل النبيّ صلى الله عليه وآله، وقلّبوا لك الأمور بدعوة الناس إلى الخلاف وتحريضهم على المعصية وغير ذلك، حتى جاء الحق وهو الحق الذي يجب ان يتبّع، وظهر أمر الله الّذي يريده لدينه، وهم كارهون لجميع ذلك.

٤٩ . (ومنهم من يقول...) إئذن لي في القعود وعدم الخروج للجهاد ولا تُلقني في الفتنة بتوصيف ما في هذه الغزوة من نفائس الغنائم فافتتن بها. [أو ان المعنى]: إئذن لي ولا تُلقني إلى ما في هذه الغزوة من المحنة والمصيبة. (ألا في الفتنة سقطوا) إنهم يحترزون بحسب زعمهم عن فتنة مترقبة من قبل الخروج، وقد أخطأوا فإن الذي هم عليه من الكفر والنفاق وسوء السريرة، هو بعينة فتنة سقطوا فيها فقد فتنهم الشّيطان. (وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين) هؤلاء واقعون في الفتنة والتهلكة أبداً في الدّنيا والآخرة.

٥٠ . (إن تصبك حسنة...) إن هؤلاء المنافقين هواهم عليك، إن غنمت وظفرت في وجهك هذا ساءهم ذلك، وإن قُتلت أو جرحت أو أُصبت بأي مصيبة اخرى قالوا: قد احترزنا عن الشر من قبل وتولوا وهم فرحون.

٥١ . (قل لن يصيبنا...) إن ولاية أمرنا إنما هي لله سبحانه فحسب، لا إلى انفسنا ولا إلى شيء من هذه الأسباب الظاهرة، بل حقيقة الأمر لله وحده، فعلينا امتثال أمره، ولله المشية فيما يصيبنا في ذلك من حسنة أو سيئة.

٥٢ . (قل هل تربّصون بنا...) نحن وأنتم كل يتربص بصاحبه، غير أنكم تتربصون بنا إحدى خصلتين كل واحدة منهما خصلة حسنى وهما: الغلبة على العدو مع الغنيمة، والشهادة في سبيل الله، ونحن نتربص بكم أن يعذبكم الله بعذاب من عنده كالعذاب السماوي أو بعذاب يجري بأيدينا كأن يأمرنا بقتالكم. فنحن فائزون على أي حال.

٥٣ . (قل أنفقوا طوعاً...) لا نمنعكم عن الانفاق من طوع أو كره، فإنه لغو غير مقبول لأنكم فاسقون.

٥٤ . (وما منعهم أن تُقبَل...) الآية تعليل تفصيلي لعدم تقبل نفقاتهم.

٥٥ . (فلا تعجبك أموالهم...) نهي الله سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله عن الاعجاب بأموال المنافقين وأولادهم أي بكثرتها، وعلّل ذلك بأن هذه الأموال والأولاد ليست من النعمة الّتي تهتف لهم بالسعادة، بل من النقمة التي تجرّهم إلى الشقاء، فإنّ

[١٨٢]

الله وهو الّذي خوّلهم إياها إنما أراد بها تعذيبهم في الحياة الدنيا وتوفيهم وهم كافرون.

٥٦ . (ويحلفون بالله إنّهم...) الفرق: انزعاج النفس من ضرر متوقع.

٥٧ . (لو يجدون ملجأً...) المغار: المحل الّذي يغور فيه الإنسان فيستره عن الأنظار، ويطلق على الغار وهو الثقب الّذي يكون في الجبل. والمُدَّخل: الطريق الّذي يتدسس بالدخول فيه. والجماح: مضي المار مسرعاً على وجهه لا يصرفه عن شيء.

٥٨ . (ومنهم من يلمزك...) اللمز: العيب. وإنما كانوا يعيبونه فيها إذا لم يعطهم منها لعدم استحقاقهم ذلك أو لأسباب أُخر.

٥٩ . (ولو أنهم رضوا...) وكان مما يتمنى لهم أن يكونوا أخذوا ما اعطاهم الله ورسوله بأمر منه من مال الصدقات أو غيره، وقالوا كفانا الله سبحانه من سائر الأسباب ونحن راغبون في فضله ونطمع أن يؤتينا من فضله ويؤتينا رسوله.

٦٠ . (إنّما الصّدقات للفقراء...) بيان لموارد تصرف إليها الصدقات الواجبة وهي الزكوات. والفقير: هو الذي اتصف بالعدم وفقدان ما يرفع حوائجه الحيوية. والمسكين: الذي حلت به المسكنة والذلة مضافة إلى فقدان المال. والعاملون عليها: الساعون لجمع الزكوات. والمؤلفة قلوبهم: الّذين يؤلف قلوبهم باعطاء سهم من الزكاة ليسلموا أو يدفع بهم العدو أو يستعان بهم على حوائج الدين. (وفي الرّقاب) في فكها، كما في المكاتب الّذي لا يقدر على تأدية ما شرطه لمولاه على نفسه لعتقه، أو الرق الذي كان في شدة. (والغارمين) وللصرف في الغارمين الّذين ركبتهم الدّيون.

---

٦١ . (ومنهم الّذين يؤذون...) أطلقوا عليه صلى الله عليه وآله الأُذن وسموه بها، إشارة إلى انه يصغي لكل ما قيل له ويستمع إلى كل ما يذكر له فهو أُذن. (قل أذن خير لكم) لأنه لا يسمع إلاّ ما ينفعكم ولا يضركم. (يؤمن بالله ويؤمن...) أنه يصدّق ربّه ويصدّق كل فرد من أفراد مجتمعكم احتراماً لظاهر حاله من الانتساب إلى المؤمنين، وهو رحمة للّذين آمنوا منكم حقاً، لأنه يهديهم إلى مستقيم الصراط.

٦٢ . (يحلفون بالله لكم...) إن من الواجب على كل مؤمن أن يرضي الله ورسوله، ولا يحاد الله ورسوله.

٦٣ . (ألم يعلموا أنّه...) المحادة: المخالفة والمجانبة والمعاداة. والمعنى: إنهم يعلمون أن محادة الله ورسوله والمعاداة مع الله ورسوله والإسخاط يوجب خلود النّار.

٦٤ . (يحذر المنافقون أن...) [كان المنافقون] يحذرون نزول سورة يظهر بها ما أضمروه من الكفر وهمّوا به من تقليب الأمور على النبيّ صلى الله عليه وآله، فأمر الله نبيّه صلى الله عليه وآله أن

يبلغهم أن الله عالم بما في صدورهم مخرج ما يحذرون خروجه بنزول سورة من عنده. (قل استهزئوا...) دوموا على نفاقكم وستركم ما تحذرون خروجه فإن الله مخرج ذلك.

٦٥ . (ولئن سألتهم ليقولنّ...) وأُقسم لئن سألتهم عن فعلهم الذي شوهد منهم: ما الّذي أرادوا به؟ وكان ظاهره أنهم همّوا بأمر فيك، ليقولنّ: لم يكن قصد سوء ولا بالذي ظننت فأسأت الظن بنا، وإنما كنا نخوض ونلعب لا على سبيل الجد ولكن لعباً. (قل أبالله وآياته ورسوله...) أتعتذرون عن سيّئ فعلكم بسيئة أخرى هي الاستهزاء بالله وآياته ورسوله وهو كفر؟.

٦٦ . (لا تعتذروا قد كفرتم...) نهي عن الاعتذار بدعوى أنه لغو، فإن الاعتذار لا فائدة تترتب عليه بعد الحكم

[١٨٣]

(٢٨١/١)

بكفرهم بعد إيمانهم. والمراد بايمانهم: ظاهر الإيمان الّذي كانوا يتظاهرون به. (إن نعف عن طائفة...) يدل على ان هؤلاء المنافقين المذكورين في الآيات كانوا ذوي عدد وكثرة، وأن كلمة العذاب وقعت عليهم ولا بدّ لهم من العذاب، فلو شمل بعضهم عفو إلهي لمصلحة في ذلك وقع العذاب على الباقين.

٦٧ . (المنافقون والمنافقات...) لا ينبغي أن يستغرب أخذ بعض المنافقين إذا ترك البعض الآخر، لأن المنافقين والمنافقات يحكم عليهم نوع من الوحدة النفسية يوحد كثرتهم فيرجع بعضهم إلى بعض. فهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويمسكون عن الانفاق في سبيل الله. (نسوا الله فنسيهم...) نسوا الله بالاعراض عن ذكره لأنهم فاسقون خارجون عن زي العبودية، فنسيهم الله فلم يثبهم بما أثاب عباده الذاكرين مقام ربهم.

٦٨ . (وعد الله المنافقين...) عطف عليهم [على المنافقين] الكفار لأنهم جميعاً سواء. (نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم) من الجزاء لا يتعدى فيهم إلى غيرها (ولعنهم الله) وأبعدهم (ولهم عذاب مقيم) ثابت لا يزول عنهم.

٦٩ . (كالّذين من قبلكم...) أنتم كالّذين من قبلكم كانت لهم قوة وأموال وأولاد، بل أشد وأكثر في ذلك منكم، فاستمتعوا بنصيبهم وقد تفرع على هذه المماثلة أنكم استمتعتم كما استمتعوا وخضتم كما خاضوا، أولئك حبطت أعمالهم في الدّنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون، وأنتم أيضاً أمثالهم في الحبط والخسران، ولذا وعدكم النار الخالدة ولعنكم.

٧٠ . (ألم يأتهم نبأ...) فأُولئك قوم نوح عمّهم الله سبحانه بالغرق، وعاد وهم قوم هود أهلكهم بريح

صرصر عاتية، وثمود وهم قوم صالح عذبهم بالرجفة، وقوم إبراهيم أهلك ملكهم نمرود وسلب عنهم النعمة، والمؤتفكات وهي القرى المنقلبات على وجهها، قرى قوم لوط جعل عاليها سافلها.

(٢٨٢/١)

(أتتهم رسلهم بالبيّنات) بالواضحات من الآيات والحجج والبراهين، فكذبوها فانتهى أمرهم إلى الهلاك. ولم يكن من شأن السنة الإلهية أن يظلمهم لأنه بيّن لهم الحق والباطل، ولكن كان أولئك الأقوام أنفسهم يظلمون بالاستمتاع من نصيب الدّنيا والخوض في آيات الله وتكذيب رسله.

٧١ . (والمؤمنون والمؤمنات...) وصف الله سبحانه حال المؤمنين عامة محاذاة لما وصف به المنافقين، ليدل بذلك على ان المؤمنين ذوو كينونة واحدة متفقة لا تشعب فيها ولذلك يتولى بعضهم أمر بعض ويدبره. ولذلك كان يأمر بعضهم بعضاً بالمعروف وينهى بعضهم بعضاً عن المنكر. ثمّ وصفهم بقوله: (ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزّكاة) وهما الركنان الوثيقان في الشريعة.

ثمّ وصفهم بقوله: (ويطيعون الله ورسوله) فجمع في إطاعة الله جميع الأحكام الشرعية الالهية، وجمع في إطاعة رسوله جميع الأحكام الولائية التي يصدرها رسوله في إدارة أمور الأُمّة وإصلاح شؤونهم.

وقوله: (أولئك سيرحمهم الله) إخبار عمّا في القضاء الالهي من شمول الرحمة الالهية لهؤلاء القوم الموصوفين بما ذكر.

٧٢ . (وعد الله المؤمنين...) جنات عدن: جنات إقامة واستقرار وخلود. (ورضوان من الله أكبر) رضى الله سبحانه عنهم أكبر من ذلك كلّه . على ما يفيده السياق. (ذلك هو الفوز العظيم) ان هذا الرضوان هو حقيقة كل فوز عظيم حتى الفوز بالجنّة الخالدة، إذ لولا شيء من حقيقة الرضى الإلهي في نعيم الجنة، كان نقمة لا نعمة.

[١٨٤]

(٢٨٣/١)

---

٧٣ . (يا أيّها النّبيّ جاهد...) المنافقون هم الّذين لا يتظاهرون بكفر ولا يتجاهرون بخلاف، ولا معنى للجهاد معهم بمعنى قتالهم ومحاربتهم. ولذلك ربما يسبق إلى الذهن أن المراد بجهادهم مطلق ما تقتضيه المصلحة من بذل غاية الجهد في مقاومتهم، فإن اقتضت المصلحة هجروا ولم يخالطوا، وإن اقتضت وعظوا باللسان، وإن اقتضت أُخرجوا وشردوا إلى غير الأرض أو قتلوا إذا أخذ عليهم الردة أو غير ذلك. (واغلظ عليهم) شدّد عليهم وعاملهم بالخشونة.

٧٤ . (يحلفون بالله ما قالوا...) سياق الآية يشعر بأنهم أتوا بعمل سيّئ وشفّعوه بقول تفوهوا به عند ذلك، وأن النبيّ صلى الله عليه وآله عاتبهم على قولهم مؤاخذاً لهم، فحلفوا بالله ما قالوا، والله سبحانه يكذبهم في الأمرين جميعاً. ثمّ بيّن الله سبحانه لهؤلاء المنافقين أن لهم مع هذه الذنوب المهلكة أن يرجعوا إلى ربهم، وبيّن عاقبة هذه التوبة وعاقبة التولي والإعراض عنها.

٧٥، ٧٦ . (ومنهم من عاهد الله...) السّياق يفيد ان الكلام معترض لأمر واقع، والروايات تدل على ان الآيات نزلت في ثعلبة.

وفي تفسير القمّي قال: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في الآية . قال: هو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عوف، كان محتاجاً فعاهد الله، فلمّا آتاه بخل به.

٧٧ . (فأعقبهم نفاقاً في...) فأورثهم البخل والامتناع عن إيتاء الصدقات نفاقاً في قلوبهم يدوم لهم ذلك ولا يفارقهم إلى يوم موتهم، وإنما صار هذا البخل والامتناع سبباً لذلك لما فيه من خلف الوعد لله والملازمة والاستمرار على الكذب.

أو المعنى: جازاهم الله نفاقاً في قلوبهم إلى يوم لقائه وهو يوم الموت، لأنهم أخلفوه ما وعدوه وكانوا يكذبون.

٧٨ . (ألم يعلموا أن...) النجوى: الكلام الخفي. والاستفهام للتوبيخ والتأنيب.

---

٧٩ . (الّذين يلمزون المطوّعين...) الّذين يعيبون الّذين يتطوعون بالصدقات من المؤمنين الموسرين، والّذين لا يجدون من المال إلاّ جهد أنفسهم من الفقراء المعسرين، فيعيبون المتصدقين موسرهم ومعسرهم وغنيهم وفقيرهم ويسخرون منهم، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم.

٨٠ . (استغفر لهم أو لا تستغفر...) إن هؤلاء المنافقين لا تنالهم مغفرة من الله ويستوي فيهم طلب المغفرة وعدمها. وذكر السبعين كناية عن الكثرة.

٨١ . (فرح المخلّفون بمقعدهم...) فرح المنافقون الّذين تركتهم بعدك بعدم خروجهم معك خلافاً لك . أو بعدك . وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله. (وقالوا لا تنفروا في الحرّ) خاطبوا بذلك غيرهم ليخذلوا النبيّ صلى الله عليه وآله ويبطلوا مسعاه في تنفير الناس إلى الغزوة. (قل نار جهنّم أشدّ حرّاً) إن الفرار عن الحرّ بالقعود إن أنجاكم منه، لم ينجكم ممّا هو أشدّ منه وهو نار جهنم الّتي هي أشدّ حرّاً.

٨٢ . (فليضحكوا قليلاً...) فمن الواجب بالنظر إلى ما عملوه وكسبوه أن يضحكوا ويفرحوا قليلاً في الدّنيا وأن يبكوا ويحزنوا كثيراً في الآخرة.

٨٣ . (فإن رجعك الله...) دلالة على أن هذه الآية وما في سياقها المتصل بالآيات السابقة واللاحقة،

نزلت ورسول الله صلى الله عليه وآله في سفره [إلى تبوك] ولمّا يرجع إلى المدينة. والمراد بالخالفين: المتخلفون بحسب الطبع كالنساء والصبيان
[١٨٥]
والمرضى. وقيل: المتخلفون من غير عذر. وقيل: هم الفساد.
٨٤ . (ولا تُصلّ على أحد منهم...) نهي عن الصّلاة لمن مات من المنافقين والقيام على قبره. ويتحصّل من الجميع أن من فقد الايمان بالله باستيلاء الكفر على قلبه وإحاطته به فلا سبيل له الى النجاة يهتدي به، وأن الآيات الثلاث جميعاً تكشف عن لَغوية الاستغفار للمنافقين والصلاة على موتاهم والقيام على قبورهم للدعاء لهم.

وفي الآية إشارة الى أن النبي صلى الله عليه وآله كان يصلّي على موتى المسلمين ويقوم على قبورهم للدعاء.
٨٥ . (ولا تعجبك أموالهم...) تقدّم بعض ما يتعلّق بالآية من الكلام في الآية ٥٥ من السّورة.
٨٦ . (وإذا أُنزلت سورة...) الطّول: القدرة والنِّعمة.
٨٧ . (رضوا بأن يكونوا...) الخوالف: هم الخالفون. [وقد تقدم الكلام في معناه في الآية ٨٣].
٨٨ . (لكن الرّسول والّذين...) إنهم لم يرضوا بالقعود ولم يطبع على قلوبهم، بل نالوا سعادة الحياة والنّور الالهي الّذي يهتدون به في مشيهم. (وأولئك لهم الخيرات...) فلهم جميع الخيرات من الحياة الطيبة ونور الهدى والشهادة وسائر ما يتقرب به إلى الله سبحانه وهم المفلحون الفائزون بالسعادة.
٨٩ . (أعدّ الله لهم...) الإعداد: التهيئة. وقد عبر بالإعداد دون الوعد لأن الأمور بخواتيمها وعواقبها، فلو كان وعداً وهو وعد لجميع من آمن معه صلى الله عليه وآله، لكان قضاءً حتمياً واجب الوفاء سواء بقي الموعودون على صفاء إيمانهم وصلاح أعمالهم أو غيّروا والله لا يخلف الميعاد.
٩٠ . (وجاء المعذرون من...) الظاهر أن المراد بالمعذرين: أهل العذر كالذي لا يجد نفقة ولا سلاحاً، بدليل قوله: (وقعد الّذين كذبوا...) والسّياق يدل على أن في الكلام قياساً لإحدى الطائفتين إلى الأخرى ليظهر به لؤم المنافقين وخستهم وفساد قلوبهم. حيث أن فريضة الجهاد الدينية والنصرة لله ورسوله هيّجت لذلك المعذرين من الأعراب وجاءوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله يستأذنونه، ولم تؤثر في هؤلاء الكاذبين شيئاً.
٩١ . (ليس على الضّعفاء...) هؤلاء مرفوع عنهم الحرج والمشقة أي الحكم بالوجوب الّذي لو وضع كان حكماً حرجيّاً، وكذا ما يستتبعه الحكم من الذم والعقاب على تقرير المخالفة.

وقد قيّد الله تعالى رفع الحرج عنهم بقوله: (إذا نصحوا لله ورسوله) وهو ناظر الى الذم والعقاب على المخالفة والقعود، فإنما يرفع الذم والعقاب عن هؤلاء المعذورين إذا نصحوا لله ورسوله، وأخلصوا من الغش والخيانة، ولم يجروا في قعودهم على ما يجري عليه المنافقون المتخلِّفون من تغليب الأمور وإفساد القلوب في مجتمع المؤمنين، وإلاّ فيجري عليهم ما يجري على المنافقين من الذم والعقاب.

٩٢ . (ولا على الّذين...) ولا حرج على الفقراء الّذين إذا ما أتوك لتعطيهم مركوباً يركبونه وتصلح سائر ما يحتاجون إليه من السلاح وغيره قلت: لا أجد ما أحملكم عليه، تولوا والحال أن أعينهم تمتلئ وتسكب دموعاً للحزن من أن

[١٨٦]

لا يجدوا . أو لأن لا يجدوا . ما ينفقونه في سبيل الله للجهاد مع أعدائه.

٩٣ . (إنّما السّبيل على الّذين...) القصر للإفراد. والمعنى ظاهر.

٩٤ . (يعتذرون إليكم إذا...) يعتذر المنافقون إليكم عند رجوعكم من الغزوة إليهم، قل يا محمّد لهم: لا تعتذروا إلينا لأنا لن نصدقكم فيما تعتذرون به لأن الله قد أخبرنا ببعض أخباركم ممّا يظهر به نفاقكم وكذّبكم فيما تعتذرون به. وسيظهر عملكم ظهور شهود لله ورسوله، ثمّ تردون إلى الله الذي يعلم الغيب والشهادة يوم القيامة فيخبركم بحقائق أعمالكم.

٩٥ . (سيحلفون بالله لكم...) لتعرضوا عنهم فلا تتعرضوا لهم بالعتاب والتقريع وما يتعقب ذلك، فأوضعوا عنهم لا تصديقاً فيما يحلفون له من الأعذار، بل لأنهم رجس ينبغي أن لا يقترب منهم، ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.

٩٦ . (يحلفون لكم لترضوا...) المراد: إنكم إن رضيتم عنهم فقد رضيتم عمن لم يرض الله عنه، أي رضيتم بخلاف رضى الله، ولا ينبغي لمؤمن أن يرضى عمّا يسخط ربه فهو أبلغ كناية عن النهي عن الرضا عن المنافقين.

٩٧ . (الأعراب أشد كفراً...) يبيِّن الله تعالى حال سكان البادية وأنهم أشدّ كفراً ونفاقاً لأنهم لبعدهم عن المدنية والحضارة، وحرمانهم من بركات الإنسانية من العلم والأدب أقسى وأجفى، فهم أجدر وأحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله من المعارف الأصلية والأحكام الشرعية من فرائض وسنن وحلال وحرام.

٩٨ . (ومن الأعراب من...) ومن سكان البادية من يفرض الإنفاق في سبيل الخير أو في خصوص الصدقات غرماً وخسارة وينتظر نزول الحوادث السيئة بكم، عليهم دائرة [حادثة] السوء . قضاء منه تعالى أو دعاء عليهم . والله سميع للأقوال عليم بالقلوب.

٩٩ . (ومن الأعراب من يؤمن...) ومن الأعراب من يؤمن بالله فيوحده من غير شرك ويؤمن باليوم الآخر فيصدّق الحساب والجزاء ويتخذ إنفاق المال لله وما يتبعه من صلوات الرّسول ودعواته بالخير والبركة، كل ذلك قربات عند الله وتقربات منه إليه، ألا إن هذا الانفاق وصلوات الرّسول قربة لهم، والله يعدهم بأنه سيدخلهم في رحمته لأنه غفور للذنوب رحيم بالمؤمنين به والمطيعين له.

١٠٠ . (والسّابقون الأوّلون...) ليس مدلول الآية أن من صدق عليه أنه مهاجر أو أنصاري أو تابع، فإن الله قد رضي عنه رضاً لا سخط بعده أبداً وأوجب في حقه المغفرة والجنّة سواء أحسن بعد ذلك أو أساء، إتقى أو فسق. فالحكم بالآية مقيد بالإيمان والعمل الصالح، بمعنى أن الله سبحانه إنما يمدح من المهاجرين والأنصار والتابعين من آمن به وعمل صالحاً.

١٠١ . (وممّن حولكم من الأعراب...) وممّن في حولكم أو حول المدّينة من الأعراب الساكنين في البوادي، منافقون مرنوا على النفاق، ومن أهل المدّينة منافقون معتادون على النفاق لا تعلمهم أنت يا محمّد نحن نعلمهم، سنعذّبهم مرتين ثمّ يردون إلى عذاب عظيم.

١٠٢ . (وآخرون اعترفوا بذنوبهم...) ومن الأعراب جماعة آخرون مذنبون لا ينافقون مثل غيرهم، بل اعترفوا

بذنوبهم، لهم عمل صالح وعمل آخر سيّئ خلطوا هذا بذلك من المرجو أن يتوب الله عليهم إن الله غفور رحيم.

١٠٣ . (خذْ من أموالهم...) خذ يا محمّد من أصناف أموالهم صدقة تطهرهم أنت وتزكيهم بتلك الصدقة. (وصلّ عليهم) الدعاء لهم ولأموالهم بالخير والبركة. (إن صلاتك سكن لهم) أن نفوسهم تسكن إلى دعائك وتثق به.

١٠٤ . (ألم يعلموا أن الله...) استفهام انكاري بداعي تشويق النّاس إلى إيتاء الزكاة. [ويتبين] من الآية ان التصدق وإيتاء الزكاة نوع من التوبة.

١٠٥ . (وقل اعملوا فسيرى...) وقل يا محمّد: اعملوا ما شئتم من عمل خيراً أو شراً فسيشاهد الله سبحانه حقيقة عملكم ويشاهده رسوله والمؤمنون . وهم شهداء الأعمال . ثمّ تردون إلى الله عالم الغيب والشهادة يوم القيامة فيريكم حقيقة عملكم.

١٠٦ . (وآخرون مرجَون...) الإرجاء: التأخير. ومعنى إرجائهم إلى أمر الله أنهم لا سبب عندهم يرجح لهم جانب العذاب أو جانب المغفرة، فأمرهم يؤول إلى أمر الله ما شاء وأراد فيهم فهو النافذ في حقهم.

١٠٧ . (والّذين اتّخذوا مسجداً...) إن جماعة من بني عمرو بن عوف بنوا مسجد قُبا وسألوا النبيّ أن يصلي فيه فصلى فيه، فحسدهم جماعة من بني غنم بن عوف وهم منافقون فبنوا مسجداً إلى جنب مسجد قبا ليضروا به ويفرقوا المؤمنين وينتظروا لأبي عامر الراهب الذي وعدهم أن يأتيهم بجيش من الروم. وقد أخبر الله سبحانه عنهم أنهم ليحلفن أن أردنا من بناء هذا المسجد إلاّ الفعلة الحسنى، وشهد تعالى بكذبهم.

١٠٨ . (لا تقم فيه أبداً...) لا تقم للصّلاة في مسجد الضرار أبداً، أُقسم، لمسجد قبا الّذي هو مسجد أُسس على تقوى الله من أول يوم أحق وأحرى أن تقوم فيه للصّلاة، وذلك أن فيه رجالاً يحبّون التطهّر من الذنوب أو من الأرجاس والأحداث والله يحب المطهرين وعليك أن تقوم فيهم.

(٢٨٩/١)

---

١٠٩ . (أفمن أُسس بنيانه...) مثلان يمثل بهما بنيان حياة المؤمنين والمنافقين وهو الدّين والطريق الّذي يجريان عليه فيها، فدين المؤمن هو تقوى الله وابتغاء رضوانه عن يقين به، ودين المنافق مبني على التزلزل والشك، ولذلك أعقبه الله تعالى وزاد في بيانه بقوله: (لا يزال بنيانهم) يعني المنافقين (الذي بنوا ريبة) وشكّاً (في قلوبهم) لا يتعدّى الى مرحلة اليقين (إلاّ أن تقطّع قلوبهم) فتتلاشى الريبة بتلاشيها (والله عليم حكيم) ولذلك يضع هؤلاء ويرفع أولئك.

١١٠ . (إنّ الله اشترى...) الله سبحانه يذكر في الآية وعده القطعي للذين يجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم بالجنّة. ويذكر أنه ذكر ذلك في التوراة والإنجيل كما يذكره في القرآن. وقد قلبه سبحانه في قالب التمثيل، فصوّر ذلك بيعاً، وجعل نفسه مشترياً والمؤمنين بائعين، وأنفسهم وأموالهم سلعة ومبيعاً، والجنّة ثمناً، والتوراة والإنجيل والقرآن سنداً للمبايعة، وهو من لطيف التمثيل، ثمّ يبشر المؤمنين ببيعهم ذلك، ويهنئهم بالفوز العظيم.

[١٨٨]

١١٢ . (التّائبون العابدون...) يصف سبحانه المؤمنين بأجمل صفاتهم، أي المؤمنون هم التائبون العابدون... فهم التائبون لرجوعهم من غير الله إلى الله سبحانه، العابدون له يعبدونه بألسنتهم فيحمدونه بجميل الثناء، وبأقدامهم فيسيحون ويجولون من معهد من المعاهد الدينية ومسجد من مساجد الله إلى غيره، وبأبدانهم فيركعون له ويسجدون له. هذا شأنهم بالنسبة إلى حال الانفراد، وأما بالنسبة إلى حال [المجتمع] فهم آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر ثم هم حافظون لحدود الله.

١١٣ . (ما كان للنبيّ والّذين...) إن النبيّ والذين آمنوا بعدما ظهر وتبيّن بتبيين الله لهم ان المشركين أعداء لله مخلّدون في النّار، لم يكن لهم حق يملكون به أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قربى منهم.

(٢٩٠/١)

---

١١٤ . (وما كان استغفار إبراهيم...) وأما استغفار إبراهيم لأبيه المشرك فإنه ظن انه ليس بعدو معاند لله وإن كان مشركاً فاستعطفه بوعد وعده إياه فاستغفر له، فلما تبين له أنه عدو الله معاند على شركه وضلاله تبرّأ منه.

١١٥ . (وما كان الله ليُضلَّ...) تهديد للمؤمنين بالإضلال بعد الهداية إن لم يتّقوا ما بيّن الله لهم أن يتّقوه ويجتنبوا منه، وهو بحسب ما ينطبق على المورد ان المشركين أعداء الله لا يجوز الاستغفار لهم والتودّد إليهم، فعلى المؤمنين أن يتقوا ذلك وإلاّ فهو الضلال بعد الهدى.

١١٦ . (إنّ الله له ملك...) إن الله سبحانه هو الّذي يملك كل شيء وبيده الموت والحياة فإليه تدبير كل أمر فهو الوليّ لا وليّ غيره.

١١٧ . (لقد تاب الله...) المراد بالتوبة على النبيّ صلى الله عليه وآله محض الرجوع إليه بالرحمة، ومن الرجوع إليه بالرحمة، الرجوع إلى أُمّته بالرحمة، فالتوبة عليهم توبة عليه فهو صلى الله عليه وآله الواسطة في نزول الخيرات والبركات إلى أُمّته. وفي المجمع: الآية نزلت في غزوة تبوك وما لحق المسلمين فيها من العسرة حتى همّ قوم بالرجوع ثمّ تداركهم لطف الله سبحانه.

١١٨ . (وعلى الثّلاثة الّذين...) في المجمع: الآية نزلت في شأن كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية، وذلك أنهم تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يخرجوا معه [إلى تبوك] لا عن نفاق ولكن عن توان، فلما قدم النبيّ صلى الله عليه وآله المدينة جاءوا إليه واعتذروا فلم يكلمهم النبيّ صلى الله عليه وآله [وهجرهم النّاس فضاقت عليهم المدينة وخرجوا إلى الجبال يتضرعون إلى الله ويتوبون إليه] فقبل الله توبتهم.

١١٩ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) الآية تأمر المؤمنين بالتقوى واتباع الصادقين في أقوالهم وافعالهم وهو غير الأمر بالاتصاف بصفتهم فانه الكون منهم لا الكون معهم وهو ظاهر.

[١٨٩]

(٢٩١/١)

---

١٢٠ . (ما كان لأهل المدينة...) الآية تسلب حق التخلف عن النبيّ صلى الله عليه وآله من أهل المدينة والأعراب الّذين حولها، ثمّ تذكر أن الله قابل هذا السلب منهم بأنه يكتب لهم في كل معصية تصيبهم في الجهاد من جوع وعطش وتعب وفي كل أرض يطأونها فيغيظون به الكفار أو نيل نالوه، عملاً صالحاً فإنهم محسنون والله لا يضيع أجر المحسنين.

١٢١ . (ولا ينفقون نفقة...) ثمّ ذكر تعالى أن نفقاتهم صغيرة يسيرة كانت أو كبيرة خطيرة، وكذا كل واد قطعوه، فانه مكتوب لهم محفوظ لأجلهم ليجزوا به أحسن الجزاء.

١٢٢ . (وما كان المؤمنون لينفروا...) لا يجوز لمؤمني البلاد أن يخرجوا إلى الجهاد جميعاً، فهلّا نفر وخرج إلى النبيّ صلى الله عليه وآله طائفة من كل فرقة من فرق المؤمنين ليتحققوا الفقه والفهم في الدّين، فيعملوا به لأنفسهم ولينذروا بنشر معارف الدين وذكر آثار المخالفة لأصوله وفروعه قومهم إذا رجعت هذه الطائفة إليهم لعلهم يحذرون ويتقون.

١٢٣ . (يا أيّها الّذين آمنوا...) أمر بالجهاد العام الّذي فيه توسّع الاسلام حتى يشيع في الدّنيا، فان قتال كل طائفة من المؤمنين من يليهم من الكفار لا ينتهي إلاّ باتساع الإسلام. (وليجدوا فيكم غلظة) الشدّة في ذات الله وليس يعني بها الخشونة وسوء الخلق.

١٢٤ . (وإذا ما أُنزلت سورة...) هذا السؤال سؤال من لا يجد في قلبه أثراً من نزول القرآن، وكلما تُليت عليه سورة جديدة ولم يجد في قلبه خشوعاً لله، زاد شكّاً فبعثه ذلك إلى أن يسأل سائر من حضر عند النزول عن ذلك حتى يستقر في شكّه ويزيد ثباتاً في نفاقه. وقد فصّل الله سبحانه أمر القلوب فقال: (فأمّا الّذين آمنوا فزادتهم) السورة النازلة (إيماناً) فتنشرح بذلك صدورهم وتتهلل وجوههم فرحاً (وهم يستبشرون).

١٢٥ . (وأمّا الّذين في قلوبهم...) وهم أهل الشك والنفاق (فزادتهم رجساً إلى رجسهم) ضلالاً جديداً إلى ضلالهم القديم.

---

١٢٦ . (أوَ لا يرون أنّهم...) ما لهم لا يتفكّرون ولا يعتبرون وهم يرون أنهم يبتلون ويمتحنون كل عام مرّة أو مرّتين فيعصون الله، ولا يخرجون من عهدة المحنة الالهية وهم لا يتوبون ولا يتذكّرون، ولو تفكّروا في ذلك انتبهوا لواجب أمرهم وأيقنوا أن الاستمرار على هذا الشأن ينتهي بهم إلى تراكم الرّجس على الرّجس والهلاك الدائم والخسران المؤبّد.

١٢٧ . (وإذا ما أُنزلت سورة...) إنهم عند نزول سورة قرآنية، ينظر بعضهم إلى بعض نظر من يقول: هل يطلع على ما بنا من القلق والاضطراب أحد. (ثمّ انصرفوا صرف الله...) ثمّ انصرفوا عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حال صرف الله قلوبهم عن وعي الآيات الالهية والإيمان بها بسبب

انّهم قوم لايفقهون الكلام الحق.

١٢٨ . (لقد جاءكم رسول...) لقد جاءكم أيها النّاس رسول من أنفسكم من أوصافه أنه يشق عليه ضركم أو هلاككم وأنه حريص عليكم جميعاً من مؤمن أو غير مؤمن، وأنه رؤوف رحيم بالمؤمنين منكم خاصة، فيحق لكم أن

[١٩٠]

تطيعوا أمره.

١٢٩ . (فإن تولّوا فقل...) وإن تولوا عنك وأعرضوا عن قبول دعوتك فقل: حسبي الله لا إله إلاّ هو، فهو كاف لا كافي سواه لأنه الله لا إله غيره.

«سورة يونس»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (ألر تلك آيات...) الاشارة باللفظ الدال على البعد للدلالة على ارتفاع مكانة القرآن وعلو مقامه.

٢ . (أكان للناس عجباً...) الاستفهام للإنكار، فهو إنكار لتعجبهم من إيحاء الله إلى رجل منهم ما اشتملت عليه الدعوة القرآنية. (أن لهم قدم صدق) المراد بقدم الصدق: المنزلة الصادقة.

---

٣ . (إن ربّكم الله...) إن ربكم معاشر الناس هو الله الّذي خلق هذا العالم المشهود كله سماواته وأرضه في ستة أيام، ثم استوى على عرش قدرته وقام مقام التدبير الّذي إليه ينتهي كل تدبير. وإذا انتهى إليه كل تدبير من دون الاستعانة بمعين أو الاعتضاد بأعضاد، لم يكن لشيء من الأشياء أن يتوسط في تدبير أمر من الأمور. وهو الشفاعة. إلاّ من بعد إذنه تعالى، (ذلكم الله ربّكم...) هلّا انتقلتم انتقالاً فكرياً إلى ما يُستنير به أن الله هو ربكم لا رب غيره بالتأمل في معنى الالوهية والخلقة والتدبير.

٤ . (إليه مرجعكم جميعاً...) تذكير بالمعاد بعد التذكير بالمبدأ. (وعد الله حقاً) وعد الله وعداً حقاً. (إنّه يبدأ الخلق ثمّ يعيده) نفاد وجود الأشياء وانتهاؤها إلى أجلها ليس فناء منها وبطلان لها، بل رجوعاً وعوداً منها إلى عنده وقد كانت نزلت من عنده.

٥ . (هو الّذي جعل...) إنه هو الذي جعل الشمس ضياء تستفيدون منه، وكذا جعل القمر نوراً يستفاد منه، وقدّره ذا منازل [في مسيره [يؤدي اختلاف منازله إلى تكوّن الشهور والسنين، فتستفيدون من ذلك في العلم بعدد السنين والحساب، ولم يخلق ما خلق من ذلك بما يترتب عليه من الغايات والفوائد إلاّ بالحق، فانها غايات حقيقية منتظمة تترتب على خلقه ما خلق.

٦ . (إنّ في اختلاف...) الآية تشتمل على حجّة تامّة على توحده تعالى في ربوبيته، ومن المحتمل

أن يكون المراد باختلاف الليل والنهار: تواليهما على الأرض.

٧ . (إن الّذين لا يرجون...) هؤلاء هم المنكرون ليوم الجزاء. (ورضوا بالحياة الدّنيا واطمأنوا بها) سكنوا بسببها عن طلب اللقاء وهو الآخرة. (والّذين هم عن آياتنا غافلون) إن نسيان الآخرة وذكر الدنيا لا ينفك عن الغفلة عن آيات الله.

٨ . (أولئك مأواهم النّار...) بيان لجزائهم بالنار الخالدة قبال أعمالهم الّتي كسبوها.

---

٩ . (إنّ الّذين آمنوا...) هذا بيان لعاقبة أمر المؤمنين وما يثيبهم الله على استجابتهم لدعوته وطاعتهم لأمره.

١٠ . (دعواهم فيها سبحانك...) هذا تنزيه منهم لربهم عن كل ما لا يليق بساحة قدسه، وتسبيح منهم له لا في القول واللفظ فقط، بل قولاً وفعلاً ولساناً وجناناً.

[٢٠٩]

١١ . (ولو يعجّل الله...) ولو يعجّل الله للناس الشر وهو العذاب كما يستعجلون بالخير كالنعمة، لأنزل عليهم العذاب بقضاء أجلهم، لكنّه تعالى لا يعجّل لهم الشر فيذر هؤلاء المنكرين للمعاد المارقين عن ربقة الدين يتحيّرون في طغيانهم أشد التحيّر.

١٢ . (وإذا مسّ الإنسان...) وإذا مس الإنسان الضر لم يزل يدعونا لكشف ضره وأصرّ على الدعاء، فإذا كشفنا عنه ضره الّذي مسه نسينا وترك ذكرنا وانجذبت نفسه إلى ما كان يتمتع به من أعماله، كذلك زيّن للمسرفين المفرطين في التمتع بالزخارف الدنيوية أعمالهم فأورثهم نسيان جانب الرّبوبية والاعراض عن ذكر الله تعالى. وفي الآية بيان السبب في تمادي منكري المعاد في غيِّهم وضلالتهم.

١٣ . (ولقد أهلكنا القرون...) [تتمّة للبيان في الآية السّابقة] وقد ذكرهم الله مقامه بإرسال الرسل إلى من قبلهم بالبيِّنات وما كانوا ليؤمنوا، وإهلاك القرون من قبلهم بظلمهم.

(وكذلك نجزي القوم المجرمين) إلتفات بتوجيه الخطاب الى النبيّ صلى الله عليه وآله، والنكتة فيه أنه إخبار عن السنّة الجارية في أخذ المجرمين، والنبيّ صلى الله عليه وآله هو الأهل لفهمه والإذعان بصدقه دونهم، ولو أذعنوا بصدقه لآمنوا به.

١٤ . (ثمّ جعلناكم خلائف...) معناه ظاهر. وفيه بيان أن سنّة الامتحان والابتلاء عامّة جارية.

---

١٥ . (وإذا تتلى عليهم...) هؤلاء المذكورون في الآية كانوا قوماً وثنيين يقدّسون الأصنام ويعبدونها، (قل ما يكون لي أن أبدّله) قل: لا أملك . وليس لي بحق . أن أبدّله من عند نفسي لأنه ليس بكلامي وإنما هو وحي إلهي أمرني ربّي أن أتّبعه ولا أتّبع غيره، وإنما لا أخالف أمر ربي لأني أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم وهو يوم لقائه.

١٦ . (قل لو شاء الله...) ولو شاء الله أن يُنزّل قرآناً غير هذا ولم يشأ هذا القرآن ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ولا أعلمكم الله به، فإني مكثت فيكم عمراً من قبل نزول القرآن وعشت بينكم، فوجدتموني لا خبر عندي من وحي القرآن، ولو كان ذلك إليّ وبيدي لبادرت إليه قبل ذلك، وبدت من ذلك آثار ولاحت لوائحه، فليس إليّ من الأمر شيء، وإنما الأمر في ذلك إلى مشية الله، وقد تعلقت مشيته بهذا القرآن لا غيره أفلا تعقلون؟.

١٧ . (فمن أظلم ممّن افترى...) لا أُجيبكم إلى ما اقترحتم عليّ، ولو أجبتكم إليه لكنت أظلم الناس وأشدهم إجراماً ولا يفلح المجرمون. فإني لو بدّلت القرآن وغيّرت بعض مواضعه لكنت مفترياً على الله كذباً ولا أظلم منه، ولو تركت هذا القرآن وجئتكم بغيره مما ترضونه لكنت مكذباً لآيات الله ولا أظلم منه.

١٨ . (ويعبدون من دون الله...) أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله أن يحتج على بطلان دعواهم الشفاعة بقوله: (قل أتنبئون الله...) ان الله سبحانه لا علم له بهذه الشفعاء في شيء من السماوات والأرض فدعواكم هذه إخبار منكم إياه بما لا يعلم، وهو من أقبح الافتراء وأشنع المكابرة، وكيف يكون في الوجود شيء لا يعلم به الله وهو يعلم ما في السماوات والأرض؟.

١٩ . (وما كان النّاس...) الآية تكشف عن نوعين من الاختلاف بين الناس، أحدهما: الاختلاف من حيث المعاش. وثانيهما: الاختلاف في نفس الدين وما تضمنه الكتاب الإلهي من المعارف الحقة من الأصول والفروع.

---

٢٠ . (ويقولون لولا أُنزل...) كأنه قيل: ويطلبون منك آية أخرى غير مكتفين بالقرآن ولا راضين به، فإذا لم يكتفوا به آية فقل: إنما الآيات من الغيب المختص بالله وليست بيدي فانتظروا إني معكم من المنتظرين.

[٢١٠]

٢١ . (وإذا أذقنا النّاس...) الآية تبين لهم أن المكر بآيات الله لا يعقب إلاّ السوء من غير أن ينفعهم شيئاً، فإن الله أسرع مكراً، يأخذهم مكره قبل أن يأخذ مكرهم آياته، فإن مكرهم بآيات الله عين مكر الله بهم.

وقد عبّر عن الإصابة بالإذاقة للإيماء الى التذاذهم بالرحمة وعناية بالقلّة. (رحمة من بعد ضرّاء مسّتهم) والتعبير بالرحمة في موضع السرّاء للإشارة الى أنها من الرحمة الالهية من غير أن يستوجبوا ذلك، فكان من الواجب عليهم أن يقوموا بحقّه، ويخضعوا لما تدعو إليه الآية وهو توحيد ربّهم وشكر نعمته، لكنّهم يفاجئون بغير ذلك (إذا لهم مكر في آياتنا) كتوجيه الحوادث بما تبطل به دلالة الآيات، كقولهم: قد مسّ آباءنا السرّاء والضرّاء. فأمر الله نبيّه صلى الله عليه وآله أن يجيبهم بقوله: (قل الله أسرع مكراً) ثم علّله بقوله: (إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون) فلنا عليكم شهداء رقباء أرسلناهم إليكم يكتبون أعمالكم ويحفظونها.

٢٢ . (هو الّذي يسيركم...) الفلك: السفينة. والريح العاصف: الشديد الهبوب. وقوله: (أُحيط بهم) كناية عن الاشراف على الهلاك وتقديره: أحاط بهم البلاء أو الأمواج.

٢٣ . (فلمّا أنجاهم إذا هم...) أصل البغي هو الطلب ويكثر استعماله في مورد الظلم. (يا أيّها النّاس إنّما...) أنا أقرب إليكم وإلى أعمالكم فما تعملونه من عمل تريدون أن تبغوا علينا وتمكروا بنا، إنما يوجد بتقديرنا ويجري بأيدينا، فكيف يمكنكم أن تبغوا [بأعمالكم] علينا؟ بل هي بغي منكم على أنفسكم وهو متاع الحياة الدنيا تتمتعون به أياماً قلائل ثم الينا مرجعكم فنخبركم ونوضح لكم هناك حقائق أعمالكم.

(٢٩٧/١)

---

٢٤ . (إنّما مثل الحياة...) لما ذكر سبحانه في الآية السّابقة متاع الحياة الدنيا، مثّل له بهذا المثل يصف فيه من حقيقة أمره ما يعتبر به المعتبرون. والزخرف: الزينة والبهجة. وقوله: (لم تغن) من غني في المكان إذا أقام فيه فأطال المقام.

٢٥ . (والله يدعو إلى...) الدعاء والدعوة: طلب نظر المدعو إلى ما يدعى إليه وجلب توجهه وهو أعم من النداء. والدعاء في الله سبحانه تكويني وهو ايجاد ما يريده، وتشريعي وهو تكليف الناس بما يريده من دين بلسان آياته. والسّلام من أسمائه تعالى لأن ذاته المتعالية نفس الخير الذي لا شرّ فيه، وتسمّى الجنّة دار السّلام حيث لا شرّ فيها ولا ضرّ على ساكنها.

٢٦ . (للّذين أحسنوا الحسنى...) للّذين أحسنوا في الدنيا المثوبة الحسنى وزيادة من فضل الله . أو العاقبة الحسنى وزيادة لا تخطر ببالهم . ولا يغشى وجوههم سواد من قتر [الدخان الأسود] ولا ذلة، وأولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون.

٢٧ . (والّذين كسبوا السّيّئات...) إن الذين كسبوا السيئات لا يجزون إلاّ مثل ما عملوه من العقوبات السيئة فجزاء فعلة سيئة عقوبة سيئة. (ما لهم من الله من عاصم) ما لهم عاصم يعصمهم من الله أي من عذابه. (كأنما أغشيت وجوههم...) كأن الليل المظلم قُسّم إلى قطع فأغشيت وجوههم تلك

القطع فاسودت بالتمام.

٢٨ . (ويوم نحشرهم جميعاً...) المراد: حشر جميع من سبق ذكره من المؤمنين والمشركين وشركائهم. (ثمّ نقول للّذين أشركوا مكانكم...) إلزموا مكانكم أنتم وليلزم شركاؤكم مكانهم. وتفرع على هذا الخطاب، أن زيّلنا بينهم

[٢١١]

وقطعنا الرابطة الّتي كانت تربطهم بشركائهم وهي رابطة الوهم والحسبان. فإذا كشف الله عن وجه هذه الحقيقة بان للمشركين أن شركاءهم لم يكونوا شركاء ولا معبودين لهم في الحقيقة لغفلتهم عن عبادتهم، وإنما كانوا يأتون لهم بصورة العبادة التي كان الوهم والهوى يصور أنها عبادة.

---

٢٩ . (فكفى بالله شهيداً...) الفاء تفيد التعليل، كقولنا: اعبد الله فهو ربّك.

٣٠ . (هنالك تبلو كل نفس...) فذلك الموقف موقف تختبر وتمتحن فيه كل نفس ما أسلفت وقدمت من الأعمال فتنكشف لها حقيقة أعمالها وتشاهدها مشاهدة عيان، وبمشاهدة الحق من كل شيء عياناً، ينكشف أن المولى الحقّ هو الله سبحانه وتسقط وتنهدم جميع الأوهام، وتضل جميع الدعاوى التي يفتريها الانسان بأوهامه وأهوائه على الحق.

٣١ . (قل من يرزقكم...) [أمَرَ تعالى نبيه صلى الله عليه وآله] أن يقول لهم في سياق الاستفهام: (من يرزقكم من السّماء والأرض) بالإمطار والإنبات والتكوين (أمّن يملك السّمع والإبصار) منكم فتتم بهما فائدة رزقكم حيث ترتزقون بتشخيصهما من طيبات الرّزق. (ومن يخرج الحي من الميّت) كل أمر مفيد في بابه من غيره، (ومن يخرج الميّت من الحي) فيتولّد الإنسان السعيد من الشقي والشقي من السعيد. (ومن يدبّر الأمر) في جميع الخليقة. (فسيقولون الله) اعترافاً بأنه الّذي ينتهي إليه جميع هذه التدبيرات.

٣٢ . (فذلكم الله ربّكم...) وصف الربّ بالحق ليكون توضيحاً لمفاد الحجة. (فماذا بعد الحق إلاّ الضلال) فماذا بعد الحق الّذي معه الهدى إلاّ الباطل الذي معه الضلال. (فأنّى تصرفون) إلى متى تصرفون عن الحق الّذي معه الهدى إلى الضلال الّذي مع الباطل.

٣٣ . (كذلك حقت كلمة...) إن الكلمة الإلهية والقضاء الحتمي الّذي قضى به في الفاسقين، هكذا حقت وثبتت في الخارج وأخذت مصداقها.

٣٤ . (قل هل من شركائكم...) تلقين للاحتجاج من جهة المبدأ والمعاد، فإن الذي يبدأ كل شيء ثمّ يعيده يستحق أن يعبده الانسان إتقاء من يوم لقائه ليأمن من أليم عذابه وينال عظيم ثوابه يوم المعاد.

٣٥ . (قل هل من شركائكم...) لقن سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله هذه الحجة وهي حجة عقلية يعتمد عليها الخاصة من المؤمنين. والمراد بالهداية إلى الحق: ما هو بمعنى الإيصال إلى المطلوب. (أمن لا يهدي إلاّ أن يُهدى) معناه: من لا يكون هداه من نفسه إلاّ أن تأتيه الهداية من ناحية الغير.

٣٦ . (وما يتبع أكثرهم إلاّ ظناً...) نسب اتباع الظن إلى أكثرهم لأن الأقل منهم وهم أئمة الضلال على يقين من الحق، ولم يؤثروا عليه الباطل ويدعوا إليه إلاّ بغياً، وأما الأكثرون فانما اتبعوا آباءهم تقليداً لهم لحسن ظنهم بهم. (إن الله عليم...) إن الله عليم بما يأتونه من الأعمال يعلم أنها اتباع الظن.

٣٧ . (وما كان هذا القرآن...) ليس من شأن هذا القرآن ولا في صلاحيته أن يكون افتراء من دون الله يفتريه على الله سبحانه. (ولكن تصديق الّذي بين يديه) تصديقاً لما هو حاضر منزل من الكتاب وهو التوراة والانجيل. (وتفصيل الكتاب) المراد بالكتاب: جنس الكتاب السماوي. والتفصيل: ايجاد الفصل بين أجزائه المندمجة بعضها في بعض.

٣٨ . (أم يقولون افتراه...) قل للذين يقولون افتراه: إن كنتم صادقين في دعواكم فأتوا بسورة مثل هذا القرآن المفترى وادعوا كل من استطعتم من دون الله مستمدين مستظهرين، فانه لو كان كلاماً مفترى، كان كلاماً بشرياً وجاز أن يؤتى بمثله. وفي ذلك تحد ظاهر بسورة واحدة من سور القرآن طويلة كانت أو قصيرة.

٣٩ . (بل كذّبوا بما لم يحيطوا...) ان هؤلاء المشركين الرامين للقرآن بالافتراء، مثل المشركين والكفار من الأمم السابقة استقبلتهم من الدعوة الدينية بمعارفها واحكامها أمور لم يحيطوا بها علماً حتى يوقفوا ويصدّقوا، فحملهم الجهل على التكذيب بها ولما يأتهم اليوم الّذي يظهر لهم فيه تأويلها وحقيقة أمرها. فهؤلاء كذّبوا وظلموا كما كذّب وظلم الذين من قبلهم، فانظر كيف كان عاقبة أولئك الظالمين حتى تحدس بما سيصيب هؤلاء.

[٢١٢]

٤٠ . (ومنهم من يؤمن...) قسّمهم قسمين: من يؤمن بالقرآن ومن لا يؤمن به. والذين يكذّبون بما في القرآن انما كذّبوا به لأنهم مفسدون.

٤١ . (وإن كذبوك فقل...) تلقين للتبري على تقدير تكذيبهم له.

٤٢ . (ومنهم من يستمعون...) ومنهم الذين يستمعون إليك وهم صمّ لا سمع لقلوبهم، ولست أنت قادراً على إسماعهم ولا سمع لهم.

٤٣ . (ومنهم من ينظر إليك...) الكلام فيها نظير الكلام في سابقتها.

٤٤ . (إن الله لا يظلم...) مسوق للاشارة إلى أن ما ابتلي به هؤلاء المحرومون من السمع والبصر من جهة الصمم والعمى، من آثار ظلمهم أنفسهم من غير أن يكون الله تعالى ظلمهم بسلب السمع والبصر عنهم، فانهم إنما أوتوا ما أوتوا من قبل أنفسهم.

٤٥ . (ويوم يحشرهم...) قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله في يوم يحشرهم إليه حال كونهم يستقلون هذه الحياة الدنيا فيعدّونها كمكث ساعة من النهار وهم يتعارفون بينهم من غير أن ينكر بعضهم بعضاً أو ينساه.

٤٦ . (وإما نُرينّك بعض...) طب نفساً فإنّا موقعون بهم ما نعدهم، سواء أريناك بعض ذاك أو توفيناك قبل أن نريك ذاك، فإن أمرهم إلينا ونحن شاهدون لأفعالهم المستوجبة للعذاب لا تغيب عنّا ولا ننساها.

٤٧ . (ولكل أمة رسول...) قضاء إلهي منحلّ إلى قضاءين أحدهما: أن لكل أمة من الأمم رسولاً يحمل رسالة الله إليهم. وثانيهما: إذا جاءهم وبلّغهم رسالته فاختلفوا من مصدّق له ومكذّب، فان الله يقضي ويحكم بينهم بالقسط والعدل من غير أن يظلمهم.

٤٨ . (ويقولون متى هذا...) سؤال [من بعض المشركين من معاصري النبيّ صلى الله عليه وآله] عن وقت هذا القضاء الموعود، وهو القضاء بينهم في الدنيا.

---

٤٩ . (قل لا أملك...) لقّن سبحانه النبيّ صلى الله عليه وآله أن يبدأهم في الجواب ببيان أنه لا يملك لنفسه ضراً حتى يدفعه عنها، ولا نفعاً حتى يجلبه إليها ويستعجل ذلك، إلاّ ما شاء الله أن يملكه من ضر ونفع، فالأمر إلى الله سبحانه، واقتراحهم عليه بأن يعجّل لهم القضاء والعذاب هو من الجهل.

٥٠ . (قل أرأيتم إن أتاكم...) وأخبروني (إن أتاكم عذابه بياتاً) ليلاً (أو نهاراً) فانه عذاب لا يأتيكم إلاّ بغتة إذ لستم تعلمون وقت نزوله (ماذا تستعجلون منه...) من العذاب وانتم مجرمون لا يتخطاكم إذا أتاكم.

٥١ . (أثمَّ إذا وقع...) العذاب (آمنتم به) بالقرآن أو بالدين أو بالله (الآن) أتؤمنون به في هذا الوقت (وقد كنتم به تستعجلون) وكان معنى استعجالهم عدم الاعتناء بشأن هذا العذاب وتحقيره بالاستهزاء

به.

٥٢ . (ثمّ قيل للّذين...) الآية تبين أنه يقال لهم بعد الوقوع والهلاك: ذوقوا عذاب الخلد وهو عذاب الآخرة ولا تجزون إلاّ أعمالكم التي كنتم تكسبونها وذنوبكم التي تحملونها.

٥٣ . (ويستنبئونك أحق هو...) يستنبئونك: يستخبرونك. (أحق هو) الضمير راجع إلى القضاء أو العذاب، والمآل واحد.

٥٤ . (ولو أن لكل نفس...) إشارة إلى شدة العذاب وأهمية التخلص منه عندهم، وإسرار الندامة: إخفاؤها وكتمانها خشية الشماتة ونحوها. والظاهر أن المراد بالقضاء والعذاب في الآية: القضاء والعذاب الدنيويان لا غير.

٥٥ . (ألا أنّ لله ما في...) إمعان النظر في ملكه تعالى المطلق الحقيقي، يهدي إلى العلم بأن وعده حق لا يمازجه باطل، ولكن أكثرهم وهم العامة من الناس لا يعلمون لعجزهم عن الامعان في هذه الأبحاث الحقيقية أو إعجابهم بسذاجة الفهم.

[٢١٣]

٥٦ . (هو يحيي ويميت...) احتجاج على ما تقدم في الآية السابقة، كأنه تعالى يقول: إن أمركم جميعاً من حياة وموت ورجوع إليه تعالى، فكيف لا تكونون ملكاً له.

---

٥٧ . (يا أيّها النّاس...) الآية بيان جامع لعامة أثر القرآن الطيب الجميل وعمله الزاكي الطاهر الّذي يرسمه في نفوس المؤمنين منذ أول ما يقرع أسماعهم إلى آخر ما يتمكن من نفوسهم ويستقر في قلوبهم.

٥٨ . (قل بفضل الله...) إن ما تفضل الله به عليهم من الموعظة وشفاء ما في الصدور والهدى وما رحم المؤمنين به من الحياة الطيبة ذلك أحق أن يفرحوا به دون ما يجمعونه من المال.

٥٩ . (قل أرأيتم ما أنزل...) قل لهم يا محمّد: أخبروني عما أنزل الله لكم ولأجلكم من الرزق الحلال فقسمتموه قسمين وجعلتم بعضه حراماً وبعضه حلالاً ما هو السبب في ذلك؟ ومن البيّن أنه افتراء على الله، لا عن إذن منه تعالى.

٦٠ . (وما ظنُّ الّذين...) إن الله ذو فضل وعطاء على الناس، ولكن أكثرهم كافرون لنعمته وفضله، فما ظنُّ الذين يكفرون بنعمة الله ورزقه بتحريمه إفتراء على الله الكذب يوم القيامة.

٦١ . (وما تكون في شأن...) في الآية أولاً: تشديد في العظة على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى أمته. وثانياً: ان الّذي يتلوه النبيّ صلى الله عليه وآله من القرآن للناس من وحي الله وكلامه لا يطرقه تغيير ولا يدب فيه باطل. (وما يعزب عن ربّك) العزوب: الغيبة والتباعد والخفاء.

٦٢ . (ألا أنّ أولياء الله...) الآية تدل على أن هذا الوصف إنما هو لطائفة خاصة من المؤمنين يمتازون عن غيرهم بمرتبة خاصة من الايمان تخصهم دون غيرهم من عامّة المؤمنين.

(٣٠٣/١)

وفي تفسير العيّاشي، عن مرثد العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وجدنا في كتاب علي بن الحسين عليه السلام: (ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قال: إذا أدّوا فرائض الله، وأخذوا بسنن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتورّعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيِّب من رزق الله، ولا يريدون هذا التفاخر والتكاثر، ثم أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأُولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا ويثابون على ما قدّموا لآخرتهم.

٦٤ . (لهم البشرى في الحياة...) يبشرهم الله تعالى بشارة إجمالية بما تقر به أعينهم. (لا تبديل لكلمات الله) إشارة إلى أن ذلك من القضاء المحتوم الّذي لا سبيل للتبدل إليه، وفيه تطييب لنفوسهم.

٦٥ . (ولا يحزنك قولهم...) تأديب للنبيّ صلى الله عليه وآله بتعزيته وتسليته فيما كانوا يؤذونه به بالوقوع في ربه والطعن في دينه والاعتزاز بشركائهم وآلهتهم. وهو أن العزة لله وأنه سميع لمقالهم عليم بحاله وحالهم، وإذ كان سميعاً عليماً فلو شاء لأخذهم بالنكال، وإذ كان لا يأخذهم فانما في ذلك مصلحة الدعوة وخير العاقبة.

٦٦ . (ألا إنّ لله...) بيان مالكيته تعالى لكل من في السّماوات والأرض التي بها يتم للإله معنى الرّبوبية، فان الرب هو المالك المدبر لأمر مملوكه، وهذا الملك لله وحده لا شريك له، فما يدعون له من الشركاء ليس لهم من معنى الشركة إلاّ ما في ظن الداعين وفي خرصهم من المفهوم الذي لا مصداق له.

٦٧ . (هو الّذي جعل...) الآية تتمم البيان الّذي أورد في الآية السابقة لاثبات ربوبيته تعالى.

٦٨ . (قالوا اتخذ الله...) [تراجع الآية ١١٧ من سورة البقرة]. (إن عندكم من سلطان) لا دليل لكم على ما

[٢١٤]

قلتموه، بل الدليل على خلافه وهو انه تعالى غنى على الاطلاق، والولد إنما يطلبه من به فاقة وحاجة.

٦٩ . (قل إنّ الّذين...) تخويف وإنذار بشؤم العاقبة.

(٣٠٤/١)

---

٧٠ . (متاع في الدّنيا...) خطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله فيه بيان وجه عدم فلاحهم بأنه كفر بالله ليس بحذائه إلاّ متاع في الدنيا، ثمّ الرجوع إلى الله والعذاب الشديد الذي يذوقونه.

٧١ . (واتل عليهم نبأ...) واتل يا محمّد (عليهم نبأ نوح) وخبره العظيم حيث واجه قومه وهو واحد يتكلم عن نفسه وهو مرسل إلى أهل الدنيا فتحدى عليهم بأن يفعلوا به ما بدا لهم إن قدروا على ذلك، وأتم الحجة على مكذبيه في ذلك (إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي) ونهضتي لأمر الدعوة إلى التوحيد أو منزلتي من الرسالة (وتذكيري بآيات الله) وهو داعيكم لا محالة إلى قتلي وإيقاع ما تقدرون عليه من الشر بي (فعلى الله توكلت) قبال ما يهددني (فاجمعوا أمركم وشركاءكم) الذين تزعمون أنهم ينصرونكم واعزموا عليّ بما بدا لكم (ثمّ لا يكن أمركم عليكم غمة) إن لم تكونوا اجتهدتم في التوسل إلى كل سبب في دفعي (ثمّ اقضوا اليّ) بدفعي وقتلي (ولا تنظرون) ولا تمهلوني.

٧٢ . (فإن تولّيتم...) فإن أعرضتم عن استجابة دعوتي فلا ضير لي في ذلك فإني لا أتضرر في اعراضكم شيئاً، لأني كنت أتضرر لو كنت سألتكم أجراً على ذلك، وما سألتكم عليه من أجر إن أجري إلاّ على الله.

٧٣ . (فكذّبوه فنجيناه...) الخلائف: جمع خليفة. والمعنى: جعلنا هؤلاء الناجين خلائف في الأرض والباقين من بعدهم يخلفون سلفهم ويقومون مقامهم.

٧٤ . (ثم بعثنا من بعده...) يريد بالرسل: من جاء منهم بعد نوح إلى زمن موسى عليهم السّلام. والمراد بالبينات: الآيات المعجزة التي اقترحتها الامم على انبيائهم ودعوتهم وتكذيبهم لهم. فانهم جاءوهم بالآيات البينات لكن الله قد كان طبع على قلوبهم لاعتدائهم، فلم يكن في وسعهم أن يؤمنوا ثانياً بما كذبوا به أولاً.

---

٧٥ . (ثمّ بعثنا من بعدهم...) ثمّ بعثنا من بعد نوح والرّسل الذين من بعده موسى وأخاه هارون بآياتنا إلى فرعون والجماعة الذين يختصون به من قومه فاستكبروا عن آياتنا وكانوا مستمرين على الاجرام.

٧٦ . (فلمّا جاءهم الحق...) المراد بالحق: الآية الحقة كالثعبان واليد البيضاء.

٧٧ . (قال موسى أتقولون...) لما سمع مقالتهم قال لهم منكراً لقولهم في صورة الاستفهام: (أتقولون للحق لما جاءكم) إنه لسحر؟.

٧٨ . (قالوا أجئتنا لتلفتنا...) اللفت: الصرف عن الشيء. والمعنى: إنما جئتما لتبدّلا الدولة الفرعونية المتعرقة في القبط إلى دولة اسرائيلية تدار بامامتكما وقيادتكما، وما نحن لكما بمؤمنين حتى تنالا بذلك أُمنيتكما وتبلغا غايتكما من هذه الدعوة المزوّرة.

٧٩ . (وقال فرعون ائتوني...) كان يأمر به ملأه فيعارض بسحر السحرة معجزة موسى.
٨٠ . (فلمّا جاء السّحرة...) لما جاءوا وواجهوا موسى وتهيأوا لمعارضته قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقوه من الحبال والعصي.
٨١ . (فلمّا ألقوا قال...) الحقيقة الّتي بيّنها لهم أن الذي جاءوا به سحر والسحر شأنه إظهار ما ليس بحق في صورة الحق، وإذ كان باطلاً في نفسه فإن الله سيبطله لأن السنة الالهية جارية على إقرار الحق وإزهاق الباطل.
[٢١٥]
٨٢ . (ويحق الله الحق...) ان موسى عليه السلام إنما ذكر هذه الحقيقة لهم ليوقفهم على سنّة إلهية حقة غفلوا عنها، وليهيّئ نفوسهم لما سيظهره عملاً من غلبة الآية المعجزة على السّحر.
٨٣ . (فما آمن لموسى...) إنه لم يؤمن بموسى إلاّ ضعفاء من بني إسرائيل وهم يخافون ملأهم ويخافون فرعون أن يعذّبهم لإيمانهم، ومن شأنهم أن يخافوا فإن فرعون كان يومئذ عالياً في الأرض مسلّطاً عليهم وأنه كان من المسرفين لا يعدل فيما يحكم ويجاوز الحدّ في الظلم والتعذيب.
٨٤ . (وقال موسى يا قوم...) إن كنتم آمنتم بالله ومسلّمين له فتوكلوا عليه.

(٣٠٦/١)

٨٥، ٨٦ . (فقالوا على الله...) إنما توكلوا على الله لينجيهم من فرعون وملأه، فدعاؤهم بما دعوا به، سؤال منهم نتيجة توكّلهم، وهو أن ينزع الله منهم لباس الذلّة والضعف، وينجيهم من القوم الكافرين.
٨٧ . (وأوحينا إلى موسى...) وأوحينا إلى موسى وأخيه أن اتخذا لقومكما مساكن من البيوت في مصر، واجعلا أنتما وقومكما بيوتكم متقابلة وفي جهة واحدة يتصل بذلك بعضكم ببعض ويتمشى أمر التبليغ والمشاورة والاجتماع في الصّلوات واقيموا الصّلاة، وبشّر يا موسى أنت المؤمنين بأن الله سينجيهم من فرعون وقومه.
٨٨ . (وقال موسى ربّنا...) وقال موسى: ربّنا إنك جازيت فرعون وملأه على كفرهم وعتوهم جزاء السوء فآتيتهم زينة وأموالاً في الحياة الدنيا، ربّنا إرادة منك لأن يضلّوا من اتبعهم عن سبيلك، وإرادتك لا تبطل وغرضك لا يلغو، ربّنا أدم على سخطك عليهم واطمس على اموالهم وغيّرها عن مجرى النعمة إلى مجرى النقمة، واجعل قلوبهم مشدودة مربوطة فلا يؤمنوا حتى يقفوا موقفاً لا ينفعهم الإيمان وهو زمان يرون فيه العذاب الإلهي.
٨٩ . (قال قد أُجيبت...) قال الله مخاطباً لموسى وهارون: (قد أُجيبت دعوتكما فاستقيما) واثبتا على ما أُمرتما به من الدعوة إلى الله (ولا تتّبعان سبيل الّذين لا يعلمون) بإجابة ما يقترحون عليكما عن أهواء أنفسهم ودواعي شهواتهم.

٩٠ . (وجاوزنا ببني اسرائيل...) البغي والعدو كالعدوان: الظلم. (قال آمنت أنه لا إله...) وقد وصف [فرعون] الله بالذي آمنت به بنو إسرائيل ليظفر بما ظفروا به بايمانهم وهو مجاوزة البحر والأمان من الغرق.

٩١ . (الآن وقد عصيت...) أتؤمن بالله الآن وهو حين أدركك العذاب، وقد عصيت قبل هذا وكنت من المفسدين وأفنيت أيامك في معصيته، فماذا ينفعك الايمان بعد فوت وقته.

٩٢ . (فاليوم ننجيك ببدنك...) نخرج بدنك من اليم وننجيه.

(٣٠٧/١)

---

٩٣ . (ولقد بوّأنا بني...) إنّا أتممنا على بني إسرائيل النعمة وبوأناهم مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات بعد حرمانهم من ذلك مدّة طويلة كانوا فيها في أسارة القبط، فوحدنا شعبهم وجمعنا شملهم، فكفروا النعمة وفرّقوا الكلمة واختلفوا في الحق، ولم يكن اختلافهم عن عذر الجهل وإنما اختلفوا عن علم إن ربك يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.

٩٤ . (فإن كنت في شك...) فان كنت أيها النبيّ في ريب وشك (ممّا أنزلنا إليك) من المعارف الراجعة إلى المبدأ والمعاد وما قصصنا عليك إجمالاً من قصص الأنبياء الحاكية لسنة الله الجارية في خلقه (فاسأل) أهل الكتاب الذين لا يزالون (يقرأون الكتاب) منزلاً من السماء (من قبلك)، أقسم (لقد جاءك الحق من ربّك فلا تكونن من الممترين) المترددين.

[٢١٦]

وهذا لا يستلزم وجود ريب في قلب النبيّ صلى الله عليه وآله، وهذه طريقة شائعة في عرف التخاطب يأخذ بها العقلاء فيما بينهم.

٩٥ . (ولا تكوننّ من الّذين...) نهي عن الارتياب والامتراء أولاً، ثم ترقى إلى النهي عن التكذيب بآيات الله.

٩٦ . (إنّ الذين حقّت...) [هؤلاء] هم المكذّبون، حقت عليهم كلمة العذاب فهم لا يؤمنون.

٩٧ . (ولو جاءتهم كل...) وإذ حق عليهم أنهم لا يؤمنون فلا سبيل لهم إلى الايمان ولو جاءتهم كل آية (حتّى يروا العذاب الأليم) ولا فائدة في الإيمان الاضطراري.

٩٨ . (فلولا كانت قرية...) هلّا كانت قرية . من هذه القرى التي جاءتهم رسلنا فكذبوهم . آمنت قبل نزول العذاب إيماناً اختيارياً فنفعها إيمانها. لا ولم يؤمن إلاّ قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم بالحياة إلى حين آجالهم العادية الطبيعية.

٩٩ . (ولو شاء ربّك...) لكنه لم يشأ ذلك فلم يؤمن جميعهم ولا يؤمن، فالمشيئة في ذلك لله سبحانه

ولم يشأ ذلك فلا ينبغي لك أن تطمع فيه، ولا أن تجتهد لذلك لأنك لا تقدر على إكراههم وإجبارهم على الإيمان.

(٣٠٨/١)

---

١٠٠ . (وما كان لنفس...) حكمٌ عام حقيقي ينيط تملك النفوس للايمان إلى إذن الله. (ويجعل الرّجس...) يسلب عن الذين لا يعقلون استعداد حصول الإذن.

١٠١ . (قل انظروا ماذا...) [انظروا ماذا في السّماوات والأرض] من المخلوقات المختلفة التي كل واحد منها آية من آيات الله تعالى تدعو إلى الايمان. (وما تغني الآيات...) لكن أيّ تأثير للنذر فيهم أو للآيات فيهم وهم لا يؤمنون أي عازمون مجمعون على أن لا يؤمنوا بالطبع الذي على قلوبهم.

١٠٢ . (فهل ينتظرون إلاّ...) إذا لم تغن الآيات والنذر عنهم شيئاً وهم لا يؤمنون، فهم لا ينتظرون إلاّ مثل أيام الذين خلوا من قبلهم، وإنما يحبسون نفوسهم لآية العذاب الالهي التي تفصل بينك وبينهم فتقضي عليهم لأنهم حقت عليهم كلمة العذاب. (قل فانتظروا) مثل أيام الذين خلوا يعني يوم العذاب الذي يفصل بيني وبينكم فتؤمنون ولا ينفع إيمانكم.

١٠٣ . (ثمّ ننجي رسلنا...) كما كنا ننجي الرسل والذين آمنوا في الأمم السابقة عند نزول العذاب، كذلك ننجي المؤمنين بك من هذه الأمة، حقّ علينا ذلك حقاً.

١٠٤ . (قل يا أيّها النّاس...) إن كنتم تشكون فيما أدين به وأدعو إليه هل أستقيم عليه أو شككتم في ديني ما هو فاعلموا واستيقنوا أني لا أعبد آلهتكم ولكن أعبد الله الّذي وعد عذاب المكذبين منكم وإنجاء المؤمنين، وأمرني أن أكون منهم كما أمرني أن أجتنب عبادة الآلهة.

١٠٥ . (وأن أقم وجهك...) في معنى: وكن من المؤمنين.

١٠٦ . (ولا تدعُ من دون الله...) نهي بعد نهي عن الشرك، وبيان أن الشرك يدخل الانسان في زمرة الظالمين فيحق عليه ما أوعد الله به الظالمين في كلامه.

١٠٧ . (وإن يمسسك الله...) ولا تدع من دون الله ما لا نفع لك عنده ولا ضرر، والحال أن ما مسّك الله به من ضرّ لا يكشفه غيره، وما أرادك به من خير لا يرده غيره، فهو القاهر دون غيره يصيب بالخير عباده بمشيئته وإرادته، وهو مع ذلك غفور رحيم يغفر ذنوب عباده ويرحمهم.

(٣٠٩/١)

---

١٠٨ . (قل يا أيّها النّاس...) [الحقّ من ربّكم]: القرآن أو ما يشتمل عليه من الدعوة الحقة. (فمن اهتدى...)

[٢١٧]

إعلام لهم بكونهم مختارين فيما ينتخبونه لأنفسهم من غير أن يسلبوا الخيرة، فلهم أن يختاروا لأنفسهم ما يحبونه من نفع أو ضرر.

١٠٩ . (واتّبع ما يوحى...) أمر باتباع ما يوحى إليه، والصبر على ما يصيبه في جنب هذا الاتباع من المصائب والمحن، ووعد بأن الله سبحانه سيحكم بينه وبين القوم، ولا يحكم إلاّ بما فيه قرة عينه.

«سورة هود»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (الر كتاب أُحكمت...) كون آيات الكتاب محكمة أولاً ثم مفصلة ثانياً معناه: أن الآيات الكريمة القرآنية على اختلاف مضامينها وتشتت مقاصدها وأغراضها ترجع إلى معنى واحد بسيط، وغرض فارد أصلي.

٢ . (ألا تعبدوا إلاّ الله...) دعوة إلى توحيد العبادة بالنهي عن عبادة غير الله.

٣ . (وأن استغفروا ربّكم...) أمر بطلب المغفرة من الله وقد اتخذوه رباً لهم برفض عبادة غيره، ثم أمر بالتوبة والرجوع إليه بالاعمال الصالحة. (يمتعكم متاعاً حسناً) يمتعكم تمتيعاً حسناً بالحياة الحسنة الدنيوية. (ويؤت كل ذي فضل فضله) ويعطي كل من زاد على غيره بشيء من صفاته وأعماله وما يقتضيه من الاختصاص، بمزيد الأجر وخصوص موهبة السعادة. (وإن تولّوا فإنّي...) فإن تتولّوا فإنّي أخاف عليكم عذاب يوم كبير يستقبلكم فتواجهونه وهو يوم البعث.

٤ . (إلى الله مرجعكم...) مرجعكم إلى الله والله على كل شيء قدير فلا يعجز عن إحيائكم بعد الإماتة فإياكم أن تستبعدوا ذلك.

٥ . (ألا إنّهم يثنون...) أنهم يميلون بصدورهم إلى خلف ويطأطئون رؤوسهم ليتخفوا من (استماع الكتاب) حين تلاوته. (ألا حين يستغشون ثيابهم) كأنهم كانوا يسترون رؤوسهم أيضاً بثيابهم، فذكر الله سبحانه ذلك وأخبر أنه تعالى يعلم عند ذلك ما يسرّون وما يعلنون فما يغنيهم التخفي عن استماع القرآن والله يعلم سرهم وعلانيتهم.

---

٦ . (وما من دابّة...) إن كل دابة من دواب الأرض على الله رزقها، فهو تعالى عليم بها خبير بحالها أينما كانت.

٧ . (وهو الّذي خلق...) المراد بخلقها: جمع أجزائها وفصلها وفتقها من سائر ما يختلط بها من

المادة المتشابهة المركومة. (وكان عرشه على الماء) كناية عن أن ملكه تعالى كان مستقرّاً يومئذ على هذا الماء الذي هو مادّة الحياة، فعرش الله: مظهر ملكه، واستقراره على محل: هو استقرار ملكه عليه. (ليبلوكم أيّكم أحسن...) انه تعالى خلق السماوات والأرض على ما خلق لغاية امتحانكم وتمييز المحسنين منكم من المسيئين. (ولئن قلت انّكم...) أشار تعالى إلى ما كان يواجه به الكفار ذكره صلى الله عليه وآله للمعاد برميه بأنه سحر من القول.

٨ . (ولئن أخّرنا عنهم...) وأُقسم لئن أخرنا عن هؤلاء الكفار ما يستحقونه من العذاب، قالوا مستهزئين: ما الذي يحبس هذا العذاب الموعود عنا ولماذا لا ينزل علينا. (ألا يوم يأتيهم ليس...) انه سيأتيهم ولا يصرفه يومئذ عنهم صارف ويحيق بهم هذا العذاب الذي كانوا به يستهزئون.

٩ . (ولئن أذقنا الانسان...) إنّا إن آتينا الانسان شيئاً من النعم التي يتنعم بها ثم نزعناها يئس منها واشتد يأسه حتى كأنه لا يرى عودها إليه ثانياً ممكناً، وكفر بنعمتنا كأنه يرى تلك النعمة من حقه الثابت علينا، فالانسان مطبوع على اليأس عما أخذ منه والكفران.

[٢١٨]

١٠ . (ولئن أذقناه نعماء...) المراد بالسيئات: المصائب والبلايا التي يسوء الانسان نزولها عليه. والمعنى: ولئن أصبناه بالنعمة بعد الضراء ليقولن ذهبت الشدائد عني. وهو كناية عن الاعتقاد بأن هاتيك الشدائد لا تعود بعد زوالها ثانياً.

١١ . (إلاّ الّذين صبروا...) استثنى سبحانه طائفة من الانسان ووصفهم بقوله: (الّذين صبروا وعملوا الصّالحات) ثمّ وعدهم وعداً حسناً بقوله: (أولئك لهم مغفرة وأجر كبير).

---

١٢ . (فلعلك تارك بعض...) كأنه قيل: من المستبعد أن تهديهم إلى الحق الواضح ويسمعوا منك كلامي ثم لا يستجيبوا دعوتك، فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وغير داعيهم إليه ولذلك جبهوك بالانكار، فإنما أنت نذير وليس لك إلاّ ما شاء الله.

١٣ . (أم يقولون افتراه...) التقدير: قل لهم: إن كان هذا القرآن ممّا افتريته على الله كان من عندي وكان من الجائز أن يأتي بمثله غيري، فإن كنتم صادقين في دعواكم فأتوا بعشر سور مثله واستعينوا في ذلك بدعوة كل من تستطيعون من دون الله، فلو كان من عندي لا من عند الله جاز أن تأتوا حينئذ بمثله.

١٤ . (فإن لم يستجيبوا لكم...) فان لم يستجب لكم معاشر المشركين هؤلاء الذين دعوتموهم، فاعلموا إنما أُنزل هذا القرآن بعلم الله ولم يختلق عن علمي أنا ولا غيري ممن تزعمون، واعلموا أيضاً أن ما أدعوكم إليه من التوحيد حق فإنه لو كان هناك إله من دون الله لنصركم على ما دعوتموه إليه، فهل

انتم أيها المشركون مسلمون لله تعالى منقادون لأمره؟.

١٥ . (من كان يريد الحياة...) التوفية: إيصال الحق إلى صاحبه وإعطاؤه له بكماله. والبخس: نقص الأجر.

١٦ . (أولئك الّذين ليس...) أخبر أنهم إذا وردوا الحياة الآخرة وقعوا في دار حقيقتها أنها نار تأكل جميع أعمالهم في الحياة.

١٧ . (أفمن كان على بينة...) إن من كان على بينة من ربه في أمر وقد شهد عليه شاهد منه وقبله إمام ورحمة ككتاب موسى، ليس كغيره من الناس الغافلين المغفلين، فهو يؤمن بما عنده من أمر الله ولا يوحشه إعراض أكثر الناس عما عنده، وانت كذلك فإنك على بينة من ربّك ويتلوك شاهد ومن قبلك كتاب موسى إماماً ورحمة، وإذا كان كذلك فلا تك في مرية [شك] من أمر ما أُنزل اليك من القرآن إنه محض الحق من جانب الله، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.

(٣١٢/١)

---

١٨ . (ومن أظلم ممّن...) المراد بافتراء الكذب على الله: توصيفه تعالى بما ليس فيه أو نسبة شيء إليه بغير الحق أو بغير علم. (أولئك يعرضون على ربّهم) يأتي بهم الملائكة الموكّلون بهم فيوقفونهم موقفاً ليس بينهم وبين ربهم حاجب حائل لفصل القضاء. (ويقول الأشهاد هؤلاء...) سجل عليهم بأنهم المفترون من جهة شهادة الأشهاد عليهم بذلك في موقف لا يذكر فيه إلاّ الحق.

١٩ . (الّذين يصدّون عن...) تتمة قول الأشهاد، وقد فسر سبحانه الظالمين بقوله حكاية عنهم: (الّذين يصدّون...).

٢٠ . (أولئك لم يكونوا...) المراد من كونهم غير معجزين في الأرض: انهم لم يكونوا معجزين لله سبحانه في

[٢١٩]

حياتهم الأرضية. (يضاعف لهم العذاب) ذلك لأنهم فسقوا ثمّ لجوا عليه أو لأنهم عصوا الله بأنفسهم وحملوا غيرهم على معصية الله. (ما كانوا يستطيعون السّمع...) ما كانوا يستطيعون أن يسمعوا ما يأتيهم من الانذار والتبشير، وما كانوا يبصرون آياته.

٢١ . (أُولئك الّذين خسروا...) خسران النفس كناية عن الهلاك. وضلال ما كانوا يفترون: فإنه كان كذباً وافتراء ليس له وجود في الخارج.

٢٢ . (لا جرم أنّهم في...) حقاً إنهم في الآخرة هم الأخسرون.

٢٣ . (إنّ الّذين آمنوا...) إخباتهم إلى الله: اطمئنانهم إليه. والمراد بهم طائفة خاصة من المؤمنين وهم المطمئنون منهم إلى الله ممن هم على بصيرة من ربّهم.

٢٤ . (مثل الفريقين كالأعمى...) المراد بالفريقين: مَن بيّن حالهما في الآيات السّابقة.
٢٥ . (ولقد أرسلنا نوحاً...) بيان إجمالي لما أُرسل به، فإن جميع ما بلغه قومه عن ربه وأُرسل به إليهم إنذار مبين فهو نذير مبين.
٢٦ . (أن لا تعبدوا إلاّ...) إن محصل رسالته النهي عن عبادة غير الله تعالى من طريق الانذار والتخويف.

(٣١٣/١)

---

٢٧ . (فقال الملأ الّذين...) إنك مثلنا في البشرية ولو كنت رسولاً إلينا من عند الله لم تكن كذلك وإذ كنت بشراً مثلنا لم يكن هناك موجب لاتباعك. (وما نراك اتبعك...) إنا نشاهد أن متبعيك هم الأراذل والأخساء من القوم. (ولا نرى لكم علينا...) إنا لا نرى معكم أمراً يوجب اتباعنا لكم [من زينة الحياة أو قوة من الملكوت]، بل هناك أمر يوجب عدم الاتباع وهو أنّا نظنكم كاذبين.
٢٨ . (قال يا قوم أرأيتم...) عندي جميع ما يحتاج إليه رسول الله في رسالته [الآية المعجزة والكتاب والعلم] وقد أوقفتكم عليه لكنكم لا تؤمنون به طغياناً واستكباراً، وليس عليّ أن أجبركم عليها، إذ لا إجبار في دين الله سبحانه.
٢٩ . (ويا قوم لا أسألكم عليه...) يريد به الجواب عما اتهموه به من الكذب ولازمه ان تكون دعوته طريقاً إلى جلب أموالهم، فانه إذا لم يسألهم شيئاً من أموالهم لم يكن لهم أن يتهموه بذلك.
٣٠ . (ويا قوم من ينصرني...) من ينجيني من عذاب الله إن طردتهم أفلا تتذكرون أنه ظلم.
٣١ . (ولا أقول لكم عندي...) إنكم تزعمون أن على الرّسول أن يملك خزائن الرحمة الإلهية وأن يملك علم الغيب وأن يرتفع عن درجة البشرية، وقد أخطأتم فليس للرّسول إلاّ الرسالة، وإني لست أدعي شيئاً من ذلك، فلا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك، وإنما أقول إني على بينة من ربّي تصدق رسالتي وآتاني رحمة من عنده. (ولا أقول للّذين تزدري...) وأما هؤلاء الضعفاء الذين لهم هوان عندكم فمن الجائز أن يعلم الله من نفوسهم خيراً فيؤتيهم خيراً وفضلاً فهو أعلم بأنفسهم، فلست أقول: لن يؤتيهم الله خيراً، فإنه ظلم يدخلني في زمرة الظالمين.
٣٢ . (قالوا يا نوح قد...) يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا حتى سئمنا، وما نحن لك بمؤمنين فأتنا بما تعدنا من العذاب.
٣٣ . (قال إنّما يأتيكم...) إن الإتيان بالعذاب ليس إليّ، بل هو إلى الله فهو الذي يملك أمركم فيأتيكم بالعذاب.

(٣١٤/١)

[٢٢٠]

٣٤ . (ولا ينفعكم نصحي...) الله سبحانه هو ربكم وإليه ترجعون، فليس لي أن آتيكم بعذاب موعود، وليس لكم أن تعجزوه إن شاء أن يأتيكم بالعذاب لاستئصالكم، وليس لنصحي أن ينفعكم إن أراد هو أن يغويكم ليعذبكم.

٣٥ . (أم يقولون افتراه...) [إن احتجاجات نوح عليه السلام على وثنية قومة تشبه احتجاجات النبيّ صلى الله عليه وآله على وثنية قومه] ولهذه المشابهة ناسب أن يعطف بعد ذكر حجج نوح عليه السلام في إنذاره قومه على ما اتهموا النبيّ صلى الله عليه وآله ورموه بالافتراء على الله.

٣٦ . (وأوحي إلى نوح...) تسلية من الله لنوح عليه السلام وتطييب لنفسه الشريفة من جهة ما في الكلام من الاشارة إلى حلول حين فصل القضاء بينه وبين قومه، وصيانة لنفسه من الوجد والغم لما كان يشاهد من فعلهم به وبالمؤمنين.

٣٧ . (واصنع الفلك بأعيننا...) واصنع السفينة تحت مراقبتنا الكاملة وتعليمنا إياك ولا تسألني صرف العذاب عن هؤلاء الذين ظلموا فإنهم مقضيّ عليهم الغرق قضاء حتم لا مردّ له.

٣٨ . (ويصنع الفلك وكلّما...) حكاية الحال الماضية، يمثّل بها ما يجري على نوح عليه السلام من إيذاء قومه وقيام طائفة منهم بعد طائفة على إهانته والاستهزاء به في عمل السفينة، وصبره عليه في جنب الدعوة الإلهية وإقامة الحجة عليهم من غير أن [يضعف] وينثني.

٣٩ . (فسوف تعلمون...) إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم فنقول لكم: سوف تعلمون من يأتيه العذاب نحن أو أنتم؟. وهذه سخرية [من خلال] قول الحق.

٤٠ . (حتّى إذا جاء أمرنا...) فوران التنور: نبع الماء وارتفاعه منه. (قلنا احمل فيها...) أمرنا نوحاً عليه السلام أن يحمل في السفينة من كل جنس من أجناس الحيوان زوجين اثنين وهي الذكر والانثى. (وأهلك إلاّ من سبق عليه القول) واحمل فيها أهلك. وكان المستثنى زوجته وابنه. (ومن آمن وما آمن معه إلاّ قليل) واحمل فيها من آمن بك، وما آمن بالله مع نوح إلاّ قليل.

٤١ . (وقال اركبوا فيها...) خطابه عليه السلام لأهله وسائر المؤمنين أو لجميع من في السفينة. وهو عليه السّلام يعلق جري السفينة وإرساءها باسم الله.

٤٢ . (وهي تجري بهم...) الضمير للسفينة. (ونادى نوح ابنه) وكان ابنه في مكان منعزل بعيد منهم وقال في ندائه: يا بني اركب معنا السفينة ولا تكن مع الكافرين فتشاركهم في البلاء كما شاركتهم في

الصحبة وعدم ركوب السفينة. ولم يقل له عليه السلام: ولا تكن من الكافرين، لأنه لم يكن يعلم نفاقه وانه غير مؤمن.

٤٣ . (قال سآوي إلى...) قال ابن نوح: سأنضم إلى جبل يعصمني ويقيني من الماء فلا أغرق، قال نوح: لا عاصم اليوم من [أمر] الله لا جبل ولا غيره. وحال بين نوح وابنه الموج، فكان ابنه من المغرقين. ولو لم يحل الموج بينهما ولم ينقطع الكلام بذلك لعرف كفره وتبرأ منه.

٤٤ . (وقيل يا أرض...) الإقلاع: الامساك وترك الشيء من أصله. (وغيض الماء): نقص الماء ونشف عن ظاهر الأرض. (وقضي الأمر) أُنجز ما وعد لنوح عليه السلام من عذاب القوم وأُنفذ الأمر الهي بغرقهم. (واستوت على الجودي) استقرت السفينة على الجبل أو على جبل الجودي المعهود [بأرض الموصل في سلسلة جبال آرارات]. (وقيل بعداً للقوم الظّالمين) ليبعدوا بعداً، فأبعدهم بذلك من رحمته وطردهم عن دار كرامته.

٤٥ . (ونادى نوح ربّه...) ربّ إنّ ابني من أهلي، وإنّ وعدك حق كل الحق، وإنّ ذلك يدل على أن لا تأخذه بعذاب القوم بالغرق، ومع ذلك فالحكم الحق إليك فأنت أحكم الحاكمين. كأنه عليه السّلام يستوضح ما هو حقيقة الأمر.

[٢٢١]

٤٦ . (قال يا نوح إنّه...) إن ابنك هذا ذو عمل غير صالح، فليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم. (فلا تسألنّ ما ليس...) فإذا [هو] ليس من أهلك لكونه عملاً غير صالح وأنت لا سبيل لك إلى العلم بذلك، فإياك أن تبادر إلى سؤال نجاته، لأنه سؤال ما ليس لك به علم.

(٣١٦/١)

---

٤٧ . (قال ربّي إنّي...) شكر ربّه فاستعاذ بمغفرته ورحمته عن ذلك السؤال. (وإلاّ تغفر لي...) كلام صورته صورة التوبة، وحقيقته الشكر على ما أنعم الله عليه من التعليم والتأديب.

٤٨ . (قيل يا نوح اهبط...) إنزل يا نوح مع سلامة من العذاب ونعم ذوات بركات وخيرات نازلة منّا عليك. أو انزل بتحيّة وبركات نازلة منا عليك. (وعلى أمم ممّن معك) الأمم الصّالحون من أصحاب السفينة ومن سيظهر من نسلهم من الصّالحين.

٤٩ . (تلك من أنباء الغيب...) هذه القصص أو هذه القصة من أنباء الغيب نوحيها إليك. (ما كنت تعلمها أنت...) كانت مجهولة لك ولقومك من قبل هذا. (فاصبر إن العاقبة للمتقين) إذا علمت ما آل إليه أمر نوح عليه السلام وقومه، فاصبر فإن العاقبة للمتقين وهم الصابرون في جنب الله سبحانه.

٥٠ . (وإلى عاد أخاهم...) ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً. (قال يا قوم اعبدوا...) اعبدوه ولا

تعبدوا غيره من آلهة اتخذتموها أرباباً من دون الله، افتراء على الله بالشركة والشفاعة.

٥١ . (يا قوم لا أسألكم...) يا قوم لا اسألكم على ما ادعوكم أجراً وجزاء، بل أطلب به جزاء الله الذي أوجدني وأبدعني أفلا تعقلون عني ما أقوله لكم.

٥٢ . (ويا قوم استغفروا ربّكم...) إنْ تستغفروه وتتوبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً. أي يرسل سحباً تمطر أمطاراً متتابعة نافعة.

(ويُزدكم قوّة الى قوّتكم) قيل: المراد بها زيادة قوّة الايمان على قوّة الأبدان، وقد كان القوم أُولي قوّة وشدّة في أبدانهم، ولو أنهم آمنوا لانضافت قوّة الايمان على قوّة أبدانهم. وقيل: المراد بها قوّة الأبدان. (ولا تتولّوا مجرمين) إن عبادتكم لما اتخذتموه من الآلهة دون الله إجرام منكم ومعصية توجب نزول الخطر الالهي عليكم، فاستغفروا الله من إجرامكم وارجعوا إليه بالايمان حتى يرحمكم بإرسال سُحب ممطرة وزيادة قوّة الى قوّتكم.

---

٥٣ . (قالوا يا هود ما جئتنا...) إن دعوتك خالية عن الحجة والآية المعجزة ولا موجب للإصغاء إلى ما هذا شأنه.

٥٤، ٥٥ . (إن نقول إلاّ اعتراك...) إنما نعتقد أن بعض آلهتنا أصابك بسوء كالخبل والجنون لشتمك إياها وذكرك لها بسوء. (قال إنّي اشهد الله...) أجاب هود عليه السلام عن قولهم باظهار البراءة من شركائهم من دون الله، ثم التحدي عليهم بأن يكيدوا به جميعاً ولا ينظروه.

٥٦ . (إنّي توكّلت على الله...) إني توكلت على الله في نجاح حجتي التي ألقيتها إليكم وهو البراءة من آلهتكم، وأنكم وآلهتكم لا تضرونني شيئاً، فانه المالك ذو السلطنة عليَّ وعليكم وعلى كل دابة، وسنته العادلة ثابتة غير متغيرة، فسوف ينصر دينه ويحفظني من شركم.

٥٧ . (فإن تولوا فقد...) إن تتولوا وتعرضوا عن الايمان بي فقد أبلغتكم رسالة ربّي وتمت الحجة ولزمتكم البلية. (ويستخلف ربّي قوماً...) يجعل قوماً غيركم خلفاء في الأرض مكانكم. (ولا تضرونه شيئاً...) لا تقدرون على اضراره بشيء إن أراد أن يهلككم، ولا أن تعذيبكم واهلاككم يفوت منه شيئاً ممّا يريده، فإن ربّي على كل شيء حفيظ.

[٢٢٢]

٥٨ . (ولمّا جاء أمرنا...) المراد بمجيئ الأمر: نزول العذاب. (ونجيناهم من عذاب غليظ) ظاهر السياق انه العذاب الذي شمل الكفار من القوم.

٥٩ . (وتلك عاد جحدوا...) إنهم جحدوا بآيات ربّهم من الحكمة والموعظة والآية المعجزة التي أبانت لهم طريق الرشد وميّزت لهم الحق من الباطل فجحدوا بها بعدما جاءهم من العلم.

٦٠ . (واتبعوا في هذه الدّنيا...) وأتبعهم الله في هذه الدنيا لعنة وإبعاداً من الرحمة. ومصداق هذا اللعن العذاب الذي عقّبهم فلحق بهم، أو الآثام والسيئات التي تكتب عليهم ما دامت الدنيا. وأما اللعنة يوم القيامة فمصداقها العذاب الخالد الذي يلحق بهم يومئذ فإن يوم القيامة يوم جزاء لا غير.

(٣١٨/١)

---

٦١ . (وإلى ثمود أخاهم...) تقدم الكلام في نظيرة الآية في قصة هود. (هو أنشأكم من الأرض...) انه تعالى هو الذي أوجد على المواد الأرضية هذه الحقيقة المسماة بالانسان وأفطره على أن يتصرّف في الأرض بتحويلها إلى حال ينتفع بها في حياته. فاسألوه أن يغفر لكم معصيتكم بعبادة غيره، وارجعوا إليه بالايمان به وعبادته إنه قريب مجيب.

٦٢ . (قالوا يا صالح قد...) إن ثمود كانت ترجو منك أن تكون من أفرادها الصالحة لما كانت تشاهد فيك من امارات الرشد والكمال، لكنهم يئسوا منك بما أبدعت من القول وأقمت من الدعوة.

٦٣ . (قال يا قوم أرأيتم...) المراد بالبينة: الآية المعجزة. وبالرحمة: النبوة. والمعنى: أخبروني إن كنت مؤيداً بآية معجزة تنبئ عن صحة دعوتي، وأعطاني الله الرسالة فأمرني بتبليغ رسالته، فمن ينجني من الله ويدفع عني إن أطعتكم فيما تسألون، ووافقتكم فيما تريدونه مني وهو ترك الدعوة. (فما تزيدونني غير تخسير) فما تزيدونني في حرصكم على ترك الدعوة والرجوع إليكم واللحوق بكم غير أن تخسروني، فما مخالفة الحق إلاّ خسارة.

٦٤ . (ويا قوم هذه ناقة...) كانت الناقة آية معجزة له عليه السلام تؤيد نبوته، وقد أخرجها عن مسألتهم من صخر الجبل باذن الله، وقال لهم: إنها تأكل في أرض الله محررة، وحذّرهم أن يمسوها بسوء بضرب أو جرح أو قتل، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك أخذهم عذاب قريب معجل.

٦٥ . (فعقروها فقال تمتعوا...) عقر الناقة: نحرها. والمراد بالدار في الآية: المدينة.

٦٦ . (فلمّا جاء أمرنا...) تقدّم الكلام في مثله في قصّة هود.

٦٧ . (وأخذ الّذين ظلموا...) جثم جثوماً: إذا وقع على وجهه.

٦٨ . (كأن لم يغنوا فيها...) غنى بالمكان: أقام فيه.

(٣١٩/١)

---

٦٩ . (ولقد جاءت رسلنا...) الرسل: هم الملائكة المرسلون إلى إبراهيم للبشارة، وإلى لوط لإهلاك قومه. وظاهر سياق القصّة في هذه السورة أنها البشارة باسحاق. (قالوا سلاماً قال سلام) تسالموا هم

وإبراهيم. (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) ما أبطأ في أن قدم إليهم عجلاً مشوياً يقطر ماء وسمناً.

٧٠ . (فلمّا رأى ايديهم...) إن إبراهيم عليه السلام لما قدم إليهم العجل المشوي رآهم لا يأكلون منه، استشعر في نفسه منهم خوفاً، قالوا تأميناً له وتطييباً لنفسه: لا تخف إنا ارسلنا إلى قوم لوط. فعلم أنهم من الملائكة الكرام المنزهين من الأكل والشرب.

٧١ . (وامرأته قائمة فضحكت...) ضحكت: حاضت. والمعنى: أن إبراهيم عليه السلام كان يكلمهم ويكلمونه في أمر الطعام، والحال أن امرأته قائمة هناك تنظر إلى ما يجري بين الضيفان وبين إبراهيم، وما كان يخطر ببالها شيء دون ذلك،

[٢٢٣]

ففاجأها أنها حاضت فبشرته الملائكة بالولد.

٧٢ . (قالت يا ويلتى...) إنّها لمّا سمعت بشارة الملائكة تمثّل لها الحال بتولد ولد من عجوز عقيم وشيخ هرم بالغَين في الكبر لا يعهد من مثلهما الاستيلاد، فهو أمر عجيب على ما فيه من العار والشين عند الناس فيضحكون منهما ويهزأون بهما.

٧٣ . (قالوا أتعجبين من...) انكرت الملائكة تعجبها عليها، فأضافوا الأمر إلى الله لينقطع بذلك كل استعجاب واستغراب. (رحمة الله وبركاته...) فنبهوها بذلك أن الله أنزل رحمته وبركاته عليهم أهل البيت، وألزمهم ذلك فليس من البعيد أن يكون من ذلك تولد مولود من والدين في غير سنهما العادي المألوف.

٧٤ . (فلمّا ذهب عن...) يظهر من الآية: ان الملائكة أخبروه بأنهم مرسلون إلى قوم لوط، ثمّ إليه بالبشارة، ثمّ جرى بينهم الكلام في خصوص عذاب قوم لوط، فأخذ إبراهيم عليه السلام يجادلهم ليصرف عنهم العذاب، فأخبروه بأن القضاء حتم والعذاب نازل لا مردّ له.

---

٧٥ . (إنّ إبراهيم لحليم...) مدحٌ بالغ لابراهيم عليه السلام، فهو إنما كان يجادلهم فيهم [قوم لوط] لأنه كان حليماً، وكان كثير التأثر من ضلال الناس مراجعاً إلى الله في نجاتهم.

٧٦ . (يا إبراهيم أعرض...) إنصرف عن هذا الجدال ولا تطمع في نجاتهم فإنه طمع فيما لا مطمع فيه.

٧٧ . (ولمّا جاءت رسلنا...) لما جاءت رسلنا لوطاً وهم الملائكة النازلون بابراهيم عليه السلام، ساء مجيئهم لوطاً، وعجز عن الاحتيال لنجاتهم من شر القوم، فإنهم دخلوا عليه في صور غلمان مرد صبيحي المنظر، وكان قومه ذوي حرص شديد على إتيان الفحشاء، ولذلك لم يملك لوط نفسه دون أن قال: (هذا يوم عصيب) شديد.

٧٨ . (وجاء قومه يهرعون...) لما رآهم تجمعوا على الشر لا يصرفهم عن ذلك مجرد القول بعظة أو إغلاظ في الكلام، أراد أن يصرفهم عنه بتبديل ما يريدون من الفحشاء مما لا معصية فيه من الحلال فعرض بناته عليهم، عرض لهم مسّهن عن نكاح. (أليس منكم رجل رشيد) لعله يجد فيهم ذا رشد انساني فينتصر له وينجيه وضيوفه من أيدي أولئك الظالمين.

٧٩ . (قالوا لقد علمت...) يلفتون نظره عليه السّلام إلى ما يعلم من انتفاء حقهم عن بناته بما هن نساء بحسب السنّة القومية [الجارية بينهم] وما يعلم من إرادتهم في الهجوم على داره.

٨٠ . (قال لو أن...) تمنى أن يكون له منهم قوة يقوى بها على دفع عتاتهم الظالمين أو ركن شديد وعشيرة منيعة ينضم إليها فيدفعهم بها.

٨١ . (قالوا يا لوط إنا رسل...) قالت الملائكة: إنا رسل ربّك، مرسلون لعذاب القوم وهلاكهم، فانج أنت وأهلك، وسيروا بقطع من هذا الليل واخرجوا من ديارهم فانهم هالكون بعذاب الله صبيحة ليلتهم هذه، ولا كثير وقت بينك وبين الصبح.

٨٢ . (فلمّا جاء أمرنا...) ولما جاء أمرنا بالعذاب وهو أمره تعالى الملائكة بعذابهم، جعلنا عالى أرضهم وبلادهم سافلها، بتقليبها عليهم، وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود.

---

٨٣ . (مسوّمة عند ربّك...) [إن الحجارة كانت] معلّمة عند ربّك وفي علمه ليس لها أن تخطئ هدفها الذي رميت لأجل إصابته. (وما هي من الظّالمين ببعيد) وليست هذه الحجارة من ظالمي مكة ببعيد. أو المعنى: ليست هذه القرى المخسوفة من ظالمي قومك ببعيد.

٨٤ . (وإلى مدين أخاهم...) مدين: اسم مدينة كان يسكنها قوم شعيب. (ولا تنقصوا المكيال والميزان) في

[٢٢٤]

تخصيص نقص المكيال والميزان من بين معاصيهم بالذكر، دلالة على شيوعه بينهم. (إنّي أراكم بخير) اشاهدكم في خير وهو ما أنعم الله تعالى عليكم من المال وسعة الرّزق فلا حاجة لكم إلى نقص المكيال والميزان. (وإنّي أخاف عليكم...) يشير به إلى يوم القيامة أو يوم نزول عذاب الاستئصال.

٨٥ . (ويا قوم أوفوا المكيال...) الايفاء: اعطاء الحق بتمامه. والبخس: النقص. (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) نهي عن الفساد في الأرض من قتل أو جرح أو أي ظلم.

٨٦ . (بقية الله خير لكم...) ان الربح الذي هو بقية إلهية هداكم الله إليه من طريق فطرتكم، هو خير لكم من المال الذي تقتنونه من طريق التطفيف ونقص المكيال والميزان إن كنتم مؤمنين. (وما

أنا عليكم بحفيظ) وما يرجع إلى قدرتي شيء مما عندكم من نفس أو عمل أو طاعة أو رزق، فانما أنا رسول ليس عليه إلاّ البلاغ.

٨٧ . (قالوا يا شعيب أصلاتك...) إنك أردت منّا ما أرادته منك صلاتك، ولست تملكنا أنت ولا صلاتك لأننا أحرار في شعورنا وإرادتنا، لنا أن نختار أي دين شئنا ونتصرف في أموالنا أي تصرف أردنا، فهل هذا إلاّ سفهاً من الرأي وإنك لأنت الحليم الرشيد.

(٣٢٢/١)

---

٨٨ . (قال يا قوم أرأيتم...) أخبروني إن كنت رسولاً من الله إليكم وخصّني بوحي المعارف والشرائع وأيدني بآية بينة تدل على صدق دعواي، فهل أنا سفيه في رأيي وهل في ذلك تحكّم مني عليكم أو سلب مني لحريتكم. (وما أريد أن أخالفكم...) إنه لو كان مريداً ذلك لخالفهم فيما ينهاهم عنه وهو لا يريد مخالفتهم، فلا يريد ما اتهموه به، وإنما يريد الاصلاح ما استطاع.

٨٩ . (ويا قوم لا يجرمّنكم شقاقي...) إحذروا أن يكتسب لكم مخالفتي ومعاداتي بسبب ما ادعوكم إليه، إصابة مصيبة قوم مثل مصيبة نوح أو قوم هود أو قوم صالح. (وما قوم لوط منكم ببعيد) لا فصل كثيراً بين زمانهم وزمانكم.

٩٠ . (واستغفروا ربّكم...) استغفروا الله من ذنوبكم وارجعوا إليه بالإيمان به وبرسوله، إن الله ذو رحمة ومودّة يرحم المستغفرين التائبين ويحبّهم.

٩١ . (قالوا يا شعيب ما نفقه...) لا نفهم ما تقول ولست قوياً فينا حتى تضطرنا قوتك على الاجتهاد في فهم كلامك والاهتمام بأخذه والسمع والقبول له، فإنا لا نراك فينا إلاّ ضعيفاً لا يعبأ بأمره، ولولا هذا النفر القليل الذين هم عشيرتك لرجمناك، ولست بقوي منيع جانباً علينا حتى يمنعنا ذلك من قتلك بشرِّ القتل.

٩٢ . (قال يا قوم أرهطي...) كيف تعززون رهطي وتحترمون جانبهم ولا تعززون الله سبحانه ولا تحترمون جانبه وإني أنا الذي أدعوكم إليه من جانبه؟ فهل رهطي أعزّ عليكم من الله؟ وقد جعلتموه نسياً منسياً، وليس لكم ذلك وما كان لكم أن تفعلوه، إن ربي بما تعملون محيط بما له من الاحاطة بكل شيء وجوداً وعلماً وقدرة.

٩٣ . (ويا قوم اعملوا على...) هذا تهديد من شعيب لهم، فليعملوا على ما لهم من القوة والتمكن فلهم عملهم وله عمله فسوف يفاجئهم عذاب مخز يعلمون عند ذلك من هو الذي يأخذه العذاب، ويعلمون من هو كاذب؟ فليرتقبوا وهو معهم رقيب لا يفارقهم.

٩٥ . (كأن لم يغنوا...) غنى في المكان: إذا أقام فيه.

٩٦ . (ولقد أرسلنا موسى...) الظاهر أن المراد بهذه الآيات: الأمور الخارقة التي كانت تجري على يده. والسلطان:

[٢٢٥]

البرهان والحجّة القاطعة.

٩٧ . (إلى فرعون وملأه...) الملأ: أشراف القوم وعظماؤهم. (وما أُمر فرعون برشيد) وما أمر فرعون بذي رشد حتى يهدي إلى الحق، بل كان ذا غيّ وجهالة.

٩٨ . (يقدم قومه يوم...) يقدم فرعون قومه فإنهم اتبعوا أمره فكان إماماً لهم من أئمة الضلال، فيوردهم النار.

٩٩ . (وأُتبعوا في هذه...) هم اتبعوا أمر فرعون فاتبعتهم لعنة من الله في هذه الدنيا وإبعاد من رحمته وطرد من ساحة قربه. (ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) وبئس الرفد [العطية] رفدهم يوم القيامة وهو النار التي يسجرون فيها.

١٠٠ . (ذلك من أنباء...) اشارة إلى ما تقدم من القصص. والحصد: قطع الزرع، شبهها بالزرع يكون قائماً ويكون حصيداً.

١٠١ . (وما ظلمناهم ولكن ظلموا...) أخذناهم فلم يكفهم في ذلك آلهتهم التي كانوا يدعونها من دون الله لتجلب إليهم الخير وتدفع عنهم الشرّ، ولم تغنهم شيئاً لما جاء أمر ربّك وحكمه بأخذهم أو لما جاء عذاب ربّك. (وما زادوهم غير تتبيب) التتبيب: التدمير والاهلاك.

١٠٢ . (وكذلك أخذ ربّك...) كما أخذ الله سبحانه هؤلاء الأُمم الظالمة، كذلك يأخذ سائر القرى الظالمة إذا أخذها، فليعتبر بذلك المعتبرون.

١٠٣ . (إنّ في ذلك...) الاشارة إلى ما أنبأه الله من قصص تلك القرى الظالمة التي أخذها بظلمها، وفي ذلك آية لمن خاف عذاب الحياة الأخرة.

١٠٤ . (وما نؤخِّره إلاّ...) إن لذلك اليوم أجلاً قضى الله أن لا يقع قبل حلول أجله، والله يحكم لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ولا يؤخر اليوم إلاّ لأجل يعده، فإذا تم العدد وحل الأجل حق القول ووقع اليوم.

١٠٥ . (يوم يأتِ لا تكلم...) يوم يأتي الأجل لا تتكلم نفس بشيء من الكلام إلاّ بالكلام الذي يصاحب إذنه.

١٠٦ . (فأما الّذين شقوا...) كأن في الكلام استعارة. والمراد: انهم يردون أنفاسهم إلى صدورهم ثمّ يخرجونها فيمدونها برفع الصوت بالبكاء والأنين من شدة حر النار وعظم الكربة والمصيبة.

١٠٧ . (خالدين فيها ما دامت...) دائمين فيها دوام السماوات والأرض، إلاّ من شاء الله أن يخرج منها ويدخل في الجنّة.

١٠٨ . (وأما الّذين سعدوا...) إن أهل الجنة فيها أبداً إلاّ أن يخرجهم الله منها لكن العطية دائمية وهم غير خارجين والله لا يشاء ذلك أبداً.

١٠٩ . (فلا تك في مرية...) فلا تكن في شك من عبادة قومك، ما يعبد هؤلاء إلاّ كمثل عبادة أولئك الأمم الهالكة الذين هم آباؤهم، ولا شك أنا سنعطيهم حظهم من الجزاء كما فعلنا ذلك بآبائهم.

١١٠ . (ولقد آتينا موسى...) اشارة إلى اختلاف اليهود في التوراة بعد موسى. (ولولا كلمة سبقت...) يشير إلى أن اختلاف الناس في الكتاب ملتقى قضاءين من الله سبحانه يقتضي أحدهما الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ويقتضي

[٢٢٦]

الآخر أن يمتعهم الله إلى يوم القيامة فلا يجازيهم بأعمالهم، ومقتضى ذلك كله أن يتأخر عذابهم إلى يوم القيامة.

١١١ . (وإن كلاً لمّا...) وإن كل هؤلاء المختلفين ليوفينهم ويعطيهم ربك أعمالهم أي جزاءهم، إنّه بما يعملون من أعمال الخير والشر خبير.

١١٢ . (فاستقم كما أُمرت...) اثبت على دين التوحيد والزم طريق العبودية من غير تزلزل وتذبذب، وليثبت الذين آمنوا معك، ولا تتعدوا الحد الذي حدّ لكم، لأن الله بصير بما تعملون فيؤاخذكم لو خالفتم أمره.

١١٣ . (ولا تركنوا إلى الذين...) نهى النبيّ صلى الله عليه وآله وامته عن الركون إلى من اتسم بسمة الظلم بأن يميلوا إليهم ويعتمدوا على ظلمهم في أمر دينهم أو حياتهم الدينية.

١١٤ . (وأقم الصّلاة طرفي...) أقم الصّلاة في الصباح والمساء، وفي ساعات من اللّيل هي أقرب من النهار. (ذلك ذكري للذّاكرين) هذا الذي ذكر وهو أن الحسنات يذهبن السيئات على رفعة قدره، تذكار للمتلبسين بذكر الله تعالى من عباده.

١١٥ . (واصبر فإن الله...) المراد: إصبر على أذى قومك في طريق دعوتك إلى الله سبحانه وظلم

الظالمين منهم.

١١٦ . (فلولا كان من القرون...) من العجب أنه لم يكن من القرون الماضية مع ما رأوا من آيات الله وشاهدوا من عذابه، بقايا [قوم باقون] ينهون عن الفساد في الأرض، إلاّ قليلاً ممّن أنجينا من العذاب والهلاك منهم، فإنهم كانوا ينهون عن الفساد. (واتّبع الّذين ظلموا...) بيان حال الباقي منهم بعد الاستثناء، وهم أكثرهم، وعرّفهم بأنهم الذين ظلموا، وبيّن أنهم اتبعوا لذائذ الدنيا التي اترفوا فيها وكانوا مجرمين.

١١٧ . (وما كان ربّك ليهلك...) لم يكن من سنته تعالى إهلاك القرى التي أهلها مصلحون، لأن ذلك ظلم ولايظلم ربّك أحداً.

١١٨ . (ولو شاء ربّك...) إنهم وإن اختلفوا في الدين فإنهم لم يعجزوا الله بذلك، ولو شاء الله لجعل الناس أمّة واحدة لا يختلفون في الدِّين.

١١٩ . (إلاّ من رحم...) إن الناس يخالف بعضهم بعضاً في الحق أبداً، إلاّ الذين رحمهم الله فإنهم لا يختلفون في الحق ولا يتفرقون عنه. والإشارة بقوله: (ولذلك خلقهم) إلى الرحمة وهي الغاية التي أرادها الله من خلقه ليسعدوا بذلك. (وتمت كلمة ربّك...) حقّت كلمته تعالى وأخذت مصداقها منهم بما ظلموا واختلفوا في الحق من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم. والكلمة هي قوله: (لأملأنّ جهنّم...).

١٢٠ . (وكلاًّ نقص عليك...) نقص عليك أنباء الرسل لنثبت به فؤادك ونربط جأشك في ما أنت عليه من سلوك سبيل الدعوة إلى الحق والمحنة من أذى قومك.

١٢١، ١٢٢ . (وقل للّذين لا يؤمنون...) يأمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يختم الحجاج معهم فيقول لهم: أما إذا لم تؤمنوا فاعملوا على ما أنتم عليه من المكانة والمنزلة، وبما تحسبونه خيراً لكم إنا عاملون، وانتظروا ما سيستقبلكم من عاقبة عملكم إنا منتظرون، فسوف تعرفون صدق النبأ الإلهي وكذبه.

١٢٣ . (ولله غيب السّماوات...) فاعمل وانتظر أنت ومن تبعك فغيب السماوات والأرض الذي يتضمن عاقبة أمرك وأمرهم إنما يملكه ربك الذي هو الله سبحانه. (فاعبده وتوكّل عليه) فاعبده سبحانه واتخذه وكيلاً في جميع الأمور.

«سورة يوسف»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

[٢٢٧]

١ . (الر تلك آيات...) الإشارة بلفظ البعيد للتعظيم. والظاهر أن يكون المراد بالكتاب المبين: القرآن.

ومن المحتمل ان يكون المراد: اللوح المحفوظ.

٢ . (إنّا أنزلناه قرآناً...) إنا جعلنا هذا الكتاب المشتمل على الآيات في مرحلة النزول ملبساً بلباس اللفظ العربي، ليقع في معرض التعقل منك ومن قومك أو أمتك.

٣ . (نحن نقص عليك...) نحن نقص عليك أحسن القصص بسبب وحينا هذا القرآن إليك، وإنك كنت قبل اقتصاصنا عليك هذه القصة من الغافلين عنها.

٤ . (إذ قال يوسف...) افتتح سبحانه قصته عليه السلام بذكر هذه الرؤيا التي أراها له، وهي بشرى له تمثل له ما سيناله من الولاية الالهية، ويخص به من إجتباء الله إياه وتعليمه تأويل الأحاديث وإتمام نعمته عليه.

٥ . (قال يا بني لا تقصص...) قال يعقوب ليوسف عليه السلام: يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فانهم يحسدونك ويغتاظون من أمرك، فيكيدونك عندئذ بنزغ واغراء من الشيطان، وقد تمكن من قلوبهم، فان الشيطان للإنسان عدو مبين.

(٣٢٧/١)

---

٦ . (وكذلك يجتبيك ربّك...) وكما رأيت في رؤياك يخلصك ربك لنفسه بإنقائك من الشرك فلا يكون فيك نصيب لغيره، ويعلمك من تأويل الأحاديث، وهو ما تؤول إليه الحوادث المصورة في نوم أو يقظة. ويتم نعمته هذه وهي الولاية الالهية بالنزول في مصر واجتماع الأهل والملك والعزة عليك وعلى أبويك وإخوتك. وإنما يفعل ربك بك ذلك لأنه عليم بعباده، خبير بحالهم، حكيم يجري عليهم ما يستحقونه.

٧ . (لقد كان في يوسف...) دلالة على أنه كان هناك جماعة سألوا النبيّ صلى الله عليه وآله عن القصة أو عمّا يرجع بوجه إلى القصة فانزلت هذه السورة.

٨ . (إذ قالوا ليوسف...) القائلون هم أبناء يعقوب ما خلا يوسف وأخاه، وكانت عدتهم عشرة. (ونحن عصبة) عشرة أقوياء. ويدل [قولهم هذا] على حسدهم وحنقهم [على يوسف وبنيامين] وغيظهم على أبيهم يعقوب في حبه لهما أكثر منهم. (إن أبانا لفي ضلال مبين) يعنون بالضلال: الاعوجاج في السليقة دون الضلال في الدين.

٩ . (اقتلوا يوسف...) أشار بعضهم إلى لزوم قتل يوسف، وآخرون إلى طرحه [إبعاده] أرضاً بعيدة لا يستطيع معه العود إلى أبيه واللحوق بأهله، فينسى بذلك اسمه ويمحو رسمه فيخلو وجه أبيهم لهم وينبسط حبه وحباؤه فيهم. (وتكونوا من بعده قوماً صالحين) بالتوبة من هذه المعصية. وقيل المراد بالصلاح: صلاح أمركم مع أبيكم.

١٠ . (قال قائل منهم...) السّياق يشهد بأنهم ارتضوا هذا الرأي.

١١ . (قالوا يا أبانا ما لك...) أجمعوا على أن يمكروا بأبيهم فيأخذوا يوسف ويفعلوا به ما عزموا عليه. ولذلك جاءوا أباهم وخاطبوه: يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف، والحال أنّا لا نريد به إلاّ الخير ولا نبتغي إلاّ ما يرتضيه ويسره.

١٢ . (أرسله معنا غداً...) سألوه أن يرسله معهم إلى مرتعهم الذي كانوا يخرجون إليه ماشيتهم ليرتع ويلعب هناك (وإنّا له لحافظون).

---

١٣ . (قال إنّي ليحزنني...) هذا ما ذكره أبوهم جواباً لما سألوه، وذكر ما يأخذه من الحالة النفسانية لو ذهبوا به.

١٤ . (قالوا لئن أكله...) تجاهلوا لأبيهم كأنهم لم يفقهوا إلاّ أنه يأمنهم عليه، لكن يخاف أن يأكله الذئب. وذكروا لتطييب نفسه أنهم جماعة أقوياء، وأقسموا بالله إن أكل الذئب إياه وهم عصبة، يقضي بخسرانهم، ولن يكونوا خاسرين.

١٥ . (فلمّا ذهبوا به...) الآية تشعر بأنهم أقنعوا أباهم بما قالوا له من القول، وأرضوه أن لا يمنعهم أن يخرجوا يوسف معهم إلى الصحراء، فحملوه معهم لإنفاذ ما أزمعوا عليه من القائه في غيابة الجب. (وأوحينا إليه لتنبئنهم...) وأوحينا إلى يوسف أُقسم لتخبرنهم بحقيقة أمرهم هذا وتأويل ما فعلوا بك، فانهم يرونه نفياً لشخصك وانساءً لإسمك.

[٢٢٨]

وهو في الحقيقة تقريب لك إلى أريكة العزة وعرش المملكة ورفع لقدرك، وهم لا يشعرون بهذه الحقيقة وستنبئهم بذلك.

١٦ . (وجاؤوا أباهم عِشاءً...) إنما كانوا يبكون ليلبسوا الأمر على أبيهم، فيصدقهم فيما يقولون ولا يكذبهم.

١٧ . (قالوا يا أبانا إنّا...) يا أبانا إنّا معشر الأخوة ذهبنا إلى البيداء نتسابق وتركنا يوسف عند رحلنا ومتاعنا فأكله الذئب، ومن خيبتنا ومسكنتنا أنك لست بمصدق لنا فيما نقوله ونخبر به ولو كنا صادقين فيه.

١٨ . (وجاؤوا على قميصه...) في الآية إشعار بأن القميص وعليه دم كان على صفة تكشف عن كذبهم في مقالهم فإن من افترسته السباع وأكلته لم تترك له قميصاً سالماً غير ممزق. (قال بل سولت لكم...) ليس الأمر على ما تخبرون، بل وسوست لكم أنفسكم فيه أمراً.

١٩ . (وجاءت سيارة فأرسلوا...) وجاءت جماعة مارة إلى هناك، فارسلوا من يطلب لهم الماء فأرسل دلوه في الجب ثم لما أخرجها فاجأهم بقوله: يا بشرى هذا غلام . وقد تعلق يوسف بالحبل فخرج . فأخفوه بضاعة يقصد بها البيع والتجارة، والحال أن الله سبحانه عليم بما يعملون يؤاخذهم عليه أو ان ذلك كان بعلمه تعالى وكان يسير يوسف بهذا المسير، ليستقر في مستقر العزّة والملك والنبوة.

٢٠ . (وشروه بثمن بخس...) إن السيارة الذين أخرجوه من الجب باعوه بثمن بخس ناقص، وهي دراهم معدودة قليلة، وكانوا يتقون أن يظهر حقيقة الحال فينتزع هو من أيديهم.

٢١ . (وقال الّذي اشتراه...) السياق يدل على أن السيارة حملوا يوسف معهم إلى مصر وعرضوه هناك للبيع، فاشتراه بعض أهل مصر وأدخله في بيته. (اكرمي مثواه عسى أن ينفعنا...) إن يوسف عليه السلام كان ذا جمال بديع يبهر العقول ويوله الألباب، وكان قد أُوتي مع جمال الخلق حسن الخلق صبوراً وقوراً لطيف الحركات مليح اللهجة حكيم المنطق كريم النفس نجيب الأصل، فهذه هي التي جذبت نفس العزيز إلى يوسف . وهو طفل صغير . حتى تمنى أن ينشأ يوسف عنده في خاصة بيته، فيكون من أخص الناس به ينتفع به في أُموره الهامة ومقاصده العالية، أو يدخل في ارومته ويكون ولداً له ولإمرأته بالتبني فيعود وارثاً لبيته. (وكذلك مكنا ليوسف) يقال امكنته من الشيء فتمكن منه أي أقدرته فقدر عليه، وهو من قبيل الكناية. (والله غالب على أمره) إن كل شأن من شؤون الصنع والايجاد من أمره تعالى وهو تعالى غالب عليه وهو مغلوب له مقهور يطيعه فيما شاء، ينقاد له فيما أراد.

٢٢ . (ولمّا بلغ أشدَّه...) الأشد: الظاهر أن المراد به الانتهاء إلى أوّل سن الشباب دون التوسط فيه أو الانتهاء إلى آخره كالأربعين.

(٣٣٠/١)

---

٢٣ . (وراودته الّتي هو...) الآية الكريمة على ما فيها من الإيجاز تنبئ عن إجمال قصة المراودة. (قال معاذ الله إنه ربّي...) أعوذ بالله معاذاً ممّا تدعينني إليه، لأنه ربّي الذي تولى أمري وأحسن مثواي وجعلني بذلك سعيداً مفلحاً، ولو اقترفت هذا الظلم لتغربت به عن الفلاح وخرجت به من تحت ولايته.

٢٤ . (ولقد همت به وهم...) ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها وأوشك أن يقع في المعصية، وإنّما قلنا: أوشك أن يقع، ولم نقل: وقع لأن الهم . كما قيل . لا يستعمل إلاّ فيما كان مقروناً بالمانع. فلولا ما رآه من البرهان لكان الواقع هو الهَمّ والاقتراب دون الارتكاب والاقتراف.

والبرهان الذي أراه به وهو الذي يريه عباده المخلصين، نوع من العلم المكشوف واليقين المشهود تطيعه النفس الإنسانية طاعة لا تميل معها إلى معصية أصلاً.

٢٥ . (واستبقا الباب وقدّت...) السّياق يعطي أن استباقهما كان لغرضين مختلفين فكان يوسف عليه السلام يريد أن يفتحه ويتخلص منها بالخروج من البيت، وامرأة العزيز كانت تريد أنْ تسبقه إليه فتمنعه من الفتح والخروج لعلها تفوز بما تريده منه، وأن يوسف سبقها إلى الباب فاجتذبته من قميصه من الوراء فقدَّته، ولم ينقد إلاّ لأنه كان في حال الهرب مبتعداً منها. (والفيا سيدها لدى...) لما الفيا سيّدها لدى الباب، إنقلب مجلس المراودة إلى موقف التحقيق فبدأت إمرأة العزيز تشكو يوسف إليه وتسأله أن يجازيه، فذكرت أنه أراد بها سوءً وعليه أن يسجنه أو يعذبه عذاباً أليما.

٢٦، ٢٧ . (قال هي راودتني...) لم يبدأ يوسف عليه السلام بالقول أدباً مع العزيز وصوناً لها أن يرميها بالجرم، لكن لمّا اتهمته بقصدها بالسوء، لم يرَ بدّاً دون أن يصرح بالحق فقال: (هي راودتني عن نفسي) لم أردها بسوء، بل هي التي أرادت ذلك فراودتني عن نفسي. (وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه...) كون القدّ من قبل يدل على منازعتهما

[٢٢٩]

(٣٣١/١)

ومصارعتهما بالمواجهة فالقضاء لها عليه، وإن كان قميصه قدَّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين، فان كون القدّ من دبر يدل على هربه منها وتعقيبها إياه واجتذابها له إلى نفسها فالقضاء له عليها.

٢٨ . (فلمّا رأى قميصه...) فلما رأى العزيز قميص يوسف مشقوقاً من خلف، قال إنّ الأمر من كيدكن معاشر النساء إنّ كيدكنّ عظيم.

٢٩ . (يوسف أعرض عن هذا...) من مقول قول العزيز أي إنه بعد ما قضى الله له عليها أمر يوسف أن يعرض عن الأمر، وأمر إمرأته ان تستغفر لذنبها ومن خطيئتها.

٣٠ . (وقال نسوة في...) لما كان من أمر يوسف والعزيزة ما كان، شاع الخبر في المدينة تدريجاً، وصارت النساء وهُنَّ سيّدات المدينة يتحدثن به في مجامعهن ومحافلهن فيما بينهن ويعيرن بذلك عزيزة مصر، ويعبنها أنها تولّهت إلى فتاها وافتتنت به.

٣١ . (فلما سمعت بمكرهنّ...) تسمية هذا القول منهن مكراً بإمرأة العزيز، لما فيه من فضاحتها وهتك سترها من ناحية رقيباتها حسداً وبغياً، وإنّما أرسلت اليهن لتريهن يوسف وتبتليهن بما ابتليت به نفسها، فيكففن عن لومها ويعذرنها في حبه. (واعتدت لهنّ متكأً...) نظمت برنامج الملاقاة فاعتدت لهن متكأً وآتت كل واحدة منهن سكيناً، وأَخْفت يوسف عن أعينهن ثم فاجأتهن بإظهاره دفعة لهن ليغبن عن عقولهن، ويندهشن بذاك الجمال البديع ويأتين بما لا يأتي به ذو شعور البتة وهو تقطيع

الأيدي مكان الفواكه لا من الواحدة والثنتين منهن بل من الجميع.
٣٢ . (قالت فذلكنّ الّذي...) إشارة إلى الشخص الذي لمنها فيه، ثمّ اعترفت بالمراودة وذكرت لهن أنها راودته، لكنه أخذ بالعفة وطلب العصمة، ثم ذكرت لهن ما عزمت عليه من إجباره على الموافقة وسياسته لو خالف فقالت: (ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن...).

---

٣٣ . (قال ربّ السّجن...) ربّ إني لو خيرت بين السجن وبين ما يدعونني إليه، لاخترت السجن على غيره، وأسألك أن تصرف عني كيدهن، فإنك إن لا تصرف عني كيدهن أنتزع وأمِل إليهن واكن من الجاهلين، فإني إنما اتوقى شرهن بعلمك الذي علمتنيه وتصرف به عني كيدهن، فان أمسكت عن إفاضته عليّ صرت جاهلاً ووقعت في مهلكة الصبوة والهوى.
٣٤ . (فاستجاب له ربّه...) إستجاب الله مسألته في صرف كيدهن عنه إنّه هو السميع بأقوال عباده العليم بأحوالهم.
٣٥ . (ثمّ بدا لهم من بعد...) ثمّ ظهر للعزيز ومن يتلوه من إمرأته وسائر مشاوريه، رأي جديد في يوسف من بعدما رأوا هذه الآيات الدالة على براءته وعصمته، وهو أن يسجنوه حيناً من الزمان حتى ينسى حديث المراودة الذي يجلب لهم العار والشين، وأقسموا على ذلك.
٣٦ . (ودخل معه السّجن...) الفتى: العبد. وسياق الآيات يدل على أنهما كانا عبدين من عبيد الملك (قال احدهما إني أراني...) إني رأيت فيما يرى النائم أني أعصر عنباً للخمر. (وقال الآخر إني أراني...) رؤيا أُخرى ذكرها صاحبه. (نبئنا بتأويله إنّا نراك من المحسنين) إخبرنا بتأويل ما رآه كل منا لأنا نعتقد أنك من المحسنين.
٣٧ . (قال لا يأتيكما طعام...) لا يأتيكما طعام ترزقانه . وأنتما في السجن . الا نبأتكما بتأويله . أي بتأويل ذاكما الطعام وحقيقته وما يؤول إليه أمره . فأنا خبير بذلك فليكن آية لصدقي فيما أدعوكما إليه من دين التوحيد. (ذلكما ممّا علمني ربّي...) بيّن عليه السلام أن العلم والتنبّؤ بتأويل الأحاديث ليس من العلم العادي الاكتسابي في شيء، بل هو ممّا علمه إياه ربّه ثم علل ذلك بتركه ملّة المشركين وأخذه بدين التوحيد.
٣٨ . (واتّبعت ملة آبائي...) هو أول ما أنبأ في مصر نسبه وأنه من أهل بيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السّلام. (ما كان لنا ان نشرك بالله...) لم يجعل الله سبحانه لنا أهل البيت سبيلاً إلى أن نشرك به ومنعنا من ذلك، ذلك المنع

من فضل الله ونعمته علينا أهل البيت وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون فضله تعالى بل يكفرون به.

٣٩ . (يا صاحبي السّجن ء أرباب...) مسوق لبيان الحجة على تعينه تعالى للعبادة، إذا فرض تردد الأمر بينه وبين سائر الأرباب التي تدعى من دون الله.

٤٠ . (ما تعبدون من دونه...) ما تعبدون من دون الله إلاّ أسماء خالية عن المسميات، لم يضعها إلاّ أنتم وآباؤكم من غير أن ينزل الله سبحانه من عنده برهاناً يدل على أن لها شفاعة عند الله، أو شيئاً من الاستقلال في التأثير حتى يصح لكم دعوى عبادتها لنيل شفاعتها، أو طمعاً في خيرها أو خوفاً من شرها. (ذلك الدّين القيّم ولكن...) إن دين التوحيد وحده هو القوي على إدارة المجتمع وسوقه إلى منزل السعادة ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

٤١ . (يا صاحبي السّجن أما...) معنى الآية ظاهر، وقرينة المناسبة قاضية بأن قوله: (أمّا احدكما)...الخ، تأويل رؤيا من قال منهما: (إنّي أراني أعصر خمراً) وقوله: (وأما الآخر)...إلخ، تأويل لرؤيا الآخر.

٤٢ . (وقال للّذين ظن...) قال يوسف للذي ظن هو أنه سينجو منهما اذكرني عند ربك بما يثير رحمته لعله يخرجني من السجن.

٤٣ . (وقال الملك إني...) وقال ملك مصر لملأه إني أرى في منامي سبع بقرات سمان يأكلهن سبع بقرات مهازيل، وأرى سبع سنبلات خضر وسنبلات أُخر يابسات، يا أيها الملأ بينوا لي ما عندكم من حكم رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون.

٤٤ . (قالوا اضغاث أحلام...) قال الملأ للملك: ما رأيته اضعاث أحلام وأخلاط من منامات مختلفة، وما نحن بتأويل هذا النوع من المنامات بعالمين، أو وما نحن بتأويل جميع المنامات بعالمين وانّما نعلم تأويل الرؤية الصالحة.

٤٥ . (وقال الّذي نجا...) الأمّة: الجماعة والمراد بها هاهنا الجماعة من السنين، وهي المدة التي نسي فيها هذا القائل وهو ساقي الملك أن يذكر يوسف عند ربِّه. والمعنى: وقال الذي نجا من السجن: أنا انبئكم بتأويل ما رآه الملك في منامه فارسلوني إلى يوسف في السجن حتى أخبركم بتأويل ذلك.

٤٦ . (يوسف أيّها الصّديق...) يا يوسف أيها الصديق أفتنا في رؤيا الملك، وذكر الرؤيا، وذكر أن الناس في انتظار تأويله.

٤٧ . (قال تزرعون سبع...) ازرعوا سبع سنين متواليات فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يهلك واحفظوه كذلك، إلاّ قليلاً وهو ما تأكلون في هذه السنين.

٤٨ . (ثمّ يأتي من بعد ذلك...) ثمّ تأتي من بعد ذلك سبع سنين شداد يشددن عليكم يأكلن ما قدمتم لهن إلاّ قليلاً مما تحرزون وتدخرون.

٤٩ . (ثمّ يأتي من بعد ذلك...) ثمّ يأتي من بعد ذلك عام فيه تنبت أراضيهم . أو يمطرون أو ينصرون . وفيه يتخذون الأشربة والأدهنة من الفواكه والبقول أو يحلبون ضروع أنعامهم. وفيه كناية عن توفر النعمة عليهم، وعلى أنعامهم ومواشيهم.

[٢٣١]

٥٠ . (وقال الملك إئتوني...) أمر باحضاره ليكلمه ويتبصر بما يقوله مزيد تبصر. (إرجع إلى ربّك فاسأله ما بال النسوة اللاّتي قطعن أيديهن) ما هو الأمر العظيم والشأن الخطير الذي أوقعهن فيما وقعن فيه، وليس إلاّ هواهُنّ وولههن في حبه حتى أنساهن أنفسهن فقطعن الأيدي مكان الفاكهة تقطيعاً، فليفكر الملك في نفسه أن الابتلاء بمثل هذه العاشقات الوالهات عظيم جداً، والكف عن معاشقتهن والامتناع عن إجابتهن بما يردنه وهنّ يفدينه بالأنفس والأموال أعظم.

---

٥١ . (قال ما خطبكن إذ...) رجع الرسول إلى الملك وبلّغه ما قاله يوسف وسأله من القضاء، فأحضر النسوة وسألهن عمّا يهمّ شأنهن في مراودتهن ليوسف: ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن: (حاش لله ما علمنا عليه من سوء) فنزهنه من كل سوء، وشهدن أنهن لم يظهر لهن منه ما يسوء فيما راودْنَه عن نفسه. فعند ذاك تكلمت إمرأة العزيز واعترفت بذنبها وصدقَت يوسف عليه السلام فيما كان يدّعيه من البراءة قالت: الآن حصحص ووضح الحق وهو أنه: أنا راودته عن نفسه وإنّه لمن الصّادقين.

٥٢ . (ذلك ليعلم أنّي لم...) من كلام يوسف عليه السلام ما يدل عليه السياق. والمعنى: إنّما أرجعت الرسول إلى الملك وسألته أن يحقق الأمر ويقضي بالحق ليعلم العزيز أني لم أخنه بالغيب بمراودة امرأته وليعلم أن الله لا يهدي كيد الخائنين.

٥٣ . (وما أُبرئ نفسي إنَّ...) إشارة إلى قوله: (أنّي لم أخنه بالغيب) وأنه لم يقل هذا القول بداعي تنزيه نفسه وتزكيتها، بل بداعي حكاية رحمة من ربِّه.

٥٤ . (وقال الملك ائتوني...) وقال الملك إئتوني بيوسف أجعله خالصاً لنفسي وخاصة لي، فلما أُتي

به إليه وكلمه قال له: إنك اليوم وقد ظهر من كمالك ما ظهر لدينا ذو مكانة مطلقة وأمانة مطلقة تمكنك من كل ما تريد ونأتمنك على جميع شؤون الملك.

٥٥ . (قال اجعلني على...) لما عهد الملك ليوسف إنك اليوم لدينا مكين أمين وأطلق القول، سألهُ يوسف عليه السلام أن ينصبه على خزائن الأرض ويفوض إليه أمرها، والمراد بالأرض: أرض مصر.

٥٦ . (وكذلك مكنا ليوسف...) الاشارة بقوله (كذلك) إلى ما ساقه من القصة بما انتهى إلى نيله عليه السلام عزة مصر. (ولا نضيع أجر المحسنين) إشارة إلى أن هذا التمكين أجر اوتيهُ يوسف عليه السلام ووعد جميل للمحسنين جميعاً.

٥٧ . (ولأجر الآخرة خير...) لأولياء الله من عباده، فهو وعدٌ جميل أُخروي لاوليائه تعالى خاصة وكان يوسف عليه السلام منهم.

(٣٣٦/١)

---

٥٨ . (وجاء إخوة يوسف...) كان بين دخولهم هذا على يوسف وبين انتصابه على خزائن الأرض وتقلده عزة مصر بعد الخروج من السجن أكثر من سبع سنين، فإنهم إنما جاؤوا إليه في بعض السنين المجدبة وقد خلت السبع السنون المخصبة، ولم يروه منذ سلموه إلى السيارة، وهو اليوم في زي عزيز مصر، وهذا كله صرفهم عن أن يظنوا به أنه أخوهم ويعرفوه لكنه عرفهم بكياسته أو بفراسة النبوّة.

٥٩ . (ولمّا جهزهم بجهازهم...) ولما حملهم ما اعَدّ لهم من الجهاز والطعام الذي باعه منهم، أمرهم أن يأتوا إليه بأخ لهم من أبيهم. (ألا ترون أنّي أوفي الكيل) لا أبخس فيه ولا أظلمكم بالاتكاء على قدرتي وعزتي (وأنا خير المنزلين) أُكرم النازلين بي وأُحسن مثواهم، وهذا تحريض لهم أن يعودوا إليه ثانياً ويأتوا إليه بأخيهم.

٦٠ . (فإن لم تأتوني به...) تهديد منه لهم لو خالفوا أمره.

٦١ . (قالوا سنراود عنه...) في قولهم ليوسف (سنراود عنه أباه) دليل على أنهم قصوا عليه قصته أن أباهم يضن به ولا يرضى بمفارقته له.

٦٢ . (وقال لفتيانه اجعلوا...) وقال يوسف عليه السلام لغلمانه: إجعلوا مالهم وبضاعتهم التي قدموها ثمناً لما اشتروه من الطعام في أوعيتهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا ورجعوا إلى أهلهم . وفتحوا الأوعية، لعلهم يرجعون إلينا ويأتوا بأخيهم. فإن ذلك يقع في قلوبهم ويطمعهم إلى الرجوع والتمتع من الإكرام والإحسان.

٦٣ . (فلمّا رجعوا إلى أبيهم...) إجمال ما جرى بينهم وبين عزيز مصر من أمره بمنعهم من الكيل

إن لم يأتوا إليه بأخ لهم من أبيهم، يقصونه لأبيهم ويسألونه أنْ يرسله معهم ليكتالوا ولا يحرموا. [٢٣٢]

(٣٣٧/١)

---

٦٤ . (قال هل آمنكم...) إنكم تتوقعون مني أن أثق بكم وتطمئن نفسي إليكم كما وثقت بكم واطمأننت إليكم في أخيه من قبل، وتعدونني أن تحفظوه كما وعدتم في يوسف، وقد أمنتكم بمثل هذا الأمن على يوسف فلم تغنوا عني شيئاً. (فالله خير حافظاً...) مراده عليه السلام أن الاطمئنان إلى حفظ الله سبحانه خير من الاطمئنان إلى حفظ غيره.

٦٥ . (ولما فتحوا متاعهم...) لما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم ردت إليهم وكان ذلك دليلاً على اكرام العزيز لهم وأنه غير قاصد بهم سوء راجعوا أباهم وقالوا: يا أبانا ما الذي نطلب من سفرنا إلى مصر وراء هذا؟ فقد أُوفي لنا الكيل ورد إلينا ما بذلناه من البضاعة ثمناً.

٦٦ . (قال لن أرسله...) قال يعقوب لبنيه: (لن أُرسله) أي أخاكم من أُم يوسف (معكم حتّى تؤتون) وتعطوني (موثقاً من الله) أثق به وأعتمد عليه من عهد أو يمين (لتأتنني به) واللام للقسم (إلاّ أن يحاط بكم) وتسلبوا الاستطاعة والقدرة (فلما آتوه موثقهم) من الله (قال) يعقوب (الله على ما نقول وكيل) إنا قاولنا جميعاً فقلت وقلتم وتوسلنا بذلك إلى هذه الأسباب العادية للوصول إلى غرض نبتغيه، فليكن الله سبحانه وكيلاً على هذه الأقاويل يجريها على رسلها، فمن التزم بشيء فليأت به كما التزم وإن تخلف فليجازه الله وينتصف منه.

٦٧ . (وقال يا بني لا تدخلوا...) كأنه عليه السلام والله أعلم . أحس حينما تجهزوا للسفر واصطفوا أمامه للوداع، إحساس إلهام أن جمعهم وهم على هذا الهيئة الحسنة سيفرق وينقص من عددهم، فأمرهم أن لا يتظاهروا بالاجماع، كذلك وحذّرهم عن الدخول من باب واحد وعزم عليهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة، رجاء أن يندفع بذلك عنهم بلاء التفرقة بينهم والنقص في عددهم.

(٣٣٨/١)

---

٦٨ . (ولما دخلوا من حيث...) الذي يعطيه سياق الآيات السابقة واللاحقة والتدبر فيها . والله أعلم . أن يكون المراد بدخولهم من حيث أمرهم أبوهم أنهم دخلوا مصر أو دار العزيز فيها من أبواب متفرقة كما أمرهم أبوهم حينما ودعوه للرحيل. (ما كان يغني عنهم...) لم يكن من شأن يعقوب أو هذا الأمر الذي اتخذه وسيلة لتخلصهم من هذه المصيبة النازلة أن يغني عنهم من الله شيئاً البتة

ويدفع عنهم ما قضى الله أن يفارق إثنان منهم جمعهم، بل أخذ منهم واحد وفارقهم ولزم أرض مصر آخر وهو كبيرهم. (إلاّ حاجة في نفس يعقوب...) لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها الله فرد إليه ولده الذي فقده وهو يوسف. (وإنّه لذو علم...) ثناء على يعقوب عليه السلام.

٦٩ . (ولما دخلوا على يوسف...) بعد دخولهم مصر (آوى) وقرب (إليه أخاه) الذي أمرهم أن يأتوا به إليه وكان أخاً له من أبيه وامه (قال) له (إنّي أنا اخوك) أي يوسف الذي فقدته منذ سنين (فلا تبتئس) ولا تغتم (بما كانوا) أي الاخوة (يعملون) من أنواع الأذى والمظالم.

٧٠ . (فلمّا جهزهم بجهازهم...) معنى الآية ظاهر، وهذه حيلة احتالها يوسف عليه السلام ليأخذ بها أخاه إليه، كما قصه وفصله الله تعالى.

٧١ . (قالوا وأقبلوا عليهم...) قال إخوة يوسف المقبلون ليوسف وفتيانه: ماذا تفقدون؟

٧٢ . (قالوا نفقد صواع...) أجاب عنهم يوسف وفتيانه أما فتيانه فقالوا: نفقد صواع الملك، وأما يوسف فقال: ولمن جاء به حمل بعير وأنا زعيم [كفيل أو ضمين].

٧٣ . (قالوا تالله لقد...) قولهم: (وما كنّا سارقين) نفي أن يكونوا متصفين بهذه الصفة الرذيلة من قبل، أو يعهد منهم أهل البيت كذلك.

٧٤ . (قالوا فما جزاؤه...) قال فتيان يوسف أو هو وفتيانه سائلين منهم عن الجزاء: ما جزاء السارق، أو ما جزاء الذي سرق منكم إن كنتم كاذبين في إنكاركم.

٧٥ . (قالوا جزاؤه من...) من سرق مالاً يصير عبداً لمن سرق ماله وهكذا كان حكمه في سنّة يعقوب عليه السلام.

---

٧٦ . (فبدأ بأوعيتهم قبل...) فبدأ بأوعيتهم وظروفهم قبل وعاء أخيه للتعمية عليهم حذراً من أن ينتبهوا أنه هو الذي وضعها في رحل أخيه وعند ذاك إستقر الجزاء عليه لكونها في رحلِه. (كذلك كدنا ليوسف...) الإشارة إلى ما جرى

[٢٣٣]

من الأمر في طريق أخذ يوسف عليه السلام أخاه لأمّه من عصبة إخوته. (ما كان ليأخذ أخاه...) بيان للسبب الداعي إلى الكيد، وهو أنه كان يريد أن يأخذ أخاه إليه، ولم يكن في دين الملك أي سنته الجارية في أرض مصر طريق يؤدّي إلى أخذه. (نرفع درجات من نشاء...) إمتنان على يوسف عليه السلام بما رفعه الله على إخوته. (وفوق كل ذي علم عليم) بيان أن العلم من الأمور التي لا تقف على حد ينتهي إليه، بل كل ذي علم يمكن أن يفرض من هو أعلم منه.

٧٧ . (قالوا إنْ يسرق...) القائلون هم إخوة يوسف عليه السلام لأبيه، قالوا: إن يسرق هذا صواع

الملك فليس ببعيد مِنه، لأنه كان له أخ وقد تحققت السرقة منه من قبل، فهما يتوارثان من ناحية أُمّهما ونحن مفارقوهما في الأُم. (فاسرَّها) أخفى هذه الكلمة التي قالوها أي لم يتعرض لما نسبوا إليه من السرقة ولم ينفه ولم يبين حقيقة الحال بل (أسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم) وكأن هناك قائلاً يقول: كيف أسرها في نفسه فاجيب أنه (قال: أنتم شر مكاناً) وأسوأ حالاً لمّا في أقوالكم من التناقض وفي نفوسكم من غريزة الحسد الظاهرة (والله أعلم بما تصفون) إنه قد سرق أخ له من قبل. فلم يكذِّبهم في وصفه ولم ينفه.

٧٨ . (قالوا يا أيّها العزيز...) سياق الآيات يدل على أنهم إنما قالوا هذا القول لما شاهدوا إنه إستحق الأخذ والاستعباد، وذكروا أنهم أعطوا أباهم موثقاً من الله أن يرجعوه إليه، فلم يكن في مقدرتهم أن يرجعوا إلى أبيهم ولا يكون معهم، فعند ذاك عزموا أن يفدوه بواحد منهم.

٧٩ . (قال معاذ الله أن...) رد منه عليه السلام لسؤالهم أن يأخذ أحدهم مكانه، ومعنى الآية ظاهر.

(٣٤٠/١)

---

٨٠ . (فلمّا استيأسوا منه...). (فلمّا استيأسوا) من يوسف أن يخلي عن سبيل أخيه ولو بأخذ أحدهم بدلاً منه (خلصوا) وخرجوا من بين الناس إلى فراغ (نجياً) يتناجون في أمرهم أيرجعون إلى أبيهم وقد أخذ منهم موثقاً من الله أن يعيدوا أخاهم إليه أم يقيمون هناك ولا فائدة لإقامتهم ماذا يصنعون (قال كبيرهم) مخاطباً لسائرهم (ألم تعلموا أنّ أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله) إلاّ ترجعوا من سفركم هذا إليه إلاّ بأخيكم، (ومن قبل) هذه الواقعة (ما فرطتم) أي تفريطكم وتقصيركم (في) أمر (يوسف) عاهدتم أباكم أن تحفظوه وتردوه إليه سالماً فالقيتموه في الجب. (فلن أبرح الأرض) لن أُفارق أرض مصر (حتى يأذن لي أبي) برفعه اليد عن الموثق الذي واثقته به (أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين) فيجعل لي طريقاً إلى النجاة من هذه المضيقة.

٨١ . (إرجعوا إلى أبيكم...) قيل المراد بقوله: (وما شهدنا إلاّ بما علمنا) أنّا لم نشهد في شهادتنا هذه: (إن إبنك سرق) إلاّ بما علمنا سرقته.

٨٢ . (واسأل القرية الّتي...) واسأل جميع من صاحبنا في هذه السفرة أو شاهد جريان حالنا عند العزيز، حتى لا يبقى لك أدنى ريب في أنا لم نفرط في أمره، بل إنه سرق فاستُرِقّ.

٨٣ . (قال بل سولت...) حكاية ما أجابهم به يعقوب عليه السلام ولم يقل عليه السلام هذا القول تكذيباً لهم فيما أخبروه به، وحاشاه أن يكذب خبراً يحتف بقرائن الصدق وتصاحبه شواهد يمكن اختباره بها بل ليس إلاّ أنه وجد بفراسة إلهية ان هذه الواقعة ترتبط وتتفرع على تسويل نفساني منهم إجمالاً وكذلك كان الأمر، فإن الواقعة من أذناب واقعة يوسف وكانت واقعته من تسويل نفساني منهم.

٨٤ . (وتولّى عنهم وقال...) ثمّ (تولّى) وأعرض يعقوب عليه السلام (عنهم) عن أبنائه وقال: يا أسفي ويا حزني (على يوسف وابيضّت عيناه) وذهب بصره (من الحزن) على يوسف (فهو كظيم) حابس غيضه متجرع حزنهُ لا يتعرض لبنيه بشيء.

(٣٤١/١)

---

٨٥ . (قالوا تالله تفتأ...) نقسم بالله لا تزال تذكر يوسف وتديم ذكره منذ سنين، لا تكف عنه حتى تشرف على الهلاك أو تهلك.

٨٦ . (قال إنّما أشكو...) إني لست أشكو بثي وحزني إليكم معاشر ولدي وأهلي، وإنّما أشكو بثي وحزني إلى الله

[٢٣٤]

سبحانه وأعلم من الله ما لا تعلمون فلست أيأس من روحه ولا أقنط من رحمته.

٨٧ . (يا بنيّ اذهبوا فتحسَّسوا...) ثمّ قال يعقوب لبنيه آمراً لهم (يا بنيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) الذي أُخذ بمصر وابحثوا عنهما لعلكم تظفرون بهما (ولا تيأسوا من روح الله) والفرج الذي يرزقه الله بعد الشدّة (إنّه لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون) الذين لا يؤمنون بأن الله يقدر أن يكشف كل غمة وينفس عن كل كربة.

٨٨ . (فلمّا دخلوا عليه قالوا...). (يا أيّها العزيز مسّنا وأهلنا الضر) وأحاط بنا جميعاً المضيقة وسوء الحال (وجئنا) إليك (ببضاعة مزجاة) ومتاع قليل لا يعدل ما نسألك من طعام غير أنه نهاية ما بوسعنا (فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا) وكأنهم يريدون به أخاهم أو إياه والطعام (إنّ الله يجزي المتصدّقين) خيراً.

٨٩ . (قال هل علمتم...) مجرد تذكير لعملهم بهما من غير توبيخ ومؤاخذة ليعرفهم ما منّ الله عليه وعلى أخيه.

٩٠ . (قالوا إنّك لأنت...) قامت الشواهد عندهم على كون العزيز هو أخاهم يوسف، فأجابهم بقوله: (أنا يوسف وهذا أخي) وإنّما ألحق أخاه بنفسه ولم يسألوا عنه وما كانوا يجهلونه، ليخبر عن منّ الله عليهما وهما معاً المحسودان ولذا قال: (قد منّ الله علينا).

٩١ . (قالوا تالله لقد...) معنى الآية ظاهر، وفيها اعترافهم بالخطأ وتفضيل الله يوسف عليهم.

٩٢ . (قال لا تثريب عليكم...) التثريب: التوبيخ والمبالغة في اللوم وتعديد الذنوب. (يغفر الله لكم) هذا دعاء واستغفار منه لإخوته الذين ظلموه جميعاً.

(٣٤٢/١)

٩٣ . (إذهبوا بقميصي هذا...) تتمة كلام يوسف عليه السلام يأمر فيه إخوته أن يذهبوا بقميصه إلى أبيه، فيلقوه على وجهه ليشفي الله به عينيه ويأتي بصيراً، بعدما صار من كثرة الحزن والبكاء ضريراً لا يبصر.

٩٤ . (ولمّا فصلت العير...) لما خرجت العير الحاملة لقميص يوسف من مصر وانقطعت عنها، قال أبوهم يعقوب لمن عنده من بنيه: إني لأحس بريح يوسف وأرى اللقاء قريباً، لكن من المحتمل أن تفندوني فلا تذعنوا بقولي.

٩٥ . (قالوا تالله إنّك...) هذا ما واجهه به بعض بنيه الحاضرين عنده والظاهر أن مرادهم بالضلال هاهنا: المبالغة في حب يوسف وذلك أنهم كانوا يرون أنهم أحق بالحب من يوسف وهم عصبة إليهم تدبير بيته والدفاع عنه.

٩٦ . (فلمّا أن جاء البشير...) البشير: حامل البشارة، وكان حامل القميص.

٩٧ . (قالوا يا أبانا استغفر...) القائلون بنو يعقوب بدليل قولهم: (يا أبانا) ويريدون بالذنوب: ما فعلوه به في أمر يوسف وأخيه، وأما يوسف فقد كان استغفر لهم قبل.

٩٨ . (قال سوف أستغفر...) أخر عليه السلام الاستغفار لهم، ولعله إنّما أخّره ليتم له النعمة بلقاء يوسف وتطيب نفسه به كل الطيب، بنسيان جميع آثار الفراق، ثمّ يستغفر لهم.

٩٩ . (فلمّا دخلوا على يوسف...). (فلمّا دخلوا) أبواه وإخوته واهلهم (على يوسف) وذلك في خارج مصر (آوى) وضم (إليه أبويه وقال) لهم مؤمناً لهم: (ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين).

١٠٠ . (ورفع أبويه على...) دفع يوسف أبويه على عرش الملك الذي كان يجلس عليه (وخروا له سجداً) الظاهر أن السجدة إنّما وقعت لأوّل ما طلع عليهم يوسف، فكأنهم دخلوا البيت واطمأن بهم المجلس، ثمّ دخل عليهم يوسف فغشيهم النور الإلهي المتلألئ من جماله البديع، فلم يملكوا أنفسهم دون أن خرّوا له سجّداً. لما شاهد عليه السلام سجدة أبويه

[٢٣٥]

(٣٤٣/١)

وإخوته الأحد عشر، ذكر الرؤيا التي رأى فيها أحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين وأخبر بها أباه وهو صغير فاوّلَها له. ثم أثنى على ربه شاكراً له فقال: (وقد أحسن بي...) فذكر إحسان ربّه به في إخراجه من السجن وهو ضرّاء وبلاء دفعه الله عنه، بتبديله سرّاء ونعمة من حيث لا يحتسب، حيث جعله وسيلة لنيله العزة والملك. (من بعد أن نزغ الشّيطان بيني وبين إخوتي) وقد

أحسن بي من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي فكان من الأمر ما كان.

١٠١ . (ربّ قد آتيتني...) لما أثنى عليه السلام على ربّه وعدَّ ما دفع عنه من الشدائد والنوائب أراد أن يذكر ما خصه به من النعم المثبتة فقال: (ربّ قد آتيتني من الملك...) وقوله: (فاطر السّماوات والأرض...) أي إني تحت ولايتك التامة من غير أن يكون لي صنع في نفسي، واستقلال في ذاتي وصفاتي وأفعالي، أو أملك لنفسي شيئاً من نفع أو ضر أو موت أو حياة أو نشور.

١٠٢ . (ذلك من أنباء...) الإشارة إلى نبأ يوسف عليه السلام، والخطاب للنبيّ صلى الله عليه وآله وضمير الجمع لإخوة يوسف، والإجماع: العزم والارادة. والمعنى: أن نبأ يوسف من أنباء الغيب فانا نوحيه إليك والحال أنك ما كنت عند إخوة يوسف إذ عزموا على أمرهم وهم يمكرون في أمر يوسف.

١٠٣ . (وما أكثر النّاس...) أي ليس من شأن أكثر الناس لإنكبابهم على الدنيا وانجذاب نفوسهم إلى زينتها وسهوهم عما اودع في فطرهم من العلم بالله وآياته أن يؤمنوا به، ولو حرصت وأحببت إيمانهم.

١٠٤ . (وما تسألهم عليه...) ما هم بمؤمنين والحال أنك ما تسألهم على إيمانهم أو على هذا القرآن الذي ننزله عليك وتتلوه عليهم من أجر، حتى تصدهم الغرامة المالية وانفاق ما يحبونه من المال عن قبول دعوته والإيمان به.

---

١٠٥ . (وكأيّن من آية في...) إن هناك آيات كثيرة سماوية وأرضية تدل بوجودها والنظام البديع الجاري فيها على توحيد ربهم وهم يشاهدونها واحدة بعد أُخرى، فتتكرر عليهم، والحال أنهم معرضون عنها لا ينتبهون.

١٠٦ . (وما يؤمن أكثرهم...) المراد بالشرك في الآية: بعض مراتبه الذي يجامع بعض مراتب الإيمان، وهو المسمى باصطلاح فن الأخلاق بالشرك الخفي.

١٠٧ . (أفامنوا أن تأتيهم...) عقوبة غاشية تغشاهم وتحيط بهم. (وهم لا يشعرون) تفاجئهم الساعة في إتيانها، والحال أنهم لا يشعرون.

١٠٨ . (قل هذه سبيلي...) لما ذكر سبحانه ان محض الإيمان به وإخلاص التوحيد له عزيز المنال، وهو الحق الصريح الذي تدل عليه آيات السماوات والأرض، أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يبيّن لهم أن سبيله هو الدعاء إلى هذا التوحيد على بصيرة. (وما أنا من المشركين) تأكيد لمعنى الدعوة إلى الله، وبيان أن هذه الدعوة ليست دعوة إليه تعالى كيف كان، بل دعوة على أساس التوحيد الخالص لا معدل عنه إلى شرك أصلاً.

١٠٩ . (وما أرسلنا من قبلك...) تطبيق لدعوة النبيّ صلى الله عليه وآله على دعوة من قبله من

الرسل. ولعل توصيفهم بأنهم كانوا من أهل القرى، للدلالة على أنهم كانوا من أنفسهم يعيشون بينهم ومعروفين عندهم بالمعاشرة (أفلم يسيروا في الأرض...) إنذار لأمة النبيّ صلى الله عليه وآله بمثل ما انذر به الامم الخالية فلم يسمعوا فذاقوا وبال أمرهم.

١١٠ . (حتّى إذا استيأس الرّسل...) حتى إذا استيأس الرسل من إيمان أُولئك الناس، وظن الناس أن الرسل قد كذّبوا، أي أخبروا بالعذاب كذباً، جاء نصرنا فننجي بذلك من نشاء وهم المؤمنون، ولا يرد بأسنا أي شدتنا عن القوم المجرمين.

١١١ . (لقد كان في قصصهم...) لقد كان في قصص الأنبياء، أو يوسف وإخوته، عبرة لأصحاب العقول، ما كان

[٢٣٦]

(٣٤٥/١)

القصص المذكور في السورة حديثاً يفترى، لكن تصديق الذي بين يدي القرآن، وهو التوراة المذكورة فيها القصة، يعني: توراة موسى عليه السلام.

«سورة الرّعد»

بسم الله الرّحمن الرّحيم

١ . (المر تلك آيات الكتاب...) تلك الامور الكونية . وقد أُشير بلفظ البعيد دلالة على ارتفاع مكانتها . آيات الكتاب العام الكوني، دالة على أن الله سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته، والقرآن الذي انزل إليك من ربّك حق ليس بباطل، واللام في قوله: (الحق) للحصر. فتلك آيات قاطعة في دلالتها وهذا حق في نزوله، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، لا بتلك الآيات العينية ولا بهذا الحق النازل.

٢ . (الله الّذي رفع...) التذكير بدليل ربوبيته تعالى وحده لا شريك له. فالله سبحانه هو ذاك القائم بما ذكر، من أمر رفع السّماوات وتنظيم النظام وتسخير الشمس والقمر وتدبير الأمر وتفصيل الآيات. فهو تعالى رب الكل لا ربّ غيره.

٣ . (وهو الّذي مد الأرض...) بسطها بسطاً صالحاً لأن يعيش فيه الحيوان وينبت فيه الزرع والشجر. (وجعل فيها رواسي وأنهارا) جعل سبحانه فيها الجبال الرواسي وادخر فيها ما ينزل على الأرض من ماء السماء، وشقّ من أطرافها أنهاراً وفجر فيها عيوناً مطلة على السهل تسقي الزروع والجنان، فيخرج به ثمرات مختلفة حلوة ومرة صيفية وشتوية برية وأهلية، وسلط على وجه الأرض الليل والنهار. (ومن كلّ الثّمرات جعل...) ومن جميع الثمرات الممكنة الكينونة، جعل في الأرض أنواعاً متخالفة نوعاً يخالف آخر كالصيفي والشتوي والحلو وغيره والرطب واليابس.